

مقدمة

بين الأمل والفساد

من طبائع الايام التحول من حال الى حال؛ ففي كل يوم طلوع جديد لم يكن معروفاً. أو أفول معروف كان لم يكن في يوم ما جديداً. فما يالفه الاجتاد حتى يكون جزءاً من حياتهم قد يكون عند الاحفاد منكورا، وما يكون منكورا عند جيل قد يكون عند جيل آخر مألوقا. وهما ما يراه الانسان في نفسه. فيكون في كهولته غيره في شبابه فكريا وذوقا ورغبة في شيء أو رغبة عنه؛ وهي اطوار جيلت عليها هذه الحياة. سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والتحول في الهيئة الاجتماعية في غالب الأزمنة؛ يعهد منه ان يتتابع ببطء؛ حتى لا يكاد يفتن له الا الامعيون؛ حتى جاء هذا العصر؛ عصر الذرة والصواريخ، فاذا بها تكاد تتحول من حال الى حال في طرفة عين. خصوصا في بعض الاقطار كقطرنا هذا الذي هجم عليه هذا العصر السريع هجوما مباغتاً؛ فاذا به بين عشية وضحاها كأنما انقلب راسا على عقب.

أمل

اننا اليوم في (المغرب) لفي عهد يعد من يعيشون قبله؛ ثم يمتد بهم العمر الى ان يعيشوا فيه عهدا غريبا عجيبا. فقد شاهدنا كل شيء الى تحول سريع. فقد كنا نحيا في بيئة لا تكاد تمت اليها هذه البيئة الجديدة بأي لون. كنا في دين وفي عادات وفي هيئات وفي افكار وفي مقاييس وفي اوضاع. ثم هانحن اولاء مندفعون الى ما يعاكس كل ما الفناه على خط مستقيم.

أمس كان الدين ومثله العليا. والتخلق به. والتحاكم اليه. والحرص على علومه. واحترام حملته. هو المعروف المجمع عليه لا يختلف فيه اثنان لأن ذلك راسخ في النفوس؛ وتواترت عليه القرون؛ منذ عرف المغرب الإسلام في القرن الأول الهجري إلى أن ادركنا نحن ذلك في أوائل القرن الرابع عشر .

أمس كانت الحضارة الشرقية هي المعروفة وحدها عندنا بأذواقها وأدائها والوانها وهدونها واتساع ساحتها. وهي التي استطاعت أن تلتهم حضارة فارس وبيزانطة. ثم تبلورت في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وهرطبة. ثم كان مغربنا هذا مهين له من ارت هذه الحضارة كنوز كاديحافظ عليها وحده منذ أن انهارت الاندلس. واستولى التركيون على الشرق الأدنى كله ما عدا هذا القطر السعيد. الذي لم يعرف إلا الاستقلال منذ عرف الإسلام إلى الآن. فكان يعرف مقدار كنوزه هذه ويعتز بكل ما فيها من ألوان وافكار وفلسفة وعلوم وآداب ومعمار .

أمس كانت عندنا تقاليد محترمة في اللباس وفي اختيار التآييث وفي هيئة الجلوس وفي إقامة الحفلات وفي مزاولة الأعمال. فتكونت لنا هيئة اجتماعية توافقت لانها كانت متسلسلة عن الاجداد. لا يحس فيها بانها تتغير في كل جيل، وان كانت في الحقيقة لا بد أن يكون فيها تغير ما في كل جيل - فكانت لها موازين خاصة مألوفة. اليها يتحاكم ذوو الاذواق والافكار عند الاختلاف. فيتخذ حكمها مسمطا. وقانونها مرتكز في أعماق النفوس لا مسطر في الطروس. تلاءمت فيه مقتضيات حياتنا وديننا وعادات مجتمعنا نالوما تاما. دين العربية ولغة الدين. وعادات تكونت تحت نظرهما في قطر امتزج فيه العرب والبربر تمازج الماء القراح بالراح .

هكذا كنا أمس نعيش عيشة راضية نقر بها عيناء ونرضى عنها كل الرضاء لا نرى بها بديلا. بل لا نظن أن هناك من يحيا حياة طيبة مثل حياتنا التي نحياها في أمسنا الحلو اللذيذ؛ يوم كنا في عزلة عن العالم. في قطرنا هذا المحاط من جميع جهاته بسدود طبيعية. فمن الجنوب بالصحراء الكبرى، ومن الغرب والشمال بالبحر الواسع الذي لا تكاد نملك فيه ولو سفينة واحدة لركوبه. ومن الشرق بالجزائر التي سدت أيضا دوننا منذ أن استعمرها الفرنسيون من عقود من السنين. فهذه هو محيطنا الذي لا نعرف سواه قد الفناه وسعدنا فيه سعادة من يشأ في محل خاص في عمره كله. فلا ينصوون أن هناك حياة أخرى غير ما هو فيه .

وفي هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله. بلونه وفكره. بسياسته ومكره. بحضارته المشعة. بعلومه الحيوية المادية. بنظامه العجيب؛ بهعامله المنتجة السريعة؛ بكل شيء يمت الى الحياة الواقعية. فوقع لنا كما وقع لاصحاب الكهف يوم رجعوا الى الحياة، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيرا تاما. وحين كان المغرب لقنا حادثا سريع التطور. مندفعا الى كل ما يروقه. اقبل بنهم شديد على التهام كل ما في هذه الحضارة الغربية العجيبة. التي تغير على جميع نواحي الحياة. فتحدث من التغير ما يعرف التقاليد والافكار وكل ما يمت الى العادات. فاذا بالمغرب يتحول في عهد قصير الى مغرب آخر يغير كل ما كان معروفا منه في الامس. فاذا بأمثالنا نحن الذين كنا نعيش في شرح شبابنا في المغرب المستقل قبل 1330 هـ. قد كدنا نكون غرباء في طور شيخوختنا في المغرب المستقل من جديد 1375 هـ. فقد حرصنا أن لا ننكر الا ما يستحق أن ينكر. وان نحمد كل ما يمكن أن يُحمد واجتهدنا أن نساير العصر. وان نفهمه فلا ننكر اخذ ما لا بد من اخذه من أساليب الحضارة ونظمها وعلومها - لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها انى وجدها - ولكننا مع ذلك نشاهد اسرافا في التحول السريع الذي لم يراع فيه - حسب انظارنا نحن المسنين - حكمة ما بين التفریط والافراط؛ فنحاول ان نجتمع بين معاصر امس واليوم. ناصيين ميزان القسط. فاذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التي اندفع اليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال. واعظم ما نهتم له شيئان: احدهما التفریط في المثل العليا التي لا ترسخ في الشعوب الا بعد جهود قرون؛ ومثى اجتشت من اى شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء فان ابناء ذلك الشعب سرعان ما ينصرفون عن الصراط المستقيم في الحياة. وثانيهما التفریط في المحافظة على اللغة العربية وآدابها التي هي شعار المغرب وكنزه الموروث المحافظ عليه كلفة رسمية حتى يوم عمت تركيا لغتها في جميع أنحاء بلاد العرب منذ اوائل القرن العاشر الهجرى. وكنت شعري لما ذا كنا نحرص على الاستقلال ان لم تكن أهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة في اسس ديننا الحنيف؛ والمحافظة على هذه اللغة التي استمات المغاربة كلهم عربهم وبربرهم في جعلها هي اللغة الوحيدة في البلاد .

ومعلوم ما للمغراويين والهرابطين والموحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهي دول بربرية صميمة وذلك هو موضوع العجب. واما ان يحافظ الادارسة والسعديون والعلويون عليها فان ذلك امر طبيعي.

لأن الجالسين منهم على العرش عرب الضاح. هكذا أصبحنا نرى كثيرا من
ترائنا بضمحل بكل سرعة. ثم لا يطمع أن يتراجع إليه الاخلاف الا بعد
زمان نطلب الله أن لا يطول .

المسجد

نحن نؤمن انه سيأتي يوم يثور فيه اولادنا او احفادنا ثورة عنيفة
هذه كل ما لا يمت الى غير ما لا يأتهم من النافع المحمود. ثم يحاولون مراجعة
تاريخهم ليستقوا منه كل ما في امكانهم استدراكه. فلهؤلاء يجب على من
ولفء الله من أبناء اليوم أن يسعى في إيجاد المواد الخام لهم في كل ناحية
من النواحي التي تندثر بين اعيننا اليوم. وما ذلك الا بإيجاد مراجع للتاريخ
يسجل فيها عن امس كل ما يمكن من الاخبار والعادات والاعمال والمحافظة
على المثل العليا. بل يسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات؛ او ما يشبه
الخرافات، فإن نهم من سيأتون في الغد سيكتهم كل ما يقدم اليه كيفما
كان؛ ليستنتج منه ما يريد ان يعرفه عن ماضي اجداده. وهذا احد مغايز
هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء .

فكرة جمع الكتاب

كنت مرة زرت الزاوية الدلائية من ايت اسحق في سفح الاطلس
الكبير. فصرت ابحث هل اجد هناك اثرا من آثار اولئك العلماء الادباء
العظام؛ فلم أقع على أى أثر . فأغمضت عيني برهة فصرت استحضر كل ما
كنت قرأته من الكتب التي تحدثت عن هذه الزاوية. وعن اعمال رجالاتها.
فاذ ذاك عرفت ان الخلود لامثال هؤلاء لا يكون الا بالتسجيل بالاقلام
فاختمت هذه الفكرة في نفسي عن ناحية سوس التي اعرف فيها من امثال
الزاوية الدلائية عشرات عشرات كادوزو تيمكيدشت وأكشتيم وطاطة
وتانكت والمعدر وتادارات واسرير وتاكوشت وتيفيراسين وأغبالو ماسة
ونامانارت وأقا وتازموت واكرار وتاغاتين والمعجوب وامثالها. فمنها ما اندثر
قلبا. ثم لا نجد عنها الا مثل الوشم على ظاهر كف المعجوز وذقنها. ومنها
ما لا يزال فيها رفق. يعرف منه ماضيها المجيد. فكنت أتمنى وأنا اذذاك في
مراكش في موالاة الدروس لمن يحلقون حولي لو أجد فراغا لما يختمر في نفسي
حتى أؤدي هذه المهمة التي كانت عندي اذ ذاك كفكرة حديثة بسبب الاخ
الجونعماني ابي هذه الفكرة. ثم جاء النفي مختتم 1355هـ. الى مسقط راسي

حيث ألزمت القلوب والانحياش والبعد عن المجتمعات. فامتشقت القلم فاتخذته أنيسا في اليوم الثاني لنزولي في (الغ). وحين لم أجد من الخاطب إلا من في زاويتنا قنعت بتسجيل ما يتيسر من بعض اذكيائهم. وفي عشية يوم كنت مع أخي احمد رحمه الله؛ فقال لي وقد رأيت مكيبا على تسجيل كل ما اسمع مما جمع في كتاب (من افواه الرجال) ولا انظم ما اسوقه فيه ولا اختار؛ ماذا تصنع الآن؟ فان كنت لا بد كاتباً؛ فهيب لنا كتاباً عن (الغ) وعن كل من مر فيه من العلماء والادباء والحوادث. ليكون لنا كتاب آل زاوية تيمكيدشت الذي الفه العربي المشرفى الفاسى؛ فكانت هذه الكلمة من الاخ هي البلدة الاولى من هذا الكتاب. ثم نظمته تنظيماً يكاد يستوفي كل اعمال زوايا سوس ومدارسها مع اللام باخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم. وجمع رجالات الاسر العلمية تفصيلاً. وقد رتب الكتاب على خمسة اقسام. فاشتطت انى كلما ذكرت رجلاً ممن كانوا على شرط الكتاب ان اذكر كل ما حوالية من رجالات اسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن اساتذته وبهذا استطعت ان احشر في الكتاب كمية عظيمة من زوايا العلم بسوس وبعض ديار الرياسة. فطال الكتاب بذلك حتى كانت مجلداته تنقسم الى هذه الاجزاء

3 في الالفين العلماء والرؤساء .

5 في اساتذتهم كالجشتيمين والادوزيين والتيمكيدشتين وآل هاء العينين والمزواريين والتامانارتيين والاقاريضيين.

3 في تلامذة مدرستهم كاليزيديين والسالميين والخفيكيين والتاداراتيين والناصريين والوهداويين الاساويين .

6 في الاخذين عن زاويتهم كالاكراريسين والمحجوبيين والكرسيليين والمعدريين والركنين والتاتلتيين .

3 في اصداقائهم السوسيين منهم رؤساء كالجرارين والتامانارتيين والقائد المدني والقائد الناجم وغيرهم. وبهذا صار الكتاب عن سوس موسوعة فيها تسجيل كل ما امكن من اخبار بعض العلماء، وبعض الصوفية؛ وبعض الرؤساء. وانما قلت البعض لان هناك كتاباً خاصاً بعلماء سوس. وآخر في رؤسائهم. والمقصود ان اسجل أكثر ما يمكن لي تسجيله للفد بهذه الكتب عن هذه الناحية من المغرب .

هذا وقد يجد القارىء من لبناء اليوم مما اكتبه ما يفده من سقط المتاع ومما لا ينبغي ان يهتم به مما يفده عند نفسه في ذوقه عن الخرافات

ولكن لا ينسبون انى مؤرخ؛ وللم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل ما امامها حتى ما تقضى به الاعين. فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة تلتقط الظلال القائمة فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك، فانه قلم الضمير والمسح للحقائق. لان واجب المؤرخ ان ينقل قارئه بوساطة براعته الى الذى يتحدث عنه حتى كأنه يشاهد عيانا. واما ان يهذب او يشذب ويحلف ويزيد حتى يضل القارئ عن الحقائق فذلك هو الزور بعينه ولهذا احرص انا فى التراجم أن اذكر كل شىء مدحا وقدحا وان كنت اعمل فكري واختار وارجح. لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ. ولا خير فى مؤرخ جماع فقط من غير ان يظهر اثر فكره فيما يكتب .

وبعد فما انذا اجعل امام القارئ بعض ما سودته عن سوس فى هذا الكتاب الذى هو احد تلك الكتب. وسيجد فيه احيانا تكرارا فى التحدث عن شىء واحد فى مختلف التراجم. والمقصود ايجاد الصور المختلفة باختلاف الروايات لحادثة واحدة. ليستطيع من سيدرس الحادثة غذا ان يستوعب كل ما حوالها. فينظم الكلام فى صعيد واحد. وانا لا ازعم فى هذا الكتاب الا انه مجموعة مهياة لمن سيستقى منها غذا ما يريد. ولذلك احرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار. والنكات الادبية. والقوافى وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية فى الادب؛ كما لا ادعى انى بلغت الغاية او اتبع النهج العلمى فى الدقة. وانما ادعى انى حرصت على امانة النقل عن المصادر - وغالبها من افواه رجالات الاسر - واجتهدت على أن اتبع الترتيب المنطقى ان حاولت الاستنتاج. باذلا جهدى ما استطعت - لان المقصود اولا وآخرا ان يرى القارئ مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب. يضم طائفة من ابناء امازيغ الشلحين البندويين. فى نشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا. فقاموا باعظم دور فى ذلك بجهودهم الخاصة من غير ان تعينهم الدولة.

ومن مفاخر المغرب ان هذا العمل بنفسه او اكثر منه كان فى بوادى درعة وفى تافيلالت وفى دكالة وفى الريف. ولكن اين من يجمع لنا مما هنالك مثل هذا الجمع. وان لم يكن جمعا واسعا كما ينبغى. ولا مستوعبا كما كان يجب .

ثم انى ابن زاوية وابن بيثة امس. مؤمن بالروحيات الصادقة. فاقبل حرق العادة ان صح ان ذلك واقع. ولذلك يعذرنى من ليس له هذا الايمان ان وجد فى بعض التراجم من الكتاب مثل ذلك فله دينه ولى دينى .

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف

فليعلم المطالع لهذا الكتاب باجزائه العشرين انه سيطوؤض فيها اخبار
الفقهاء والادباء والرؤساء والصوفية وكل ما يعن من احوال الابدانية وسيكون
كالداخل الى السوق التي تجمع كل شيء. فليأخذ ما يعجبه وليعرض عما
لا يعجبه. فان ما لا يعده الا شيئاً تافهاً؛ ان كان لا يدوق حلاوته. قد يكون
ازاءه قارئ آخر لا يعجبه هو الا ذلك. فالكتاب كما يقولون كالمائة الطافحة
بانواع الاطعمة، يأكل كل واحد منها ما يشتهيها فمن ليس باديب لا يرتاح
للادب. ومن ليس بفقير لا يرتاح لاحوال الفقهاء. ومن ليس بصوفي يستنكر
حتى ما هو حق من احوال الصوفية. نعم ان من يكون مؤرخاً يريد ان يستنتج
يفرح بكل شيء ولو الخرافات فضلاً عن الحقائق .

وأخيراً

فقد وضعت امس كتاب (سوس العالة) أمام القارئ. وهو كالنافذة
لهذا الكتاب واخوانه من الكتب الاخرى. وهالك الآن (الجزء الاول) من هذا
الكتاب الثاني الذي ستعد من اجزائه الى العشرين ان شاء الله. فالله ييسر
بفضله؛ فان لم يخرج القارئ بكل ما يريد من الكتاب عن (سوس) فانه
على الاقل يخرج بفائدة كانت عنده قبل الكتاب من المجهولات. نطلب الله
ان ياتي بمن يستتم ما ينقص في الموضوع . او يصحح الاغلاط . وما ذلك على
شبابنا الذي تراه يشارك اليوم في هذا الميدان بعيد .

م خ س



بيان

غالب الاعلام فى لغة الشلحة لا ينطق بها كما هى عند اهلها الا مضبوطة مشكولة وحين كان ذلك الآن كالمعتاد فى مطابعتنا العربية المغربية سلكت الطريقة التى تعتاد فى أخوات الشلحة من اللغات العجمية : فأجعل الالف مكان الفتحة والواو مكان الضمة والياء مكان الكسرة : وكل حرف ليس أمامه الف او واو او ياء فانه مسكن : فمثلا : تجد (تمنرت) فى اقلام الكاتيبين السوسيين فلا تهتدى الى قراءتها ، ولكن ان كتبتها هكذا (تامانارت) فانك تفتح التاء والميم والنون وتسكن الراء : فاذا بك نطقت بها نطقا صحيحا : وكذلك (ايدىكل) و(ازاريف) و(اكجكال) و (تيغى) و (ءاقا) و(تامادولت) و (تيفنوت) و (تاكازا) و (ايسى) و (تالبرجت) و (تيفرميت) و (تاكوت) و (ايلينغ) و (السخ) فالفرق بينهما ان الاول مكسور اللام والثانى مسكنها : وبهذه الطريقة يستغنى عن شكل ألفاظ شلحية لا حصر لها : فلم يبق لنا الا معرفة الحرف المشدد من غيره ؛ فلم أقع الى الآن على ما ينبه به على التشديد الا الشكل : فمثلا (تيمكيدشت) فجميع الحروف يظهر ضبطها مما تقدم : فلم يبق الا الكاف المشددة : وكذلك (تاغاجيجت) فالجيم الاولى مشددة : وكذلك (أكادير وايو) فان الواو والياء مشددتان : كما يبقى لنا أيضا ما يتعلق بالتفخيم والترقيق فى الحرف؛ والكاف المعقودة التى تكون بين القاف والكاف وهى كثيرة فى الشلحة؛ مثل (اكلو) (اكرسيف) و (ايكوسالن) و (تاكنيت) فان هذين وهما ما يتعلق بالتفخيم والترقيق - وما يتعلق بالكاف المعقودة أمرها خفيف فى نظرى الآن فحينئذ يتلخص لنا أن الذى يكون لنا حجر عثرة فى مطابعتنا التى لم تزود بالحروف المشكولة هو الحرف المشدد وحده؛ وسنجهده ان نبين ذلك آخر كل جزء فنرتب الاعلام التى فيها الحرف المشدد على حروف المعجم باعتبار اول الكلمة والله الموفق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

الأحمد لله الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم؛ فتح العيون؛
وأرهم الأذان؛ وهدى النجدين؛ وانطق الألسن باللغات؛ وخص كتابه
الكريم بأفصح اللغات لغة العرب خير لغة أخرجت للناس؛ بعد ما هدبتها
ألسن العرب العرباء؛ ثم شدبتها حكمة القرآن بالمثل العليا. فاستحقت
أن تكون كلفة عامة لجميع من يعتنقون الاسلام من أقصى المشرق الى أقصى
المغرب. فالحمد لله الذى هدانا لهذا حتى كنا - نحن أبناء الخ العجم - نلوق
حلاوتها؛ ونذكر طلاوتها؛ ونستشف آدابها؛ ونغوض امواج قوافيها، حتى
لنعد انفسنا من أبناء يعرب وان لم تكن إلا أبناء (أمازيغ). فالانسان بلوكة
وبها يستحليه عند التعبير؛ لا بما رضعه من ثدى أمهاته، واللسان بما تفتح
له به المعانى الحلوة؛ لا بما يتهدج به من لغة يرثها لا تعد من نبع ولا
غرب (1)؛ فاللغة العربية عندنا - معشر الالفين - هي لغتنا حقا التي نعز
بها. لان بها مراسلتنا ومخاطبتنا حين نريد أن نرتفع بانفسنا عن مستوى
جيراننا، وأبناء جلدتنا من العربيليين والوفقاويين والمخاطيين والساموكيين؛
وتلك نعمة أنعم الله بها علينا بفضلها وكرمه؛ حتى اننا لثرى انفسنا من
ورثة الادب العربي؛ فنغار ان مسه ماس بفهاة؛ ونلود عن حماه ان احسنا
بمن يريد أن يمسه باهانة؛ فنحن عرب أقباح؛ من حرشة الضباب،
والمستطيين للشيخ والقيصوم؛ وان لم تكن أصولنا الا من هؤلاء الذين
يجاوروننا من أبناء الشلحين الاماجد .

(I) النبع: كفلس والغرب: كالفرح من شجر البادية تصنع منها
السهم. قال أبو تمام :
تخرصا واحاديثا ملفقة ليست بنبع اذاعدت ولاغرب

والصلاة والسلام على من بعثه الله من خير ارضي وان لم يكن
 الا صحراء لاحلها فكان للانسانية جمعا قبل ان يكون مخصوصا في بلادك
 الحق للعرب الخالص؛ رفع راية الحرية والمساواة والاخاء؛ فارتى الى ظلمها
 كل الذين هداهم الله فاستظلوا بتلك الراية من فلبين فاندونيسية الى هذا
 القطر المغربي الذي نكون نحن - ابناء الخ - في اقصى ذنبه الذي هو ذنب
 الطاووس - فيما نرى - ورضى الله عن الصحابة وتابعيهم الذين شرفوا
 وغربوا بهذه الراية المباركة، حتى ركزوها وراءنا في الصحراء الكبرى
 تركيزا؛ ثم لم تقدر اربعة عشر قرنا ان تززعها عن حلها؛ لان ما مراكزه
 في القلوب لا يمكن ان يتزعزع بالاعاصير، فحيا الله تلك الهمم السماء
 التي تفتح القلوب باللسان العربي وبكتابه الكريم؛ قبل ان تفتح البلاد؛
 وهل عرف العالم فاتحا مثل العرب كما يقول غوستاف لوبون ؟

اما بعد فقد اولعت منذ عرفت قبيل من دبيري؛ وميزت يميني من
 شمالي. بالتاريخ والادب؛ وبمطالعة كتبهما فلا اظل ولا ابيت منذ كحلقتني
 العربية بائمهها، واذاقتني حلاوة معانيها الطلية فاشتنتي بخمرتها؛ الا بين
 كتاب ابتدئه وآخر اختتمه؛ منذ بكرت الى مطالعة كتاب (الف ليلة وليلة)
 في فجر حياتي؛ اذ كان اول كتاب طالعته وانا ابن نحو عشر سنين؛
 فاخذت بحكاياته التي تدل على ما لمدينة العرب في بغداد ومصر وما اليهما
 من اناقة ولطف وحسن ذوق؛ ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما؛ طالعت مثل:
 المستطرف وحياة الحيوان للدميري وابن خلكان؛ ومروج الذهب؛ ونفح
 الطيب؛ وقلائد العقيان، والاستقصاء؛ ونزهة الحادي؛ والصفوة - وهي
 الكتب التي طالعتها في حياتي الاولى في الخ وما الى الخ من افران واغشان -
 ثم لما كملت تراب الارض بقدم الهجرة (1) ووجدت خزائن تطفح بالكتب
 الكبرى؛ اقبلت بنهم الذي لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عيني كيما
 كان الكتاب؛ ما دام يمت الى الادب والتاريخ، فلا ارد اي كتاب سنج؛ ولسان
 حالى ينشد قول ابن المعتز :

للبسى وثاب الى ذا وذا ليس يرى شيئا فياباه
 يهيم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهواه

ثم لما حلت بفاس اتى الوادي فطم على القرى (2)؛ فبدلت اخلاقا
 خير التي عهدت من نفسي قبل؛ وانا في مراکش واحواز مراکش، فقد تلقحت

(1) لا يدرك المرء في اوطانه شرفا حتى يكيل تراب الارض بالقدم
 (2) مثل قريش، القري كغنى؛ مسيل الماء من الوادي؛ وطم الماء على الشىء؛

اذا حصره .

في جو فاس بما لو لم التلح به لما كانت لي فكرة، ولا تحركت بي هممة؛
ولا نزعمت بي نفس عزوف تقول بملء فيها :

لي هممة عالية فلة طموحها ليس له منتهى
لو ملكت كل الثرى لاعتلت الى امتلاك سدره المنتهى

تكونت لي في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الغرافات الموهبة،
وبين الروحانيات الربانية؛ كما نبئت متى غيرة وطنية نسيت بها نفسي
ومصالحى الشخصية؛ فاعدت نفسي فداء لدينى ولوطنى ولامتى التى هي
امة العرب والاسلام جميعا، وانا بين هاتين: الفكرة والغيرة اسبح في آداب
حية طلع بها هذا العصر الجديد؛ فصرت اقرأ من نثر المنفلوطى وفريد وجدى
ومحمد عبده واضرابهم، ومن شعر شوقى وحافظ ومطران وامثالهم ما عرفت
به ان اللى كنت اسبح فيه منذ صغرى ليس الا ضحفاحا كثيرا؛ لا يبرد جسدا؛
ولا يفتأ غلة؛ ولا يقضى على لهفة +

ثم لما ابت من فاس. وقد الممت بالرباط. حيث احتقبت أيضا علوما
وفهوما وانظارا وبحوثا؛ لم ألق عليها الا في الرباط وفي مشايخ الرباط.
حللت بالحمراء وقد أقيمت فيها مرساتي، وأنوى أن ألقى الواجب على
لدينى ولوطنى ولشعبى؛ ما بين تلميذ يهذب؛ وبين درس ارشاد يلقى؛ وانا
في جانب ذلك اناغى اليراع فيما عسى أن يرفع من شان هذه الامة؛ من احياء
ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التى اراها
الذاك في انهيار؛ ففي هذه الميادين الثلاثة قضيت آزمانا؛ تكشفت عن أعمال
كان فضل الله على فيها عظيما؛ ومن بينها اشتغالى بجمع مؤلف حول (العصر
الذهبي لمراكش) يوم كانت عاصمة المرابطين والموحدين، اعدت له من المراجع
ما لو تم بها لكان - فيما كنت أقدر - صنو (عصر المأمون) حجما واسلوبا
والقادة وروعة، لاننى وجدت من ذلك مكان القول ذا سعة؛ ولكن جاء النلى
بفتة؛ فذهبت تلك المراجع مع ما كتب من الاصل الى سلة المهملات .

ها انا ذا الآن انلى الى الغ؛ الى مسقط راسى؛ حيث امنع من ان اتصل
بالناس؛ فوجدتني فجأة امام بيئة كنت نسيته، فخطبت من هناك بهذه
القصيدة التى الممت فيها ببعض لعب الولدان الالفين؛ وبذكريات اول
شبابى؛ أتمطق بها الآن بكل حلاوة :

اليكم - بنى امى - ايب ركابى فياليت شعرى هل انا خير ائيب(1)
فقد غبت احقابا طويلا وذا انسا اعود كان لم الغد - لظ - بفالب

(1) ائيب: تقصيرا الهجر الثانية بالهاء تسهيلا هلى ما عرفه من القاعدة
اذا اجتمعت همزتان .

صدفت الى ان كان ميل اليك
 كان لم يكن الخ بلادى التي بها
 كان لم يكن اصل ومنبت نبتى
 كان لم تكن لي ارضها خير مرتقى
 وروض وصال قد تمتعت برهة
 اذ الدهر بشر والحياة مسرة
 ويوم الصبا يوم ضحك كنا
 نهارى حور ثم ان زرت مضجعى
 فليل هناء والنهار سعادة
 تنالنى الآمال من كل وجهة ،
 فامى واخى لا تريدان غير ما
 اشير فيوتى لي بكل الذى اشأ
 فاحسبني بالامر والنهى انى ؛
 نظارحتى نفسى الهنى فانظلم فى
 فلم ادر الا ان انال المراد كى
 فاسدر فى ميدان لهوى وانسى
 اجول كما اشهى واجرى كما اشأ
 الاعب اترابى فنغدو الى المسا
 نطل على فر وكر كأنما ؛
 عمل لصببات شققت جنباتها
 نجيل اذا جلنا بها فى اكفنا
 فنصود والنفق النار مطب
 فنجرى ولا تدرى المجل بيننا ؛
 نحاول تنظيمنا وسرعان ما ترى ان
 والفضل يوم عتدنا يوم نفتدى ،

ورجعاى هذا اليوم احدى العجائب (1)
 سموت به فوق الدرى والمناكب
 ومجمع اخوانى ومقنى اصاحبى
 سريت صغيرا بين شتى المسارب
 بازهاره بين اللمى واللوائب
 وروض الامانى مستهل المعاشب
 تفازل صبا سافرات الكواعب
 فاطيب بحلم مستلذ المشارب
 وعيشى طليق الوجه عذب المشائب
 مناغاة ام الطفل مهما تلاعب
 اريد جناه من جميع المراغب
 وان كان مجناه مناط الكواكب
 امير على اهل وكل صواحبى
 خمائلها اجنى ثمار رغائبى
 اساجل اقرانى بكل الملاعب ؛
 ساخال - ذكاء قد علت كل ثاقب (2)
 واسحب ذيل سحب سكران شارب
 وما ان درينا كيف مس المتاعب
 تلاطم ميدان الوغى بالكتائب
 ولكنها من تحتنا كالشواذب (3)
 عصيا نرى منهن امضى القواضب
 كما اعترضت فى الجوسود السعائب (4)
 وى نظام بين خيل الملاعب ؟
 ستارا كوهى العقد فوق الترائب
 حفاة بجرى المذكيات السراحب (5)

(1) صدفت عن الشيء: مال عنه .

(2) السادر: الذى لا يهتم ولا يباى بما صنع؛ والفعل سدر كفرج، وذكاء
 بضم الذاى ممنوع من الصرف ولكنه مصروف هنا ضرورة: الشمس

(3) الفرس الشماذب: الضامر. والصبيان يشقون من أخريات قصباتهم
 التى يركبون عليها لتشير القبار كالخيل عند اجرائها .

(4) طلب بالمكان: اقام فيه .

(5) المذاكى من الخيل: التى اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان؛

وفرس سرحوب: طويله.

والبلت الصبيان من كسل جانب
 فدارت رهي الهيجاء بين المقائب (1)
 «تربا» وخاض الحرب كل محارب (2)
 عصائب طير صدمات عصائب
 تصل قفا عطشى سرت للمشارب (3)
 فكسل يعانى ان يرى جد غالب
 تلاحم صفانا بشوس محارب (4)
 وفقنا عن اعمال القنا والقواضب
 تماسكنا فوق القرى والجوانب (5)
 على الارض او جلد امام المغالب
 وقوف. وبعض ماسكو بالتلابب (6)
 ذوو الراى منا نحو صلح مقارب
 مضى مثل امس غابر العهد ذاهب؛
 عناقى كان لم يلتقوا فى المعاطب؛
 فسالت على اعناقهم والمناكب
 باحجار «الد» الجائيات اللواهب (7)

وقد انصرت ربح التظام بيننا
 وصرح بين القرينين تضارب
 وفرقع فى الميدان «الد» وصوتت
 وقد جالت الاحجار فوق كانها
 وقد زجلت اصداه سرعتها كما
 وقد علت الاصوات منا ومنهم
 وقد حمل الاذمار حملتهم وقد
 ونابت ايادينا عن «الد» واختها
 يانز قرين قرنه حين يتدى
 يغالب كل قرنه فمجندل
 اذا بعضنا صرعى . وبعض ازاءهم
 فيجندم الخصمان حيناً فينتحى
 فياتمر الجمعان ان يجعلوا الذى
 فتراب بالصلح القلوب اذا بهم؛
 كان لم تلتخ بالدماء رؤوسهم
 كان لم يدقوا بينهم عطر منشم

- (1) القرينتان: قرية آل سليمان. وقرية الزاوية العليا. والمقنب بكسر الميم من الجيش. قطعة من الفرسان الى ثلاثمائة .
 (2) الد بكسر الهمزة وسكون اللام وكسر الدال؛ وتربا - بكسر التاء والزاى؛ ثم باء مفتوحة مشدودة: نوعان من المقابيع يصنعان من الحلفاء؛ وترمى بهما الاحجار، وبهما يقع التضارب بين الصبيان .
 (3) الزجل. محرك من زجل كفرح: الصوت. قال الشاعر يصف قطة غادرت ولدها وقد استولى عليها الظمأ. فكان لها صليل اى صوت. غدت من عليه بعد ما تم ظمئها تصل وعن قيص بزيزاء مجهل
 (4) الذمر بالكسر: الشجاع؛ والاشوس: الناظر بمؤخر العين تكبرا او غضبا؛ والمحاريب جمع محراب؛ المبالغة فى الذى يحارب؛ واسقاط الياء فى مثل المحاريب قياسى؛ فتقول: المحارب .
 (5) القرى بالفتح: الظهر. ولزه: ربطه بشيء آخر قال:
 وابن المبون اذا ما لز فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
 (6) اصله التلابيب. ولبيه: اخذه بشيابه من فوق صدره.
 (7) عطر منشم: يفسر بالعطر الذى يجعل فى الاكفان: كانت امراة عربية تسمى منشم تبسبه؛ وهو تعبير جاهلي. ومن معلقة زهير:
 تداركنا «بمسا» وذيبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

لروح جميعا بالولام اللابسا ،
الى لعبة اخرى فنتج بابها
لحيننا الى (الاسداء) نمضى وقارة
وطورا الى (شوك) افضل لعبة
واونة نعدو الى الاختبا فان

وان لم تكن فى اهلنا بالاقارب
جديدا بشوق الصب نحو الحباب
لنحو «ضما» نثنى زمام الركائب (1)
لنا حيث يدمى القرص كفاللاعب (2)
نقتس نزرع فى المخابى بضاغب (3)

* * *

كذلك نمضى يومنا مرحا فلا
فلا نتقى بردا ولا نتقى حفا
ولا نتقى الاكمام والحجر لا و - لا
نجى بقمص كالزهود ونثنى
فان غمغم الاهلون فالامهات فى ؛
يمطن الاذى بالبشر ثم يسطن من
ونصبح ايضا عود بدء وهكذا

نصيخ لجوع لافح النار ناصب
ولا نتقى ليلا بطى الكواكب (4)
(اقلمون) فى جمع الثرى لللاعب (5)
بدكن كاسمال الشكالى للسلاب (6)
مناعاتنا او ضمنا للترائب ؛
نضار اليرنا بين سود اللوائب (7)
قضينا عويمات بغير مراقب ،

(1) استدى الصبيان واسدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز: ونحن جعلناه
المعب بالحصى؛ وهى المسماة: (اكترن) وضما معلوم: صنو الشطرنج.
(2) شوك بفتح الشين وضم اللام المشددة: لعبة بالحصى يقرص على
ظهر كف من غلب فيها .

(3) والمقصود بلعبة الاختباء ما يسمى بالشلحة (توتكلا) بسكون التاء
وفتح الواو المشددة وسكون التاء الاخرى وسكون الكاف المعقودة وفتح
اللام المشددة. ومعناه طابت العصيدة؛ وهى لعبة يختبئ فيها الصبيان؛
فيفتش عنهم أحدهم؛ وقد يباغته احدالمختبئين فيفرعه؛ وهو الضاغب، ولهذه
اللفظة الغربية تسمى هذه القصيدة عند بعض الادباء بالضاغبية. ولعل
لعبة (الغميضا) تشبه لعبة الاختباء. وسيرى القارىء وصف هذه اللعبة فيما
ياتى .

(4) ينظر فيه الى قول الشاعر:

كليتى لهم يا أمية ناصب وليل أقاسيه بطى الكواكب

(5) أقلمون بفتح الهمزة والقاف وسكون اللام هو ما يسمى بالقب
للحبة والبرنوس: ما يجعل فوق الرأس منهما .

(6) السلاب والشكالى بمعنى واحد. والدكنة معروفة فى الالوان. والاسمال
الشياب الخلفة .

(7) اليرنا: الحناء. ودهن الرأس بالحناء المتوت للصبية عادة الهية.
وهو احمر اللون كالنضار: الذهب .

وأيضا لدينا من اختلافهم سوى
 إذا ما سمعنا الهمس من صوبهم فلا
 مساورة من مشبل وسط خيسه
 عيسوس المحيا لمطيرير كأنما
 فلم يدر إلا البطح فالهشم ان تهل
 او اللكم والركل المفض اذا ونت
 لسر الرشاكى نستدر ليونة
 فلولاه كان العصر عصر الصبا لنا
 ولكنه ادى الثفاف صلابه ؛
 فتبصرنا تحت الدقون كأنما
 فرضنا عل رغم الانوف ومن يعجل
 فهو بنا عام فعام فبملت
 فطاف بنا عقل جديد فحلقت
 بدت من سماوات المعارف برقة
 رأينا المعالي كلها فى مرادها ؛
 فغادوت الفا والشيبية غضة ،
 اربغ العلا بالنص فى كل فدغد
 اعرض حر الوجه نحو سمومه ؛
 فهببت الجبال الشامخات؛ وخضضت
 فطميت بالحمرء حيننا وسابقت
 وطورا ارانى فى الرباط وقد طمت
 فافرحت فى هاتى وتلك وتلكم

ليوث اطلبوا من صدور الكتاب
 تسبل عن لوب فى الضاوع ذوالب
 اخف علينا من ملااة طالب (1)
 تجهت السعلاة فى وجه هارب
 عصاه بنا كالثمر بين الثعالب ؛
 يداه يعبل من حبال ازغب (2)
 لو ان الصخور الصم درت لثعالب
 الد زمان لم يمس بشائب
 مؤيدة بالقرص من كل جانب
 يعاول ضار خنقنا بالمطالب
 بقواته سوى جميع المصاعب (3)
 ضرائب منا سلج بضرائب (4)
 اماني اخرى لاغنام مآرب
 اثرنا لها سرتاد- قود الثعالب
 فطرنا اليها بالنفوس الرواعب
 ووجهى وغصنى مثل ابيض قاضب
 تفل به الخريت شتى المشاعب (5)
 فيكسوه من الواب سود غرابب (6)
 سراب البطح الفيح هوج ركائبى
 من ابناء فاس آونات سلاهبى (7)
 على غيوث الهامعات السواكب
 جهود مجد فى التفوق راعب ؛

-
- (1) اسم الطالب يطلق فى الغ على استاذ التعليم فى المسجد. والمساورة؛
 الموازية. والاسد المشبل: الذى له اشبال والخيس بالكسر: عرين الاسد،
 (2) العبل: الغليظ. رحبل ازغب: اختلط بياضه بسواده. وكثيرا ما
 يهرم رحبل الطالب القاسى من حافاء ومن شعر ليكون أمتن .
 (3) ريش الفرص: اذا وطى للركوب. ورضنا بكسر الراء.
 (4) الضرائب: الاخلاق.
 (5) المشاعب: المذاهب. والدليل الخريت: المعارف بالطرق. والنص: نوع
 من الصيبر السريع. وازاع الشى: طلبه .
 (6) غرابب: اسمه غرابيب؛ وهو القرآن غرابيب سود؛ والكلمة للانباغ.
 (7) الاغراسى السلاهبى: الطويلات .

درود بدر خالص للمواظب ،
 ربيثة قوم جائم في المراقب (1)
 والقي للآطورا بيحث مجاذب ؛
 اغوص به حتى تغشى ذوائبي
 صباح تجلى من سجوف الفياعب (2)
 تنظم منه جزءها يد ثاقب (3)
 تنقصتها أئنت عليها حقائبى (4)
 درى حالتيه لا يعر فى المذاهب
 وانى بعيد عن دنايا المشاعب (5)
 به النفس فى آرائه والمذاهب
 تصان عن اطماع الحياة النواهب ؛
 عن العرض الفانى الممر العواقب (6)
 أصيره غايات كل مطالبى
 يحس بان قد حل بين الاجانب
 واثرا به فى مهده غير عازب ؛
 زهور نمت بين الصبا والمذانب (7)
 الى أن ترى رجلاه فوق المتناكب
 ويشكر أن يقبله من يد واهب
 عليه. كأنوار النجوم الثواقب
 فليست ترى من بينهم اى قاطب

وشغل الوحيد بالدرس فى كل محل
 فاجتم فوق الركبين كأنسى
 اليد عن ذاك الشوارد تارة
 فيوردنى الاشياخ بحرا عظمما
 ويجلسون ابصارى بفكر كأنه
 فابصرت نورا مشرقا متلالثا
 فابت بحمد الله فى حالة - اذا ؛
 عرفت لبيل من دبيري بها ومن
 وصومت ان افضى الحياة جميعها
 لعلمى ان المرء حيث توقفت ؛
 وان نفيس العمر خير ذخيرة ،
 فملت الى درس المعارف معرضا
 فالامر همى كله حول نشرها
 بهرا كس الحمراء حيث الغريب لا-
 كان كان عن جداته وصحابه ؛
 يخال من التجيل ذكرا كأنه
 ويفسون اثواب التجلات فوقه
 ويولتر بالشئ النفيس لديهم
 فمن تره منهم تر البشر نيرا
 كان لظوب الوجه لا يعرفونه

(1) المراقبة المحل الذى يراقب منه العدو ومثله. والربيثة: الطليعة للجيش أو المرقة .

(2) السجف: الستار .

(3) تلميح لقول ابن اطمحان :

اضاءت لهم احسابهم ووجوههم

(4) تلميح لقول الشاعر :

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم

ويرجعن من دارين بجر الحقائب

(5) يعنى بالمشاعب: مشاعب التجارة كما يرى عند بعض السوسيين.

(6) انما عبر هذا البيت عن أن كثيرين من السوسيين انما يتغربون اليوم فى العرض الفانى لا فى المعارف. وامر الشئ ومر . اذا كان مرا غير حلو

(7) المذانب: الجداول .

إذا أولدوا نارا وشهبوا وفودها
 يجلونى فى حفرتى. ثم ان اذهب
 امن بعد ذا يا اهل (الخ) الامان؛
 فما ائلا فى اليوم غادرت فطرهم
 فهل اجد المألوف منهم لديكم،
 فالى انخت العيش يومى بالفكم
 وقد انكرت عيناى منه وانكرت؛
 ففسد غيرت منى ومن جنباته
 فقد عهدت منى رباہ غليما؛
 فعاد اليها اليوم كهل تعرفت؛
 كان خطاه فى المسير خطا الذى
 ربوض بمشواه فليس بناهض
 كان عاد فى الرهبان يقفوقفاهم
 كذلك انا انكرت (الخ) وارضها
 نمكبتها حتى تنكر جوها
 ارى جوها فى بهرة الصحو باهتا
 اذلكم (بردى) الذى كان حقبه
 وهذا (أمقسو) شامخا فكانه

فما هى للعاشى سوى نار غالب(1)
 فليس الثناء الرطب عنى بغائب
 نسيت بهم اهل وكل اقاربي؟
 ودارت بينى دائرات الدواب
 فاحسبني ثم اغمد عنهم بعازب؟
 والفى انا ايضا زمان الملاعب
 رباہ سبالي واستطالة شاربي؛
 نوابب ترى تاليات نوابب؟
 نشيطا سريع الخطو امرح لاعب
 جوانبسه مستانيدات المصائب
 تمشى بكبل فى شفير السرادب(2)
 لغير ديون تقضى فى المحارب(3)
 ايبعد عن كل الورى غير رابب؟
 وحال رباها والبطاح الاجادب
 على واعلام الصوى والمذاهب(4)
 كان جلته قاتمات القياهب(5)
 اذا احتفل النوار معنى الكواعب(6)
 مدارج منها يرتقى للسعائب(7)

- (1) فيه تلميح لقول الفرزدق فى جده غائب من قطعة:
 اذا آنسوا نارا يقولون ليبتها وقد خصرت ايديهم نار غالب
- (2) هذا يشبه قول مسنم بن الوليد:
 اذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشيت به مشى المقيد فى الوحل
- (3) يعنى الصلوات .
- (4) الصورة: ما يجعل من الاحجار فى القيافى لتعلم به الطرق؛ وفى الحديث: ان للاسلام صوا ومنارا كمنار الطريق .
- (5) ضوء باهت: ضعيف. والكلمة ينتقدها الالغيون؛ فانهم لم يجدوا لها هذا المعنى فى القاموس .
- (6) بردى بفتح فسكون فдал بعدها الف معصورة: الناحية الشمالية من بسيط الخ .
- (7) أمقسو بفتح الهجزة والميم وسكون القاف وضم السين: اعلى جبل من جبال الخ الشمال الشرقي .

وهذي (تكنزا) فوقها الحصن مشرفا
 فإين (قهي) و(العنصر) العذب ارشطوا
 لا نفع من تلك المسارب غلتى
 معالم كانت في زمان طفولتى؛
 وعهدى بها مسكية الترب، والصبا
 اذا وجهها في اليوم اجرد كالج
 فله الخ يوم ذاك فانها ،
 اجر بها شرح الشباب وانى
 واما انا في اليوم فالطرف شاهد
 فمن كان في سنى يرى مثل ما أرى
 وشاهد ما شاهدت من رد أروىس
 فأجدر به ألا يهز فؤاده
 فما بعد الكهل الكئيب عن الهوى
 ففي همه المشبوب أشغل شاغل
 اذا عمر الهم الفؤاد فهل ترى
 أشغل الا بى لا أبالك في الهوى
 فلا كان حمر تطيبه سوائف ،
 وا ولم يحل دون القريض الجريض ما

كلدوة فعل اشرفت فوق غارب (1)
 اخاكم ووقوده لتلك المتاعب (2)
 فعهدى بها من قبل احلى مشارب
 مسارح ابصارى ومجلى ملاعبى ؛
 شدا. ونثر الدر بين المعاصب (3)
 تصرصر فيها معصرات الجنائب؛
 حدائق رقت بالحقول المعاصب
 خلى رضى البال بين اصحابى
 بحاضر حالى مستشف لغائبى
 وطاف به ما طاف بى من غرائب
 مكللة بالمجد تحت العرايب
 جاذر ان عنت بزى الاعارب (4)
 وعن ذكريات قبل عنه ذواهب
 له عن مناغة الدمى في المسارب
 له لفنة للرائعات الرعابى؟ (5)
 وقد سيم ما قد سيم من كل جانب؟
 وان لسعت اصداغها بالعقارب (6)
 كفت يراعى عن قواف صواخب

بى الخ هذا صنوكم وعشيركم؛
 فقد جاءكم من بعد عشرين حجة؛
 فان تنكروا منه وينكر لديكم
 فعما قليل يقرون الدهر بيننا
 عليكم جميعا من اخ حل بينكم

يؤوب. ايفدو بينكم خير آتب
 غريب المبادى والحجا والجلاب
 خلائق فالاغضاء اوجب واجب
 فليس لزوم الطبع ضربة لازب
 حلول السها بين النجوم الثواقب

(1) وتكنزا من جهتها جبل فوقه حصن جنوبى الخ وهى بفتح التاء والكاف
 وسكون النون وفتح الزاى

(2) قهي بكسرتين والعنصر بفتح العين والصاد: بيران امام دارنا.
 ومثعب الماء: مجرام.

(3) فيه تلميح لما قاله الشاعر سيدى الطاهر الافرانى فى ارض الخ
 ارض تراها عبير. وانسيم شدا والماء راح. وكالياقوت حصباء

(4) تلميح لقول المتنبى:
 من الجاذر فى زى الاعارب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

(5) جارية رعبوب: بيضاء حسنة رطبة حلوة

(6) اطباء: استماله؛ اطبى يطبى؛ افتعل يفتعل .

سلام كما طابت شمائل منكم وفاضت لديكم طيبات المنال،
بمنكم يا آل الخ فانتهم جميعا اودائي وعر اقاربي ؛

خطبت الالفين بهذا النوع من الشعر العربي الفخ. لانهم لغويون
الحاج يستحضرون كل ما ربما يعده غيرهم غريبا يحتاج الى مراجعة
القواميس قبل فهمه؛ وكان مقصودي فتح الباب بيني وبينهم؛ وازالة كل
الحجب التي تكاثفت في العشرين سنة التي فارقتهم فيها من عام: 1336 هـ.
الى عام: 1356. ثم سرعان ما ما زجت القوم؛ فانثالوا على بقائدهم؛ فاجبت
كل واحد قافية بقافية حتى تكون من ذلك ومن تسجيل احاديث وذكريات
كتاب يطول الى ان كان في ثلاثة اجزاء، وهو كتاب (الالفيات)؛ فلما شاهدت
ما شاهدت خطر في نفسي ان اكتب حول تاريخ الخ؛ لاسجل ما يمكن من
اثاره الادبية؛ واخذ ما يسبح من حياة عظمائه الذين اسسوا لجدته؛ وعرسوا
فيه باعمالهم ما عرسوا؛ وقد كنت اخذت عن اخي البعثة الاديب سيدي
الحسن بن احمد البونعماني نبذة من تاريخ جزولة، اثر جولة جالها هناك
حوالي عام: 1351 هـ. فثارت مني نكرة جزولية؛ يثبت مثلها من كل بشر
نحو مسقط راسه؛ ولذلك لما وجدت الآن الفراغ في هذا المنفى؛ ووجدت
بعض المواد؛ اقبلت على جمع كل ما اتصل به من وفيات علماء، وقوافي
ادباء؛ ورسائل المخاطبات؛ فلما رايت ذلك متشعب الطرق؛ غير متساو في
الكفات، صرت اميز بعضه من بعض. فجعلت للادباء السوسيين كتابا خاصا.
وهو (الترعات) وللرؤساء السوسيين آخر وهو (رؤساء سوس في العهود
الاخيرة) وللعلماء السوسيين ديوانا آخر؛ وهو (سوس العالمة) الذي من
تمامه كتاب (رجال العلم العربي في سوس)؛ وفي أثناء ذلك اجدني مقصرا
في كل ما اكتب لنواع شتى؛ فقلت في بنيات صدرى: «لما ذا لا اخص اهل
هذه القرية الادباء وهذا البسيط الذي يضمها بين قراه الاخرى بكتاب
خاص؛ يسهب في كل ما أعرفه عن (الخ) وذلك بايعاء بعض اهلينا؛ فلم
تكده هذه الفكرة تغطر لي حتى نفذتها، فاكتب عن شيوخ هناك مسنين كل
ما يصلح ان يدخل في كتاب؛ فاجمع التراجم؛ واليد الاوابد؛ وانظم احاديث
مجالس الخ الادبية؛ والوقائع وحوادث حياتهم، فاستطعت - بفضل الله -
ان اقر عين الاخ البونعماني الذي هو ابو كل افكارى في هذا الموضوع؛ وقد
رايت استيفاء لكل ما اتصل به من آثار الفية او سوسية ان اسمى الكتاب؛

« المعسول »

« في الالفين واساتذتهم وتلامذتهم واصدقائهم السوسيين »

فاشترطت ان اسهب في ترجمة كل استاذ او تلميذ، حتى لا ذكر كل علماء.

اسرته، وكل من اخلوا عنه، ولا اصد - يعلم الله - الا ان افتح الباب
لذكر كل من اعرف عنه شيئا من الاسر التي تمت الى الخ بالاستاذية؛
او بالتلميذية او بالصدافة؛ لان الكتاب مائة اديبة تاريخية؛ لا يوصد
دونها باب؛ ولا يكون دونها حجاب

فهاك ايها القارىء تاريخ قرية متواضعة خدمت العلم والدين والارشاد؛
لعلك تغمه الى التواريخ التي كتبت فى هذا العهد: عن (الصويرة) بقلمى
اخينا سيدى محمد المراكشى والسيد الزكراكى الرباطى، وعن (مراكش) بيد
شيخنا القاضى سيدى عباس وعن قبيلة (زيان) وما اليها بقلم الاديب الكبير
سيدى احمد الزيانى القاضى. وعن (درعة) بقلم ابن الحبيب الدرعى. وعن
(دمنات) ببراعى القائد السيد عمر بن المدنى الاكلاوى؛ والفقيه المرحوم مولاي
عل الدمناتى. وعن (آسفى) بجهود البعثة المغفور له الكانونى. وعن قبيلة
(عبدة) بقلم الفقيه السيد الصيحي السلاوى. وعن (الرباط) و(سلا) بقلم
المرحومين محمد بن على دنية؛ وبوجندار؛ ومحمد بن على الساوى. وعن
(مكناس) بيد شيخنا ياقوتة الشرفاء مولاي عبد الرحمن بن زيدان. وعن
(فاس) بهمة شيخنا محمد بن جعفر؛ وعن (تطوان) براحة اخينا الاديب
محمد داود الذى بذ كل هؤلاء بكتابه الذى لا نظير له، استيفاء وتهديبا
والتريبا. وعن (طنجة) بقلم السيد محمد سمكيج.

عل ان كتاب (الخ) المتواضع الذى لا يعترف الا من وشمل؛ وليس موضوعه
الا بادية فاحلة؛ وادباء بدويين؛ واخبارا شخصية اقليمية؛ ليستحسب ان
يلف ازاء هذه المؤلفات العظمى؛ استحياء قزم وقف ازاء عماليق من ابنا
بنى عبد المدان (1)؛ ولكنه حين افاد عن تلك الجهة ما لا يفيد غيره؛
فبحسبه ذلك قيمة بين اخوانه من هذه المؤلفات .

قيل لابن الرومى: لم لا تشبه كتشبهات ابن المعتز؛ وانت اشعر منه؛
فقال: انشدونى مما استعجزتمونى عن مثله؛ فانشدوا له فى وصف الهلال
قوله :

انظر اليه كزورق من فضة	قد اثقلت حمولة من عنبر
وقوله فى وصف زهرة آذريون :	
كان آذريونها	والشمس فيه كالية
مداهن من ذهب	فيها بقايا غالية

(1) قال حسان :

وقد كنا نقول اذا راينا
لانسك ايها المعطى بياننا
لدى جسم يروق وذى بيان
وحسنا من بنى عبد المدان

فصاح: والموثقا بالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها! انما وصف ما عوم
ببنتها وما ذا اصلها الا؟ ولكن انظروا اذا وصفت ما اعرف ابن يقع قول
من الناس! فاشهد:

ما انس لا انس خبازا مررت به يدحو الرفاقة وشك الملح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوزاء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يلقي فيه بالحجر

وبعد: فهذا جنائ في هذا المنفى اقدمه للقارىء لكمة سائقة؛ واعتذر
له ان وجد بين آثاء الكتاب عدم الوحدة في التعبير؛ لان الكتاب كان يجمع
من ازمان شتى. فيستلحق فيه كل طرف او ترجمة او تنمة ترجمة كيفما
يسير؛ فحينما بلغة ساذجة تسحب ذيول الفهاهة؛ وحينما يحاول ان تكسى
العبارة ملادة مذهبة يرضى عنها النوق؛ وحينما تغلب فيه فكرة الادباء؛
وحيثما فكرة الصوفية الاصفياء؛ وحينما اكون من هؤلاء العصريين الذين
لا تدور اعينهم الا في مجالاتها المعتادة؛ وحينما يجد هؤلاء ما يعدوننى به من
المخرفين البله؛ وانا بين كل هذا لا تعمل؛ ولا اتكلف توحيد التعبير؛ لانى
هكذا خلقت؛ نشأت في زاوية؛ ودرجت بين الطلبة؛ ثم عاشرت حيثما ابناء
العصر، فلا بد ان اناثر بكل ناحية اتصل بها؛ ثم تكونت منى مجموعة تضم
كل ما اقتبسته من هذه البيئات .

فالله اسأل؛ ان يوفقنى للعمل الصالح؛ وان يختار لى كل ما فيه
رضاه؛ فقد قادتنى الاقدار للكتابة حول هذه القرية؛ بعد ما كنت عزمتم
عل ان اكتب حول (مراكش في عصرها الذهبي) (فالله يعلم وانتم
لا تعلمون) ولو خيرت لاخترت .

وصف (إلغ) الجغرافي

بسيط إلغ البعيد عن تزيت شرقا بـ 84 كلم. يكاد يكون مستديرا؛
تحيط به الجبال من جميع جهاته الاربع؛ فمن الشمال يبتدىء الشمال
الشرقى بجبل أمقسو العالى القمة؛ وهو آخر ما يرى قرص الشمس عند
وجوبها؛ ثم يمتد الجبل من شعب اكنى اديان، فجبل توكال، فالجبل
العظيم الممتد في كل الشمال الى (آيت وفسا) وهو جبل (الايغسانيين)
الذى في سفحه (ايغنى ناكزين) - شعب العصر - ثم يعوط البسيط
غربا جبل له قمة مسنونة عليه مشهد صالح يسمى ابا بكر. من بعد ان

أمر ببصره بمكان المدرسة الواقعة. فمتسوق يوم الخميس إذا (صخرة
 تهزي) ثم يسير الجبل جنوبيا الى ثنية (نيزكي نحموعيس) حيث يطلع
 الألفيون الى مجاط؛ وراء قرية (تافكاغت) الى الشعب الذي يطلع فيه من
 يذهب الى (أكادير ايزري)؛ ثم يعوط البسيط من جنوبيه جبل آخر غير
 عال الا في ناحية (تاكازا). حيث بنى الحصن القديم؛ وهو الذي تسمى
 به القرية تحته (دوكادير) - تحت الحصن - ثم الى محل الخلوة؛ ثم يمر
 الجبل بثنية (اكني واليان)؛ ثم الى (اكني ادقي) الى أن يتصل البصر بجهة
 قرية (اكجكال) الى (تافيلتاست)؛ ثم من سمت هذه القرية يتسدى جبل
 آخر غير عال. فيمر بمعدن النحاس؛ ثم بـ (أكادير وايو)، ثم يستمر الى
 جوار قرية (ايزربي). حيث مدفون الشيخ سيدي عيسى بن صالح.

هذه حدود بسيط الغ من جهاته الأربع. واما حالة هذا البسيط
 فإنه مجرد بلقع مسطح. لا تكاد العين تجد فيه الا كدى صغيرة، واعلاها
 كدية اسياياك؛ ولم يكن في اوساط البسيط الآن ماء لا من عيون ولا من
 آبار الا ما كان من بعض قرى في اطرافه؛ فهناك عين جارية في قبل قرية
 (ناهاوت) تسمى العناصر؛ وقد تجرى المياه في بعض الاعوام الممطرة من
 آبار؛ فتسيل في انجداول، لكنها سرعان ما تفيض متى قلت الامطار. وفي
 قرية (اغرابو) بآيت وافقا وفي اكل وفي قرية (دو كادير) آبار على هذه
 الويرة؛ منها بير أمغار. والكثير هو الآبار المنتشرة في جوانب البسيط
 حيث تتكون حولها القرى؛ فتستغل الآبار استفلالا عاديا في سقى الحقول
 وفي بعض اشجار قليلة من اللوز والزيت والتين، وقلما ترى العين غير
 هذه الاشجار على قلتها، وان كانت الارض تصلح للزياتين صلاحية ممتازة
 كما يقول ارباب الفن؛ ويوجد بعض كروم وليمون ورمان وخوخ ومشمش؛
 ولكنها قليلة جدا؛ بل لا توجد الا في بعض بساتين خاصة؛ واما البقول
 والخضر التي يعتنى بها، فاللفت والجزر والبصل والفاول والبادنجان
 والفلفل الحار؛ والقرع بأنواعه. فهذه هي التي تزخر بها الحقول حول
 الآبار؛ ثم يبسون ما يفضل عن معيشتهم من اللفت والجزر والفاول؛ كما
 يخزنون البصل والقرع؛ هذا ما يفلحونه ويسقونه .

واما ما يحرقون في البور فالشعير وحده، لان منه معيشتهم؛ وقلما
 يحرق بعض اغنيائهم من أصع من القمح او من العلس او من الحمص؛
 ويكاد بسيط الغ الغربي والجنوبي يحرق كله؛ ولا يفلت منه الا القليل الذي
 لا يصلح للحرق؛ ان كان محجرا غير منقى؛ ولا تكاد تجد منه وقت الكلا
 مرضى واسماء، ولذلك ينتجع الألفيون بمواشيهم منتجات (اسافن)؛ وهو
 خلا، يباب شمع البع في الجنوب من بسيط الغ؛ اذا اخصب يكون كثيرا

للمواشي الالفية؛ الا ان (بردى) في شمال الخ الذي لا يعثر كثيرا يكون من المراعى للقريبين منها ولكنه لا يكون كاسافن .

وارضى الخ لا تخصب كثيرا؛ حتى انها فلما تفى صاع محروثة في الاخصاب الا بنحو عشر الى اثنتى عشرة، ولهذا يتعد الاتساع في المعيشة بالخ؛ الا ان له مستمد من خارج الخ، ويروى عن بعض حكمائهم: ان كل بلدة تسعى على اهلها، الا الخ فان اهلها هم الذين يسعون عليها. وعن آخر: ان الخ لا يطيق ان يمد الساكن فيه الا بوجبة الغداء فقط؛ هذا ان دام فيه الخصب - وقلمما يدوم - واما الهجورى (1) فمن تامانارت؛ يعنى بالتمر. واما العشاء فمن ماسة؛ يعنى بذرة ماسة التى تجعل منها العصيدة؛ كما هى العادة الالفية غالبا من ان العشاء يكون بالعصيدة، ولكون الجذب والاقبال هو الغالب على من فى الخ؛ ترى اهل الخ يجدون ويجهدون فى كسب المعيشة؛ ويقتصدون غاية الاقتصاد؛ ثم لا ترى واحدا منهم خائبا من أى شغل من اشغاله؛ حتى اذا جلس اليك، او كان امام المسجد ينتظر اقامة الصلاة بعد ان يتوضأ. يشتغل بلبرام جبل؛ او اصلاح دلو او وطبة؛ او بخرز نعله؛ او بخياطة ثوبه او رفوه او ترقيعه؛ وهكذا ادركناهم ، ولا ازال استحضر أحد المسنين من اعمامنا يقول: اننا اهل الخ قسمنا ايام السنة على اشغالنا؛ ففضل لنا يوم واحد فجعلناه للاتيان بالدباغ من جبل (أمقسو) . ورحم الله العلامة محمد بن العربى الادوزى الذى قال: لا يقدر على الجمع بين الدين والدنيا الا اهل الخ؛ لما آتسه منهم من الاكباب والاشتغال الدائم، مع اهتمامهم بالدين .

ثم ان لالخ ذكرا من قديم؛ فقد قرأت فى كتاب يسمى ديوان مولاى احمد الذهبى (2) جمع فى مختتم القرن العاشر؛ ان الذهبى نزل فى الخ وهناك قام بضيافته الحربيليون والاعشانيون والوافقاويون؛ ولعل محلا يوجد الآن فى وسط هذا البسيط يضاف الى السلطان - اغرم أكليد - كان منزل الذهبى اذ ذاك؛ ثم علمت ايضا ان الملك مولاى الرشيد مر بالخ فى سنة 1081 هـ. بعد تخريبه لايلخ؛ كما علمت ايضا ان جيشا اسماعيليا يقوده القائد الكبير عبد الكريم من القواد الاسماعيليين نزل فى الخ ايضا عام 1124 هـ. واذ ذاك اعتقل رؤساء قرية (ايكل) .

واما سكان (الخ) فانهم منسوبون الى القبائل التى تجاور هذا البسيط؛

(1) الهجورى بفتح الهاء؛ ما يوكل بين الغداء والعشاء .

(2) نشرناه فى كتاب (البلغ قديما وحديثا) .

معرفة ان لكل واحدة طرفا من (الخ) امتدت اليه من محلتها، ففي الشمال
 قبيلة (الغسان) الحريبية فان لها بعض القرى الالفية: ايكل؛ آيت الحسن
 اعلى الكلى اديان؛ نوكال، وارض هذه القرى محسوبة من قبيلة ايفشان؛
 وفي غرب بسيط الخ؛ قرى اغرابو؛ دو تمروت، تافكاغت؛ فهذه تعد من
 القبيلة آيت وافقا؛ وفي شرقيه قرية اكجكال تعد من قبيلة ساموكن؛ واما قرى
 اكادير وايو - تونين - ازار او عيسى - ازربى؛ فهي من قبيلة امانوز،
 ولم يبق الا القرى التي في الجنوب؛ فانها للمرابطين الالفين اولاد الشيخ
 سيدي عبد الله بن سعيد. ووراء حدود هذا البسيط من الجنوب الغربي؛
 قرى اخوان هؤلاء المرابطين في (اكادير ايزرى) .

قرى (الخ) كلها

لنلق نظرة على كل هذه القرى البسطية ولنبدأ بالجنوب ثم الشرق ثم
 الشمال ثم الغرب، فالتى في الجنوب او كالجنوب :

- ١ - تافكاغت من آيت وافقا
- ٢ - الزاوية من دو كادير من المرابطين آل عبد الله بن سعيد
- ٣ - آل سليمان من دو كادير منهم ايضا . ويقطن معهم بعض الحريبيين
 الذين هم اصلاء في القرية
- ٤ - تيبوت القاسمية من المرابطين وحدهم .
- ٥ - تيبوت الواوكرضائية؛ من المرابطين وحدهم . وقد اشتروا من آل
 واوكرضا تلك الارض. وهم من الساموكنيين وربما قطن بعضهم هناك
- ٦ - تاحواوات تميل الى وسط البسيط من المرابطين وحدهم .
- ٧ - تافراوت كذلك ازاء التى قبلها من المرابطين وحدهم
- ٨ - انويدر كذلك ازاء التى قبلها من المرابطين وحدهم

والقرى التى في شرق البسيط هي :

- ٩ - اكجكال من قبيلة ساموكن لا يقطنها مرابطين واحد .
- ١٠ - اكادير وايو من قبيلة امانوز ليس فيها مرابطين واحد .
- ١١ - تونين من امانوز ليس فيها ايضا مرابطين واحد .
- ١٢ - ازار او عيسى من المانوزيين ايضا، ليس فيها مرابطين واحد .
- ١٣ - ايزربى من المانوزيين بل هناك رئاستهم حديثا
- ١٤ - ايفيل وامان من المانوزيين ايضا

والقرى التى في الشمال او كالشمال هي :

- ١٥ - آيت الحسن اعلى من الالفين

١٦ - ايكال من الايشنايين ايضا حيث كانت رئاستهم لديمما *

١٧ - اكنى اديان من الايشنايين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)

١٨ - توكال من الايشنايين *

واما القرى التي في الغرب فهي :

١٩ - ذوتصروت من الوافقاوين

٢٠ - اغرابو من الوافقاوين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)

٢١ - تالزكى بين سوق الخميس وتافكاغت

هذه احدى وعشرون قرية بسيطة؛ بينها قرى المرابطين في قبيلة
ال عبد الله بن سعيد التي كانت مغمورة بين جيرانها الى العهد الاخير لفقر
اهلها واكون الاقوياء من جيرانهم يستضعفونهم حتى من عليهم بهذه الشهرة على
لسان العلم والادب والدين والارشاد؛ من يمن على الذين يستضعفون في الارض
ويجعلهم ائمة ويجعلهم الوارثين؛ ولولا هذه الخصال لما كانت تلك القبيلة وتلك
الارض الجرداء تستحق حتى الخط بالقلم وحين كانت وطننا وفيها سقط
رؤوسنا نجد في انفسنا ما يجده كل البشر في مثل موقفنا :

بلاد الفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

كما تولى الدار التي لم يطب بها

هواء ولا ماء ولكنها وطن

بسيط اجرد فقر نراحم به تفكها - بهذا الكتاب - اهل دمشق ولبنان
واصحاب النيل والرافدين. وهذا ما قدر لنا. وقديما قيل - من قر عينا
بعيشه نفعه -

بعض العادات الالفية

ان لكل بيئة عادات قد توافق عادات غيرها وقد تخالفها والغالب ان
عادات المتجاورين تتشابه؛ ولذلك يعلم ان غالب ما نذكره عن الالفين من العادات
لا ينفردون بها عن جيرانهم الا ما قل ونذر؛ والعادات تدخل كل ناحية
من نواحي الحياة حتى الدين نفسه لا يرتكز الا بعاداته؛ ولذلك نجد كثيرين
من المتدينين انما اعتادوا التدين كالصلاة والصيام وآداب السلام واعتياد
القول الجميل؛ والاخلاق الفاضلة، والا فهم قد يتكشفون عما في حنايا
صدورهم - فاذا بهم لم يمازج الدين ولا يشاشته قلوبهم وهذا ظاهر بين
عند كل من يزن بتميز ولا تنطلي عليه البواطن بزخاف الظواهر ولا
بتمويهات الالسن (ولا ينبك مثل خبير) .

نحن هنا لا ننظر الا للمواقع المعتاد من غير ان نزن بميزان الشرع ولذلك
نعلم ما كان للتاريخ وللعبارة وان كان بعضه من البدع او من الخرافات

او مما لا يرضى الاثيون ان يعرف عنهم ، لان التاريخ كالرأه تبين كل ما يقابلها كيفما كان .

عاشوراء

اعتاد الاثيون ان يعمد بعضهم في عشية التاسوعاء الى الغناء الذي تنكره السيول ضفاف مسيلات الماء فيأخذون منه وهو يضم ما يضم من ابعار واعواد صفار فيبغرون به الديار في صبيحة عيد عاشوراء دفعا لتأثير الجن وقد رايت عجوزا تفعل هذا اول ما نفيت الى الخ؛ فكان ذلك هو السبب حتى صرت ابحت عن مثل هذه العادات. وكذلك يعمد في سحر عاشوراء الى استقاء الماء من الآبار؛ ظنا من الساقين ان الآبار تستمد من بئر زمزم في ذلك الوقت ومن ذلك اليوم فيرش بذلك الماء جميع زوايا الديار تبركا خصوصا اعراء الزرع وحظائر المواشى .

وفي ليلة عاشوراء يخرج رعاع الشباب زمرا زمرا الى بعيد من قرينتهم فينادون - فيما زعموا - على الذئب ان يبعد عن غنمهم فينون هناك احجارا في محلات ثم يرجع الجميع وهم يغنون غناء معلوما محفوظا متوارثا الى ان يصلوا القرية فيبيتون على لعب احواش وفي صبيحة عاشوراء يبكر جميع الناس رجالا ونساء الى زيارة المقابر * من غير اختلاط يترحمون على اهاليهم ويتصدقون والغالب ان يصبح الرجال وغالب النساء صائمين بل ترى الفقهاء والمتشككين يحرصون على الاثني عشرة خلة التي ذكرها العلماء من خصائص عاشوراء من صوم وصدقة وزيارة عالم وصلة رحم ومسح رأس يتيم وصلاة ركعتين وتوسعة النفقة واغتسال وعبادة مريض واكتحال وقلم اظفار وقراءة سورة الاخلاص الفا واهل الحديث يعلنون انه لا يصح من هذه الا الصوم والا التوسعة على العيال الذي ورد في حديث حسن وقد رايت احد عمدة الاثيين من اهل العلم يوصي بغسل ثيابه ذلك اليوم وكذلك يجتمع اهل القرى على توزيع بقرة ونحوها يفرقونها على الديار ويؤجلون في ثمنها بثمان ومن كانت لهم غنم لها راع فان مفرس ذئب كبش عيد الاضحى الذي جعل قديدا يعطى في يوم عاشوراء للراعي وهو ياكله في ذلك اليوم (١) وهم يحرصون على ان يستدير شيء من قديد الاضحى على دور السنة فيسوي ديارهم تبركا به

١ - وهذا مما تشارك فيه الحواضر الخ، فان ذئب الاضحى يخبأ عندهم ايضا قديدا الى ان يوكل يوم عاشوراء الا ان اهل الرباط وقاس ياكلونه أنفسهم . واما الاثيون فانهم يوثرون به الرعاية لان الرعاية ارلى به . لكونهم يلاقون المشقة فيه بالرعي

هذا ولا يختلف بهذه الموالد في عاشوراء الا الرجاج والمعجائر واما العجلاء
فانهم لا يتناولون الى تلك الميادين - وحاشاهم - فانهم لا يزالون ضد هذه
البدع *

ليلة المولد

في الخ زاوية للفقراء ومدرسة للعلماء وكلتاها تعمر في ليلة المولد
النبي، فالزاوية بالاذكار ورب المدرسة يملا مجلسه بالامداح النبوية وقد
اعتاد العلماء والطلبة الذين يجاورون الخ ان يحضروا في تلك الليلة التي
تتل فيها بالتغني على السنة المنشدين قصائد البوصيري من الهمزية والبردة
وبانت سعاد ثم تقال قصائد نبوية على السنة اصحاب القريض من الحاضرين
فمن هناك منبع كثير من قصائد شيخنا سيدي الطاهر بن محمد، فيلقبها
بنفسه ان حضر؛ وان لم يحضر يرسلها من افران فتلقى هناك في حضرة
شيخه سيدي علي بن عبد الله؛ فهناك مطلع قصيدة من هذه القصائد النبوية
الطاهرية :

وبدا الذي ما خلته يبدو	بصرح الخفاء وصرح الوجد
	ومطلع اخرى همزية :
فامطر مزن مقلته دماء	راى برقاً بكازمة مساء
	ومطلع اخرى وازن بها البردة :
ريح الصبا يشتفى قلبى من الالم	بطيب ما نقلت عن جيرة العلم
	واخرى وازن بها (بانت سعاد) :
(بانت سعاد قلبى اليوم متبول)	وع عنك لومي فما التعذال مقبول
	واخرى مطلعها :
اثار دموعا واورى اوارا	بصرى طيف سلمى فسل ما اثارا
	واخرى مطلعها :
فجفوني القرحتى ابت ان تلاقى	بارق الرلمتين جد ائتلافا
	واخرى مطلعها :
بوارق غيث من رباءال هاشم(1)	اذا العجرت الارحاء من الهاشم
الى آخر ما هنالك من القصائد المولدية الطاهرية: وغيرها، وهى عشرات مضراها فى ترجمته ان شاء الله	

(1) شام الجرائ : اذا لمح * والال : السراب * وبهذا يفهم الشطر الاول
من الميمت *

ومن العادات الموادية، ان بعض العجائز من المتحجيات اللاتي لا يحلمن في طلب احوال تنسجى وحدها الى زاوية من زوايا حجرتها حيث تعلق ثيابها على عود معروف - ويسمى عندهم احمال - فتقف ازاءه فترقص رقصا متواصلا - وهي تقضى بامداح الرسول فرحا بليلة مولده، تفعل ذلك احتسابا وتيمنا بالرسول صل الله عليه وسلم ، واذا طلعت الشمس في عيد المولد ترى بعض الناس يرقصون لها ويقولون ما يدل على ان الشمس انها استمدت انوارها من نوره صل الله عليه وسلم

العرس

حتى اريد ان يخطب انسان بنتا، فانه يبحث احد اهله او اصحابه ليخطب ويهدون من المجابهة والوقاحة ان يخطب الانسان لنفسه ، كما يرون مثل ذلك في ان يعرض انسان بنته على آخر من غير ان يخطبها، يذهب الخاطب بشيء ما يقدمه بين يدي نجواه : قوالب من سكر او كبشا حيا او مسلوخا او سطل سمون مع خبز. ثم اذا قبل المخطوب اليه فانه يمل شروطه والغالب ان تكون اشمال كل من في دار اهل السيدة ؛ وحليا خاصا يبينون نوعه من الاسورة والخواتم والاخراص والقلائد واللبان والسياب - ومن القتم او البقر عند بعضهم ثم يتواعدون يوم العقد ، فيرسل الزوج من ينوب عنه ويختاره من ذوى اللباقة ومعرفة الاثمان، ومن اهل الوقاحة الذين لا يستحيون ويذهب معه بعض نساء اهل الزوج واهل الوجاهة والمختارون من اصحابه، فيكون هذا الوفد الذي يسمى - اسلان - ويذهبون بالسكر واللحم والخبز ، فاذا طعموا في دار اهل الزوجة قدموا ما اتوا به مما هو شرط فاذا حازه اهل الزوج، يستخرجون كل ما اعدوا للزوجة مع ما اتى به الزوج كالشرط او يهدى للزوجة او قدمه أهلها لها، فيقدم ذلك كله وهو مكوم امام الحاضرين شيئا فشيئا؛ فيقدر لكل شيء من الشياب والحل وما اليهما الثمن الخاص ، فاذا ذلك تكون المعركة فيغالي في اثمان هذه اهل الزوجة ويماكسهم اهل الزوج وربما ادت هذه المماسكة الى تفرق الجمع بلا عقد، ولكن ذلك قليل جدا لان المجلس لا يخلو ممن ترضى حكومتهم بعد المماسكة. ولهذه المماسكة يعنى الزوج باختيار وكيله؛ ثم يكون العقد فيتلقي فقيه المسجد الرضا من الفريقين ، والصداق من الدراهم هو شيء معلوم في كل قبيلة قبيلة في تلك النواحي . ولذلك لا يذكر في الشروط المذكورة وانما يكتب عند العقد وفي المجلس يحوز وكيل الزوج كل ما توصل به من اهل الزوجة حتى يدفعه للزوج . هذا والالعب اذذاك تقام على العادة خارج الدار رجلا ونساء، ثم ان غالب الالفين يزفون العرائس نهارا من دارها الى دار زوجها، او من قريته الى قريتها على البغال . واذا ذلك تخرج العجائز

اللاتي يجلون العروس بأغاليهن ويركبن وراء العروس على البغلة ولد يعيا والداه ثم لا ينزل حتى يعطى شيئاً من الدراهم ويسمى الخاتمية وكذلك يقع لها حين تخرج من دارها فان اخاها او واحداً من اهلها يقف امام باب دارها فلا يتركها تخرج حتى يفرم زوجها شيئاً ومثل هذا يكرر امام دار الزوج فان العجائز الجاليات لا يدخلن حتى يعطين ايضاً دراهم يسمونها بتلختمت = لسبب الى الخاتم - ويقف الزوج فوق السطح ويطل على باب الدار فيلقى على العروس نثراً من الزبيب واللوز والتمر ، فينتهب ذلك . وقد كان الشيخ الوالد سن القرية ال سليمان اهله الاخصاء في اعراسهم عرساً يخلو من كثير من هذه العوائد حتى ان العروس تجلي تحت الظلام وفي صبيحة الجلوة يذهب بالعروس الى الهرب بير لتسقى الماء فيجعل الماء في اناء نحاس يكون من حوله ما تاني به من عند اهلها فيتجاذب الاناء المملوء بالماء بين اهل الزوج واهل الزوجة فمن غلبوا سقوا صاحبهم او صاحبتهم ويرون ان من سقى اولاً من الزوج او الزوجة لا يزال يفلب صاحبه . هذا والالعب تقام في دار الزوج حتى يطعم الناس والعادة ان ياتي مع الزوجة من كل اقاربها كل من دب ودرج . وهدنا بعرس الفقيه سيدي المدني ان تزوج من الايشانيين جاءوا بنحو ثلاثمائة وهكذا كل من يقصد النكاح باهل الزوج . وقد يتعنت احياناً اهل الزوجة فيابون ان يطعموا حتى يقدم لهم اهل الزوج مكتلاً مملوءاً بالخل ليعلموا ان بنتهم هلت في دار غنى وثروة ثم لا يكون ذلك الا ان تراه العين ثم يرجع الى مكانه ثم بعد اسبوع تزور العروس اهلها . ومتى ولدت الزوجة ولادتها الاولى ياتي اهلها - ولا بد - اما بشور او كبش . ومتى بلغ الولد الاول ان يمشي فاول نعل يحنديها حذاء ياتيه من احواله . وعند حلق رأسه يادي ذى بدء لا يعلقه الا احواله . مع شرط ان يهبوه شيئاً ما .

العقيقة

تري النساء ان النفساء نالت من العنت ما نالت به غفران كل ذنوبها فيهرسن على ان يزدنها في الثلاثة الايام الاولى وتذهب كل واحدة بدقيق وعلية بيض ولا يصنع لهن الا العصيدة كم قبل يوم العقيقة ترسل الوالدة من لهندهن النساء للحضور في العقيقة كما يستدعي الزوج ايضاً الرجال وفي صبيحة يوم العقيقة تقوم عجوز من عجائز الاسرة تلف امامها الصبية ليجمعوا اطفالاً من الاعواد الصغار لتخبز بها (توفديلت) - وهي خبزة كبيرة يطفى مخبزها فيوكد تحتها وفوقها - وطالما فعلت بنا عجائزنا ذلك فنفرح له ثم اذا ذبح الكبش يعمد الى الكبد فتسمى على الحجر فيقطع منها لكل من في الدار ولعصرى النساء كل ان لا يفلل من الاكل منها احد ويظن ان ذلك يسبب

معدة الولد ، وفي وسط النهار تجتمع النساء على حفلة عسيدة اولا ثم تقدم كل واحدة منهن ثيابا للمولود ودرهم زيادة على ما يوتي به من السكر واللحم والسمن من عند الاسر اللاتي تتعاطين بينهن ذلك ثم تجتمع الحاضرات فظم قلادة المولود فتمشج كل حاضرة من قلادتها اما لبانة او عقيقة او قرشا - خصوصا القروش المربعة التومرية. واراها كثيرا في قلاند الصبيان الالفين - ثم اذا نظمت القلادة يذهب بها الى مخزن الزرع فتجر عليه تقاؤلا ان يكون المولود ذا رزق حسن ويستدعى الطلبة في العقيقة كما يستدعون في الاعراس وفي يوم من ايام رمضان لقراءة ختمة من القرآن والطلبة دائما في السج يعزلون على حدة تعظيما لهم ورفعنا لشانهم على العوام

الحداقة

متى ختم التلميذ القرآن تزوق لوحته بابيات شعرية مهلهلة تستدير باواخر البقرة - آمن الرسول الى آخرها - ويذهب مع التلميذ كل طلبة القرية وهو في لباس جميل، يدورون به في القرية ويوزرونه مشهدا يتبرك به ثم يكتب كل واحد من الطلبة في اللوحة كلمة من حزب الرحمن ثم تقام حفلة يحضرها الطلبة عند ابي التلميذ فيختمون القرآن على العادة. وهذه الحفلة لا تتجاوز يوما واحدا كالعرس نفسه. لان الالفين مقتصدون لفقير بلادهم .

وقد اعتادوا ان ياتي التلاميذ في كل اسبوع من كل يوم اربعاء بيضة الى الاسناذ وان يوتي اليه بالبسيس والتمر او باحدهما كلما افتتح التلميذ حزبا من الاحزاب ويسمى ذلك (تاعريفت)

العواشر

متى اعلن اسناذ المسجد لتلاميذه العواشر فانهم يحملون لوحة مزوقة بايات من القرآن ويغلفونها بزيف احمر او ارقط فيجعلونها فوق قصبه فيحملها احدهم فيدورون امام الديار بقفة كبيرة يضعون فيها الزرع الذي يعطى لهم من الديار؛ والنساء يتبركن باللوحة والتلاميذ يرفعون اصواتهم بتشيد خاص لهذا الموقف فيه تمجيد القرآن وحملته .

الختان

يجتمع اهل المختون والجيران، واهل القرية في مكان؛ حتى اذا حضر الطعام؛ تنحى الطلبة، فقرأوا ختمة من القرآن؛ ثم يلتئم الحفل؛ فيوتي

بالصبي، فيطحن وسط كل الحاضرين وهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقرأ إبراهيم خليل الرحمن في السجدة خاصة لذلك!

الحصاد والدراس وما إليهما

أدركنا الألفيين اعتادوا أن يتعاونوا على اشغالهم - كالعادة في كل تلك النواحي - بل ينظمون كل اشغالهم العامة بنظام خاص؛ وقد جعلوا لحرمة معاومة لكل من تعدى ذلك النظام؛ فلا يمكن ان يذهب اى انسان لى احدى الاوز من حقله الا متى اذن في ذلك الاذن العام؛ وكذلك يحافظ على الحقول والمزارع، فلا يزال الحراس الذين يجعلون لذلك في تيقظ وجولان؛ فما ولعوا على بهيمة وغلث الى حقل او الى مزرعة الا غرموا صاحبها - وتلك الغرامات هي اجرتهم - حتى الحصاد والدراس لا يفتتحان الا متى اعلان ذلك بالنداء فوق المسجد؛ ومن تاخر في الحصاد لكثرة مزروعاته؛ ينداعى اليه الناس فيعينونه؛ وعليه الاطعام؛ ثم لا يفتتح الدراس حتى يتم الحصاد، وتنظم كيفية الدراس بالتتابع؛ فاليوم لفلان ثم لفلان؛ والدراس يكون بالبهايم المجتمعمة من كل اهل القرية. او ممن يلتزمون على ذلك؛ وكل من سخطت عليه القرية؛ فانه ينبد من هذا النظام؛ ومتى كان الدراس في بيدر احدهم، فانه يلبج كبشا ويطعم الناس؛ ولذلك لا تزال عندهم ايام الدراس ايام الحفلات؛ وللألفيين همة معلومة مذكورة في اشغالهم؛ فاستحضر ان بيدرنا الذى كان يستخلص منه اذ ذاك - ونحن صغار - وهو عشرة آلاف عبرة؛ يدرس في يوم واحد لكثرة البغال التي تجمع وليبس المدرس، ثم ان هذا النظام لم تزل عراه تنتفض شيئاً فشيئاً الى الآن؛ وقد حكى لى الفقير احطيو كيف كانت صرامة النظام واحترام الحقول في سقى فرينتا؛ دو كادير؛ منذ عقلة من نحو 1280 هـ. فذكر العجب العجاب الذى أدركنا نحن بعضه .

الجنانز

ان مما اختصت به الخ ان لا نياحة في جنازتهم؛ حين تخرج من الدار فكل ما هناك بكاء النساء والصبيان داخلا. حتى ان الخارجين لا يسمعون بكاء الداخلات المفجوعات؛ وطالما حضرنا امثال هذه المواقف، فلا نحس الا لوعة في الصدور؛ او دموعا تترفرق مغالبة في العيون؛ مع تجلد المصابين؛ والبيت يفسل على السنة ويكفن ثم يحمل في الشبكة، ولا يعرفون الآلة الحديدية التي ذكرها صاحب (بانث سعاد) (1)؛ ثم يصل عليه عند القبر؛ وتقرأ

(1) كل ابن النبي وان طالت سلامته يوما على آله حدباء محمول

سورة يحي عند الأقباط، ثم يلقن الميت أمثل العاصرين؛ ثم يستحضر الطلبة في اليوم الثالث والمساكين؛ فيختم القرآن ويطعم الحاضرون؛ والبيت الذي يتولى فيه لا يزال يبعثر ويحترم الى أن تضعف ذكرى الميت؛ ولتعمد الشكل المحلة ان لا تلبس الا الثياب التي لا تلفت الابصار، ولا تكتحل ولكنها لا تترك الغسل والاعتسال ولا تقرب الصابون في غسل ثيابها؛ فيما قيل ل؛ ان هناك الا الاثنان .

الحرف والصنائع

مما يتعجب منه المطلع في كل نواحي المغرب، انه يجد في كل جهة من الحرف والصنائع ما تدعو اليه الحاجة الحيوية؛ فلو كنت الآن بصدد كل ما اعرفه في سوس؛ من الصنائع التقليدية التي ادركناها لتعجب القارئ من حداثة في كل انواعها التي من بينها صناعة السلاح من البنادق على الطراز القديم؛ ومن السيوف والسكاكين بانواعها؛ وهي صناعة سملالية، ومن الصياغة المعجبية؛ حتى ان الحل السوسي له ميزة خاصة؛ واما صناعة الصابون والجلود من الاكياس والجرب والقرب والوسائد وهي - صناعة ممتازة - فالها مثبتة في جزولة وخصوصا في آل حامد، وكذلك صناعة السروج؛ بله الاكف؛ ولهذا الموضوع ذيول؛ لعنا نؤدى له حقه مرة اخرى. نعم ان الذي يهمننا الآن هو الحرف والصنائع الالفية؛ وهي قليلة غير متسعة، لان اعمال الالفين انما تدور حول الآية الكريمة: كلوا وارعوا انعامكم. فقد كان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يقول: ان هذه آيتنا نحن الالفين .

الحداثة

توجد الحداثة في قرية (دو كادير) في ايدى اناس سود يتوارثونها من لرون؛ وهم عدة اسر؛ وكذلك في قرية (ايكلى) من القرى الايفشانية؛ كانت فيهم ايضا تالدة. والعادة ان الحداثة كاستاذ المسجد؛ يعطيه من يستخدمونه في اصلاح محاربتهم او في صنع حدائدها وما الى ذلك اجرته على راس السنة من البيدر حين يجمع كل واحد محصول فلاحته؛ ومن اسماء الحداثين الالفين من يسمى : بعلى ؛ وآخر اوشنا لقبان لهما . وقد درجا الآن وتركا اولادهما؛ وقد اغتتم بعض الالفين الادباء هذين اللقبين فوردى بهما في هذين البيتين :

وكم عانس بكر تخطت زواجها

الى ان غدت ثقل وثشنا لدى الاهل

أما أصبحت نادت إلا ليت لي نوي

من (أشما) لديهم والرواح الي (بعل)

وحدادو (ايكل) أمهر وأكثر القانا؛ بل هناك صناعة المجامير، التي
تتخذ - حديثا - من البراميل؛ تذكر فتشكر؛ وتخطت (تفراوت) لغفتها
وظلاوتها ورخصها الي الحواضر لرواجها .

النجارة

أما نجارة المحارث مقابض والمعاول والمساحي؛ فقد يحسنها غالب
الناس، كالفقير محمد بن المؤذن الذي مات أخيرا في قرية (دو كايين)؛
والفقير بلقاسم السوقي الواقاوي؛ وأما النجارة المتقنة في الابواب
والنوافذ والاخوة والموائد؛ فانها في قرية (ايكل) وهي الآن في اولاد موماد
فانهم من احلق من هناك في صنائع متعددة؛ واعظمها النجارة البارعة التي
تصارع نجارة الحضريين، وهم الآن المذكورين في كل دائرة (تافراوت)
لا في الخ وحده .

الدباغة والحذاء

اشتهرت قرية (تأحووات) بالدباغة؛ ومن اشهر الدباغين هناك الفقير
بلقاسم بن احمد؛ في داره مدبغة يقصد لذلك؛ وهي حرفته؛ على أن هذه
الحرفة يحرص كل الالفين أن يزاوكلوها، فلا تكاد تجد اى واحد لا يحرص
أن يديغ جلد اضحيته بنفسه ليتخذ منه دلوا او جرابا او وطبا؛ او خمرة لصلاته
او يتخذ منه كل ما يتوقف عليه في داره؛ وقد رايت فيما قبل ان ما يدبغون
به يستوردونه من جبل (أمقسو) ازامهم ويسمى عندهم (ايركل) . وفي جبل
أمقسو اجمة لا بأس باتساعها. وقد حماها اليوم رئيس الغلابات .

وما قلناه في الدباغة نقول مثله في صناعة الاحذية، فانها وان عمت
مزاوتها فهناك اناس اختصوا بهذه الحرفة؛ كمحمد بن مسعود التيوتي؛
ومحمد بن محمد من آل بلقاسم بن محمد التيوتي ايضا؛ وقلما يتفرغان
هما وامثالهما الا لهذه الحرفة؛ ولاهل (تاكاتزا) التي تطل على الخ صناعة
الاهذية الخاصة بالنساء، ولها لسان طويل يغطي بعض الساق؛ اشبه
بشيء بالاحذية الفرنجية؛ والمشهور محمد بن قاسم ثم اولاده في (تاكاتزا)

الأكاف

الأكاف جلس اليفل او الخمار؛ ولقد اشتهر بها من قرية (دوكادير)

الفقيه ناصر المتوفى أخيراً وابن العربي وابن هموم في قرية (تافراوت) (١) وهذه الصناعة شريفة عندهم مطلوبة؛ يحترم أهلها لاحتياج كل ذي بقل أو حمار إليها ولها ثمن، حتى أن الأكارف قد يصل ثمنه إلى ألف ريال وأكثر الآن 1358 هـ.

الحبالمة والشباكمة

لكل واحد من الألفيين يد صناع في قتل ما يحتاج إليه من الحبال البسيطة؛ حتى الشيخان سيدي الحاج علي، وسيدي علي بن عبد الله، وهما ما هما - يبرمان بأيديهما ما يتوقف عليه العمل. حين يقفان على أعمال الحرث والحصاد؛ وعلى خياطة الاحمال عند الاسفار؛ إلا أن اتقان تلك الحرفة وإبرامها وقتلها هي من صناعة الوافقويين، فلهم خلق في صنع انواع الحبال الرقيقة والغليظة والجواليق والزنايل، وفي صنع الشباك من الحلفاء أو من الفدام أن أتى بالفدام من محله (تامانارت)؛ ومما يصنعونه من الحلفاء احذية تلبس في اوقات الشتاء في الطين. وقد قال بعض الألفيين من قطعة قيلت ارتجالاً يداعب بها بعض الوافقويين :

خلق الله للحرير أكفا	وأكفا لصناعة الحلفاء
حرفة الألفيين قتل حبال	وشباك ودبهم للدلاء
غير أن المرابطين منهم أتجوا	عن سعود لمنصب العلماء
فبنو واقفا لفتلة حبل	والسعيدى لفتله البلفاء

نساجمة الصوف

اشتهرت الألفيات باتقان نسج الصوف شهرة تامة؛ حتى أن جيران الغ وكل من يلم بالبحر يوصون بان ينسجن لهم ما يريدون بالأجرة؛ وقلما تجد داراً تخلو من مناويل النسج. ولهن عوائد خاصة حول النسج؛ كيوم خاص لا يفتتح فيه النسج؛ فمتى فعلت فاعلة غير ذلك فإن المنسوج تصيبه مصيبة؛ ويحكين أن بعض العلماء السنيين انكر عليهن هذه الخرافة، فاذا شور اصطدم والمنسوج فهتكه. فقال لهن: ان علمكن ايها النساء اصح؛ ولكون نسج الصوف في الغ هو حرفة الدار؛ تجد غالب اللباس منه؛ وهناك بعض العجائز لا يتقوتن الا من النسج، كالفقيرة الصالحة فاطمة

(١) هذا اسم قرية في بسيط الغ. وهناك (تافراوت) مركز المقاطعة في قبيلة املن.

(نابوليت) وامثالها؛ وقد كان الالفيون يحرصون الى الآن ان يكون لكل واحد منهم غنم ليلبس من صوفها؛ وينتفع بثمن ما يبيعه منها؛ واما ان يذبح منها. فيكاد يكون حراما؛ الا في بعض الفترات من عند بعض كرماتهم لا تحرق اجماعا، ولا تتلم قاعة؛ فلم يعتادوا الا التسمية للمواشى سنة عن سنة؛ حتى ياتي بعض الاعوام المجذبة فيسنتون فتذهب مواشيتهم مواتا؛ ثم يستجدونها ايضا. متى وجدوا لذلك سبيلا؛ وقد بت مرة انا وصبية من اهلنا في مرتب الخ (ايسافن) وبانت حوالينا من اغنام الالفين مات بعضها لمن هم اقاربنا؛ ثم لم ناكل اللحم الا بشرائى لغروف من عند بعض اصحابنا منهم، فلم يجعل في اذهانهم ان هذا بخل عظيم؛ مع ان لى عندهم ما يزعمونه من الاجلال؛ واين هذا ممن كنا نبيت في قبائلهم في الحوز؛ اوليس من يحضرون منهم ينشدون ما انشده الاعرابى :

واذا تأمل شخص ضيف مقبل متسريل برداء عيش الغبر
اوما الى الكوماء هذا طارق نحرتنى الاعداء ان لم تنحري

لكننى فى الحقيقة اعدو القوم. فانهم فى بلد مقفر. لا يمكن ان يعيشوا فيه الا بالتقتير الشديد؛ والكزازة التامة - وقد كدت اكون كذلك الآن - ومن دخل ظفار حمر (1)

لا تعدل المشتاق فى اشواقه

حتى يكون حشاك فى احشائه

الخياطة

علم الطلبة باتقان الخياطة فى جميع نواحي سوس؛ حتى ان الطلبة السوسيين الذين يشارطون فى الحوز وما وراءه؛ يتخذهم من يشارطونهم كخياطين رسميين فى القرية. لما عسى ان يتولف عليه احد من اهل القرية؛ فينتفع بالاجرة الاستاذ زيادة على اجرة المشارطة؛ والطلبة الالفيون فى عرض جماعتهم هذه فى هذه الحرفة. ولذلك ترى الكثيرين من الذين يعيدون الخياطة فى اثواب الصوف من السلام والجباب هم من الطلبة؛ بله ثياب الكتان. فهذا سيدى محمد بن الحسن التياستى؛ والسيد على الاحطوى من اهل قرية (دوكادير) اشتهرا كمنظائرهما فى اتقان هذه الحرفة؛ يقصدان بها من الالفين وغيرهم؛ وقلما تخلو قرية من امثالهما .

(1) ظفار كحذام؛ مدينة لحمير باليمن. معناه: من دخل هذه المدينة تكلم بلغة حمير. وهو مثل مبنى على حكاية .

الرفاء

إذا كان هناك كثيرون يعسنون الخياطة للجديد بكل أنواع الخياطة؛ فإن رفو القديم خصوصا ما يقع في وسط المنسوجات الصوفية من خروق؛ يحتاج الى حلق خاص؛ ولذلك يقل من يتعاطاه، ويسمى: (تاغزديست) وكثيرا ما تعجب من ذلك الرفو اذا اتقن؛ فانه يكاد يكون كالاصل (وقد رايت مثل هذا من عند مصري رفا لي ثوبا في المدينة المنورة في حجتنا 1365 هـ. فلم اكد اتبين ما بين الخيوط الاصلية والجديدة؛ كانه لم يتخرق) ولم ار في المغرب في رفو الصوف مثل ما رايت عند الالفين؛ ولعل قلة الثياب عندهم والحرص على استدامة القديم حتى يعود كطيلسان ابن حرب (1) هو الذي يحملهم على اتقان هذا الرفو العجيب، وهذا الترفيع مالوف عندهم حتى عند غير المدقعين؛ حتى في الاحدية فانها ترفع حتى ينمحي الجلد الاصيل احيانا؛ وكل ما يعاب في بيئة قد يعد مالوفا في بيئة اخرى .

الحرافة

لهذه الحرفة رواج عند الالفين؛ لان من عزمهم ومن ولوعهم بالتكسب ان يصنع كل واحد في ناره عشرات او مآت من الاواني قدورا ومغابز ومعاصد وقصاعا وطواجن واكوابا وكل ما يحتاج اليه، فيستهلكون في دورهم على دور السنة ما يستهلكون؛ والباقي يذهبون به الى (تامانارت) وقت التمر فيبيعونه بالتمر؛ ولكن صناع هذه الحرفة الحاذقين انما يستوردون من (أفلاوكنس) من بعقيلة؛ ولما يتقنها الالفيون .

الحجامة

لم اعرف الآن من الحجامين الالفين الا الحاج الناجم من المرابطين من قرية دو كادير؛ والا السيدة بنت الفقير علي بن يوسف التوكالي، ذلك للرجال، وهذه للنساء؛ وقد ينتجان بصنعتهما القبائل المجاورة؛ وهناك حجام آخر سموكني فطن الزاوية العليا يسمى ابن سي مبارك؛ ولكنه لم يشتهر كثيرا، كما ان هناك حجاما آخر من دو كادير غير انه جلا عن الخ؛ يسكن (تامانارت) او في (تيلوف) وهو عبد بن المحفوظ؛ ولكنه الآن ليس من الالفين .

(1) في هذا الطيلسان قطع شعيرة لشاعر، وتوجد في كتاب (زهر الآداب) المصري .

معدن النحاس

انتلدا ترى أن لائغ الفقيرة المسكينة طرفا من كل ما يحتاج اليه في الحياة من الله اللطيف الرحيم عليها به؛ فزيدك الآن أن التعدين أيضا من جملة تلك المن فان في كدية ازا قرية اكجكال؛ معدن النحاس متوارلا، فيها غيران تمتد تحت الارض بطول الازمنة، كان اهل هذه القرية يعملون فيها هم أو من اذنوا لهم؛ فقد كان المعدنون يستخرجون منذ اجيال النحاس من المعدن ثم يبيعونه خاما الى مدينة (تازالاغت) في نحو القرن السابع وما قبله؛ او الى تارودانت المشهورة بصناعة النحاس. وقد الم المؤرخ عبدالواحد المراكشي باخبار هذه الصناعة في عصره بسوس توفي نحو: 624 هـ.

لهذا المعدن حديث في ايام الاحتلال؛ حين عزم المحتلون أن يزيأوه من ايدي اصحابه؛ وقد اثاروا عليهم جيرانهم المانوزيين، ولكن اصحابه الاكجكاليين دافعوا بحججهم وبرسوم ملكياتهم؛ فاستطاعوا أن ينتزعوا معدنهم من شركة استعمارية كانت بدأت بالفعل في العمل - وها هو ذا الآن المعدن ينتظر شركة الغية تستورد الآلات الفنية لتقوم بالعمل بالجد الموافق للعصر. (ثم بعد الاستقلال عمدت الحكومة الوطنية الى العمل فيه. من غير أن يوخذ رأى مالكيه الاصليين) مع ان ذلك يخالف القوانين .

العلم والتدين و الاخلاق العامة

معلوم ان للسوسيين عامة من روح التدين؛ ومن مراعاة اخلاق الفيلة ما لهم؛ وخصوصا منهم الجزوليين، حيث كثرة المدارس والزوايا وبيوت العلم؛ ولكانة الغ. من جزولة كان لها ما لها، منذ نزل هناك الرباطيون ابناء الشيخ عبد الله بن سعيد؛ فقد وقفت على وثيقة كتبت حوالي عام 1090 هـ. يوصف فيها هؤلاء الرباطيون باوصاف محمودة مغبوطة. شهد لهم بتلك الاوصاف فيها ثمانية عشر عالما من جيران الغ - ويجدها القارى في ترجمة الشيخ امامه - ثم لما بنيت المدرسة الالغية. ثم الزاوية ازاها، ظهرت الغ بمظهر آخر خفقت به الالوية؛ وسالت اليها ومنها الركبان؛ فمن رائد للمعارف؛ فيروى حتى يضرب بعطن؛ ومن مستجل لمرآته بالتصوف؛ فاذا به تشرق سريره بالانوار. وقد كانت في الغ مدرستان لبل؛ احدهما في (ايزربي) ولكنها لا تذكر قط؛ الا باسم المدرسة؛ ولم تود اى عمل في ميدان التطريح، وثانيهما المدرسة الوالغوية التي كانت منذ أسست بايدي السادة الكرسيطين ال العالم؛ قد نضى، حينما بثورة من العلوم؛ ثم تنطفي احيانا؛ ثم لم تود عملا يستحق أن يبنى لها خلودا. ولكن المدرسة الرباطية

لم تكن تؤسس عام 1297 هـ. حتى صار المتخرجون منها تطفح بهم الطرقات
 وتتموج في سوس أولا؛ ثم في الحمراء بالرميلة، ثم في لطوان بإبراهيم
 الألفي؛ ثم في ابن كزير بإبراهيم بن أحمد وابن ناصر؛ ثم بعد ذلك ذهبت
 فروج التخريج بمن تخرجوا من الرميلة. ومن بين أيدي إبراهيم كل مذهب؛
 وما يوم حليلة بسر، وقد قال القاضي سيدي موسى الروداني ما معناه:
 « لأنعلم اليوم من يؤدون في سوس للعربية والآداب الواجب إلا الألفيين». .
 هذا مقام الألفيين في العلم الذي يلد العمل؛ وهو التدين؛ فيقلب على كل
 ألفي ملازمة الصلاة في الصف؛ والحرص على صلاة الجماعة في السفر؛ وهم
 مشهورون بذلك؛ ومساجدهم عامرة فيها مجتمعاتهم العادية، ولم يسرافضف
 إلى هذه الناحية منهم إلا بعد الاحتلال؛ ثم هم مع ذلك لا يزال تارك الصلاة
 منهم قليلا؛ ويعد في كل قرية من لا يباليون بالصلاة؛ والعادة أن يقدم للضيف
 أثر ما يطرق الوضوء؛ ثم مصاحبته إلى المسجد في كل صلاة، ونساؤهم
 كذلك يقلب عليهن الصلاح؛ وقلما تجد من لا تصل منهن؛ وياتهن بالسمع
 من فوق سطح المسجد؛ وعهدى بمساكننا في (دو كادير) تقام فيها الصلوات
 في خمسة محلات: زاويتنا من الأسفل. ثم مسجد آل سليمان، ثم مسجد
 الهريبيين. ثم مسجد الزاوية العليا؛ ثم مسجد المدرسة في سفح الجبل
 وتسمع الأذانات في كل وقت؛ ويقوم المؤذنون في الاسحار بأذكارهم
 من قبل الفجر؛ وعادة الألفيين التبكير في أشغالهم، فكل سفر
 يبكر إليه من قبل الفجر، وحين لم تكن الصلاة فقط المظهر الخاص للتدين؛
 فإن لهم في أخلاقهم وفي أمانتهم وفي مثلهم العليا مظهرا اسمي واعي؛ فيقل
 الكذب والنفاق والخيانة والعهارة؛ بل كان هذا كله أقل القليل في الجيل
 القديم؛ ولم تشع هذه الأخلاق الفاسدة إلا بعد الاحتلال الذي جر كل وبال
 على المغرب؛ وقد كان شيوخ الخ حرصوا على قطع الألعاب التي تفسد الأخلاق
 ولكن حدث بعدهم ما حدث، ونله في خلقه شؤون؛ والألفي على كل حال
 نجده غالبا متفقا في ديانتهم يعرف الحلال من الحرام؛ وأن حادثك تسمع
 الحكمة - وإن لم يكن إلا عاميا - لمصاحبتهم للعلماء .

وأما أخلاق القوم من الشجاعة فلا أكذب على الله وعلى التاريخ؛ فإنهم
 مستضعفون بين المجاطين والبعقيلين والحربيليين والمأنوزيين ممن لا يردون
 الماء إلا عشية (1) ولا تقضى حاجة واحد منهم ولا يتوصل بحقه إلا بخفارة
 مجاطي أو بعقيل أو حربيل؛ وما ذلك إلا لأنهم ليسوا من ذوي السلاح؛
 ولا من ذوي عصبية تناصر أخاها ظالما أو مظلوما، خصوصا نحن المرابطين؛

(1) قال بعضهم في قوم مستضعفين من قطعة :

ولا يسردون الماء إلا عشية إذا صدر الورد عن كل منهل

فانما نكاة كل قوى، ومرعى لكل سارج؛ فلذلك كان لكل اسرة مجايطها او بعليها؛ يلدود عن حماها؛ ويرد لها حلوها، وهكذا كان الحال من فرون الى ان جاء الاحتلال؛ فاستوى الماء والغشبية؛ فامكن للمرايطين ان يكونوا قبيلة كالفائل، فتستطيع ان تتخلص ممن كانوا يخلون كل اسرة باناوة فتضعهم الاحتلال من هذه الجهة - ومصائب قوم عند قوم فوائد - .

هذا وقد عرف الالفيون بانه لا عرف عندهم يذكر؛ ان هناك الا الشرع فيه يحكمون؛ واليه يتحاكمون؛ وعاداتهم قبل الاحتلال ان من له دعوى يرفعها مع خصمه الى بعض الفقهاء تحكيما؛ يشهدان بذلك على انفسهما. ثم ان لم يقبل المحكوم عليه الحكم ترفع الدعوى الى فقيه آخر يسمونه المفتى، كالاستئناف؛ وبذلك تقطع جهيزة قول كل خطيب (1) .

واما ما يرجع الى الكرم فان قصد منه ان يتلقى الضيف الذى لا بد منه بما تيسر بلا تكليف؛ فان الالفين يكادون يكونون كلهم كرماء؛ وان قصد ما يعهد من الاحتفال بالاضيف من ذبح الكباش وقل الدجاج؛ وبسط جفان كالجوابى، وقلور راسيات؛ فان بلدهم المقفر الاجرد لا يطيق ذلك ولو ارادوه، ولذلك ترى من امكن لهم مثل ذلك لا يقصرون؛ كاهل الحاج ابراهيم الايفشانى؛ وكالفقيين ابنى عبد الله؛ وكالشيخ الالفى، ثم بعدهم الرؤساء من ايت وافقا وايزوبى وسيدى المدنى واخينا سيدى محمدا؛ عل ان الخ نالت مكانة مكينة يوم المقاومة؛ فقد ظل الفقيه سيدى عل بن عبد الله فى طليعة القبائل التى تقاوم الاحتلال من عام: 1330 هـ. فكان هو الامام المرشد الواعظ الحافظ للهمم الى ان توفى عام: 1357 هـ. ثم خلفه فى ذلك شيخنا سيدى الطاهر الافرانى الذى ما فارق قط الصف الاول فى المقاومة فهذه بعض اوصاف الالفين (وما قلت الا بالذى علمت سعه) .

اطعمة الالفين ووجبات اكلهم

راى القارىء من وصف الخ المتقدم افكار ذلك البسيط؛ فلا اشجار تثمر، و لامزارع مخصصة اخصابا يورث الثروة؛ ولا تجارة متسعة تفوعم بارباحها الجيوب؛ فهل يمكن ان تكون معيشة من يقطنون فى هذا القفر اليباب، الا ما عسى ان يتبلغ به؛ من كسكسو مفتول من دقيق الشعير؛ او عصيدة ملتوتة من دقيق الدرة - ان اتى بها من افران او ماسة او

(1) اجتمع قوم من العرب ليصالحوا بين ذوى دم فيخطبون فيهم لذلك، فاذا بامرأة وردت عليهم تسمى جهيزة (بالشعير الجسيم) فاعلمتهم بان صاحب الدم قتل صاحبها، فقبل؛ فطعمت جهيزة قول كل خطيب؛ فكان ذلك مثلا.

تأملات - او من هريش الشعير؛ وقد ادركنا حوالي عام 1323 هـ. ان غالب
 الالفين لا يعرفون ان يصنعوا الحريرة صباحا؛ فضلا عن القهوة والحليب؛
 ولا ان يطبخوا الا اذا دعت الضرورة؛ فليس هناك في الطعام العام الا
 الكسائس المسنمة في القصاع بالخضر كاللفت والجزر والقرع والبصل
 والباذنجان، وهذا هو الغداء توجده ربات البيوت مع الضحى؛ الا في وقت
 الحرث فانه يوجد :

من قبل ان ترشف شمس الضحى ريق الغواذى من ثغور الاقح

(كما يقول ابن رشيقي) لان الفلاح ذكرا او انثى يريد ان يبكر الى حرثه؛
 وعند الزوال يكون التمر هو الهجورى - ما يوكل بين الغداء والعشاء -
 وعند الغروب التعشى بالمصيدة ان كان في البيت لبن؛ والا فالكسائس؛
 هذه هي المعيشة المطردة؛ وقلما يخرج عن ذلك الا بضع ديار، وهي دار
 ال صالح اغنياء القرية؛ والا رؤساء ايفشان ان كان عندهم اضياف (1)
 والا فمثلهم مثل غيرهم في المعيشة المعتادة؛ واما دارنا؛ فان الوالد وان
 كان متسما الا انه لتصوفه حريص على عدم الرفاهية فيما شى عادة البلد،
 فلا لهم الا فينة بعد فينة بحيث لا يغير ذلك الا فيما يقدمه لبعض الاضياف
 الذين يحتفل لهم وخدمهم لا لابنائهم ولا لمن في زاويتهم من المنقطعين؛ هذا
 ما فتحنا عليه اعيننا. ثم بعد الاحتلال صارت المعيشة تتغير؛ فيدخل الاتاي
 في المعيشة شيئا فشيئا. حتى عم البيوت بيتا بيتا؛ وكذلك اللحم صار
 يزور جميع الديار فينة بعد فينة؛ وربما في كل اسبوع، بعد ان كان غالب
 الاسر لا ترى اللحم الا في عيد الاضحى. او اذا وزع اهل القرية بديحة
 يجتمعون عليها في مثل عاشوراء. او كانت حفلة من الحفلات التي تقام
 سنويا على المشاهد المحترمة؛ ولم تكن نعلم في صغرنا من يدوم اللحم في
 دارهم الا دار الرئيس الايفشاني القديم؛ وتضاهيها دار الفقيه علي بن عبد
 الله؛ ثم تتلوهما دارنا احيانا ان حضر والدنا وكثيرا ما يقيم؛ والا فنبقى
 شهرا او اكثر لا ندوق مرقه. والشعير هو عماد المعيشة؛ ولا يعرف
 القمح بعض الاضياف الا في بعض الديار حتى ان هناك حكايات مضحكة تقع
 وتحكى كالتوادر؛ اودعنا منها في كتاب: (قطائف اللطائف). واما الفاكهة
 فلا يعرف هناك كثيرا الا ما يستورد من اكناري من ايفشان ومجاط، فيدور
 به البالدون امام الديار؛ وقد الطف بعض الادباء في قوله بديهة يوما؛

(1) با تالاديب البونعماني سنة 1351 هـ عند الرئيس أحمد الايفشاني
 فتعشى عنده العشاء المعتاد بالمصيدة واللبن. ولو كان احتفل لتكبت
 المصيدة لمثل هذا الاديبي. لان الايفشاني اذ ذاك لا يرضى ان يقدمها لمثل
 هذا الاديبي. لو احتفل به وعرف قدره .

ولقد رأى بعض الناس يربده أن يشترى لها لآلهي

فكده مصاحبك الآلهي مسا الفت
لا تحلنه بتفاح فشهوته
يعيش في فطرة البادي الذي مرنت
فواكه البدو اشهى ما استساع فدمع
لذائد البدو في الاذواق اطيب من
فلة المرء في عاداته ومتى

والخبز عند الالفين انواع، اشهرها عند من ادكناهم؛ الخبزة الكبيرة
التي تجعل في الخبز. ثم تغطى بغطاء الخبز؛ فيوقد فوقها وتحتها؛ وتسمى
(توقديلت) وبها تفد النساء من اسرة الى اسرة؛ وبها يتزود المسافر فتبقى
معه اياما الى اسبوع؛ ومن انواع الخبز الرقاق، وخبزة الكانون؛ تصق
بجانب الموقد بداخله؛ بعد ان يلتظى بالنار الحامية؛ ثم تطيب الخبزة بالجمر.
وقد تطور هذا الى أن استحال الى ما يسمونه (المجوذ). لان العجين يجعل
شيئا فشيئا في الكانون بعد ما يحمر بالنار فيجبد؛ وهو افضل ما يוכל
في الخ؛ وخبز الكانون عندهم حديث؛ لان المعروف القديم؛ هو خبز الفران
الذي يهيا للاعراس وللضيوف الكثيرين؛ وكثيرا ما تصنع الهملة للرعاة،
وللعصيدة اخ يسمى عندهم (بوفى) وهو مطعم الرعاة في مراتعهم؛ ولقد
يصنعونه من الحليب الملتوت بالدقيق. وهو الذي ذكر في بيتين ينسبان
ليوسى؛ وهما :

أرى الحب يستول على القلب بغية
كمثل هجوم الفيت في الصيف إغداً ربي (١)
ومن كان هكذا فليست ارى له
دواء سوى أكل العصيدة أو (بقي)

هذا وقد عرفت معيشة القمح اليوم في الخ؛ فترى السميد وخبز
الحواري مما يقدم للاضياف، وكذلك حدثت الاواني المتنوعة. ولا تكاد
الآن تدخل دارا حتى تلمح الجديد من كل شيء.

فهكذا دبت الحضارة الى الخ بمطاعمها وبفرشها من الزرابي والحشايا
والكساء الحسنة؛ وبالتليفونات والسيارات؛ والانفاق بسعة؛ لكن هذا كله
لا يتمتع به الا من يستوردون من البيضاء الاموال بالعمل او التجارة؛ حتى
البنات بدات تتغير شيئا فشيئا، ولقد كان الاخ سيدي محمد اول من اتخذ

(١) اغدا ربي * معناه : انهم *

السيارة بالغ عام 1933 هـ. ويسوقها بنفسه. وهو اول من بنى رياضاً.
 واول من كانت له ابهة حضرية؛ وكذلك ماشاء الرئيس على الايشاني
 وبلقاسم المانوزى وهو الغماهم؛ ثم يتلوهم الشيخ ابراهيم الوافقانى؛
 والناجر سيدى عبلا بن اليزيد. والباب مفتوح الآن على مصراعيه للمدنية؛
 فمن يزور الغ الآن قد يستحل ما يراه من اثاث واوان ومطاعم، ويجد فى
 بقعة ديار اخونة مبسوطة تحتوى على الحديد. وخبز السهيد؛ والطواجين
 الزعفران؛ والدجاج المحمرة؛ فضلا عن السفنج الذى يستدير بسكرجات
 السمن والعسل واملو - طحين اللوز - زيادة على القصاع المكلفة لجمال
 المدفقة مرقا؛ وقد سئح ان نذكر هنا بعض تنظيم المائدة؛ فان المعتاد عند
 الالفين ان يقدموا اولا زبديات العسل واملو والسمن مع السفنج؛ ثم
 يشئ بالشواء ثم بالدجاج ثم بالطواجين ثم بالكسكسو؛ ثم يثلاث بشراب
 الاتاي، وقد صارت الكوامخ تدخل المائدة ايضا بدورها شيئا فشيئا؛ وهكذا
 تقدمت بضع ديار غنية الغية الى ميدان الرفاهية فى الطعام .

وبعد هذا فلا باس ان نسوق هنا بعض ادبيات الغية حول بعض
 مطالعهم نذكرها تفكها لا على انها من الغرر. فالتكلف فى بعضها غير خاف
 من ذوى الاذواق السليمة .

منها ما قاله بعضهم فى البسيس - واللفظة عربية فصحة - وهو
 لعمرة تستند عند العجائز؛ فيها يجازى معلم التلاميذ ان افتتح التلميذ حزبا
 جديدا؛ وربما استكثروا من لقمه يوم الختمة؛ فقد عقلت ان والدى صنع
 يوم ختمتى ثمانين لقمة قدمت فى قصعة عود؛ فيتناول كل من فى زاويتنا من الفقراء
 لقمة لقمة، والبسيس يصنع من السمن والعسل الملتوتين بالدقيق؛ مطبوخا
 بالبيض؛ او من دقيق الزرع المقل؛ وهو الذ. ولذته قيل يوما فى مساجلة
 مع المرحوم سيدى موسى بن الطيب ابن العم :

بسيسك يا زهراء (١) خير بسيس	تطيب به فى المضح كل نفوس
صناع يد لتنه لنا فكان من	اخاير ما قد ذاقه كل سوسى
فمن ذاق منه لقمة خال انه	يمس سماء من مكان جلوس
لها الظلم من نقر الحبيب معانقا	ازاء بسيس مثل ذا بنفيس

وليل فى املو :

املوا علينا من حديث (املو)	ان حديث (املو) لا يمل
لهزجه بالعسل المصفى	مع سفنج فى الخوان صفا

(١) زوجة محمد بلقاسم والد الفقيه سيدى بلقاسم الذى تانى ترجمته
 فى الفصل الثالث .

تأخذ من هنا وذلك الخيلة
ومن التي الخ ولم يتلصع ؛
وما البساطيل بهذا الباب
طيبة تأتي بكل لذة
من هسله الاكلا لم يستمتع
ازاءها الا من السراب

ولشيخنا سيدي الطاهر الافرائي يمازح رفيقه الاديب سيدي العربي
الساموكني؛ وهما على مائدة الحاج ابراهيم الايفشاني الالقي:

ان الموائد انت من شجعانها
لله درك فارسا يفرى بسيد
ويبك في قعر الطواجن ظفره
واذا كررت على الطبالي كرة ،
وتزج في بحر المكايل غائضا
وتعوم في جمع من السادات في
حادث بواكفها يدا بحر الندى
خير الاحبة احمد وابوه من
فرد مكارم مجده اعيت على
لا زال في شاو المكارم جاريا

والزرد حرب انت من فرسانها (١)
ف السن لحم الشاء عن اخسانها (٢)
اسرى الدجاج تقاد في ارسانها (٣)
اهرقت وشفا من دما كيسانها (٤)
فلك السفنج فتنشتي بحسانها (٥)
نعم همت كالسحب في نيسانها
فد العلا طرا سنا انسانها
شاد المكارم في ذرى غسانها (٦)
اعشى البلاغة او على حسانها
طلق العنان الى مدى احسانها

وفي سنة 1356 هـ. اكلت مع الفقيه ابن العم سيدي بلقاسم السليمانى،
عصيدة من اللدة البيضاء تعلوها حفرة تطفح زبدة ذائبة؛ وقد امنا فيها
بلبن طيب حلو سائخ؛ فكان ذلك هو الحادى حتى قيلت هذه القصيدة التى
نسوقها على ما فيها لانها أمس بالمقام؛ والقصيدة اعتنى بها فشرحت نحو
ثلاثة شروح الغية .

وقبل أن نسوق القصيدة نقول: ان العادة في العصيدة في الخ
أن تصنع من جريش اللدة البيضاء؛ ويصب عليها حالة انضاجها الحليب،

- (١) الزرد المقصود به معناه العامى الذى هو الزردة المعلومة حفلة
الطعام ؛ لا معناه العربى الفصيح
- (٢) احسان بكسر فحاء مسكنة ؛ لفظه شلحية معناها ؛ العظام
- (٣) الارسان جمع رسن ؛ الازمة التى تقاد بها الخيل ونحوها
- (٤) الطبالي جمع طبلاة؛ وهى كلمة دخيلة وتطلق فى الخ على
الصينية ؛ وفى الرباط على الخوان ؛ والكاس تجمع على اكؤس وكؤس ؛ وأما
الكيسان فلم نقف لها على أصل
- (٥) المكايل جمع مكيلة؛ ويقصد بها فى الخ الزبديات والسكرجات
يجعل فيها السمن ونحوه
- (٦) يقصد بفسان قبيلة ايفشان؛ يحاول الالفيون بذلك تغليب الكلمة
وذلك غير جيد ؛ لئلا يقع الالتباس فى المستقبل

لم تطبخ طبخا جيدا بعد ما نلت بالصيد - وهو عود نلت به العصيدة في مطبخها - لنا متكما حتى تغلظ؛ ثم تعرف الى الجفنة؛ ونسجم فيها ويحفر في اعلاها حوض مستدير يملأ بالزبدة الدائبة حتى يطفح؛ ويوتى باناء اللبن، واجود الالبان ما لا رائحة فيه من وطب، ولا ملق بالماء ولا حموضة؛ ثم يستدار بالجفنة؛ فياكل كل من جهته بكل ادب لقمة لقمة حتى اذا كان امام كل واحد حفرة؛ او حفر فيها من اول وهلة حفرة؛ يصب فيها من اللبن ثم يلته باصبعه؛ وهو يعرف من الزبدة قليلا الى ملتوته، ولد يغافل من معه ان ارتفعت الكلفة بين الاكلين؛ فيبتق من حوض الزبدة باصبعه؛ فترشح اليه الزبدة؛ ومتى لت امامه وصار كالحريرة، يتناول منه بيده؛ ولا تعرف الملاحق في ماكل الخ؛ وهكذا ذواليك، حتى يكتفى من الاكل اكتفاء غير التهمين الشرهين؛ وللقوم ادب عال في الأؤاكله؛ هذا هو المعروف، واما هذا الذي وصف في القصيدة فانه مقصود للاحماض ولاريجية الادب :

تلوح بلالا العصيدة يبرق ؟
شماريخ طود لم يكد يتسلق (١)
تطيب بها كل النواحي وتعبق (٢)
أزاهيرها تحت الصبا تفتق ؟
من الذرة المعطار ان كنت انشق
فيا طالما شم البعيد فيصلق
وللشنب البراق فيه تالق
متى جال فيها لحظ غرثان يشهق (٣)
(كجاية الشيخ العراقي نفهق) (٤)

لمن جفنة قد اقبلت تالق
سمنة حتى كان سنامها
وقد فغمت منها الحياشيم نكهة
اهذا اريج المسك أم نفح روضه
نعم انها من غير شك عصيدة
وعهدى بانفى ليس يفلط شمه
الم ترها كالثغر أشنب باسمها
تميس بلون الثلج ابيض ناصعا؛
لها لقمة في وسطها حوض زبدة

فيوضع في الاطراف منها ويعتق (٥)
تخبطه وسط الدجنة اولق

فيا ليت شعري من تحط امامه
ويخبط فيها باليدين كأنما

(١) اشماريخ ج شمراخ : بالكسر رؤوس الجبال ؛ وتسلق الجبل
طلع عليه ؛ وتسلق الجدار ؛

(٢) الحياشيم . ج . خيشوم : ثقبه الانف ؛ وفغم العطرائفه ملاء .

(٣) الغرثان : الجائع ؛

(٤) الشطر الاخير من قصيدة الاعشى المشهورة؛ واوله :

(نفى الذم عن آل المحرق جفنة) . . وفهق الشراب في الكأس - اذا

سأل - من جوانبه لكثرة الامتلاء ؛

(٥) الايضاع والاعناق : الجرى وسرعة السير ؛

(٦) الدجنة : الظلمة ؛ الاولق : الجن ؛

يشن عليها غارة مشمعة
فيالى على تلك العصيدة كلها
بلغم اكول امن ليس يرهق (١)
اذا الجفنة الغناء جرداء سملق (٢)

فيا فرحى انى السعيد فانها
فيا طالما اجرى احاديثها وكم
فانى لمنهوم اليها وللحشا
فها هي ذى عندى فيا بطز ابشرن
فدى نهمتى جاشت اوارا تحرقا
افى كل يوم فرصة مثل هذه
تحط امامى والرجاء مصلى
اعرض فى نطقى بها وارلق (٣)
الى سيلها منذ ازمنات تشوق (٤)
فمما قليل سيلها يتدفق
افى كل يوم نهمة تتحرق ؟
افى كل حين لى جراز يفلق (٥)

دلفت اليها والعيون كانتها
حللت لها طوقى وزحزحت معطى
فاغسل حتى مرفقى فربما
وهل فاز فى اشغاله غير حازم
وهل فاز بالذات الا الذى اذا
فانفض نفض المعجلين فلم يمل
وهل يذاكر الانسان امثالها سوى
نطاق حوالى ركبتي تحملى (٦)
والقيت عنى ما به اتمنطق
ستعمل ايضا معصماى ومرفق
يؤيده عزم اذا هم يصدق ؟
تانت له اللذات يفرى ويخلق (٧)
الى فوطة هم بتلك معلق (٨)
اذا لم يكن امر حواليه مرهقى ؟

- (١) الغارة المشمعة : المنتشرة على الاعداء ؛ وارهقت الانسان حين
مناه : اعجلته عنه .
(٢) الحديقة الغناء : المزدهرة ؛ والارض الجرداء : لا نبات فيها ؛ والسملق
الفاغ : السقف لا نبات فيه ولا اشجار .
(٣) التعريض والترقيق : اذا كنت تكنى عن الشيء ولا تصرح به ؛
وهه المشل : « اعن الصبوح ترقق »
(٤) المقصود بالسيل : ملتوت العصيدة باللبن .
(٥) الجراز : السيف القاطع ؛ وهو بضم الجيم .
(٦) دلف الشبيخ فى مشيئه : مشى مشية المقيد .
(٧) خلق الصانع الاديمن : اذا قدر كيف يقطعه ؛ وفراء قطعه ؛ وفى
المنزل ما كل من خلق يفرى اى ما كل من قدر الاشياء يتبها كما قدرها
(٨) الفوطة : شريطة فضيحة ؛ والاشارة بتلك الى الجفنة .

تغشى الشجاع الدرع اذ يتدلق (١)
 كغرب ملء ماء يتدلق (٢)
 كغضب على منتهى لعم ورونق
 الى اريه المبيض ارعن يمدق (٣)
 لشامات زبد من عليه تفرق (٤)
 زجاجية لماعة تآلق (٥)
 كما يحسى الفحل الذى يترمق (٦)
 والا فهى ما اليها احدق (٧)
 تغرب فيها غارتى وتشرق

واما اذا الارهاق عن فربسا
 وادلى الى القعب يطلح رابسا
 وللمحضر فيه نظرة وتالسا
 وما اثرت فيه الوطاب ولادنا
 ولا مخطته العانسات وقد بدا
 وتعلوه امثال القباب سميكة
 فاخذ منه حسوة بعد حسوة
 وما القصد الا ان ابل مصارنى
 وان تغدى به الفتوح لحملة

* * *

تقدم ان يحظى بفوز يحقق
 ومن كان محفوقا به ليس يزلق
 موسعة كالحوض او هو اضيق
 سدودا صحاحا عاليات توثق
 يهين طينا مشمعل محذق (٨)

ومن فاز فى بدء فاجدر به اذا
 فاعلم باسم الله ان حانت الوغى
 فاحظر فى حرف العصيدة حفرة
 واجعل فيها يمنة ثم يسرة
 فاملها محضا فاجدها كماء

- (١) تدلق السيل : اندفع ؛
 (٢) القعب بالفتح : القدح الضخم ؛ وكثيرا ما يطلق على قدح اللبن ؛
 قال : تلك المكارم لا قبعان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا ؛
 والغرب بالفتح : الدلو الكبيرة ؛ وهو مذكر .
 (٣) الوطب بالفتح : جلد اللبن الذى يخض فيه ؛ والارى العسل ؛
 والارعن : الاحمق ومدق اللبن بالماء : مزجه به ؛
 (٤) العانس لكثرة استخدام أهلها لها تتقن المخض وجمع الزبدة من
 المخوض ؛ فلا تبقى من الزبدة شيئا ؛ بخلاف من لا تحذق ذلك
 (٥) المقصود التقاقيع التى تعلو اللبن اثر ما يصب فى القعب .
 (٦) ترمق الجميل الماء : يشربه قليلا قليلا ؛ وكذلك يقلل فى اللبن
 (٧) الضمير فى اليها الى الجفنة ؛
 (٨) جدح السويق : لته ؛ ومنه المثل (جدح جوين من سويق غيره)
 والمشمعل : الخفيف الطريف ؛ والمحدق ؛ الذى تخرج فى حدق عمل حتى أتقنه

الخطى فيها غمغومات بهمة
وانى فى امثال هذا لبالل
فاجدح ما فى حفرتى جدح عازم
الى ان يرى والزبد يكسوه زرقة
الذى يبتدى التجديف والكف ترتقى
وقد رصت فيها الانامل كلها
امطعها حتى اوسعها وهمل
فنائى وتمضى كالدلاء تواليها
وللسبق صوت كلما صب وسطه
اذا ارتفعت مدت ذنابى كأنما
فاجدح ايضا ثم اجدح ثالثا
فابقى ولاء هكذا واناملى
وما فتت جدحا وحملا كأنها
الى ان اخوض الحوض ثم اجوزه
ويطى ينادى هل هناك بقية
وهل من مزيد فالعصيدة هذه
فكان جوابى فى سيول كأنها
ورائب قعبى فينة بعد فينة
وقد وسعت تلك المجالات فاغدت
فلتاح قبل الجدح والحض مانج
كبحر شديد مزيد قد تفرقت
وانى اوالى حملة بعد حملة

تكاثر لديها جنسى لتشظى
جهود مجد فى المهمة يصدى
وسبابى فى جانبى الحوض لبتق (١)
كما بان طرف واسع الجفن ازرى
وتهوى كخطف البرق فى الجو يبرى
فمادت كسطل ليس فيها تشقى (٢)
يلفك السؤال الاناء المضيقي ؟
وللسيل فى وسط اللهاة تدفق
كما يجد المخنوق روحا فيصقى
تمدد ذيل حين يوضع ابلق (٣)
بسرعة خفق القلب ايان يفرق (٤)
بمنحدر حينا وحينا تسلى
عقاريت تزجى حملها وتخندق
ولى بعد اغذاذ امام ومفتق (٥)
فما من معنى منى بذلك ضيق ؟
الد واحلى من رجيق يروق ؟
سيول الروابى والسحاب تفلق
يصب كما حل المزادة اخرق (٦)
بساطك لكن ليس فيهن مسروق
وبعض لقيمات عليه تفسرق
زوارق شتى فوقه وهى تفسرق
كما يقتدى فى الزحف جيش مفرق

(١) بشق النهر : كسر شطه لينبتق الماء :

(٢) السطل عربية فصيحة : وهو الاناء الصغير للماء : ويستعمل الآن
فى كل اناء ماء يحمل باليد : وهو مجاز مرسل :

(٣) الذنابى : الذنب نفسه : والابلق : الفرس .

(٤) فرق يفرق كفرح يفرح : تخاف :

(٥) والمقصود بالحوض : حوض الزبدة : والاعناق : الجرى :

(٦) الاخرق : من لا يعرف كيف يصنع الاشياء ولا كيف يعالجها :

فاذا اراد ان يحمل مزادة الماء املك لها فيندفع الماء :

وتعلم صياصياها ويفتح معلق (١)
 على شبع والجوع خزيان يرمى
 يلهم ما يبقى هنالك معلق (٢)
 رسا بي على سيف الاماني زورق (٣)
 لمن كان يعطيني النعيم ويرزق
 وبسطيلة جماعة ما يفرق (٤)
 من الدرّة الغراء اولى واوفى
 على وجهها الوضاء طاه يزوق (٥)
 مفتح فيما قاله والمعلق (٦)
 مصارين بطن الجائعين تنفق (٧)
 وطاف حوالها ثناء مخلق

فتسلف هاتيك الجبال جميعها
 التي ان ارى الفتح المبين والنسي
 ولم يبق الا جولة وحدها لسكي
 فالحسن كلى ثم اغسلها وقد
 فاعلن حمدا خالصا من طويتي
 فان يطعم الفالودج الجلو فتية
 فاني بحمد الله عندي عصيدة
 فقد برئت من كل زور ولم يطف
 فجات بما لم يات فيما اتى به ال
 ادام لنا الله العصيدة ما غدت
 وما سالت الارياق ان عن ذكرها

* * *

المشروبات الالغية

اذا كان الحضري يجد بين يدي ترفه وبين يدي غناه من المشروبات
 المتنوعة ما يجد؛ من شراب اللوز والبرتقال واللوز والمشروبات العصرية
 فان ابن الخ المسكين لا يجد الا العلب الزلال الذي يستقيه من الآبار بدلوه؛
 ثم ان اراد تبريده فانه يعلق اللبو او السقاء في ممر الهواء فاذا به اعدب
 وابد من ماء الحواضر الثلج؛ وما رأى كمن سمع؛ خصوصا ان كانت
 فيه رائحة القطران، وقد احسن من قال في ماء الخ في مطلع قطعة :
 الاليت لي من ماء الخ مروقا من الخمر قد سموه ماء على غلط

(١) الصياصي : الحصون .

(٢) الملق : الاصبع التي يعلق بها ما تبقى في الاناء؛ على عادة البادين

الى الآن .

(٣) سيف البحر : شاطئه .

(٣) سيف البحر : شطئه .

(٤) تحتوي البسطيلة على اطراف الدجاج والبيض والحلويات والسكر

وامثالها :

(٥) البسطيلة يزوق وجهها بالسكر والثوابل :

(٦) للمفتح الكندي من قصيدته المشهورة حين يذكر أسباب الديون

التي عليه : وفي جفنة لا يفلق الباب دونها مكللة لحما مدفقة تردا

وأما ما قيل في المعلق فقد تقدم البيت الذي قاله الاعشى في قصيدته :

نفي الدم عن ال المعلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

(٧) تنفق : صوت ؛ كنفيق الضفاديع .

وقد كان العلامة سيدي محمد بن مسعود يقول: ان الله هو في العلي
الغليظة الجرداء من الفوائده هذا الماء الحلو العذب الزلال السلسيل .

نعم ان شروب الخ الخاص هو الاتاي الذي يعرفه كل احدا وقد دارت
قواف كثيرة حوله في مناسبات؛ فمن ذلك قصيدة للشاعر الكبير ابن الخ
البحر سيدي الطاهر يوم تسابق السوسيون في وصف الاتاي المشعرا
بفصائد كثيرة (1) فقال هو :

موشحنا محجرا مطرورا
خصل المدى في الفصل المبرورا
حتى سطاغنا له منازل
سلالتنا الخيرة الابرار
من صار في قلب الحسود كهدا
من قد حكى نظامه الجمانا
من صنع تشجير الاتاي عبثا
فيه ورده الاخير مادحا
فصل القضية بقول منتصف
أحدثها ذوو المجانة فقد
ترضى بان تفعلها او تقبلا
وربما تفسده المسادا
فيها النقاء وصفاء الطرف
وبذلوا النفيس في شؤونه
حوت رماه البحر صيفا فتننا
فضده اذن تمام العرج ؛
في العود والمراش والمباخر ؛
الا بسرأي مبهج وطيب
كما استحال لونه وشمه ؛
بينه مثل الصباح الابليج
وبعدا رابعة سمعية
وهو كما قيل امام الكاس
بالطبخ، فالهم لا تكن بالساهي

هذا وانى قد رايت رجرا
قد دار بين سيدين احرضا
كلاهما لدى الصيال بازل
هما هلالا هالة الاكرار
بيدنا محمد ابن احمدنا
وكفؤه سيدنا عثماننا
تجاريا في حكم امر حدثنا
فعلبه الاول عيبا قادحا ؛
فبان لي ان اجري الفكرة في ؛
فانعم بان ضمة التشجير قد
اما الطبايع المستقيمة فلا
لأهلنا نسقم البرادا
والناس قد شرط اهل الطرف
لذا تغالى الناس في ماعونه
وربما اذا غلا اسهك من
وشروط طيب الكاس طيب الارج
أما تنافس ذوو المفاخر ؛
فما زوال الهمم والتقطيب
كذلك ايضا يستحيل طعمه ؛
فهذه قطعا ثلاث حجج ؛
ولها حسية طبيعية ؛
قال فتي الطرف ابو نواس
في وصف خمر «لم يشتها الطاهر

(1) يوجد بعضها بعين تراجم الاكراريين في الفصل الثاني من القسم
الرابع كما يوجد بعضها في ترجمة ابن العربي الاذوي في القسم الثالث
وهي ترجمة العلامة ابن محمد الالهي قصيدة في ذلك .

ثنيئا فهسلا لتبين الشيخا
قلت ومثلها الاتاي فادر
بالنص والاجماع والقياس
قدي يعين الانس يا سميري
جدا على البراد اذ يشتد
اذن على ما كان فيه من عوج
بقدر ما يسخن دون طبخ
ويغلق الشهوة بابا بابا
وكلهم في زكنه ايباس

فهو كها سمعت سمي الطبخا
ان قلت ان قوله في الخمر
فالقصد ان الطبخ شين الكاس
فصح ان صنعة التشعير
لا هم الا ان يخاف البرد
او التفضاء سبب فلا حرج
لكن على السداد دون نفع
فالبرد ايضا يفسد الشرابا
نص عليه جلة ايباس

المعاد في اول السنة الفلاحية

من انواع الاطعمة الالفية ؛ نوع يسمى (اوركيمن) يصنع من حبوب
الدرة والقمح والفول والعدس واللفت اليابس مع الاكرعة التي تجمع لذلك
من قبل؛ يطبخ الجميع في قدر طبخا جيدا طوال النهار؛ ويتحين صنع هذا
الطعام في ليلة اول السنة ويوتر ان اصل جمع هذه الحبوب اثر من آثار
نرول نوح من السفينة؛ فقد طلب ممن ركبوا معه ما تبقى مما تزودوا به؛
فاتي كل واحد بما عنده فطبخ الجميع طبخا واحدا؛ والالفيات يطبخه تيمنا
ودرا للعين والجن؛ ولذلك يعتمد بعضهن الى ازالة بعض مرق هذا المطبوخ
على بعض زوايا الدار؛ وازاء اسراب المياه من الساحات داخل المنزل وما هي
بإعادة الوحيدة التي تصنع ليلة اول السنة؛ فاتذكر ان الناس يعرضون
على ان لا يبيت اى واحد خارج منزله مسافرا؛ ويرى بعضهم ان من لم يبيت
في داره تلك الليلة لا يزال مفارقا لداره طول السنة .

الالبسة

الذي أدركنا عليه الناس عام: 1323 هـ. انهم يلبسون قمص الصوف
وسراويل الصوف - ويسمونها التبان - وعمائم الصوف، وذلك لباسهم
صيفا وشتاء؛ لا يعرفون اذ ذاك الكتان الا نادرا وذوو المروعة منهم يديرون
على اعاليتهم شملة من صوف؛ او رداء تاما لمن كانوا ملحوظين كالرؤساء
والعلماء وائمة الساجد؛ وفي الشتاء يلبسون الخنيف - وهي لغة فصحي -
ويستورد من (ازانيف) مكان في الاطلس الكبير الموالي سوس، وقد لبست
انا - ما شاء الله - خنيفة غليظة كحمر ما وراها مما يقابل مقعدة الانسان ؛

والناس إذ ذاك غالباً السلاهييم من الصوف المنسرج بالغ المعروف بجودته ولم يترك عند الناس لا حبة ولا سراويل الكتان ولا قمصه وعمائمه الا نادراً ثم سرعان ما انقلب الزمان فظهرت قمصان الكتان وسراويله وعمائمه ثم جيبه! ولكن وشكنا ما اختفى ذلك ايضاً في ابان الحرب الثانية فراجع الناس معتادهم القديم الى ان انقضت وطفحت الاسواق بالكتان فعاد الناس اليه فهو الآن 1364 هـ. الملبوس المعتاد .

واما النساء فان لهن عادتهن الدائمة؛ من رداء الصوف تجمع المرأة اعاليه بمصنوع من الفضة مثلت على تديبها؛ واحد على جانب والآخر على الجانب الآخر؛ ثم يجمعن الاسافل عليهن اما بحزام او بادخال بعض في البعض الآخر، وهذا الرداء يسمى (تفكوت) ان كان من الصوف؛ او الملحفة ان كان من الكتان الاسود او الازار ان كان من الكتان الابيض؛ واما الغطاء؛ فان كان من الصوف فاسمه (تحيكث) او من الكتان فيسمى (اندال) والغالب الى الآن 1364 هـ. ان لا تلبس النساء الا الصوف؛ الا المترفات؛ فانهن يلبسن الكتان قمصا وملاحف وازرا حتى السراويل التي ما كن يعرفنه قد دبست لهن لبستها وشيكاً، والفرجيات وجبات الساركة البيضاء او القهويية والسلاهييم المنسوجة من المنسوج الرقيق الرومي او البزيوي قد صار اكل الآن ياهل مكاتنه بين البسة الرجال الكبراء والتجار بعد ما دبست الحضارة الى الخ وبيها .

الحمص في

ما كان يعرف الا الحمص التي تستورد من قرية (أمنضي)؛ ومتى كان هناك حبل او زربية على قلة ذلك؛ فان بقاءها في الطي اكثر من بقائها منشورة تحت الناس؛ ولم يكن الناس يفرشون على عهد صغرنا الا الهياض من حمارة الكباش المدبوغة بصوفها - ثم لم تنتشر الزرابي الا في عهد آبائنا في عهد قليلة في الخ؛ ولا يزال ذلك قليلا الى الآن وأقل القليل جدا جدا في المساجد والمخاد، ولا أعلم الآن دارا للاضياف استجمعت الفرش المعتادة في العواضر من المضارب والزرابي والمخاد الا نحو دارين؛ على ان ذلك لا يك ان يزداد بتزايد اتساع الحضارة .

المعتاد في المساجد

المسجد هو النادي العام لاهل القرية؛ ولا يتخلف عنه الا من لا خير فيه؛ ولاستناد المسجد احترام؛ وهو الامام والؤذن - غالباً - وقاري، الخرب،

والحزب يقرأ في الخ على القاعدة الناصرية؛ تتبع الأحزاب الا في عشايا
 الخميسات فيقرأ الكهف؛ وصباح الجمعة يس وتبارك، ولا يتعلق حزبهم
 بالشهر؛ ويقرأ سبع من البردة في حزب كل عشية؛ وفي المدارس العلمية
 تقسم الهمزية ايضا على احزاب الاسبوع الصباحية. ولهم دعوات خاصة
 تقرأ وراء الحزب كما لهم دعوات خاصة كذلك كلما أريد التفرق من مجمع؛
 خصوصا الجامع التي يحضرها اهل الخير، تحتوي على الصلاة الابراهيمية؛
 ثم الفاتحة ثم اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
 النار؛ ثم الصلاة الابراهيمية ايضا ثم سبعان ربك رب العزة عما يصفون
 وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

هكذا يختم كل مجلس؛ كما يدعى بذلك نفسه بعد الصلوات؛ ولا ريب
 ان هذا الدعاء المرتب قديم؛ لان مثل هذا مذكور في العهد الموحدى، ولكل
 طرف منه أساس من الحديث؛ وفي ليلة ختمة القرآن؛ - وتكون دائما عشية
 الاحد - تزداد دعوات اخرى؛ ويتحين محبو الخير من الرجال والنساء
 الحضور، لما ثبت من ان ذلك الوقت يستجاب فيه الدعاء؛ ويأتي اهل
 الفلفل بالتمر ومقلو الدرة؛ او بقصعة طعام؛ وفي بعض المساجد من جيران
 الخ توجد احباس لهذه الختمة .

اما كيفية التدبير من الاستاذ؛ فلا تختلف عن المعتاد في كل المغرب
 ضغطا وتكرير السور وغسل الألواح صباحا؛ ثم املاء الاستاذ على التلاميذ
 كل واحد على حدة، ثم يكمل الاستاذ نصف اللوحة للتلميذ ان استظهر
 نصفها الاول؛ الذي كتبه بيده؛ ولا يذهب التلميذ الى الغداء الا بعد ان
 يحفظوا؛ ثم يرجعون الى تكرير السور التي كانوا حفظوها الى الهاجرة؛
 ثم من الظهر يقرأون ما سيمحي غدا ثم التكرار للمحفوظات، الى ان يقرب
 المغرب؛ وحضور الحزبين صباحا وعشية من واجبات التلميذ؛ وتكرر
 المحفوظات الى العشاء؛ وهن عصر يوم الاربعاء تكون الراحة الى عصر يوم
 الجمعة؛ الا ان التلاميذ يبكرون يوم الخميس ان لم يقب الاستاذ الى أهله،
 لتكرير السور الى الضحى؛ والعواشر تكون اياما قبل العيد وبعده؛ وعلى
 التلاميذ ضريبة الاربعاء والعواشر؛ كل بما تيسر، وقد كان المعتاد في الخ
 البيضة الواحدة في الاربعاء وقرشا في العواشر؛ وذلك منذ نحو 40 عاما.
 ثم جاءت الدراهم في الجميع؛ واجرة الاستاذ تجمع له من محصول السنة
 من البيادر بعدد معلوم من الأصبع على كل دار؛ ومع حرث تقوم به جماعة
 القرية، ومع اضحية او ثمنها؛ ومؤنته بالتناوب غداء وعشاء؛ دارا لدار؛

ولا هجوري ولا لهجة (١) في الخ وقد اوردنا ان استاذ المسجد هو موثق
القرية ان لم يكن فيها عالم وعلمها المنار ومالك الانكماش والصلاح بين
المتخصصين *

المعهد في المدرسة الالغية

كان سيدي محمد بن عبد الله المؤسس لمدرسة الخ عام: ١٢٩٧ هـ + مجددا
فأسس في الخ القراءة الجديدة، فحين ينخرط التلميذ في المدرسة بعد
ان يحفظ القرآن يتدرج من الجرومية فالجمل والزواوي؛ ثم الامية لابن
مالك مع ابن عاشر؛ ثم الرسالة فاللفية لابن مالك؛ ثم بعد ذلك التحفة
والمختصر والمقامات والزفافية؛ ثم المنهج وفي الرضانات لا يقرأ الا الحساب
والفرائض والبخاري، وبين هذه الدروس يتلو الطلبة من عشية الاربعاء
الى عشية الجمعة في كتب الادب بينهم يتدثون بالاسهل كالمستطرف
ومروج الذهب وابن خلكان؛ فسيرة ابن هشام؛ فالواهب بالمدينة ثم لا يزالون
يترقبون الى ان يقفوا بعد ان يشدوا في نفع الطيب الذي هو الكتاب العالي
عندهم؛ والعادة ان كتب الادب لا تقرأ في ايام الدراسة تفرغا للمعلوم
الرئيسية ما عدا المقامات الحريية، واما المعلقات والطفراية ولامية العرب
والهزبية والبردة والشقراطيسية؛ وبانت سعاد؛ فان هذه تقرأ في العواشر
خاليا؛ واما الدروس الدائمة فالفقه والنحو والتصريف والتفسير احيانا؛
والمعاد ان يطالع التلاميذ دروس القد بينهم يطالعها لهم نجباؤهم، ثم
يقراونها عند الاستاذ؛ ثم تعاد بينهم ايضا؛ ثم يتعهدهم الاستاذ في حفظ
الشواهد والابيات التي تستطرد في الدرس؛ ثم يواخذهم الاستاذ بالشواهد
لعدد من الابيات في كل صباح من المتون مع تكرارها جماعة في عشية
الاربعاء؛ واما ما بين العشاءين في غير الاربعاء والخميس فانه لمطالعة
الدروس او لاعراب راس الحزب، حيث يجولون جولات في كل المتون التي
يدرسونها؛ واهذا تجد ابناء المدرسة الالغية؛ اكثر السوسيين استحضارا
للمتون؛ وعادتهم في الدرس؛ ان يتقنوا بالابيات التي تقرأ جماعة في كل
افتتاح الدرس، وغالب قراءة الشادين فضلا عن المبتدئين في الواحات؛
يشفقون فيها المتون؛ ثم تفسر بيتا بيتا؛ كما تعرب كل الشواهد بالسنة
الاعلى لا بلسان الاستاذ كما ادركتاه في القرويين وابن يوسف؛ ويقراون
الالفية اولا بشرح السيوطي ويتلو التلاميذ الكسودي مناوبة؛ ثم بشرح

(١) الالهة بضم لسكون؛ ما يفطر به صباها - فقد قال اعرابي لابي ا

لهذا صوبكم .

الإسمولى والموضح فى المرة الثانية؛ والرسالة بابى الحسن؛ والتحليلة
 بالتاوى والتسولى؛ والمختصر بالرددير والمقامات بالشريشى؛ وللأساتذة
 الذين مروا بالمدرسة الألفية استحضار تام فى الفنون لكثرة ما مروا بها؛
 فلا يحتاج أحدهم لأعداد الدرس؛ وأكبر اعتناء الألفيين بالنحو واللغة والأدب؛
 فلا تمر كلمة إلا عرف ضبطها؛ وإذا احتفل مجلس طلبتهم يأتى أحدهم
 بكتاب يتلوه؛ ثم لا يستحي الصغير أن ينبه الكبير أن لحن فى أعراب
 أو فى ضبط كلمة؛ وقد تعجبت كثيرا حين خرجت من الخ فأنسح اللحن
 ثم لا يوجد من يرده، ومتى فرط منى ذلك عن غلط أو عن طبيعة يقوم مثل
 الأخ التطوانى فى وجهى كنصيحة أن لا أتسبب فى معادة الناس؛ فبالعجب؛
 فهؤلاء شيوخنا كابى الحسن وابى محمد الألفيين وكشيخنا سيدى الظاهر
 ما كان أحد من الفتيان أمثالنا يستحي أن يرد على أحدهم؛ وهؤلاء كذلك
 تلاميذنا عودناهم أن يردوا علينا؛ فسبحان من فرق بين البيئات .

كتبنا هذا للغد، ليعلم الغد كيف كان الخ واهل الخ فى هذا الميدان؛
 وللألفيين أبيات سقيمة يفتتحون بها المقروء فى مجلس الدرس؛ فما كان
 رجزا تقدم له أرجوزة فى أبيات قليلة؛ وما كان على بحر الطويل كالجمل
 تقدم فيه أبيات أخرى؛ فأول أبيات الرجزية؛ اعوذ بالله من الشيطان . . .
 الخ ومن أبيات الطويل؛ قول حسان فيما اظن فى الرسول:

له هم لا منتهى لكبارها

وهمته الصغرى أجل من الدهر

وللمدارس فيما ادركنا قوانين فى حضور الصلوات وفى خدمة
 الأستاذ، فكان من بينها للمدرسة الألفية من بينها قوانين أصعب بها
 استقامت ما شاء الله حتى دب التدهور الى الجميع .

دور المرأة الألفية

قديمًا يقول الحضريون: (المرأة الفاسية؛ امرأة وتجارة؛ والمرأة
 البدوية امرأة وحمارة؛ والمرأة المراكشية؛ امرأة وخنساة) .

لا ريب أن لوصف المرأة البدوية بهذا الوصف حظًا من الصواب غير
 قليل فهذه المرأة الألفية ككل نساء تلك النواحي؛ هى التى تقوم بكل شؤون
 بيتها فتظلم نهارها فى الأعمال الربوية على أوقات اليوم؛ تقوم سحرا لتطحن
 ثم تسقى ماء الوضوء مع الفجر؛ ثم تحلب البقرة؛ ثم تسقى من البئر بالقلعة
 على ظهرها تأخذ القلعة بحبل يمر بكاهلها؛ ثم إن أرادت أن تحطب فانها
 تبكر ولا تطلع عليها الشمس إلا وراء روابى الخ حيث لا يزال الشبح الذى

هو الوقوف الوحيد للألفيين، فتجمع هذه أبالة عظيمة نظمتها ثم ترجع بها على ظهرها والعجب أن ذلك العجل الثقيل لا يؤودهن، فإن النساء الحائضات يرجعن بالأغاني يتناولنها بأصواتهن الرخيمة؛ ثم لا تكاد تدخل الدار حتى تنهى الغداء، إن لم تكن طبخته صباحاً؛ ثم تمضض وطبها؛ ثم تنقى طبعها للغدا؛ ثم تغربل طحين الصباح ثم تائي بالخضر من الحقل، ثم تسقى البقرا؛ ثم إن كان عندها سقى من البئر للحقول فهي التي تتول ذلك وذا على ذلك أن تتعهد مغزلهما؛ وترضع ولدها؛ ثم إن كان حرث أو حصاد، فهي التي تقوم بذلك بمعاونة زوجها أو وحدها إن غاب. بهذا تمسأ لهارها؛ ثم تطبخ العشاء؛ هذا كله والغالب أن تحافظ على صلاتها في دارها مسبح السمع من المسجد، والمرأة الالفية هي سيدة الدار حقاً - فهي الخالدة وهي المتصرفة في الشعير والسمن والمراعية للأضياف ولو لم يحضر زوجها إن كانت الدار دار الأضياف -؛ والطلاق في الخ لا يكاد يذكر؛ وكذلك الزوجة الثانية؛ فلا أعلم من الخ الآن داراً فيها عدة الزوجات إلا ثلاثاً فقط من المتوسعين الذين دفعهم دافع خاص إلى ذلك ومن الأمثال الالفية؛ إن المرأة تقول: (دعوا لنا المطبخ ندع لكم الراي) أي اتركوا لنا إدارة المنزل؛ تترك لكم ما في خارج المنزل، ومجمل القول أن المرأة الالفية تقوم الزاء زوجها الذي لا يعرف الراحة أيضاً بنور عظيم في الحياة مع الصيانة وعدم الزلق إلا في النادر الذي لا يكاد يخرم القاعدة؛ مع الصبر العظيم والأخلاص لزوجها والرفق في المعيشة؛ مع حفظها للسر ومحافظتها على مظاهر التدين والتصدق على المقابر؛ خصوصاً أيام الجمعة وعاشوراء؛ فتذهب النساء بالتمر، ومقلو الذرة أو القمح؛ فيفرقنه على الصبيان .

الأمثال الالفية

إن درس الأمثال التي تطلق عفواً من الألسنة هو عين الدراسة لفكرة الذين يطلقون تلك الأمثال؛ ولذلك حرصت على جمع الأمثال الالفية من قديم هي دراسة استوفيت زهاء ثلاثمائة؛ ثم أخذها مني الكولونيل المستشجع؛ (هوستار) فرنسيها ونشرها في بعض المجلات الفرنسية؛ ثم رجعت مرة أخرى ونحن في معتقل؛ (أغبالو نكردوس) فأميتها على الوزير الكبير أخى صيدى محمد الفاسي؛ فجمع منها عنى ألفاً وخمسين، ما بين مشور ومنظوم؛ ولله فسرهما كلها بحكاياتها بالعربية النصحي فضمها إلى المجموعة الكبرى التي جمعها في الأمثال المغربية؛ ولهذا اكتفك القلم الآن عن تسبها اكتفاء بما في مجموعة الأخ الوزير المحترم .

الالعب الالفية

هي نوعان: فمنها ما هو مخصوص بالصبيان؛ ومنها ما هو مخصوص بعامة الناس؛ اما الالعب الصبيان فانها :

1 - الاسداء، تقول العرب: (اسدى الصبيان واستدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز). وصبيان الخ انما يلعبون بالحصاة؛ ولتشابه الملعوب به سمينا هذا الالعب هذا الاسم .

ياتى كل صبى بعدد من الحصاة يتساوون ثم يعمد اولهم الى جمع الحصاة في كفه؛ ثم يلقيه الى الاعلى من بطن الكف؛ فيعرض له ظهر الكف؛ فيبقى ما يبقى ويسقط على الارض ما يسقط، ثم اذا تراكمت الحصيات على الكف؛ ينظر في الحصاة فما كان منه لا يمس الجلد وقد علا الحصيات؛ ياخذ الالعب على انه ربحه؛ ثم يرمى ما على ظهر كفه ثانيا الى الاعلى فيلتقاه باطن الكف؛ ولكن ان سقطت حصاة واحدة فقد خسر الالعب؛ فيعطى الحصاة لغيره واذا توصل لقبض كل الحصيات براحته؛ يتدى الالعب في التقاط ما انتثر امامه مما لم يقع على ظهر الكف؛ فيرمى الى الاعلى حصاة من يده في الوقت الذي يلتقط فيه حصاة اخرى مما على الارض؛ ومتى لم يفلح في ذلك فقد خسر، وان امكن له ان يستتم التقاط المنتثر على الارض؛ فانه لا بد ان لا يمس عند اخذ حصاة غيرها؛ الا اذا بقيت اثنتان فقط فانه لا بد ان يجمعها مرة واحدة ولو تباعدتا؛ ومتى تمت اللعبة على هذه الوثيرة؛ فقد ربح حصاة واحدة ثم يعيد اللعبة؛ الى ان يربح الجميع او يخسر الباقي، فلا يتحصل له الا ما فاز به؛ ثم ينتظر حتى ياتيه دوره ثانيا؛ ومتى تمت الصفقة وانتهت الحصيات؛ يحسب كل واحد ما ربحه، فمن نقص له من العدد الذي كان له فان الرابح لاكثر من عدده يدفع له حصاة حصاة مع ضربة فوق كفه لكل حصاة؛ وتسمى هذه اللعبة (اكترن) .

2 - شلوك - لعبة تكون بنوى التمر؛ ياخذ الالعب نوى في باطن كفه؛ فيسال صاحبه: اشفع ام وتر، ثم يقرص على ظهر كفه كلما اخطأ. وتسمى اللعبة عند العرب : (خسازكا) قال الشاعر :

وشر اصناف الشيوخ ذو الربا

اخس يعنى ظهره اذا مشى

الزور او مال اليتيم عنده

لعب الصبى بالحصى خسازكا

3 - ضما - لعبة اشبه شي بالشطرنج؛ الا ان شروطها اخف؛ تلعب بالحصاة مكان البيادق .

4 - لعبة العصيدة = لعبة للاختباء يطبخى صبي حيث لا يرى ولا يرى؛ ثم يفرق الصبيان في المطابخ؛ ثم ينادى احدهم بالسلطة؛ طايت العصيدة (توانكلا) فيخرج المطبخى فيفتش عن اصحابه لمن وقع عليه اولا يركب على ظهره مليا ويدور به بين الصبيان .

5 - لعبة الحبل = وهي رياضة نالعة، يوخذ حبل فيربط طرفاه فيدخل صبي في طرف وآخر في طرفه الآخر فيتجادبان؛ لينظر من هو القوي .
6 - لعبة الحمل = يحاول الصبيان في ان يحمل كل واحد صاحبه الى غاية معدودة .

7 - رماية الهدف = يضعون حجرا مفلطحا؛ فيرمونه من امد محدود يقف فيه جميع الرامين؛ فمن اصاب الهدف يصفقون له ويصيحون بالصوت الواحد فلان فائز .

8 - صيادة اليمام = يحفرون حفرة وينصبون اذائها حجرا مفلطحا غير كبير؛ ويسندونه الى عود يضيفون اليه خيطا بعقدة تتحلل بمجرد ما يمسه ماس ثم ينثرون حوالى الحفرة الشعير، فيبتعدون؛ فاذا جاء اليمام يلتقط الحب فيتبعه الى الحفرة الصغيرة يدخل فيها؛ ولا بد ان كان في الحفرة ان يمس الخيط؛ فاذا بالحجر يقطع الحفرة فيبقى هناك حيا؛ فياخذه صاحب الحفرة .

9 - لعبة الخيط بحجر = يعمدون الى حجر صغير قدر ريال حسنى يسوون اطرافه حتى يستدير؛ فيثقبونه ثقبين في وسطه، فيدخلون فيهما الخيط المستدير؛ فيدخل طرفا الخيط في السبابتين؛ فيدار الحجر دورا بينهما مستمرا؛ ويسمى (امجرى) .

10 - الخلروف = لعبة معلومة عند كل المغاربة، لا احتاج ان اكلف وصفها تفصيلا؛ وهي بالاجمال: طرف من العود مديب الرأس؛ وفيه حديدية والعود مستدير املس يرمى بخيط يدار بالعود؛ ثم يدور بنفسه بسرعة .

11 - المضاربة بالفاطو = وهو طرف من عيدان التين، يقطع على نحو 7 سنتيمات فيزال لبايه؛ ثم ينجر عود من الزيتون على مقدار الثقبة المستطيلة؛ فيدخل في الثقبة طرف صغير من الكاغد المجموع المبلل بالبصاق؛ فاذا وصل هذا الى طرف العود يبقى في محله؛ ولكن اذا ادخل مثله من الثقبة، ويدفع بالعود يندفع الكاغد الاول بضغط الهواء؛ فيرمى بعيدا ما بصوت مسموع؛ يجعل الصبيان ذلك بمنزلة البنادق .

12 - المضاربة بالاحجار الصغيرة = وكثيرا ما يقع ذلك بين القرى المتقاربة؛ وترمى الاحجار بالفللاع؛ والفاليع على نوعين؛ نوع يسمى (السدق)

والآخر يسمى ليل يبا يصنعان من الخلفاء ؛ ولا فرق بينهما الا ان الاول يجمع مكان الحجر فيه، والآخر يبقى حبالا صغيرة متقاربة يدخل طرفاها في جبل الطرفين .

13 - اللعب بالكرة - ولا تضرب هنا الا بالرجل؛ والمعهود ان تغاط من الخرق البالية؛ لئلا ان تظهر الكرة العصرية من المطاط .

14 - الرماية بالله يوم العنصرة - على ان هذا اللعب قلما يتعاطى في الخ كما يتعاطى في غيرها .

هذه هي الالعاب المشهورة الخاصة بالصبيان الالفين. واما اللعب العام؛ فانه للرجال او للنساء - ولا يختلط الجنسان في لعب (أحواش) بالغ؛ وهو لعب يعرفه كل الناس خصوصا شباب الحواضر الذي يعجب به ان رآه او سمعه في المدياع ويقام في الاعراس والاعياد والافراح، يديره رئيس يعرف ان يقنى؛ وفي يده دف؛ وحين يكون عرس او عيد او فرح كبير؛ كان المضاد قبل احتلال تلك الناحية وقبل ان يزال منهم السلاح ان ياتي ارباب البنادق فيصطفون امام اللاعبين؛ وتحت انظار النساء المطلات على اللعب من السطوح، فيطلقون بنادقهم بالترتيب؛ في الوقت الذي تطلق فيه النساء الزغاريت؛ ويرسلن على الرؤوس - طاقات الحبق - وهو الثبت الغليظ الوحيد الذي يعتنى به في الخ حتى انه يستتبت عند كل ربة دار - وكذلك ترسل البندقيات هكذا اذا زفت عروس وقاربت ان تدخل القرية التي تزف اليها؛ والرجال اذ ذاك يغنون اغنياتهم؛ واما اذا كان لعب النساء فقط؛ فان الدعار من الرجال يستديرون بهن او يطاون، والقالب في الخ قبل الاحتلال ان لا يذهب الى أحواش الا زمر المروءة؛ واما بعد الاحتلال فقد صار الرؤساء الذين لا مروءة لهم يستكثرون من أحواش النساء تقربا الى المستعمرين؛ وفي هذا اللعب يوجد بين الاغاني اشعار الحب؛ والشعار الحكم؛ يحفظ منها الكثير .

وهناك لعب آخر كنا نعرفه قبل الاحتلال هو الرماية للاهداف في عشايا الاعياد؛ يخرج كل اهل القرى الى اطراف القرية يتعلمون الرماية؛ فيتخرج الصغار بالكبار؛ وهذا مما طوى بدخول المستعمر .

وبعد؛ فقد كان اهلنا المرابطون يترفعون عن لعب أحواش؛ وكان لبعض شيوخهم العظام سعى حثيث؛ في قطع ذلك في قريتنا حتى نادت القبائل بتفريم كل من اقامه؛ ولكن نفي من اهلها من رد ذلك واعاده جذعا؛ والله الامر من قبل ومن بعد.

اما الغاني الالفين في وقت العتصاد وفي الدراس فكلها اذكار وحكم

واستفالة بالأشباح المعتادين لديهم؛ وهي لديهم معروفه بالتعايد؛ وكذلك ما يتلوه في محافل المساجد الصعبة عندهم بالعريف؛ قالها أدمية مالورة يحفظها المسنون؛ وبالأجمال؛ أن عوائد الخ في الألعا بهي عوائد كل جزولة بلا تخصيص ولا تنصيص؛ بل هناك عند غير الألفيين أزيد مما ذكرناه؛ ثم إن ما ذكرناه لم يستوف إلا قليلا، مع الاختصار في هذا القليل.

ما قيل في وصف الخ من الأشعار

وقفت على لواف غير قليلة حول الخ واهله؛ ولكنني لا اختار الآن إلا ما له مساس خاص بأرض الخ وبوصفه أو التشويق إليه؛ أو التشكي منه؛ وقد كنت أنا نفسي صدرت مني أشياء من ذلك؛ فلاختر من كل ذلك ما يقارب الموضوع:

قال شيخنا شاعر الجنوب وعلامة سوس ومفخرة الأدب الألفي:

سبى الطاهر:

فهي نشرها للعاشق الصب ما يبغى
به غير سمع للملامة لا يصغى،
منازل بدر التم لا منزل الفرغ؛ (1)
بوجه الفضا منها عذار على صدغ؛
سماء حبا انوابها الفجر بالصبح
فتاة على أعطافها صفة الردغ؛ (2)
يد الدهر لكن شيمة الدهر ان يبغى

نسيم الصبا هي بنشر ربا الخ
تعلل شلوا لم تغادر يد النوى
يحن الى تلك المنازل انها؛
ربوع رباها المسك طيبا ونبتها؛
تغال اذا ما الزهر نور أرضه
اذا اشمست أرجاؤها قلت انها؛
هي السؤل والنامول لوسمحت بها

وقال أيضا يخاطب شيخ الخ العلامة علي بن عبد الله استاذ الوهيد:

من الصبذة مطلعها:

وانهل من سحب الاجفان الوا»

بالت فبان جميل الصبر اسما»

يقول وهو يصف نفسه بانه كالجسد الملقى يكتنفه من الجوى

والدموع النار والماء:

للمجد في أرض (تحت الحصن) ارساء
والما راح، وكالباقوت حصباء
فهي المنازل لا فرغ وعواء
ايه فقد سلمت مصر ووزراء

أرضي بأحشائه الشوق المذيب كما
أرضي تراها غير؛ والنسيم شدا
وأربع طلعت فيها شموس هدى
ناهت بواجدها الخ فقلت لها

(1) الفرغ: من منازل القمر

(2) الردغ: الرجل. هكذا في اصول اللغة القاموس وشرحه: ولا يشم
الشمسية إلا اذا كان معنى الردغ ما له لون خاص كالزعفران مثلا. ثم رقت
في أن هذا المعنى في الردغ بالعين لا في الردغ بالهمزة. ولا ادري ما وقع
لشيخنا مع انه ينسب في اللغة.

وقال الأديب سيدي محمد بن الحاج الأفراني :

أيساكننا أرضا هي الأرض وحدها
أجل بلاد الله علما ورفعته
بها العلم والهدى بها المجد والعلا
فما شئت من عيش هنيء وحكمة
بهم ولهم عيشى يطيب ومرتجى
يلذكريهم جود سحب السما وان
ألا ليت شعري هل يتاح لناقتى؛
فابصر أيضا عيشة مطمئنة ؛
فاستجمع الصفو المرىء لديهم

بها ما يشاء القلب والأذن والبحر
ومجدا وسؤددا فحق لها الفخر
بها الدين والدنيا؛ بها الوعظ والسمر
وعقل رصين لا تحوم به الغير
فؤادى وجودى معهم أو يشا القدر
تقاصر جودا عنهم وان أنهم
بروك لديهم كى يزايلها الضجر
ودهرا لطيفا كان أجمعه السحر
فتضحى عيونى بالنى كلها تقر

وقال الأديب العلامة الكبير سيدي محمد بن مسعود العلوي :

ليهنكم يا آل الخ مفاخر
سموتم بدورا بل شموسا بنوركم
فأبشاكم للعلم والفضل والهدى؛

فخرتم بها ما بين غرب إلى شمرق
تفتق زهر الفضل من بعد ما رتق
إلاه حباكم فى العلا قصب السبق

وقال أيضا :

هى ربع الرباب من (تحت حصن)
وبوادي العقيق فيه فرج
واقران تحية من مشوق

منجدا زائرا لاوثق حصن
بالمطايا واعمد الى خير ركن
قاده لهواهم كل حين

وقال العلامة محمد يحيى الصحراوي لما مر بالبحر سنة 1313 هـ. فهكث

فيه ما شاء الله ودرس فى المدرسة الالغية قليلا :

يا أهل (تحت الحصن) أنتم فوقه
ما ضر من بالفوق معنى وصفه
فأرلوا بجد واجتهاد للعلم

معنى وحصنكم بعلم يشرف
أن كان فى حس بتحت يوصف
ترلوا معال حدها لا يوصف ،

وقد وقفت على قطعة للأديب سيدي محمد بن الحاج يعجيبه بها؛

مطلعها :

بألفت فى الإرشاد يامن ينصف
أهل الوفا؛ والنصح دين يعرف

وقال الأديب ماء العيايين بن العتيق الصعراوي :

ليحفظكم ودمكم الفؤاد زعيم
سنة وناب من الخطوب عظيم
ما منكم في الثابتات ميسم
والعرض مما يستلم سليم
أبدا بقارة الطريق ميسم
طنبا وادي حقه لكريم (1)
ورق على أيك وهب نسيم

يال (لهدت الحصن) أن يقع النوى
لا زلت مائي الوفود وإن هدت
أنا بلوناكم فالفيناكم
لم تصبروا فطباكم معمودة
انتم مناخ بني السبيل وحيككم
(إن امرأ جعل الطريق ليابه ؛
فعليكم أسنى التحايا ما شدت

وحين وقف الأديب سيدي الحسن البونعماني على قطعة محمد يحيى
المذكورة؛ وعلى ما قاله ابن العتيق، قال :

وعيون الخ من الوداع تكلف
حسن أجل من العقود وأشرف
ولكم بشعرهم المسامح شملوا
فكانما دارت هناك القرلف (2)
لوفود شعر أين من يستنكف
فيها عكاظا للنهى تستوقف
غابا بفكر في المعارف تظلف
وعليه أعلام البيان ترهرف
كرما وآدابا وما يستطرف
للواقدين وبالثوادر انظفوا ،
وأنا بالغ في المفاخر أعرف

لله ما قد هاج ذاك الموقف
نظفوا دموعهم فصائد وهي في
ثم توجوا قبل الرحيل مجالسا
ذهل الودع والودع للنوى
هيبت الخ فما أجلك مجمعا ؛
فأما صحراء الفسيحة جدوا
أما الولاتي في الموات حدائقا
وإن العتيق مطرب بقريضه
وعليهما نباء الخ أغدقوا ...
هم أعموا من كل فن أكؤسا
صف بالفاخر الخ فهي جديرة

وقال بعضهم :

وصدور من يرجون منه شرح
إن الخوائج منك طرا تنجسج
كم كان فيه للمتجارة مرسج
فيسيط الخ كما تشاهد افسج
مبسوطة منها المكارم تظسج
(إن الإناه بما هواه يرشج)

أبواب الخ لكل آت تفتح
يا من يوم أنخ فلوصك واقترح
ففسيح ما أبصرته بسهولة ؛
أرسل لظرفك في البسيط عنانه
لا أمت فيه لا اعوجاج كراحة
من ذلكاستفتت الطباغ من أهله

(1) بيت قديم مبدل، وهو هكذا في الأصل ؛
طنبا وانكر حقه المليم
ان امرأ جعل الطريق ليابه
(2) القرلف : العسر .

وكتب الأديب محمد يابس لزيل السخ الصحراوي الى عميد السخ
سيدى كل بن عبد الله قطعة شطرها بعضهم نصها :

لترى بعينك فى الورى أجوادا؛
وأطل به التطواف والتردادا
قطاب والإجراس والاولتادا
بل بله عنك الحصر والتعدادا
ما رد للآداب الخ عمادا
أبناءؤه الأباء والإجدادا
صيرت الفك للعلوم مهادا
أن التشوق لم يزل مزدادا

عرج بس تحت الحصن يامن سادا
وانزل هنا لك ما تشاء وطولن
واكرع بمعهد ورد اعلامه الا
وامكث هنالك ألف ألف راتعا؛
قوم تقفوا فى صيانة مجده
الخ وما الخ تلافى مجده
فاقرا السلام على الفقيه وقل له
قبل يديه وأبلغن من خلقه ؛

كان قاضى (أقا) ورد على الخ فقبله أدياؤها بقصائد ترحيب - على
عادتهم - فقلت له انا من بينهم قصيدة؛ من اولها :

أسعد بمن ظفرت يدها بده
ان قام كل فى الندى لفخره
بالروض يونق من تدفق نهـره
مدا وهل أحد راي من جزره
وكنوز الخ جميعها فى شعره
والشعر افضل مقتنى من بحره
وشذا القريض تارج من زهره
بجرا حقائبه برائع سحره
أدى بما أسداه غاية شكره
من كان فدا فى العلا من غيره

ما الخ غير شعوره فى شعره
بالعلم والادب البليغ فخاره
أم يحفظ بالارض الخصيبة لا ولا
لكن له أدب تدفق نهـره
كل البلاد لها كنوز فى الفنى
ما الخ الا البحر يزيد علمه ،
بل روض مجد خضلت جنباته؛
فيه يرحب بالنزير فينتى ؛
فاذا افاض الشعر الفنى فقد
وبمدح الخ وتركه يدري الورى؛

اصبحنا يوما فى الخ فى فصل الشتاء سنة 1356 هـ. فاذا بسيد الخ
بجباله يميس فى حلة بيضاء من الثلج الجراق؛ فحفر ذلك الشاب السيد
الحسن بن على الصالحى، وهو ناشئ اذ ذاك فى اول عهده بقرض النظم
فكتب الى :

نالت به الفراء كل بهاء
ألم الغرام وصرحت بعشاء
ه وصاله فتباشرت بهناء
بعقوده وتبرجت للقاء
وتوجت بزهورها كسماء

اهلا بوفد الخصب وفد سماء
حنت اليه وكابدت بفراقه
وتولدت حتى أتاح لها الا لا
نثر السحاب زمردا فتزيت
فترى البسيطة كالعروس تبرجت

جهدا قد اختلفوا بكل ثناء ،
نهج الفجر عباده ولئنا ،
عند الإله لها سنى بالماء

وترى العليقة بعد ما قد كابدوا
هذا بفضل الله ليس بطيسر
لولا النبي المصطفى ورجاله !

بهذه القطعة الحسنية تحركت فريحتي . فقلت هذه القصيدة التي
صورت فيها جولتي في صباح ذلك اليوم :

تلجأ يشع بلونه الوضاء
من لمعة في سائر الأرجاء
ميس العروس بحلة بيضاء
مصقولة برأفة السلاا
س متى يشعشها المدير بها
مخضلة من مسة الأنداء
مرآة من تعادها بجلاء
بشعاعها الوهاج في الانحاء
حتى ليعشى أعين البصراء
شرك العيون وفتنة لأرائي
كي تحتظي في لمعة بمراء
ترقاد في البيضاء لا الفراء
لماعة الانجاد والبطحاء
والقلب مجلو من الاسواء
أسرارها بالطلعة الفراء
يفتر صاحبه بصحو شتاء
ساحاتها بالكؤلؤ الوضياء
منها المفارق باخضرار سماء
غطيته بكرامة خضراء (1)
في تينك الخضراء والبيضاء
مما أرى من روعة وبهاء
أيدى السقاة بخمرة عذراء
سقى المرء تحت الشملة الصماء
سقى بعد في الجدران تحت كساء؟
بسائط مبيضة زهراء ؟

ما ذا رأى من لم يكن بالرأى
لا سيما ان عم حتى لا ترى
والارض من أثوابه مياسة ؛
فكانها وجه البسيطة فضة
وكانما كل الثرى حيب الكؤو
او روضة أزهارها مبيضة
والجو صاف والسماء كأنها ؛
والشمس قد اقلت لدى اشراقها ،
فجلا بياض الثلج في برقانه
انى التفت رايت أبيض ناصعا
نهوى به لو كنت اجمع أعينا
لله وقت ضحى خرجت لزهة
والارض تبرز في قشيب ثيابها ؛
واليوم طاق والحياة مسرة
والنفس تانس بالطبيعة اذ بدت
فوضعت فوقى معطفى والعقل لا
فهممت اخطو والبسيطة نضدت
في جانبها شامخات توجت
ذكائسى في صحن بلور وقد ؛
فاجيل ابصارى اجالة حائر
متقللا بلواحظى مترنجا
واللب ماخوذ كان طافت به
فأقول يا عجباً ألى ذا اليوم يب
من ذا يرى النعماء هلى ثم يب
من ذا الذى لا يستفز شعوره

(1) كرامة المائدة : عطاؤها . وبذلك أسر بعضهم (حبا وكرامة) اى
اباء وعطاءه .

أين الفرائح أين ما يعشاء إن يهر عجب أين الشراء ؟

فكاه الفؤاد بهذه النعماء
من منظر، ما سامع كالرائي
كيلا تزل الرجل في الارساء
فوقى اخضرار طافح بصفاء
يوما هنا بملامح السراء
بسهولها وجبالها الشماء
كالشعر حين تبسم الحسناء
ما يستثير خواطر الادباء
ريا كان قد عدت للحمراء (1)

للحيث زما اجول وانسى
تمتها بمنظر ما مثلها
وانا اميس ومحجنى فى راحتى
حول بياض ناصع يقق ومن
ما كنت احسب اننى متهلل ؛
حتى رايت اليوم الفا كلها
قد جللت بالثلج يلمع صافيا
فاهتز عطفى نشوة واثارنسى
فاحس من طيب الحياة وعيشها

العادة فى الخ ان شهر مارس هو مقياس الفلاحة؛ فان امطر جاء
الخصب والا فمكسه؛ فتاخر المطر فى سنة الى هذا الشهر فصاب؛ فليل
فى ذلك :

ا ما اتقى الصبر الجميل
من بعد هجران طويل
تولى على زرع الحقول
م باصفرار وذبول
مض البطاح والتلول
شم الفروع والاصول
اهل الفلاحة الدهول
مسترسل القيث الهطول
ب يتموج السيول
وها من الزهر البليل
مطارف وفى حجول
صرت قشيا مستطيل
ماست تجرر الديول
تحت نسيها العليل
روى بفضله القليل
حيا رواه الجميل

القيث فى مارس بعد
كالوصل جاء بقتة
بينا ترى الجفاف يد
والورق الرقيق سيد
ولفحة السموم تر
وصرصر الاعصار يهـ
والياس يرسل على
اذا بمزن هامع
يعبى البلاد والقلو
فتسترد الارض زهـ
تلوح كالحسناء فى
فايتما التفت ابـ
فكل حقل عادة
تهر من يبصرها
فالحمد لله الذى
ورد للربيع بالـ

(1) لا ينسب القارىء ان القصيدة قيلت بعد النفى من الحمراء الى الخ *

مع الخ في غير الربيع
 لهم روحهم ووجوه
 جرداء لا روض ولا
 لكنها فصل الربيع
 بسائط مخضرة
 فاينما انتهيت من
 لا سيما عند الضحى
 حيث يا الخ به
 فان يزل عنك الربيع

مع الخ في غير الربيع
 لهم روحهم ووجوه
 جرداء لا روض ولا
 لكنها فصل الربيع
 بسائط مخضرة
 فاينما انتهيت من
 لا سيما عند الضحى
 حيث يا الخ به
 فان يزل عنك الربيع

ومما صدر عنى اذ ذاك وانا في هذا البسيط اتلون بين فرح وحرنا
 فاقول كيفما تيسر : فمن ذلك :

لجوه في طيبه من قسيم
 تقابل الطرف بوجه قسيم
 اسمتها بين بسيط وسيم
 ذا علة هناك الا النسيم
 فيه يخيب حاطب او سيم
 والذكر ما زارته ذات رسيم
 فجاور العالم فيه الدسيم (١)
 لفالج القرح بمجد حسيم

يا طيب الخ في الربيع فما
 ارجاؤه الفيحاء مخضرة
 فكلما اسمته نظيرة
 بهوج بالصحة لست ترى
 بغور فيه رائد العلم ان
 لولا يتابع العلوم به
 مدرسة جوار زاوية
 وان صقعا مجده علمه
 ومن ذلك :

وما يشم اذا حيث يراها
 قاربت ان تجتلي منها حياها
 الخ السماء التي تدرى ثراها
 آفاقها الفر حياها وبياها
 في الخ فهو على الاماد حياها
 احيا العلوم على ارض قد احياها

له الخ ومرأها ومحياها
 وما تحس به بين الشفاف وقد
 حتى اذا انكشفت بطحاؤها فاذا
 سماء افق المعالي من يطل على
 خصب القرائح لا خصب المزارع ما
 ففكر الخ حياة للعلوم ومن

ومما قيل في وصف الخ وهو وصف حقيقي :

عند القياس متناقضات
 كفارسين يتصاوان

اوصاف الخ متناقضات
 فمعد لقد يتقاسمان

(١) الدسيم : الهاجر

فناؤها بجديبه المفسر
 نهر ربيحها بسيف يكلج
 فلا تمت ارضها لاهلها
 فكل من يزورها مرات
 لا يد ان يصفها فيشهد
 ان شرفت ارض بنينا فينو
 ومن اتى الخ فما اتاهما
 فانه من علمها سيعجب
 فانها من جهة لمخصبه
 مجدبة كما ترى حقولها
 فكم علوم من بنينا فائضة
 وكم بعوث عندهم مفجرة
 روض الفهوم عندهم مزدهر
 خزائن العلوم دافقات
 قلوبهم في العلم بين العين
 منهم في الادب الاندلسي
 فكم قصائد لهم عصماء
 وطيبهم من عرف (نفع الطيب)
 فهذه الخ وذى اوصافها
 سبحان من يجعل في الاضداد
 ومن ذلك :

ما بين لعلها المفسر
 صليبه وقت الشتاء يفتح
 الا كمت حزنها لسهلها
 بين فصول متفاوتات
 حينما يدمها وحينما يحمده
 الخ همو من شرفوا وزينوا
 وانما اتى بنى رباها
 لكنه من فقرها سيكاب
 كما ترى من غير تلك مجدبة
 لكنها مخصبه عقولها
 وكم بثار في رباها غائضة
 وكم هضاب عندهم محجرة
 وما هناك قط روض يزهر
 ولا مياه متدفقات
 والشيح والخلفاء للعيون
 لافى الرياحين ولافى النرجس
 بين سائط لهم جرداء
 في وسط ذاك الجزر الجديب (١)
 وارحمنا لمن همو الالفها
 لحكمة منفعة العباد

لكتاب وسط داره
 واصطلاء حول ناره
 من التفافات ازاره
 دفتر قطب مداره
 فوقه أو في جواره
 ك جميعا بجداره
 بأنواع المكاره

نعمة الالفى فتح
 بين رشف الكؤوس
 يتملى قابعا بيا
 بنعيم كان فيه
 والاعاصير تدوى
 فيكاد البيت ينسد
 جنة الخ وان حفت

ومن ذلك :

لا روض فيه لا ولا عين
 تبصر فيه موقعا عين

الخ بسيف بلقع مقفر
 تجول فيه ما تجول فلا

(١) الجرج يضممتين : من الارض : الخى لا تثبت *

يظنه وإن له كسني
 كأنها يظنه حين
 حوليك دار الصوف والظن
 اعظم مما يعجمه السنن
 تكاد لا يندى بها المزن
 ندامة وحسرة سنن
 تصح إلى أخباره أين
 إلى تجاه أرضه يرسو
 يعلو بهم بين الوردى شأن
 بهم لها الزين أو الشين

شتاره سم ذئاب لمن
 يعصف فيه صرصر صافر
 تسلق الأطراف منه وإن
 وتجمد الصهباء من كرهه
 حتى مياه المزن في أفقه
 كم فرعت من ثم قاصده
 لولا علوم من بنى الخ لم
 ولا رأيت قط من مبصر
 لكن فطرا زانه اهله
 هل البلاد غير سكانها ؟

ومن ذلك ما قيل ارتجالا لسبب اقتضى ذلك :

تصاغ كما تبغى وفوق الذي تبغى
 من الخ بليغ بالقصائد لا تصغى
 شهود على هذا ؛ بمنزلة الرفغ
 جوانبه الا طلائع من صددغ

اذا احتفلت ااداب من كان في الخ
 فاية ارض حول الخ متى شدا
 فالخ لكف الشعر والناس كلهم
 لئن كان قفرا فهو كالخذ ليس في

ومن ذلك :

لا الخ مال ولا الخ الامارات
 يقر عينا بايات وآيات
 مجد القصور ولا مجد الرياضات
 والفهم حليتهم بين النديسات
 هبت عليك بااداب ذكيات

الخ المعارف والاداب بلدتهم
 من رام علما وآدابا وحل بهم
 ومن يرد عرض الدنيا فليس لهم
 فالعلم حرفتهم والبحث شيمتهم
 ان تسألن الصبا عن زهر أرضهم

ومن ذلك :

صحة الجسم وجورائيق
 ف وماء مستلذ فائق
 خضرة الروض وماء دائق
 ضفة النهر حفيف شائق
 بعد يهفو لهواه عاشق

الخ فردوس لمن منيته
 ونسيم مستطاب في المصيب
 أي مصطفى عجب لوبه
 انما المصطاف اشجار لها
 فاذا اعوز هذان فما

كنت مرت في سفرتي الى (تامانارت) بوادي (ترت) فصدت مني
 قصيدة في وصله ؛ - مطلقها

وضيق واد بتسرت طويل
 كما امتد للماء خرطوم فيل

ثم قطعها الأديب الألفى سيدى الطاهر بن عسل بن عبد الله باخرى
مظلمها :

لك الفضل ترت علي ما به يخاطبك اللوذعي الجليل (١)

ثم مضت أيام بعد رجوعي من السفر وشيوع القافيتين ؛ فإذا بهذه
القصيدة الجديدة؛ وقد قالها الأديب الألفى سيدى الحسن بن علي بن عبد
الله ؛ حكاية على لسان الخ تحتج على ذكر ترت ونسيانها؛ هي؛ والقصيدة:

كجدول ماء بخد اسيل
تعلى بعز ومجد السيل
وكنز المعاسن لا لامثيل
شفاء لكل فؤاد عليل
تجل (ترت) بذكر جميل
حظيت لديكم ولو بقليل
ب وينسيك أهلا وكل خليل
ط اذا ما مررنا به في هليل
وانتم سليل ونعم السليل
ثناء لغيري وحقى جزيل
وما يحتوى من سرى نبييل
روخير فرى يتلقى التزيل
ين وما مهلوا من سواء السبيل
تسر مبردهم والخليل
م هنا ما لهم من مشيل
سوى مستحق اعتراف الجميل
مكانة الخ المقيم الجليل
ق الخ اهتبالا بكل دليل
عزيز وما (ترت) غير الدليل
ل اذا كان في الشعر قال وقيل
فتسلف هذا الكتيب المهيل
ت لتشكر عن الخ في كل جيل
كطيف خليل سرى لخليل
منك ومن صنوك المستطيل

اتنى الخ بدمع يسيل
تنادى الأديب الأريب الذى
جمال الوجود ومفخره
رئيس المعارف مختارنا
تقول اليس من الحيف ان
اينشر ذكر ترت وما
وما ترت الا مهر يشي
يدكر ضيقا مهر الصرا
علي انى للعللا محتد
ولكن هجرت فاحفظنى (٢)
اينسى بسيطى وما فوقه
وما وسطه من ربا للزهو
وما بين ذلك للزائر
اتنى علوم من النحو كم
اينسى نحدير فى كل علم
اشادوا المعالى وما فيهم
الا فانظرون يا ابن الخ السى
فى كل ناحية يستعد
وما الخ بين البلاد سوى
اينسى العزيز ويبقى اللدلي
الا غيرة منك الغيبة
لعلك ترأب ما قد صدع
فالخ سرت تعت ذيل الدجا
تراود انصافها بالقريض

(١) والقصيدتان فى (الرحلة الثالثة) من كتاب (خلال جزولة)

(٢) احفظه : الضبي

فإن القوائس لتتصنف مما تسارع اليه وذلك الزميل

فتكلفت الجواب تكلفا لا يرضى الادب مطلقا لا الالهي ولا الادب العام

قلت :

فما لك بين القرى من مثيل
اليك بها كم وفود تسييل
يزورك الا نسيم الاصيل
بيان المروق بالسلسيل
لدى وان لم يكن من دليل ؟
لروعه كل طود يميل
فهوم كما حال سيف صقيل
عزائم ما لهم من عديل
ش فيصدر كل ببرد الغليل
يزور مقامك وهو عليل
ك تشم كزهر بروض بليل
الا اعجب لدى صحة بالعليل
ف حوليك كل قبيل قبيل
راى من عليم فصيح نيل
يردها مثلا كسل جيل
ترى كعدار بخد اسيل
يكذب اذك قطر جليل
ك ومنك لاجلك كل سليل
تجاوره فهو ايضا جميل
ت واشباهها ولتعم المنيل
ت وكل قريض فلي الخ قيل
ابيت بالغ وفيها القيل
خ مفاخر ما ان لها من مثيل
خ ؟ فيالك قلنا كبرق يخيل
عن مرسم لم يكن بالبخيل
ن لالغ المعارف خير سليل
الهي خير لسل وغير زميل

حنانيك الخ المكان الجميل
اما كنت في بهجة فذة
اما كنت روضا اريضا فما
قرائع منك يفجرها الـ
اينكر شانك بين القرى
اما فيك شعر بليغ ترى
اما فيك علم تفتنه الـ
اما فيك صوفية لهم
اما فيك رى لكل العطا
تراك شفاء لكل فتى
صباك تفوح بخلق بنيـ
يا طالما صح من شمها
شرفت شرفت الى ان تشر
فله ذاك البسيط فكـم
اذا قال قافية فسلة
او ان حبرت كفه مهرقا
كذلك يا الخ انت ومن
فلا عجب ان يطيب اليـ
فيدرك (ترت) نصيب ومن
فانت تيل الجمال لتر
فكل مديح لهدي الجها
ايطرق لي بالحصا وانا
وفي كل وقت انت عن الـ
امنى عقوق يظن لالـ
وكيف واني اوال التنا
سينكشف الدهر عن يكو
اذن يعرف الناس مني ومن

وللختم هذه القوافل الالفية باخرى كانت صدرت مني يوما قبل ان آلف
الالفيين واما زجهم اثر ما نزلت بهم في منفاى عام : ١٣٥٦ هـ

(يقولون واقول)

فقلت نعم لكننى كيف أصبر ؟
فقلت لقد حاولته ثم الفهر
أباغت حيناً بالدموع تفجير
تباعدت لكنى على الرغم احضر
فقلت لعيش بينهم ليس يكفر
الى أن يعودوا ؟ قلت لا لست أقدر
على كل حال اننى لست اغدر
يفى فى النوى الا فتى متخير
ولكننى من ودهم لا احذر
ومن هو أذكى مخبرا حين يخبر
وليس كراء من بذلك يخبر
ومن مورد منهم حميد ومصدر
سيورد من شتى البحار ويصدر
لبحث عويص دونه الفكر يعثر
كجذوة نار فى يفاع تسعر
فقلت انا مختارهم ما اخير
فقلت بلى لكن لمن ليس يشعر
فقلت متى فى البدو فضل مشهر ؟
فقلت واداب بها كان يذكر
تظنون اننى للولادة منكر ؟
فقلت لانى بعدكم متحضر
فقلت وخلق من كلينا مغير
فقلت وخلف بيننا اذ نفكر
يعتفى ان صحت بالشكو معشر
مداركهم لم تدر كيف التفكير
حياة بتنقيص الجمود تمرر ؟
فاودعها شعرا بليفا فتدخر
جزوع عظامى بالاسى تتكسر
بان صفاة الحر لا تتألر

يقولون صبوا انه بك اجدر
وقالوا تكلف ما استطعت فربما
وقالوا تجلد فى الندى فقلت قد
وقالوا تباعد ما استطعت فقلت قد
وقالوا اتبكى كل من قد تركتهم ؟
وقالوا الم تقدر تناسى ذكرهم
وقالوا اهم ايضا وفوا ؟ قلت اننى
وقالوا قد استعبدت بالشوق قلت هل
وقالوا الست الحر ؟ قلت لهم بلى
وقالوا من أعلى الناس عندك سؤددا
فقلت بنو الحمراء شيخا وبافعا
وقالوا ومن اولى الورى بجوارهم
فقلت بنو الحمراء من كان جارهم
وقالوا ومن اذكى الانام اذا سما
فقلت بنو الحمراء اصحاب فكرة
وقالوا سبى المراكشيون عقله
وقالوا اما فى الغ والاهل غنية
وقالوا اذن انكرت فضلا مشهرا
وقالوا اما فى الغ علم وحكمة ؟
فقالوا الم تولد بالغ ؟ فقلت هل
وقالوا لماذا اليوم تعرض جامعا ؟
وقالوا اهلا كل ما كان وحده ؟
وقالوا سيكفيك التخلق امره
وقالوا وما التفكير ؟ فقلت ابعده
فانى يكون الحر بين معاشر
امن بعد هذا تستطاب بالفكر
ومن عجب انى اجيش بفكرة
فيحسب من فى الغ انى خائر
فيطلب بعضى منى يسلى وما دورى

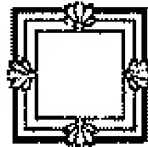
وما هي الا ولبة من خيالها
فتودع في الاشعار خبر ذهيبة
فكم شاعر فهل تخيل تكية
فكيف انا يا قوم افلتها وقد
اكل مصاب فاض بالشكو حازع
فما كل ذي رزء اذا ان خائـر
ينظر من اي البراكين ان طغى
وفورة جاش تستهل فتزفر
لكل اديب لا فتح الفكر يشعر
لكيما يجيد القول فيها فيهر
عركت بها عركا يقض ويسهر
خصوصا اذا يشكو خليا ويستر ؟
ولا كل ذي شعر شكاً متأثر
من احشائه الاتون الا التفجر ؟

هذه القوافي هي التي وقفت عليها مما قيل في الغ التي كنت قلت
فيها من قديم متشوقا :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلية
وهل اردن يوما مياها بعنصر ؟
بالغ وحول الشيخ يطهى به سكسو؟
وهل يبدون بردي لطفى وامقسو؟

والشيخ هو الوقود الوحيد في الغ وبه طبخهم : وسكسو هكذا ينطقون
به لا (كسكسو) والعنصر بفتححتين بير غلبة الماء امام دارنا : وبردي
بفتح الباء وسكون الراء وفتح الدال : من بسيط الغ الشمالي : وامقسو :
بفتح الميم وسكون القاف : جبل عال في الشمال الشرقي من الغ :
والبيتان عورض بهما البيتان المشهوران اللذان عورضا كثيرا من الادباء
قديما وحديثا

الا ليت شعري هل ابيتن ليلية
وهل اردن يوما مياها مجنة ؟
بواد وحول الأخر وجيل ؟
وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟



تقسيم الكتاب

١ - القسم الاول : في المرابطين ابناء الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد الذين يقطنون في الخ وفي اكادير ايزرى وامثالها من كل مكان فيه مساكنهم بتلك الناحية . وفيه فصلان :

الفصل الاول : في المرابطين ابناء الشيخ الدين درجوا قبل عام ١٣٧٥ هـ
الفصل الثانى : في المرابطين ابناء الشيخ الدين لا يزالون احياء بعد عام ١٣٧٥ هـ

٢ - القسم الثانى فى الالفين غير المرابطين من المانوزيين والايغشانيين والوقفاويين والاعوديديين ؛ وقد نذكر من هؤلاء من لا يسكنون فى الخ ؛ بل فى قبائلهم الداخلية ؛ وفيه خمسة فصول
الفصل الاول : فى الاعوديديين

الفصل الثانى : فى النازلين بالسكنى فى قرية (دوكادير) وليسوا اصالة من الالفين .

الفصل الثالث فى الوقفاويين

الفصل الرابع : فى الايغشانيين

الفصل الخامس : فى المانوزيين

٣ - القسم الثالث : فى اساتذة الالفين فى القرآن والعلوم والتصوف .
وفيه فصلان :

الفصل الاول : فى مشايخهم فى التصوف

الفصل الثانى : فى اساتذة الالفين فى العلوم وبينهم بعض كبار من اساتذتهم فى القرآن

٤ - القسم الرابع : فى تلامذة الالفين علوما وتصوفا ؛ وفيه فصلان :

الفصل الاول : فى تلامذة مدرستهم الالفية خاصة .

الفصل الثانى : فى مشاهير الاخذين من زاويتهم من العلماء واللامعين من غير العلماء

٥ - القسم الخامس : فى اصداقائهم السوسيين الذين يترددون اليهم .
او كانوا هم الذين يترددون عليهم حتى تكونت بينهم حمة كالاستاذية والتلميذية . والمقصود بسوس جنوب مراكش

هذه هي القسام الكتاب • وارجو من الله ان يوفيني ويسهل لى حتى يتم كما قدرته وخزنته فى نفسى • فانه ان تم على ذلك النمط سيؤدى مهمة تحيى غالب الاسر السوسية او بعضها على الاقل ؛ كما ستشعر من تراجم المتأخرين صحفا ان نشرت كما تريد فستفتح لسوس تاريخا واسعا يمكن لمن بعدنا ان يستتم عليه • وانا منذ الان اقر بعجزى وبقصر باعى • وبكونى بلا ريب اقع فى اغلاط • ولكن حين بذلت جهدى وافرغت ما فى وسعى فلا عتب على والكمال انما هو لله وحده



الفصل الاول

من القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء :

- عبد الله بن سعيد الجد الاعلى للمرابطين السعديين
احمد بن عبد الله بن سعيد ولده
محمد بن عبد الله بن سعيد ولد له آخر
علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاخضيري
ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد التاكانزي
بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد التيبوتي
احمد بن بلقاسم ولده
سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في اهله السليمانيين
ابراهيم بن سليمان ولده
احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في الصالحين
صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن بلقاسم التيبوتي الفقيه الاول في القاسميين
الحاج علي التيبوتي الفقيه
الحاج عبلا بن صالح ابو الاعلام
العلامة سيدي محمد بن عبد الله ولده مؤسس المدرسة الالفية منبع مجد الخ
الشيخ سيدي الحاج علي بن احمد الدرقاوي مؤسس الزاوية المنبع الثاني لمجد الخ

العلامة سيدي علي بن عبد الله
الفيه سيدي الحسن التيايشي
الفيه سيدي صالح بن احمد الاوقيري
الحاج بلقاسم بن عبد الله
سيدي عبلا باولا
الثجيب سيدي احمد بن محمد بن عبد الله الصالحي
الفيه سيدي البشير بن الطيب
الفيه سيدي موسى بن الطيب
الثجيب الحسين بن احمد بن الحاج صالح
السيدة تاكدا ام الشيخ الالفي
سيدي ابراهيم بن احمد الطالبي
سيدي احمد ابو الفدام
الفيه الاديب سيدي علي بن صالح الاوقيري
الثجيب سيدي الحسين بن ابراهيم الصالحي
الثجيب سيدي عبد الله بن احمد الصالحي
سيدي صالح بن احمد الصالحي
سيدي احمد بن محمد التاهالي
سيدي احمد بن الشيخ الالفي
سيدي عبد الرحمن بن محمد الصالحي
الثجيب سيدي محمد بن عبد الله بن محمد الصالحي
الثجيب المعتبط عبد الحى بن عبد الله الصالحي
العلامة سيدي المدنى بن علي بن عبد الله الصالحي

سيدي عبد الله بن سعيد التهالي

نحو : ٩٥٥ هـ - بعد ١٠٥١ هـ

نسبه :

عبد الله بن سعيد بن حسين بن بيورك؛ اوحسين بن مسعود علي ما في بعض الرسوم اوحسين بن بيورك بن مسعود ان جمعنا بين ذلك وقدرنا ان بيورك انما سقط في بعض الرسوم .
هذا هو الجد الاعلى الذي تنتسب اليه قبيلتنا السعيدية؛ وهو علي شهرته غامض من نواح عديدة؛ حتى ان اصله ومسقط رأسه غير معروف الا رجم ظن : واقاويل تتداولها الالسنه ؛ والمعروف أيضا من سلسلة نسبه لم يتجاوز اولئك الثلاثة او الاربعة؛ والكلام حوله للباحث فلما يجد ما يستضيء به في طريق بحثه الوعرة المدلهمة؛ وما نحن اولا سنبذل جهدنا في ذلك؛ علي حسب ما يترأى لنا من كلام المؤرخين ومن رسوم وظهائر توصلنا بها؛ ونستعين مع ذلك بسوق ما يقوله اولاده او يشيع عنهم هنا وهناك .

ما شاع عنه في الالسنه

شاع عند اولاده شيوعا متواترا ان اصله من (تامدولت اوقا) وان ولادته هناك ؛ ثم انتقل بعد الى اكادير نتبسيست بين ساموكن وتامانارت؛ ثم من هناك اتصل بشيخه الرجل الصالح سيدي يحيى بن عبد الله التملى (وشيخه هذا في التاريخ معروف موصوف بأنه شيخ يربى المريدين؛ ويرشده السالكين؛ ويصفى القلوب لتتصل بالمالا الاعلى؛ وهو من اهل القرن العاشر؛ وقد توفي نحو عام : ٩٩٩ هـ) فلأزم خدمته علي سلب الارادة؛ فيحسكي انه وكله علي غرس بستان من الرمان؛ فقام عليه منذ الغرس حتى اثمر؛ وبعد ذلك امره ان ياتيه برمان لاضيف عنده؛ فانا به؛ فاذا به مزر؛ فقال له ما هذا؟ او ما تعرف اننا اردناه للاكل؛ فقال له : اننى لا اعرف مذاقه؛ فقال له الشيخ : او لا تعرف الحلو من غيره في البستان وانت القيم عليه من اول يوم؟ فقال : انك يا سيدي لم تأذن لى في الاكل منه؛ فكان ذلك اول ما لاحظته الشيخ ملاحظة خاصة (١)؛ ثم في يوم آخر وقد تكاثر اضياف اخرون

(١) مثل هذه الحكاية تؤثر قبل ذلك العصر بين الشيخ التباع وبين تلميذه الغزواني .

هذه الشيخة اصره ان يوفقه الفران للخبر فصار يتردد الى الشيخ بعد ما
 همس وطيسه بعلمه بانقاذ الفران حتى اضجره فقال له بغضب ان البلد
 فادخله فبعد لاي قال الشيخ لاصحابه قوموا بنا الى ذلك الابله فانه
 لا يبعد ان يلج الوطيس كما سمعه مني من الكلمة الفارطة فوجدوه داخل
 النور جالسا والظلي في الاستعمال غير انه لم ينله ادنى ضرر الا ما كان
 من رؤوس الظفير رجليه فقد نالها بعض احتراق فامره بالخروج ثم ودعه
 فامره ان يسكن في وادي (ايور) حيث قضى عمره كله

ويقال ايضا : انه لما سكن هناك دبت عقارب الحسد في اهل
 البلد فراح عنده الشيخ يوما فاشتكى عليه فامره باغماض بصره ثم
 بفتحها فاذا به يرى الوادي كله يسيل خيلا ورجلا فقال له : هذه جنودك
 تسطك على كل من تهدي عليك فصار اهل البلد كلما امتدت من احد يده
 اليه يصاب بسوء فانكفوا عنه بذلك *

التطفيات التي اسسها في القفار

ثم يقولون : ان من حكاياته ان له نطفية في (دراووغ) فمر به هناك
 بعض الملوك بجيش كثير فاضر بهم العطش في ذلك المحل - وهو
 عطشة الى الان - فقال الملك لمن حضر : من يقدر ان يسقيني الماء
 وجيشي فلم ينتدب احد فكرر ذلك فمثل بين يديه عبد الله بن سبيد
 وهو مشتمل برداء فقال له : انا اسقى الجميع فقال له : او تقدر
 على ذلك يا صاحب الشملة فقال له ستري فقال بالجيش الى نطفية
 له كان قبل بناها هناك فصار الجند يمر بها فيصدر ربا وهو يتناول لكل
 من شرب خبزة يتناولها من تحت ابطه حتى روى الجيش *

ثم يذكرون ان عادة الشيخ ان يدور مع تلاميذه في القفار فيؤسس
 النطفيات حتى انه اوصى اولاده فيما اوصاهم به ان يقوموا على نطفياته
 فقام بنوه على ذلك الى الآن ووال اكادير ايزرى هم القائمون بهذه المهمة
 لا يفرحون فيها ويعدون تلك النطفيات اثنتي عشرة وكانت تسمى بنسات
 الشيخ عند المتحدثين وهي :

١ - (انبد نتوميلين) في الطريق المائة بين (اكرض وايشت) بوادي
 (تامانارت)

٢ - في (بو الجير بين تاكجكالت نيتايكني) وبين (اوسا)

٣ - في الطريق بين (اداي) و (الفران) في قفر هناك

٤ - في ايغف ايجير وينتكونا بين (تيمولاي) و (بوزاكارن)

٥ - فوق المراكب في (الارزواالت) وسمعت من بعضهم ان هناك اثنين
اخريين

٦ - في ايت (بومريم) في مسجد بناء هناك

٧ - المذكورة في (دراووغ) التي اصدرت ذلك الجحفل اللجب ريا حتى
ضرب بعطن فيما يقال :

٨ - في (سمون ايسان) في القفر الذي يوجد في جنوبي الخ

٩ - في (تينوضفيوين ييزين) في طريق تامانارت من الخ

١٠ - في (فم ايفاغ) في شرق (اكجكال) بالغ

١١ - في اودرى بتهالة

١٢ - في (اكرض ايمالان) ب (ايسى)

هذه هي النطفيات التي تواتر عند المرابطين ان جدهم هو الذي
اسسها ثم اوصاهم بتعهد ترميمها؛ ولا يزالون على ذلك الى الان
ويقولون ايضا انه هو الذي بنى مسجد ايت بومريم ولا يزال قائما
يضاف الى الشيخ *

تلك هي الترجمة التي يلقيها اليك جميع مرابطينا؛ وهي في الحقيقة
لا تتجاوز في بعض ما فيها ماتعج به بعض الكتب التي يهرف بعض اصحابها
بما لا يعرف اذ كان يقول ما لا يدري؛ ونحن لا نستبعد ان يقع كل ذلك
لانا نعتقد ان قدرة الله لا يتعاضها شيء؛ وان الامانة التي تدل عليها
الحكاية الاولى؛ وخرق العادة في عدم الاحتراق في الحكاية الثانية؛ واصداره
جميع الجيش طعاما وشرابا بتناوله من جنبه كل ذلك ممكن؛ ولكن الاصل
بقاء سنة الكون على ما هي عليه؛ ونحن كما امرنا بالانصياع لشريعة
الكتاب المنزل امرنا ايضا بالانصياع لسنن الكون؛ وهذا هو اصل ديننا؛
ولا تنتقل عن هذا الاصل الا بوقوع غيره وقوعا محققا او مظنونا بما
ثبت به المعلومات؛ واین السنن الذي يثبت به هذا؟ على ان امثال هذا
الشيخ رضى الله عنه يمكن ان يقع منه مثل ذلك او اكثر؛ وقدرة الله لا
يتعاضها شيء؛ ومثل ذلك متواتر عن امثاله قديما وحديثا؛ لا يتوقف في
امكان وقوعه الاغبي جاهل؛ او من يكفر بقدرة الله تعالى؛ لكن المحدثين
يوثمون من اطاع امره في مثل دخول القرن؛ لتحديث لاطاعة لمخلوق في
معصية الخالق؛ الوارد في مثل هذه القضية نفسها حين امر حديفة من معه
في سرية ان يتساقطوا في نار امرهم بايقادها. هذا رأى المحدثين بل
رأى النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه القضايا؛ ثم لا نظن بمسلم
عقل ان يتخطى ذلك الا اذا غلب على حاله؛ وذلك ما يؤول به ما يقع
لبعض الصوفية في هذا المقام. وبهذا تعلم ان لكل من المحدثين والصوفية
وجهة هو موليا استباقا للخيرات؛ وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا في كل
قضية على حدة *

وثائق واقوال المؤرخين

قرأت نصي ترجمة الجعد التي يتداولها احفاده؛ وتعال معي لتسلك طريقا اخرى بين الوثائق التي بايدينا وبين العبارات التي وجدناها لبعض المؤرخين. فلعلنا نجد في اثناء ذلك ما يثلج الصدر؛ او ينفع الغلة على الاقل. لعلنا نفع فيما بينها على ترجمة الرجل الحقيقية التي يمكن لمن يعرف كيف يورخ الرجال باعمالهم ويوزنون بقدر افعالهم التي يمكن الاطمئنان اليها؛ لادراك كنه هذا الشيخ منها؛ فانا لو وجدون هنا بصيصا من النور يعرف به من هو الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد؛ ان لم نجد النور الوهاج الذي يلقى الشعاع التام على حياته

١ - نسخة من رسم (بعد ما يندب تقديمه لافتراق المنافع به؛ والام بيد سيدي محمد بن ابراهيم الغرموزي الكرسيقي؛ قال فيه بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه المختار: « تزوج على بركة الله سنة نبيه عليه السلام المرابط السيد عبد الله الايموري زوجه المباركة زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزي بصداق معلوم غير مجهول سماه لها عنه وكيله علي (بن حسين بن يبورك) بعد ثبوت وكالته اياه بعد دفعه صداقها وهو خمس وسبعون دينارا فضة - كذا - قبضه وكيلها (قبض معاينة) وهو حدها عمنا الطالب محمد بن ابراهيم الغرموزي بوكالتها (بالنطق) اذ هي ثيبة (لها طلقة) بائنة من الازواج واعتدت عدتها؛ وعلى امساك بمسروف او تسريح باحسان؛ وبه شهد وشهد من ساقته القدرة للحضور محمد بن الحسن بن عبد الله بجمادى الاولى سنة واحد وثمانين وتسعمائة؛ ابراهيم ابن ايوب في هذا التاريخ .

الحمد لله تفكير؛ ما في وجهي الاساوير خمس وعشرون دينارا ونصف دينار ودرهم وثلث درهم؛ واربعة خيوط مفصلين بادز - كذا - واربعة حروز. الحمد لله؛ جملة الجهاز للمجهزة المذكورة؛ وصادقها بمقلوبه ٦٨ حح ٠٠٠ ابراهيم ٨ ٠٠٠ (١) ٧ دراهم وذلك (١) ٠٠٠ ر بلقاسم ابراهيم من دين زوجه فاطمة بنت عبد الله ٣٤ درهما انتهى ما ظهر وتبين لنا نسخته من اصله بلاولا وكتبه من شهد في المقابلة والمماثلة من غير زيادة ولا نقصان والله اعلم؛ باواخر ربيع الثاني عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن علي بن احمد بن ابي بكر الغساني وطقه الله تعالى)

هذا ما وجد مع بياضه الاصلى وقد ابقينا من البياض ما لم نهتد لهم الساقط منه؛ واما ما اهدينا اليه فقد وضعناه بين قوسين؛ واما قولنا

(١) بياض في الاصل

كلما بين عارضين فهو الراء كلمات لم تعرف الملتصود بها؛ او لم تتضح لنا غاية الوضوح . وقد رأيت في آخر الرسم ما يظهر منه انه بقية كلام سقط من المنسوخ منه اصالة؛ وهو تمة كلام فيه وصف الجهاز وقد تنبه لذلك من نقل عن الاصل فاعتذر بما رأته .

٢ - فحامله المرابط الخير السيد عبد الله بن سعيد التهالي الساكن بوادي ايمور ابقيناه على ما كتب له مولانا ابو فارس اعزه الله من اسقاط كافة التسخير المخزنية واكرياتها ويبقى على ما عهد له من الاحترام التام والوفار العام وعلى الواقف ان يعمل به ولا بد؛ وكتب بجمادى الاولى عام ٩٩٩ هـ خديم المقام (١) ٠٠٠) ثم في الطرة ما نصه المذكور بعرضه؛ لا تخرق عليه العادة؛ وكتب عبد الله مملوك مولانا نصره الله لطف الله به اه . كما نقل من اصله؛ وقد سقط اسم الموقع الاصل واما ما في الطرة فهو بخط آخر لهذا القائد الذي سمي عبد الله؛ ولا شك ان هذا من قواد السلطان احمد الذهبي؛ وما ذكره في وسط الكتابة وسماه ابا فارس؛ هو الذي اشتهر من بين اولاد الذهبي ومن المتولين بعده؛ وقد كان قائدا لايه على سوس في اواسط العقد العاشر من هذا القرن

٣ - الشيخ احمد بن ابراهيم سلام عليكم؛ وبعد فموجه ان الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد من وادي ايمور تجرون امره على ما كتب اليه القائد احمد بن منصور حفظه الله في احترامه من السخر والا (نصافات والضيافات) والسلام عام ١٠٠٧ كتب به عبد الله تعالى ٠٠٠٠ لطف الله اه كما وجد؛ وقد وقع فيه بتر في المحل الذي تركنا فيه البياض

٤ - ابقينا الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد على ما كتب به القائد احمد بن منصور في احترامه من جميع السخر والضيافات وسائر الانصافات والسلام وكتب به اوآخر رجب عام ١٠٠٧ هـ عبد الله تعالى وكتب احمد بن ابراهيم التهالي لطف الله به

وفي الطرة ما نصه : يبقى المرابط المذكور على احترامه من كافة الانصافات والضيافات يبقى على توقيره واحترامه على عادة امثاله المرابطين وقيد عبد الله اوائل شعبان المعظم عام ١٠٠٧ هـ انتهى كما هو؛ ويظهر ان القائد احمد بن منصور قائد عام على هذه النواحي واحمد بن ابراهيم التهالي رئيس آل تهالا؛ ولم نعرف الان القائد احمد بن منصور ولا احمد ابن ابراهيم التهالي؛ وما اضيع تاريخ بلادنا

(١) بياض في الاصل .

••• ••• وباطنا يفرج اليه من كان ملهوا فينبهه! ومكسورا فيجبره
 ومن نزع الشيطان بينه وبين اخوته يداويه! ويصلح بين الناس عامة! مع
 كمال اوصاف دينه! ومن سميت حاجته قدم في طلب لسانها فظيبت!
 ذو بركة في جميع احواله! وينبئه المريدون ويرشداهم من البلاد والطارها
 وجعل له ولاة الامور وقارا وجاها! فابعدوا ساحتهم من مطالبهم كما حردوه
 وعظموها حرمة من غير طلب ذلك منهم بل بمجرد علمهم انه اهل لذلك
 فواظب على حالته كذلك حتى فارق الدنيا بالوفاة! فترك اولاده متمسكين
 باوصافه سالكين سبيله! على جهد الاستطاعة! وهم ممن يستحقون التوقير
 وان يدخلوا في جملة المتعدين عن المطالبة بالوظائف المخزنية لبعدهم مما
 فيه المستحقون للمطالبة بذلك! فترغب من امير المؤمنين المنصور بالله امام
 وقته مولانا ابوالعباس احمد الشريف نصرالله تعالى وايدته! ان يلحقهم باسمائهم
 في التحرير والخروج بهم عن المطالبة على عادته في اهل الخير والصلاح!
 والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدتهم المصطفى صلى الله عليه
 وسلم وبه كتب اعلاما به اصغر عباد الله! باوائل رجب عام ١٠٩١ هـ احمد
 ابن علي بن ابراهيم التوييني لطف الله به

الحمد لله! الامر كما ذكر وان المذكورين تجردوا عن الناس وملاستهم
 واستقلوا بالله وبانفسهم! عازلين انفسهم عن سواهم! ولم ينسبوا انفسهم
 لقبيلة بل مستقلون لعبادة ربهم وما فيه صلاح دينهم ودنياهم! وتركوا ما لا
 ينفعهم! اعلمكم به ابراهيم بن ••• والحسن بن محمد بن علي بن داود
 السجلالي لطف الله به! ومحمد بن محمد بن عيسى لطف الله به •••

الحمد لله الامر على الوصف المذكور حسبما ذكر شهد به كاتبه محمد بن
 محمد بن سعيد السجلالي! وفقه الله بمنه

الحمد لله اعلم بشبوته وصحته احمد بن علي بن عبد الله السجلالي! لطف
 الله به! ومحمد بن علي بن عبد الله بن احمد بن الحاج عمرو السجلالي لطف
 الله به •••

المرابطون المذكورون اهل التوقير والاحترام كتبه ••• العمل على ما رسم
 اعلاه ••• فيه اعلم ••• بن محمد التمل به حيا وميتا! وله الاعتناء بمصالح
 المسلمين الى ان مات رحمه الله! وقام اولاده بعده باقتفاء السره ••• بسلك
 طريقته! موثرين طريق المسكنة! ومحبين لاهل الخير والصلاح فيما ظهر!
 والله يعلم ما تكفه الصدور! وكتب اعلاما العبيد الدليل! لربه الجليل ابوبكر
 بن عبد الله التاماناري! كان الله له وليا ونصيرا وسمح له بمنه وبمنه! ومحمد
 ابن عبد الله بن عمر التمل لطف الله به! وسعيد بن علي بن ابوبكر السجلالي

لطف الله به في الدينين آمين ! وعبد المومن بن محمد بن علي بن محمد الدياني
العصماوي وفقه الله بمنا؛ ومحمد بن احمد بن الحسن الجماري لطف الله
به ؛ ومحمد بن عبدالله بن عمر الساموكيني بمنكب ابي القاسم عفا الله عنه
عبيد الله تعالى محمد بن احمد بن عمر من (فم الحصن) تاب الله عليه؛ وعبد
الله تعالى الحسن بن عبد الله بن محمد من فم (الحصن) لطف الله به آمين؛
وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيفي وفقه الله بمنه وكرمه آمين

هذه وثيقة جليلة وقعها كما ترى ثمانية عشر عالما من علماء القرن الحادي
عشر ؛ وقد عرفنا بضعة منهم كعبد المومن الدياني عالم الخ في عصره؛ وابراهيم
ابن محمد بن ابراهيم الكرسيفي المذكور عنه انه كان من قادة الناس في عصره
وكمحمد بن محمد بن سعيد السملالي احد العلماء العباسيين المشهورين؛ ولا
تزال آثار قلمه محفوظة؛ وجلهم نجعل تاريخه ومركزه في قومه؛ وان كنا
نعرف حق المعرفة انه لا تعتبر الشهادة في هذا المقام؛ الا ممن كان لا يستأنف
حكمه؛ ويعلم منه انه ليس من المتحيزين في حكمه؛ فلذلك لا نشك انهم كلهم
علماء كبار في عصرهم ذلك . وكفى بشهادة ثمانية عشرة من الاكابر المرتضين
عند الناس علما وديانة .

ثم ان هذه الوثيقة قد وقع فيها بتر قليل في مفتحتها؛ وان كان ذلك لا
يضر لان المقصود منها أمكن أن يفلت من ذلك البتر ؛ وقد وجدنا هذه الوثيقة
بين وثائق التحريرات والظواهر؛ وقد حوفظ عليها بينها؛ وذلك ما يدلنا على أن
المقصود بها هو الشيخ صاحب الترجمة الذي سقط اسمه فيما سقط من أول الوثيقة
وقد كتبت الوثيقة كما ترى في سنة : ١٠٩١ هـ بعد وفاة صاحب الترجمة بكثير
ولكن كل هؤلاء أو غالبهم قد أدركوا عصره أو عرفوه معاينة ومصاحبة؛ وهذا
السلطان الذي رفعت اليه الوثيقة سمي في وسطها كما قرأته بامير المومنين
احمد؛ وفي ذلك اشكال لان سلطان ذلك العصر : اسماعيل . من سنة : ١٠٨٢
هـ الى سنة : ١١٣٩ هـ ولا ندري كيف وقع؟ فهل هذه الوثيقة رفعت الى احمد
ابن محرز صاحب الثورة المشهورة على اسماعيل؛ او الى من اسمه احمد من
اولاد اسماعيل؟ ويكون قائدا عاما على سوس تحت نظر والده؛ وتكون لفظة
(ابن) ساقطة من قلم الكاتب؛ ذلك كله ممكن؛ وان كان يستبعد باعتبارات أخرى
ويمكن ان الكاتب غلط في اسم السلطان فسماه احمد؛ وهذا الامكان ابعد
وابعد ؛ على اني الآن لا استحضر كيف حال سوس في سنة ١٠٩١ هـ وتحتاج
هذه النقطة الى تأمل طويل ؛ ربما نتفرغ له بعد ان شاء الله ؛ فنعلم هل احمد بن
محرز في سوس في ذلك العهد اولا

ثم انني راجعت فوجدت ان سوس في هذا العهد تحت احمد بن محرز
الذي لم يفتك به الا بعد ذلك؛ فهذه الوثيقة مرفوعة - اذن - الى احمد بسن

محرر بلا شك واما اولاد اسماعيل سعيد العالم فاقواله فلم يولهم ابوهم علي
سوس بالتوالي الا بعد هذا العهد على انه ليس فيمن تول منهم علي سوس
من اسمه احمد

٦ - نقل من ام صحيحة بعد الثمانين؛ الحمد لله؛ صر سيدي عبد الله
ابن سعيد المرابط من وادي (اي مور) لزوجته زينب بنت احمد بن ابراهيم
الفرموزي؛ من (الكريسي) جميع الخمس المصحح له من بين اولاده الاربعه
والامة والدار المعروفة بوادي اي مور في البلد والبلاد (صح) الناطق والسمات
نصيرا تاما قاطعا بالبيع الصحيح القاطع في جميع حقوقها الواجبة لها عليه
بل قبله؛ صداقا وجهازا بحيث لا رجوع ابدا عليها في ذلك بسببه؛ وعرف
قدره من شهد عليه من الشهود به؛ وبحال كمال الاشهاد؛ تاريخ اوائل
ربيع النبوي سبعة واربعين و الف؛ احمد بن بلقاسم بن احمد الكريسي
لطف الله به وهو عدل ورضى لموته؛ بلقاسم ايضا؛ ما في النسخة المتسخ
منها نقله باول صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن علي بن ابراهيم ومعه في النقل
عبد الله بن علي ابن ابي القاسم من نسبه تآب الله عليه آمين اه كما وجد؛
وفي قول الاصل بلقاسم ايضا اشكال؛ ولعله ابن بلقاسم فسقط (ابن)

٧ - منقول من ام صحيحة فيها بعد ما يجب تقديمه؛ وافق المرابط سيدي
محمد بن عبد الله بن سعيد من اي مور واخوه سيدي بلقاسم والدهما الشيخ
سيدي عبد الله بن سعيد فيما صيره لزوجته زينب بنت احمد من خمس ماله في
ديونها قبله صداقا وجهازا عليه فيما يطلق عليه اسم ماله في الرباع والعقد
وحازته باتم الحوزة؛ وفقا تاما و ابرآه فيرى؛ واشهد على اشهادهما و عرفهما
وفي رجب عام ١٠٥١ هـ ابو القاسم احمد ابن سعيد الكريسي ومعهما موسى
ابن عبد الله بن سعيد؛ لطف الله به في الدارين؛ بالنبي صلى الله عليه وسلم
«امين» «امين»؛ آخر شعبان عام ١٠٩٢ هـ موسى ثم هـ

ثم يليه : اعلم بثبوت مضمون مقلوبه اعتمادا على شهوده وبه كتب
برسم الاعلام له في مهل رجب ١١٠٢ هـ عبد المومن بن محمد بن عسلي
وفقه الله *

ثم يليه : اعلم بثبوت وصحته على بن ابراهيم بن محمد بن احمد
السملاي لطف الله به آمين * انتهى ما في الاصل ونقله مقابلة ومماثلة بلا
ولا * سببه تعدد النافع بتاريخ اوائل صفر عام ١١٣٣ هـ عبد الله بن
علي بن ابي القاسم الساموكسي؛ وقد صح النقل والمنقول منه قال مسن
شهاده من اصله ابراهيم بن علي بن ابراهيم الساموكسي؛ لطف الله به آمين *

٨ - يعرف شهوده المرجوم بالله السيد عبد الله بن سعيد بن حسين

من وادى امور معرفة صحيحة لامة ويعلمونه نولى رحمة الله علينا وعليه ؛
 فاحاط بميراثه زوجه زينب بنت احمد الفرموزى ونسوه السيد محمد والسيد
 احمد وسيدى بلقاسم وسيدى موسى وامامس ؛ ثم توفيت زوجه الماكورة
 فاحاط بميراثها ابنا السيد احمد المذكور؛ لا وارث لمن ذكرت وفاته سوى
 من ذكر فى علم شهوده؛ محمد بن محمد بن سليمان من (ترسواط) واخوه
 عبد القادر وعلى بن يحيى بن على من النسب؛ وابن عمه ابراهيم بن محمد
 ابن على تحقق ذلك فى علمهم؛ وقيدت شهادتهم مسؤولة منهم؛ وقيد عنهم
 عارفهم باواخر ذى القعدة الحرام عام ١٠٩٠ هـ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم
 الكرسيفى وفقه الله ؛ وعبدالله بن على بن عبد الله الترسواطى؛ تاب الله عليه
 انتهى الاصل بمقابلة مماثلة باوائل صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على
 ابن ابراهيم الكرسيفى ومعه فى النقل عبد الله بن على بن ابى القاسم
 من نسبه ؛ تاب الله عليه

٩ - نسخة اصل من ام صحيحة؛ والاصل بيد السيد محمد الفرموزى
 لافتراق المنافع به؛ مفاصلة الشيخ بلقاسم بن ابراهيم الكرسيفى الفرموزى
 مع ابنتى اخيه احمد بن ابراهيم زينب بنت احمد ايم المرابط سيدى عبد
 الله بن سعيد بوادى امور التهالى ام السيد احمد بن عبد الله؛ وشقيقتها
 العامية زهرة بنت احمد فى جميع ما اورثهما الله فى ابويهما المذكورين
 فى اكرسيف واحوازه ؛ والجرفة واحوازا ؛ ارضا ومياها راكدا وجاريا ؛
 واشجارا؛ نوادر وديارا؛ و (قلاقل) - اى اطلاقا - غامرا وغامرا؛ سهلا
 ووغرا ؛ مايسمى باسم المالية على تنوعه ؛ وسعائتهما بعد ان قبضتا منه
 خمسة وعشرين مثقالا ذها سداسيا جواديا (كدا) ثمانية مثاقيل من ذلك
 لزيب الماكورة ؛ زادت ذلك على جهازها المجهزة به من بين اخوتها ؛ واخذت
 فى ذلك الموصوف؛ فدان الارض بـ (اخريك) والحدود من القبلة؛ المرابط
 السيد الحسين بن عبد الله اليوم؛ وجوفه (اى غريبه) ابو القاسم المذكور؛
 ويمينه الوادى وشرقه (اى الشمال) بنو احمد بن عبد الرحمن مع نصف
 الصنوة (اى نصف معلوم من حظ) الماء أمزكر ؛ على العين باعلى اكرما
 ومفتاحة الارض بتسمتر ؛ وعزلا لذلك بين السيد أحمد بن عبد الله ؛ وذلك
 بحساب الناقد (اى المناقش الذى يناقش الحساب ويحرره) حتى عرف كل
 واحد منهما ما هو ماله وانفصل معهما فى ذلك - انفصالا قاطعا جميع
 الدعاوى والحجج؛ بحيث لم يبق بينهم الا مودة ورحمة؛ وقتلا فيه الاسترعا
 بالاسترعا؛ المقدمة والموخرة وبه كتب من اشهد بذلك؛ بافتتاح المحرم
 عام ١٠٣٩ هـ (كدا) محمد بن عبد الرحمن الكرسيفى لطف الله به أمين
 واحمد بن بوبكر بن ابراهيم من النسب بلطف الله به أمين واحمد بن ابراهيم

ابن محمد من النسب نأب الله عليه «أمين انتهى ما في الام وقوبل بأصله
مقابلة ومائلة حرفا يعرف بلا زيادة ولا نقصان» وبه نقل بئامن من ربيع
الثاني عام ١١٤٤ هـ عبد ربه سعيد بن علي بن يعقوب بن ابراهيم الغساني
لطف الله به «أمين وفيلديه احمد بن علي بن محمد بن داود من شمس
خدمانة الحشان لطف الله به «أمين» .

الحمد لله؛ اعلم بصحة النقل والمنقول منه وثبوتها مع عبيد ربه محمد
ابن علي الغساني؛ وفقه الله أمين اه كما وجد

١٠ - ليعلم الواقف عليه ان المرحومين الاخيتين الفقيرتين خالستي
ربيب بنت احمد بن ابراهيم واختها زهرة بنت احمد بن ابراهيم الغرسولي
انهما تصدقتا على المرحوم المراتب سيدي عبد الله بن سعيد من زاوية
ايهور بجميع ما اورثه الله ورسوله لهما من ابويهما باكر سيف خاصة والله
اعلم به؛ وكتب بعد الطلب؛ وذلك هو العتمد عليه المعول عليه بذي قعدة
عام ١٠٦٦ هـ بلقاسم احمد بن سعيد الكرسيفي لطف الله به أمين .

اقول : لعل لفظة ابن سقطت بين كلمتي بلقاسم واحمد . فيكون الكلام
هكذا : بلقاسم بن احمد الخ . .

١١ - اشهدني سيدي عبد الله بن سعيد التهالي انه حضر لمحمد بن
احمد العسري - به عرف - البعيلي؛ حين دفع لابن سيدي عبد الله
المذكور احمد ستة عشر مثقالا سداسيا من جهاز زوجته مريم بنت هيب
الله؛ واستوفى ذلك منه برضى زوجته المذكورة وبراءته منها ابراء صحيحا
حالا ومثالا وشهد به بحال كمال الاشهاد وعرفهم سعيد بن احمد بن ابراهيم
رجب عام ثلاثة وعشرين و ألف انتهى من أمها بعد المقابلة والمائلة؛ قاله
ناقله بأوائل ذي قعدة عام أحد وثمانين و ألف؛ عبد ربه محمد بن عسلي بن
احمد بن يعقوب امrch البعيلي السطحي غفر الله ذنبه؛ ومحمد بن هيب
الواسع المرزوغى البعيلي؛ لطف الله به اه

١٢ - وكل واستناب الشاب الاكرم احمد بن سيدنا عبد الله بن سعيد
ابن حسين التهالي صاحبه في الله احمد بن عبد الرحمن من نسبه لينسوب
(عنه) ويعقد له نكاح زوجته المباركة المسعودة بنت (عبد) الله بن عيسى
البعيلي وهي الشيب وفوض له في (امرها ووكله) توكيلا تاما مطلقا عامسا
اقامه مقامه (في كل ما يراه ويظهر له) في صحة وجواز انتهى

١٣ - شهد لدى السيد احمد بن بلقاسم بن احمد بن يحيى الكرسيفي
انه حضر للمراتب السيد عبد الله بن سعيد من ايهور حين ذكر جهاز مريم
بنت عبد الله البعيلي؛ وهي ام السيد عبد الله بن احمد بن عبد الله بن

سعيد من امور نهاية جهازها ستبالة اواق بين الذهب والفضة والحلى وغيرها تحقق ذلك في علم شاهده بغير شك ولا ريب وقبل ذلك شهادته مسؤولة منه عارفهم بتاريخ اواسط جمادى الثانية عام تسعة وسبعين والف احمد بن محمد بن عبد الله الكرسيفى وفقه الله؛ ومحمد بن احمد بن بلقاسم بن محمد من النسب اه .

١٤ - المرابط الافضل سيدى عبد الله بن سعيد بن حسين التهالى مسكنا من تيفاهارين ؛ الساموكنى وطنا وتوفى بتيفاهارين يوم الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الثانى عام اربعين والف ؛ هذا ما قاله الرسموكى فى كتابه (الوفيات) وهو قد ادرك بعض عصره .

١٥ - عبد الله بن سعيد بن حسين التهالى مسكنا الساموكنى وطنا كان رضى الله عنه رجلا فاضلا متصوفا مريا للمريدين ذا كرامات وجهادات وعبادات وصالحات وظهرت له الكرامات وشوهدت له الخيرات؛ لقي اكابر العلماء؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين؛ وارشدهم وسعى فى مصالحهم جهده وانتفع به خلق كثير توفى بمسكنه بتهالة سنة اربعين والف

هذا ما قاله الحضيكى فى (طبقاته) عن صاحب الترجمة؛ وقد كتب عليه شيخنا يقول الكاتب عبد الله بن محمد الالفى من ذرية سيدى عبد الله بن سعيد هذا ما قاله الشيخ الحضيكى رحمه الله فى تاريخ وفاة سيدى عبد الله بن سعيد كذب محض لا شك فيه ان صح عنه هذا النقل فقد رأيت بعينى رسم تصوير سيدى عبد الله بن سعيد لزوجته خمس ماله مورخا بسبع واربعين والف؛ ورسم موافقة اولاده فى ذلك مورخا بـ ١٠٥١ هـ وكذا نسبه لساموكن كذب ايضا ؛ هذا ما كتبه شيخنا على نسخة للحضيكى نقلته من خطه .

استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك

اقول هذا كل ما توصلت اليه يلى مما يمكن ان تستخرج منه للشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ترجمة صحيحة يمكن الاعتماد عليها ؛ فلقد ألفت هذه المخطوطات الخمس عشرة ضوءا واضحا وضوحا ما على حياته التى نحن اليوم فى صدد جلوتها الى عين القراء ؛ فلنتبع هذه المأخذ المتقدمة مأخذا - مأخذا؛ لتدرك ما تحوى عليه تصريحاً او ضمناً .

١ - فى وثيقة الزواج نعرف (اولا) ان الشيخ تزوج سنة ٩٨١ هـ بزوجته زينب الكرسيفية؛ ولكن لتساءل : اهذه اولى زوجته ام ثانيتهما؟ لان ما بايدينا فى الوثيقة الاخرى رقم ٨ يدل على ان هذه انما ولدت له من

اولاده احمد بن عبد الله فليظا واحمد هذا هو الذي رأيت في وثيقتي ١١-١٢
 قد تزوج بهريم بنت عبد الله الهذيلية سنة ١٠٢٣ هـ واما محمد وموسى
 وبلقاسم المذكورون في الوثيقة رقم ٧ فهم من زوجة اخرى؛ قد مالت قبل
 ان يتوفى الشيخ لان الذين احاطوا بميراثه ليس فيهم من زوجته الا زيتها
 كما ترى ذلك في رقم ٨ فان كان تزوجها اولا فيمكن لنا ان نحزر ههنا
 حياته على اقل تقدير في نحو ٩٥٥ هـ لان خمسا وعشرين سنة ونحوها
 هي اقل ما يحتاجه من كان لابد - بعد ان يحتلم - من ان يمر تحت يد شيخ
 من شيوخ الترية ؛ يخدمه سنوات وقد تواتر انه كان عند شيخه ههنا
 ابن عبد الله قبل ان يتزوج؛ وانه خدمه ما شاء الله حتى ليحكوا انه فرس
 بسنانا قام عليه حتى اُمر ؛ واما اذا كانت هذه هي الثانية من ازواجه فلا بد
 ان تقدر ولادته على اقل تقدير ايضا في سنة ٩٥٠ هـ لان الزمان السدي
 يحتاجه بعد ان تزوج الاولى في العادة وفي الغالب ؛ لا يقبل عن نحو خمس
 سنوات على ما كنا قدرناه في الزمن الذي يحتاج اليه في الاتصال بشيخه؛
 على الاعتبار المتقدم فسيكون له عند الزواج الثاني نحو ٣٠ سنة؛ واما كان
 فان ولادته في نحو اوائل العقد السادس من القرن العاشر ولو كنا عرفنا
 ان احمد بن عبد الله اكبر من اخوته هؤلاء؛ لربما ترجح الشق الاول او لو
 توصلنا بعقد نكاح الزوجة الاخرى التي نجهل اسمها واهلها كل الجهل
 لانحلت العقدة من اصلها؛ ولكن عقد نكاحها معدوم من ايدينا؛ ومن يتناول
 الى المعدوم فقد يتناول الى المعال

هذا؛ وقد زعم العم ابراهيم - وقد سمعته بعد ان كتبت ما تقدم -
 ان ترتيب اولاد الشيخ هكذا : فاكبرهم محمد ثم بلقاسم ثم احمد ثم
 موسى؛ وهو غير مدفوع عن معرفة ذلك؛ فان ثبت ما قاله فعليه يتبلى
 هذا البحث؛ وقد ذاع عند غير العم ذلك؛ هذا وقد اخبرني الفقيه سيدي علي
 من (ارض افيقير) من اهلنا ان نساء سيدي عبد الله بن سعيد متعددة ؛
 التهالية من اساكما واصان من تهالة ويعد اليوم من تجكالت ؛ وهي ام سيدي
 محمد بن عبد الله ؛ والافرائية وهي ام سيدي بلقاسم بن عبد الله ؛ وسيدي
 موسى شقيق لاحد هذين ؛ وكذلك كانت هناك زوجة اخرى ساموكنية لانقلب
 لها معروف ؛ ولا يدري من هي ام بنت الشيخ مماس ؛ قال : كنت رأيت هذا
 مخطوطا بين رسوم المرائب سيدي عبد الله بن محمد من بيت اورخا من
 اكادير ايزري؛ وهناك بيان اكثر مما هنا؛ قال الا انني لم استوعب كل
 ما هنالك .

(رجع) ونعرف (لانيا) ان السادة الكرسييين هم اخوال احمد بن عبد
 الله بن سعيد؛ واخوال اولاده؛ وان لنا معشر اولاد احمد بن عبد الله

بالانصال بهذه الاسرة المباركة شرفا نيرا نستمد من ذي النورين جسد
الكرسيفيين ثالث الخلفاء رضي الله عنه حقق الله لنا ذلك بالعلم والتقوى بفضل
ونعرف (ثالثا) ان هذه السيدة الشيب التي ربما كانت للشيخ عبد

الله بن سعيد - ان تزوجها اولاً - مثل ما كانت السيدة خديجة للنبي صلى
الله عليه وسلم؛ فلئن كنا نجهل معاملتها معه في حياته - والاسرة قائمة؛
والضرة موجودة بمراى منها - فقد وضحت لنا نفسيها واخلاصها لزوجها
فيما تصدقت به على وراثته؛ كما ترى ذلك في رقم ١٠ فلئن قيل انما
ذلك مجازاة للشيخ بما صيره لها من الخصب الذي حازه بين اولاده الاربعة؛
حين خمس ماله بينه وبينهم في اواخر حياته كما في رقم ٦ نقول لكن هل
يجزى بالاحسان عن الاحسان الا المصطفون الاخيار؟ ثم ان في وصفها
هي واختها زهرة بالفقيرتين لاشارة الى انهما اختارتا مسلك الشيخ الصوفي .

ونعرف (رابعا) انها تأخرت وفاتها عن وفاة زوجها لما رأته من عدة
الورثة في رقم ٨ كما نعرف ايضا انها توفيت قبل سنة ١٠٦١ هـ ضرورة
ان الرسم الذي فيه الادلاء بهذه الشهادة؛ كتب في السنة المذكورة وعبر
فيه عنها مع اختها بالمرحومتين؛ ولا يطلق هذا الوصف الا على المتوفى في
العادة؛ هذا ما نستنتجه فيما يتعلق بالسيدة زينب زوجة الشيخ وجدتنا العليا

٢ - في الوثائق الموضوعة تحت رقم ٢ ورقم ٣ ورقم ٤ ورقم ٥ فوائد
شئى؛ منها نستفيدها وحدها وما كنا لنقع عليها لولاها؛ لان الالسنه وان
كانت تلوك بعضها ولكن شتان ما بين ما تلمسه باليد؛ وبين ما تنوره بنظر
عال من اذراعات (١)

اولا - نتحقق الان تلك المكانة التي كانت للشيخ في زمنه؛ وفي ربيع
حياته؛ حتى رأيناه قبل سنة ٩٩٩ هـ يتمتع بها بين الاهالي حتى توصل
بذلك الى الاستغلال بهذه الاحترامات الحكومية؛ فان سنة ٩٩٩ هـ تطلع على
الشيخ قبل ان يطعن في العقد السادس من عمره بل شك انه اذ ذلك استتم
٤٥ سنة على ما تقدم وان الجهد والشرف والسمعة الطيبة التي يكلل المرء
بتيجانها في هذه السن لتدل دلالة صحيحة على انه في ريق شبابه؛ كان
يجتهد في الارتقاء الى الاعلى كل الاجتهاد؛ ثم ان هذه التحريرات المتعددة
في ايام سلطان واحد؛ لما يحمل على مجد يتزايد؛ فتزايد الاحترامات
والاكبارات من اجله .

عل ان هناك في عصر مولاي احمد الذهبي الذي افتتح بسنة ٩٨٦ هـ
وانتهى بسنة ١٠١٢ هـ لنظرة خاصة الى امثال هؤلاء المتزين بالصلاح
والتصوف فان رجال الحكومة اذ ذاك ينظرون اليهم نظرا شذرا ادى بكثير منهم

(١) تنورتها من اذراعات واهلها * يشرب ادنى دارها نظر عال

الى ان يلاقي التنكيل والهوان ؛ فقد قرأت في وثيقة سلطت الي ؛ كتبها احمد علماء جزولة يوم الاثنين الاول من ربيع الاول سنة ٩٨٨ هـ حين فتح مولانا احمد الذهبي هذه البلاد من جديد ؛ ونظمها تنظيما تاما ؛ ان السلطان امر ان لا يتخطى بالوظائف المخزنية احد من ارباب الزوايا ؛ الا اولاد الشيخ سيدي يبورك بن الحسين الهشتوكي المتوفى قبل هذه السنة بشوابع سنوات ٩٨٣ هـ والا اولاد سيدي خالد الكرسيلي ؛ والا الشرفاء الكثريسون والكرراكيسون والفلايون واولاد سيدي يعقوب والشرفاء المعلومون ؛ واما من عداهم فيلحق بعمار الناس في الوظائف المخزنية ؛ وليس صاحب الترجمة واحدا من هؤلاء

هذا ما كان قرره احمد الذهبي سنة ٩٨٨ هـ ولا نشك في ان هذه الفكرة انما اقتفى فيها والده السلطان محمدا الشيخ الذي نعهد منه سيلا طالعاهن التنكيل بشيوخ من الصوفية الكبار في زمانه ؛ فلهدا نعرف ان صاحب الترجمة ما كان لينال من رجال الحكومة هذا التوقير الجديد وهذا الاحترام الفائق لو لم يكن له حال كبير وسمعة طائفة ؛ وشهرة ترغم صفحة ذلك السلطان الصلب الارادة على ان يلتفت اليه باعتبار جديد يستجده له بين ارباب الزوايا الذين ربما لا يزالون متزجين حينئذ في عمار الناس ؛ وما يدرينا لعل السلطان الذهبي نفسه هو الذي راي منه تلك الكرامة في (دراووغ) التي كنا ذكرنا ان اهاليها يرونها عن الشيخ بالتواتر ؛ اذ يقولون انه اصدر جيش سلطان شعبا وريا حين مروره هناك ؛ فلئن كانت هذه الكرامة كما يسميها اهاليها ؛ مما لا بد ان تزيد فيها الالسنة ما يصيرها اقصوصة من الاقاصيص فلا نستبعد ان يبري منه هذا السلطان مثل ذلك فيتصل به الناس فيموهونه بما تشاء لهم اهلقتهم والسلطان الذهبي الذي نعرف من هو في التاريخ ؛ لا نظنه ممن يتسائل الي احترام ذي زاوية من جديد ؛ واعلان تحريره ومحاشاته من بين ارباب الزوايا الذين سامهم ما سامهم ؛ بعد ان سد هذا الباب واحكم اجافته ؛ الايباشة اخرى جديد يحفره فلذلك نرى انه صاحب هذه القصة ؛ او الكرامة ؛ وانه هو الذي مر بمعشنة دراووغ حيث يتعرف به هناك الشيخ بما يعمله على ان يلتفت اليه التفاتا خاصا ؛ وقد قرأنا في الوثيقة التي ذكرناها ان الخ من منازل احمد الذهبي اذ ذاك ؛ وقد مانه فيه الوقاويون والايغشانيون والحربيليون ؛ ولا يزال محل في بسيط الخ يضاف الي سلطان ؛ ويقال له (اغرم اكليد) كما لا يزال محل مشرف على وادي ساموكن يضاف اليه ايضا ؛ ويقال له (اخار اوكليد) ويقول الساموكينيون الي الان ان هذا المحل الاخر يضاف الي احمد الذهبي ؛ وقد نزل هناك حين نازل حصن القبيلة الووكرضائية ؛ الكبيرة اذ ذاك ؛ وقد وجدنا في تلك الوثيقة ذكرا لهذه الحرب المشبوبة بين الذهبي والقبيلة الووكرضائية ؛ وقد اجلاها اذ ذاك وشتت شملها والغالب ان هذا المحل المضاف الي سلطان بالغ هو منزل احمد الذهبي ايضا ؛ كما رايت هذا

المحل الآخر هو الذي السبب له ؛ فنعلم من كل ذلك ان احمد الذهبي يمكن ان يهر يدراووغ المجاور لالغ في مروره الى منزله بالغ من منزله بالقران العلود ايضا من بين منازل في تلك الوثيقة؛ ويمكن ان يصح بعض تلك القصة المتقدمة؛ وان تكون سبب اتصال صاحب الترجمة بالسلطان الذهبي وبرجال حكومته اذ ذاك ؛ فيتسبب عنه هذا الاحترام الذي رأينا آثاره في تلك التحريات .

ثانيا - ندرك ان احترامه في وسطه كان احتراماً كبيراً ؛ وانه ما نال ذلك بجاه او عشيرة؛ بل ادركه بتفانيه في منافع الامة؛ فيسعى في اصلاح ذات البين بين المتخاصمين ويجري في الامور العامة التي لا يابه بها الا من جعل الاخلاص رائده في كل ما يزاوله؛ والمصلحة؛ ونفع العباد ايا كانوا نصب عينيه فيقبل على المعاطش ؛ فيؤسس فيها نظفيات تنفع غلات ابناء السبيل وقد جعل جل همه في امثال ذلك حتى ان اثنتي عشرة نطفية اسسها في محلات معلومة بين الفيافي والقفار ؛ وكان يسميها بناته؛ فكان مما اوصى به بنيه ان يحافظوا على بناته هذه بالترميم والتعهد حيناً بعد حين؛ فكان اولاده عندهم الوصية؛ فهذه ثلاثة قرون مضت ولا تزال هذه البنات موضع عناية هؤلاء الابناء البررة

وزد ايضا على هذه المهمة التي قام بها اذ ذاك ؛ انه كان يطوف بطائفة من مريديه بالبلاد لتعليم الدين؛ وارشاد العباد؛ واعلان كلمة التوحيد والتزهد في زهرة هذه الحياة الدنيا القانية؛ حتى لا يهتبل بها اكثر من الحاجة؛ وحتى لا تفسد العقيدة الدينية بها؛ فيستولى الشر الذي لا تتكون جرائمه الا من حماة الاحقاد فهذه الاوصاف وما اليها مما نعهد من الصوفية المرشدين ؛ وصفه اولئك العلماء الذين وقعوا تلك الوثيقة الجليلة الموضوعة تحت رقم ه فقد ادركنا بواسطتها ان كل ما يقوله بنو الشيخ اليوم ويتخلونه محورالاشادة بجدهم الاعلى ؛صحيح كله؛ وان كانوا يقولون ذلك بلسان الاقاصيص وهؤلاء العلماء الثمانية عشر؛ اتوا بذلك على لسان الشهادة التي يعلم صاحبها ان شهادته ستكتب ثم يسئل عنها غدا

اوليس ان اولاده يعلنون ان جدهم ما ترك لهم الا الدين وارشاد العباد اليه مع الاحتراف بطرق المعاش ؛ وانه نهاهم ان يسلكوا طرق ابناء الزوايا؛ الذين يالفون التكلف وجمع الزيارات ؛ مع ندهم شارة الدين ؛ وتنكبهم محجات اسلافهم المرشدين؛ فهذا ما يقوله ابناء صاحب الترجمة اليوم؛ وهذا ما وصفه به احد العلماء الثمانية عشر امس؛ وتلك - لعمرى - منقبة افضل من كل المنائب فالاشتغال بالدين ؛ وسلوك سنن المهتدين؛ والتعفف ورفع الهمة عما في ايدي الناس والاحتراف بالطرق المشروعة في المعاش؛ والمجاهبة بالنس

هي احسن في المعترك الجبوي مناقب عظيمة؛ فاية منقبة افضل من هذه بالناس؟

كدنا والله لعدم صلحة ذهبية من حياة الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد لو كنا عدمتا هذه الوثيقة الجليلة؛ فقد ارتنا كيف ينظر الى الشيخ من مختلف القبائل المجاورة لتها لا بلده والثانية عنها؛ فالعلماء السملاليون والايقشانيون والاكماريون والساموكتيون والتاماناريون والايسيون؛ كل هؤلاء قالوا مراته وشاهدوه في الشيخ ومن خلفه في مقامه من اولاده؛ او رووا ذلك عن راء وشاهده في الشيخ؛ وتحرى بعضهم ان لا يزيد على ما يشاهده؛ فقال هذا ما في الظاهر والله يعلمها تكن الصدور؛ فالشهادة من امثال هؤلاء المتحرين الذين يظهر انهم ممن يزنون مايقولون؛ فلايقون الكلام على عواهنه؛ ولا يجرؤن ذيل ظاهر الانسان على باطنه هي - والله - شهادة لها عند ذوي الالباب مكانة مكيئة؛ ومقام له من السمو والاعتبار ما له *

كثير من الذين حظوا بالشهرة في حياتهم؛ وظفروا بالسنة رطبة حصول ذكرهم؛ لايكادون يرمسون؛ وتنفض الايدي من غبار القبر؛ حتى تبدأ تلك الشهرة في الاضمحلال؛ ورطوبة تلك الالسنة؛ يدب اليها الذبول؛ ولكن الشيخ صاحب الترجمة؛ مضى عن وفاته يوم كتبت هذه الوثيقة عقدان بل اكثر؛ ثم جاءت هذه الوثيقة تعلن ان تلك الشهرة لم تزل في الانتشار؛ وان تلك الالسنة الرطبة؛ صارت لاجلها الاقلام رطبة بلورها فالت بماتقراء اليوم بعد قرنين ونصف؛ فنتصور الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد من الافراد الذين وقفوا حياتهم في سبيل المنفعة العامة؛ فلايكاد يرى ثلثة يتسرب منها الى عباد الله ضرر حتى يتندر اليها بكل ما اوتيه من قوة وعزيمة واخلاص؛ ثم لا يفارقها حتى لا يكون منها لعباد الله الا برد وسلام

كنا عرفنا الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي معنيا باصلاح الطرق وتسيويتها في الهضاب الصعبة؛ واقامة الجسور على الاودية؛ وتأسيس المنظمات في المعاش؛ فما نحن نرى ثانيا صاحب الترجمة؛ معنيا بمثل ذلك فاية الاعتناء؛ فهل كان صاحب الترجمة يعرف الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي فادرك منه ما لهذه المهمة من الاجل الجزيل؛ والذخر الباقي؟ ان معرفته به لا تبعد؛ فقد كان زوارا للمالحين والعلماء؛ وقد ألم الشيخ الحضيكي في ترجمته التي كتبناها تحت رقم ١٥ بهذا الوصف؛ وقد ادرك عبد الله بن سعيد زمن التمرتي فان الشيخ التمرتي توفي سنة ٥٩٧٦هـ وصاحب الترجمة اذ ذاك ربما اولى على العقدين او يناهز؛ ولما كان الشيخ التمرتي عالما جليلا طائر الصييت في عصره؛ فما الذي يمنع هذا السيد الامي ان يتردد الى زيارته؟ وان يتخذ منه هذه الطريقة المحمودة التي هي نفع العباد في مصالحهم العامة وخصوصا حين يرى ان الكثيرين ممن ينتمون الى الخير والارشاد

لا يهتمون بمثل هذه المصالح العامة في اللجاج واللفاز كما يهتمون بها في القرى والمساجد ؟ ولذلك لاستبعد ان هذه الفكرة انما اتبسها صاحب الترجمة من الشيخ التمرني مصلح طريق (تيسا) في بعقيلة ؛ وقيم الجسر على وادي الغاس وناصب النظيفات المتعددة المعلومة الى اليوم في قفار شتى

ثالثا - نعلم هذه التحليات التي يحل بها صاحب الترجمة في هذه الوثائق من الوثيقة الاولى الى الوثيقة الاخيرة انه امي لا يحفظ القرآن فضلا عن ان يلم بالعلوم ؛ لان هؤلاء انما يصفونه بالفقير المرابط ؛ ولا يوصف بذلك على العادة الا من كان له مقام في الصلاح ؛ وظهرت عليه سمات خاصة ؛ واتسم بصفات تحمل كل من جالسه على ان يعترف بانه ليس من مطلق الناس في الوجة الربانية ؛ التي ولي اليها وجهه ؛ ثم ليس له من حفظ القرآن ولا من العلوم شيء والا فيوصف بالطالب ان حفظ القرآن لاغير او بالعالم ان كانت معه علوم ؛ هذه هي العادة المستمرة ؛ فلما تتخطى عند التحليات ؛ فكون هؤلاء لا يصفون صاحب الترجمة الا بالفقير المرابط الصوفي ؛ نتحقق به ما عند اولاده الى اليوم من انه امي لم يتشرف الا بالصلاح فقط ؛ ويزيد جيرانهم ان الشيخ واولاده الاولين ظهر صلاحهم بالامية ؛ وان الاخيرين ظهر صلاحهم بالعلوم فهكذا عرفنا ان احفاد الشيخ عندهم من اوصاف جدهم ما ليس بقليل ؛ وانهم وان ادخلوا في ترجمته في اسمارهم ما يشبه الاقاصيص ؛ فان الحقيقة فيها لا تزال واضحة وضوح الشمس ؛ ولذلك نعلم على حكاية اخذناها عنهم وان لم نجد لها في هذه المستندات حلقة نتمسك بها ان تطلبنا النص الصريح

يقولون ؛ ان الشيخ وان كان اميا يحب اهل العلم وينحاش اليهم ويستشيرهم ؛ ويعنى بما يعنون به وهذا الوصف نجده في ترجمة الحضيكي ثم يقولون بعد ذلك في تدعيم هذا ؛ انه كان من الواقفين على مدرسة (اوجو) حتى اسسها الفقيه سيدي سعيد الاوجوي المعاصر للشيخ (وقد توفي هذا الفقيه سنة ١٠٤٧ هـ) فجعل الشيخ نصيبا للمدرسة من الحبوب يؤديه كل سنة من صلب ماله ؛ ثم اوصى اولاده بعده بالمواظبة على ذلك ؛ فواظبوا عليه منذ ذلك اليوم الى الآن .

فهذه الحكاية المدعمة بهذا الفعل المتسلسل الى اليوم ؛ مما يزيد لصاحب الترجمة ذرة اخرى عالية القيمة في تاجه ؛ فقد عرفنا بذلك انه ليس من بعض الصوفية الذين يعادون العلم واهله ؛ ويناصبونهم العداة خوف ان يفضحهم ويكشفوا الستر عن تمويهاتهم ؛ فتراهم عند تشييد الزوايا يهرعون وعند تشييد المدارس يقبعون ؛ فدل ذلك ايضا زيادة على ماتقدم ان صاحب الترجمة واقف عند حده ؛ معترف لكل ذي فضل بفضل ؛ ولا يعرف لاهل الفضل الا ذوهه .

وما غير الألسان من فعل نفسه بعقل اعتقاد النفس في كل فاضل

فهذا ما أمكن لنا أن نعرفه صراحة أو استنتاجاً من هذه الوثائق التي كتبناها تحت هذه الأرقام : ٢-٣-٤-٥ والحمد لله الذي يسر لنا ذلك جداً
كثيراً .

٣ - في الوثائق الموضوعية تحت أرقام : ٦-٧-٨ نعلم أن أولاد الشيخ الأربعة محمدًا وأبنا القاسم وموسى وأحمد قد تلقوا كلهم أشدهم في حياتهم فاصمحق كل واحد منهم أن يدير أسرته الخاصة بنفسه ؛ فالغالب أن والدهم زوجهم جميعاً كما زوج أخاهم أحمد عل ما تراه فيما تحت رقمي : ١١ = ١٢ . سلك بهم الشيخ الطريقة التي يسلكها أولو الحزم في الدين والدنيا ؛ الذين يتفون مشاكسة النساء المختلفات إذ يقسمون أموالهم لأولادهم قسمة لا تصطدم وقانون الميراث الشرعي من عدم المساواة يفعلون ذلك لأولادهم وهم لا يزالون في الحياة خوف أن ينشأ أيضاً بين أولادهم حول الميراث بعدهم ما يتسبب عنه فساد ذات البين ؛ وانقطاع أواصر الرحم ؛ فهذه الطريقة هي التي سلكها الشيخ ؛ فخمس ماله بينه وبين أولاده الأربعة وذلك الخمس الذي صار له ؛ هو الذي صيره لزوجته المباركة في مقابلة كل ما لها قبله ؛ وقد رأيت رسم ذلك التصير ثم قرأنا في رقم - ١٢ - موافقة
على هذا التصير .

ففي هذه الموافقة نهيؤ لما قد يطرأ بعد بين الورثة ؛ والا فالمال للشيخ وهو لا يزال حياً ؛ فليعمل ببعضه بل بكله ما شاء ما دام صحيحاً ؛ على ما يلوكة الشرعية رحمة الله ؛ ثم إن الموافقة إنما حصلت من محمد وأبني القاسم وموسى ولم يذكر فيها أحمد ؛ لأنه ابن المصير إليها ؛ وهو الذي سيؤول إليه هذا المال متى هلك المصير لها لأنها أمه ؛ وقد صار الأمر كذلك ؛ فصار هذا المال إليه وحده ولا وارث لها سواه كما ترى ذلك في الموضوع تحت رقم ٨ ثم إنه حين أيضاً من ذلك أن للشيخ اعتناء بتأجيل الأملاك على اختلاف أنواعها ؛ وهذا ما لا شك فيه ؛ لأنها مادة القوت الوحيدة (١) في هذه البلاد ؛ فكما أن له في أمور أملاكها كانت له أيضاً أملاك أخرى في مختلف النواحي ؛ رأينا رسوم بعضها واستمرارات تتعلق ببعض آخر ؛ وخوف التطويل لم نضمها إلى هذه الوثائق المتقدمة ؛ ولأن كون الإنسان ذا أملاك ليس بعجيب حتى نحتاج إلى الاستدلال على وجوده بوثائق تساق ؛ وإن كان غالب العامة وبعض الخاصة من المتفكرين يحسبون أن الرجال الصالحين المشار إليهم بالأصابع ؛ الذين يوصفون بالزهد والخير والأقبال على ما فيه منفعة العباد وارشادهم ؛ ويتصدرون في منصة التربية للمريدين ؛ كصاحب الترجمة ؛ لاينال منهم

(١) وحدة بلا ياء ؛ وهذا وحيد كما يقال أيضاً وحيدة .

الاستئفال ولو بما يحتاجون اليه ؛ مما اذن لهم فيه شرعا وطبعيا ؛ ولا يظن ان هذا قول مافسون لا يصدر الاممن لا يعرف ماهو مدلول الزهد في دين الاسلام ؛ ولا ما ينفع من المال ولا ما يضر ؛ ومثل هذا ينبغي ان تصك آذانه بقول ابي الدرداء ؛ وربما روى حديثا ضعيفا ؛ اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ؛ واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وبقوله ايضا ؛ من فقه الرجل استصلاحه لعاشه . وأن يصرخ عليه بقوله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاصي ؛ نعم المال الصالح ؛ للرجل الصالح وبقوله ايضا على ما يروى عنه (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته او آخرته لدنياه ؛ وانما خيركم من اخذ من هذه وهذه) او كما قال في احاديث كثيرة في الموضوع ؛ ويتلى عليه من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ؛ ما عسى أن يقتنع به ان اراد الله به خيرا ؛ وقد ادى هذا الظن السيء غالب الناس حتى حسبوا ان كل الدين يشار اليهم بخير من المتقدمين ماوصلوا ذلك المقام الا برهبانية وانزواء ونقض للبد ؛ حتى لا يضعون لبنة على لبنة ؛ ولا يكوئون على صرة ؛ ولا يفتحون عينا على عقار متائل ؛ فضلوا بهذا الضلال ضلالا بعيدا حتى أنهم متى رأوا في أحد معاصريهم ممن ينتمون الى صلاح او علم استصلاحا لعاشه ؛ واشتغالا بما لا بد منه من دنياه ؛ لأكوه بالسنتهم ؛ ورشقوا عرضه بسهامهم ؛ ويتمضمضون في أذنيهم بالتكلم فيه ؛ فصاروا يحملونه على المقياس الذي توهموه لمن سلك ذلك المسلك من الاخيار ؛ ومتى فسد المقياس ؛ فسد المقياس والمقياس عليه ؛ ورحم الله صاحب الابريز الذي انحنى على من يكتبون على ذلك تراجم الصالحين المرشدين ؛ اذ يتركون التكلم حول هذه النقطة ؛ حين يترجمون واحدا منهم ؛ فجزوا القراء الى أن يخالوا ما ليس في الواقع .

اذن تأمل صاحب الترجمة املا كما لا بأس بها ؛ تقوم باوده ؛ وتكفي أسرته فكان من ذلك أمران ؛ احدهما أنه لم يذر وراثته عالة يتكفون الناس ؛ بل ورثهم ماأنموه فأدر عليهم خيرات حسانا ؛ وثانيهما انه غادر في اولاده هذه العادة المحمودة المتركة من التعفف والاحتراف بطرق المعاش المشروعة ؛ ومن الاعتماد على النفس اعتماد الاباة الذين يريدون ان تكون يدهم دائما هي العليا واليد العليا خير من اليد السفلى ؛ فرحم الله ذلك السلف ؛ وبارك في هذا الخلف .

هذه نظرات في الذي وضعناه تحت أرقام ٦-٧-٨ وقد بقي منها ما يتعلق بتعيين زمان وفاة الشيخ ؛ وسنعود الى ذلك فيما ياتي :

٤ - في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقم ٩-١٠ نعلم بعض ما يتعلق بزوجه زينب الكرسيفية ؛ وقد المنا بذلك فيما تقدم ؛ وذكرنا انها توفيت قبل ١٠٦١ هـ ونعلم أيضا ان اسرتها الغرموزية ؛ أسرة مجيدة مذكورة في

توفيتها ؛ فقد خرج من أحد أفراد هائلتها بالشيخ بلفاسم ؛ والشيخ في عرفنا
هو أستاذ الذي يرأس أخواته ؛ ولا يمكن أن يرأس الألسان في هذه البلاد إلا
شخص أهل للرياسة ناهلاً طبيعياً ؛ من ماله وعقله ومركزه الاجتماعي ؛ وقد
رأيت في هذا الشرف في كثرة الاملاك التي تذكر في رقم ٩ - الذي فيه المفاصلة
ولعام أيضاً ان هذه الاملاك الكرسيفية ؛ هي التي تصدقت بها زينب مع
أختها هل وريثة زوجها ؛ ان كانت الصدقة بعد وفاته ؛ او على الشيخ نفسه ؛
لأن كانت الصدقة في حياته ؛ لان الرسم على كل حال لم يكتب في حياته ؛
بل هو اضطرها ، املاء من علمه على من حرر الرسم ؛ ثم ان الذي يشكك هو التاريخ
الوجود في رقم ٩ الذي فيه ١٠٣٩ هـ فان هذا التاريخ غلط ؛ اما من كتاب
الأصل ؛ او من الناقل عنه وهو الأقرب لانه بينما هو يعبر عن السيدة زينب
بالفظة ايم ؛ اذا به ياتي بهذا التاريخ الذي يدل على انه كتب في عصر زوجها
الذي لا يزال حياً سنة ١٠٣٩ هـ وسينجل ذلك للقارىء حين يرى الكلام فيما
يأتي على زمن وفاة الشيخ .

هذا ما يتعلق برقم ٩ - ١٠ وهذه هي النظرات المتيسرة حولها .

٥ - في الوثائق الموضوعة تحت أرقام ١١-١٢-١٣ تجد مايتعلق بزواج
صاحب الترجمة ؛ فقد اختار له والده كما هو العادة في الشرق اجمع ؛
ابن شاعر الابناء الابناء ؛ كريمة من بعض الاسر الاماسينية البعظلية الشريفة ؛
وهي كريمة كما يتجلى لك ذلك في الفضة والذهب والخل التي جهزت بها السيدة
وتمت اجهزها ستمائة اواق ؛ وهذا من مظاهر الثروة في بلادنا هذه ؛
والثروة في ذلك العصر ؛ قيمة تساوي من نقد اليوم كثيراً ؛ ولكل ناحية طينيس
خاص في الثراء يعرفونه ؛ وهذا الاختيار مما يدل على سمو نظر صاحب
الترجمة وعلو همته ؛ فانه لايسف الى غير الشرفاء الاعلى الامن ليس له شرف
ولا فلو همته ؛ فهل يتجب الابناء الا الاخوال ؟ اوليس اننا كثيراً ما نشهد
هذا البيت ؛

والمرء لا يشبه الا ادخليس وكل ماقد كان فيهم الكيس (١)

او ليس اننا نرى فيما بيننا هذا الكلام المأثور: خولوا اولادكسهم
فك خول صاحب الترجمة أحفاده ؛ فانجبت هذه السيدة الاماسينية السيد هيد
الله بن احمد الذي ستعرفه فيما بعد ان شاء الله ؛ فجاء نهودجا من ابيه احمد
ومن هذه صاحب الترجمة ؛ كما ستشاهد ذلك ؛ ولد توفيت مريم هذه قبل
سنة ١٠٦٣ هـ كما رأينا ذلك في رسم مناداة لعبد الله بن احمد على حالها الذي
ورثه عنها ؛ ولا يورث الا الوتى .

(١) والمرء لا يشبه الا اخواله وكل ما قد كان فيهم ناله فيه

هكذا عرفنا ناحية اخرى من النسبة الشيخ باختياره الكرام لاولاده
كما اختار لنفسه قبل تلك الكريمة الكرسيكية ؛ وهل يعرف المرء الا باختياره

قد عرفناك باختيارك اذ كسسان دليلا على اللبيب اختياره

ثم ان في استنابة احمد بن عبد الله بن سعيد ؛ لاحمد بن عبد الرحمن
من نسبه لدليلا لما سنستنتجه منه حين نبحت عن اصل صاحب الترجمة؛ فيما
يأتى قريبا فانتظر فانا معك من المنتظرين .

هذا ما استفدناه تصريحنا او تضمنا من هذه الارقام الثلاثة ١١-١٢-١٣
زيادة على ما كنا استفدناه قبل منها في تلك النظرات السابقة .

٦- ثم في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقمي ١٤-١٥- المذكور فيهما
ما في ترجمتي الرسموكي والحضيكي مع ما كتبه شيخنا سيدي عبد الله بن
محمد فوائد جلييلة ؛ منها ما استوفينا حوله الكلام فيما تقدم ؛ ومنها ما لا بد
ان نلف ازاءه مليا ؛ حتى نتوفر عليه .

اولا - نجد في ترجمة الحضيكي زيادات في الاوصاف على ما عند
الرسموكي ؛ فبينما هذا لا يزيد على قوله - المرابط الافضل - اذا بالآخر يصفه
بـ قوله - رجلا فاضلا متصرفا مريبا للمريدين ذاكرامات وجهادات وعبادات
وصالحات ؛ ظهرت له الكرامة ؛ وشوهدت له الخيرات ؛ لقي اكابر العلماء ؛
وصحب الفضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين وارشدهم
وسعى في مصالحهم جهده ؛ وانتفع به خلق كثير ؛ فهذه الاوصاف الجلييلة التي
زادها هذا المؤرخ المتأخر عن صاحب الترجمة بنحو قرن على ما قاله المؤرخ الذي
ادرك عصره ؛ مما تكاد نقف ازاءها ؛ ونحن نرسم علامة الاستفهام ؛ لو لم نجد
ما يؤيدها من الاوصاف التي وصفها به الوثيقة رقم -٥- التي وقعها ذلك اللبيب
من العلماء ؛ ومن الاوصاف أيضا التي لا تزال تتردد بين الالسننة الى الآن ؛
فان كانت تلك الوثيقة تقف عند وصفه بالارشاد والصلاح والسعي في ذات
البين وما اليها من الفضائل التي يستحق بها المرء العامل ؛ الذكر الخالد بين
الناس والثناء العطر من الاقلام ؛ فان في السنة المحدثين نسبة كرامات اليه
أيضا ؛ فجاءت ترجمة الحضيكي جامعة بين الامرين ؛ وضاربة بكلا السهمين ؛
وهذا المزج نفسه بين آثار العلم واثار التصوف ؛ منه تكونت شخصية الحضيكي
والتحمت به نفسيته ؛ فان لم يكن عبد الله بن سعيد عالما فيكفيه شرفا أنه
يزور اكابر العلماء ويدور عليهم ويحبهم ومن أحب قوما حشر معهم على أسلوات
البراع اولا ثم في مقامات المحشر ثانيا ؛ فهذه الاوصاف -اذن- التي زادها
الحضيكي على ما قاله الرسموكي ؛ ليس منفردا بها ؛ فقد وصفته تلك الوثيقة
أيضا بمثل ذلك او اكثر في بعض النواحي .

ثانيا - ان صاحب الترجمة موصوف كما نرى بالتصوف وانه يخدم اكابر

الصلحاء ويزورهم ؛ والتصور بالصلحاء هم الصوفية ؛ فاما كونه يستخدم
 الصوفية ؛ فلم لعلم من الصلح منهم الا شيئا يعيا بن عبد الله التملي ؛ ولم
 لعلم انه الصلح بغيره ؛ وان كنا لانكاد نشك انه يزور اكابر الصوفية الذين
 ادرك اصارهم كالشيخ احمد بن موسى والشيخ محمد بن ابراهيم التاماناري
 من الاكابر ؛ فضلا عن اقرانها واصحابها الذين يعدون اذ ذلك بال عشرات ؛
 وكذلك لانعرف ايضا انه الصلح باحد من اكابر العلماء ؛ وهم كثيرون جدا في
 ذلك العصر - الا ما كان من الفقيه سيدي سعيد الازجوي الصوابي وقد تقدم
 ذكر ذلك ؛ ولكن الحضيكي حين قال انه لقي اكابر العلماء وصاحب الفضل
 الصلحاء ؛ ودار عليهم ذاتا وخدمهم ؛ لانظن الا انه تلقى ذلك عن الجليل الذي
 ادركه ؛ ولا شك انه يدرك من يروون عن ادركوا الشيخ صاحب الترجمة بكثرة
 وشغل الحضيكي لانظن منه الا التثبت فيما يقوله او يكتبه حسب علمه .

ثم ان التصوف الذي اتصف به صاحب الترجمة يظهر انه تصوف عمل ؛
 متبذ باقامة مصالح العباد ؛ وبتصح المسلمين وارشادهم ؛ والسعي في مصالحهم
 جهدهم - كما وصفه بذلك الحضيكي - وانه ليس بذلك التصوف الجامد الذي
 يعمل صاحبه على الانزواء في قنن الجبال ؛ او في مقارن الاودية ؛ فحصل له
 بذلك نفع نفسه اولا ؛ بزجه نفسه في جماعة المسلمين ؛ ويد الله مع الجماعة ؛
 وينتسركتهم في كل ما يحسون به من خير او شر ؛ وخصب او جدي ؛ فينتج
 اوجههم ؛ ويضع همه بين همومهم ؛ ولا خير فيمن لا يهتم بامور المسلمين .
 ويظهر ايضا ان التربية للمريدين الشائعة عنه حتى انتفع به خلق
 كثير كما قال الحضيكي ليست بالتربية الاصطلاحية عند القوم ؛ كما فصلتها
 واليه الشريشي بل هي تربية ارشاد لكل من لقيه من العباد من غير ان يتخذ
 اسمها خاصة يتسم بها اتباعه ؛ وينحاشون الى حظيرتها وخدمهم ؛ كما هو
 الغالب على من ينتهجون طريقة التربية الاصطلاحية . وادل دليل على ذلك اننا
 لم نر من ينتسب اليه من اشياخ الجيل الذي درج وراءه ؛ وما كان الرسموكي
 الذي ادرك عصره ليست غالبا عن ذلك لو كان ؛ مع اننا راينا انه وصف بذلك
 الشيخ سيدي محمد بن احمد الحريبي المتوفى سنة ١٠٢٠ هـ والشيخ سيدي
 احمد بن محمد السكرادي المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ولعمري ان هذا الارشاد العام من
 غير التجهيد بسببها خاصة ؛ لهو الذي يوافق صاحبه محجة السنة البيضاء التي
 لها كنهانها لا يزيغ عنها الا هالك .

وقد دخل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مسجد رسول الله صل
 الله عليه وسلم ؛ فوجده مملوعا بحلق وكل طائفة حلفت على كبر من الصحابة
 فملاهم قهر بالدرة فامرهم بالاجتماع حلقة واحدة ؛ فقال لهم ؛ اريدون ان
 يقال لهذا اصحاب الان واصحاب فلان ؟ هذا ما الرأناه في مختصر تاريخ ابن عساکر

ولم نسفه بلفظه لطول العهد به ؛ وكأنه رضى الله عنه يتوجس خيفة مما وقع
بعده فى المسلمين ؛ وكانهم لا يتلون قوله تعالى «ولا تكونوا من المشركين ممن
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا» وقوله ايضا «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا ليست منهم فى شىء»

فهذا الذى كان عليه الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من اقوم طرق الصوفية
على ان طرقهم كما يقولون : كالأزهار ؛ تختلف ألوانها وان كان الماء الذى تسقى
به واحدا *

وقد اخبرت ان الشيخ الوالد رحمه الله كان مرة فى مشهد صاحب الترجمة مع
الفقراء فقال ان هذا السيد كان شغله فى عصره كشغلنا هذا ؛ وكانت نظراته
صوفية ؛ كما كانت نظراتنا بفضل الله كذلك او كما قال :

ثالثا - ان كلا من الرسموكى والحضيكى وصف الشيخ بأنه ساموكنى وطنا ؛
تهالى مسكنا ؛ سبق بذلك الرسموكى فاخذه عنه الحضيكى على عادته فى غالب
استراجم التى اخذها منه بعزو او بغير عزو ؛ فبقى ذلك مشكلا عند كل من يراه
من اولاده لامور شتى ؛ منها ما يزعم من ان قبيلة ساموكنى قبيلة منحطة فى انظار الناس
فيشبهون اليها حكايات واقاصيص جعلتها فى المجتمع كباهلة بين قبائل العرب
حتى ان بعض من لا يستحيى جاء باكذوبة عن الشيخ الحضيكى ؛ فحواها انه
سأل مرة انسانا عن هو امام مسجدهم ؛ فذكر له انه طالب ساموكنى فزعم ان
الشيخ قال له : اوصيكم بعد اليوم ؛ فان وجدتم طالبا (ولتيا) فذاك ؛
والا فقبلوا بطالب (ازغارى) فان لم تجدوا الا اماما ساموكنيا ؛ فاريحوا
مسجدكم تلك السنة ؛ الى ان يتيسر لكم امام آخر فهذه الاكذوبة وعشرات من
امثالها يتعاطاها سفلة الناس ورعاعهم وجهالهم فترسب بها هذه القبيلة فى
انظارهم ؛ فاما ذوو العقول الراجحة فانهم يعلمون ان الناس سواسية ؛ وان
بنى آدم كلهم كاسنان المشط لا يتفاضلون الا بالتقوى ؛ بل يزيدون اننا اذا
نظرنا الى اقامة الدين ؛ والاقبال على استظهار كتاب الله ؛ ونبوغ بعض العلماء
فينة بعد فينة ؛ وعلمنا ان هذا وامثاله مما تتسامى به القبائل وترفع به راسا
عاليا يناطح الجوزاء فان لقبيلة ساموكنى حقا غير قليل فى ذلك ؛ فبماذا تفضلها
القبائل الاخرى ياترى ؟ وهل يميل الى هذه الشعوبية الممقوتة الا ذوو الراى
الفائل ولكن مع مدافعة ذوى العقول هذا الدفاع المجيد عن هذه القبيلة ؛ فان
آذان الرعاع صم دونه حتى انهم ليزعمون فيما يزعمون ان الفضلاء الساموكنيين
انفسهم سرعان ما يتملصون من هذه النسبة ؛ كلما وجدوا الى ذلك سبيلا فقلما
يتغرب احدهم ويبقى على هذه النسبة ؛ هذا ما يتفوه به من لا يعرفون الا ولاذمة
وهذه بلاشك قرية افتروها من سخافة عقولهم ؛ والا فمن ذا الذى يتبرأ من نسبه
وبلده وان كان ماكان *

لهذا ينهوا اهلبنا عن ان تكون بينهم وبين آل ساموكن اواصرًا وينظرون الى كل
من لهم بذلك نظرا شديداً ؛ حتى ان من اراد ان ينجزهم او اراد ان يذاهبهم
قاله يضرب على هذا الوتر الحساس؛ فاذا باحدهم يثور بشعور او بغير شعور .

لازال الذكر التي كنت مرة سوانا في طور البلوغ في دار الرئيس احمد
ابن الحاج ابراهيم القشاني ؛ فضاكنني وداعبني فلم ينسب ان نس هذه النسبة
فناورته في ذلك ؛ وانا كنت اجهل ما وراء الالفة ؛ فقام رحمه الله الى الحضيكي
فأراني هذه الترجمة ؛ فاطرقت حياء فلم اجد ما اقول ؛ فصرت اذافع ساذل من
الساموكنية ؛ ولكن مفضفا في نفسي احس به يخزني وخزا ؛ وغرارة النسبية
لازال تنسب في التعصب المفقوت ؛ ثم انني بعد ذلك بكثير قرأت في تاليف
الاستاذ مورخ رجال هذا الجيل الماضي بسوس سيدي محمد بن احمد الرفاعي
فسمع الله لي امله ؛ انه بات ليلة عند الرئيس الحاج ابراهيم القشاني ؛ فكان
هذا اراد ان يستفز ضيفه ؛ فصار يعلى امامه شان مراتبنا السعديين ويعرض
في البناء ذلك بالسادات شرفاء (تيمكيدشت) ويغمز نسبتهم الى الشرف ؛ فلم
يسبر الاستاذ ان قال من هم مراتبوك هؤلاء ؟ وهل هم الاساموكنيون ؟ فجاذبه
وب شواه في ذلك ماشاء الله ؛ فاحتج عليه الاستاذ بالحضيكي ؛ فاني به فوجد
الامر على ما قال .

هذا ما قرأناه في كتاب الاستاذ حفظه الله ونحن نعلم ان ذلك منه انما هو
حكاية عما وقع في ذلك المجلس ودفاع عن اشياخه ؛ والبادي الظلم .

هذا بعض ما يروج حول هذه الساموكنية ؛ ولا يعتمد ذلك كما ترى الا على
الشهوية المفقوتة ؛ التي ينبغي ان تنطوى بين المسلمين .

ومما يعول ايضا بين اهاليها وبين قبول هذه النسبة ان ذلك لم يعرف قط
ولا كانت عليه اثاره من علم ؛ فيما روه عن آباؤهم واجدادهم ؛ فيما عرف عندهم
ابن الشيخ صاحب الترجمة استوطن وادي ساموكن ؛ ولا كان ما يدل عليه ولو
توهها ؛ قالوا ان الجد لم يزل ساكنا بايمورطوال حياته حتى اقبل فيه ؛ وليس
هناك في وادي ساموكن ما يدل على انه كان نازلا فيه ولو حقة من الزمان فلا داع له
هناك ؛ ولا املاك ؛ ولا ما ينسب اليه والعادة تقضي في البادية ان من الم بمحل
في سكن فيه زمنا لا بد ان يدع فيه الرا من الاثار ؛ وليكن على الاقل دارا نزلها
وحيث لا يوجد شي من ذلك هناك ؛ للاشك ان هذا غلط من قائله ايا كان سواء
قاله الحضيكي من عند نفسه او نقله عن غيره ؛ وهذا الذي يقال للحضيكي يقال
لغيره ممن سبقه الى ذلك ؛ فلما ينتقل الانسان من بلد الى بلد الا لاحد امور ثلاثة ؛

== اما جلاؤه عن ظلمة لا يحترمون له الى محل يجد فيه امانا على نفسه .
== واما ان ينتقل الى املاك تالها في مسكنه الجديد ؛ فيجب ان يجاورها ؛ وان
يكون استغلالها تحت نظره . *

= واما ان يكون المنقول اليه بلداً فسيحاً طيباً ينتقل اليه من بلد وخيم الهواء، ضيق الرقعة يصعب فيه المرعى والمورد ؛ قالوا فهذه البواعث الثلاثة ينتقل الانسان من بلد الى بلد ؛ وهي كلها منتفية ؛ فليس هناك في ايمور من يضايق الشيخ حتى يحتاج الى النقلة منه الى ساموكن ؛ بل كان من الاحترام هناك في الكالة التي يقبضه عليها كثيرون؛ ولا كانت له في ساموكن املاك تائلها فاحب ان يجاورها فلو كانت له هذه الاملاك هناك لذكرت بين الاماكن التي فيها عقاراته وقد راينا رسوم تبريعات احفاده بعضهم على بعض تعدد فيها الاملاك المتنوعة في امكنة مختلفة ؛ ولم يجر فيها ذكر لساموكن ؛ وكذلك أنت رأيت في هذه الوثائق ما ذكر فيه بعض امكنة فيها عقارات للشيخ ولا ذكر فيها لساموكن فنقدر ان الشيخ باع ما تأكله هناك بعد ان ملكه؛ وهو من عرفنا منه التوسع حتى لا يحتاج الى بيع مثل العقارات التي تكون في ذلك الوادى والعادة جارية ان عقارات الاودية آخر ما يباع من المتاع ؛ فهذا كله يعرف انه لا اصل له هناك ولا عقار يمكن ان يحفره الى النقلة اليه ؛ وكذلك لا يمكن ان يحمله ايضا على مغادرة (ناحالا) الى ساموكن فسحة أرجاء ذلك الوادى وصحة هوائه ؛ واتساع مرأيه مع ان الواقع ان ذلك الوادى عميق واضيق من سم الخياط ؛ واعمق من لهاء الاسد ؛ فلا يتلقى اهاليه الشمس على اعلى ابنتهم الا بعد متوع النهار بكثير ؛ ثم يودعونها قبل الطفل ؛ في حين ان تهالا بلد متسع الارحاء منفسح المرعى ؛ لا يمكن ان يفادره ذولب باختياره ليزج نفسه في ذلك القبر العميق قالوا فهذا يدرك معنا كل متامل انه حين انتفت هذه الاسباب التي بها غالباً ينتقل من بلد الى بلد ؛ ينتفى كذلك المسبب ضرورة ان المسببات تنتفى بانتفاه جميع اسبابها .

قالوا قد راينا انه حين تزوج عام ٩٨١هـ وصف في عقد النكاح بنسبته الى ايمور ؛ ثم عاش بعد ذلك ستين سنة او اكثر ؛ على ما علمه فيما سياتى ففي أى وقت توطن في واد ساموكن ؟ اقبل هذا الوقت ؟ فيستحق حينئذ النسبة في رسم النكاح الى ساموكن ؛ مع انه لم ينسب فيه كما رأيت الا الى ايمور خاصة ؛ ام بعد ذلك وقد تزوج وولد الاولاد ؟ فما الذى يحمله اذن على السكنى هناك والانتقال باولاده اليه ؟ الاتلك الاسباب التي ذكرنا انها هي التي بها ينتقل الانسان غالباً عن بلده ؛ فقد راينا انها كلها انتفتت افلا ينتفى كذلك المسبب ؟

قالوا عجباً ! ايعرف غيرنا عن جدنا ما لانعرفه عنه ؟ مع ان اهل مكقادرى بشعابها ؛ ايستحضر كل واحد من اهاليها الذين يعدون بالمئات ابا عن اب ؛ الامكنة التي اسس فيها ما اسسه في حياته حتى اننا لنعرف ما بين المهامه الفيج والقفار المترامية ؛ الآره الرا الرا ؛ ثم ننسى شيئاً مما وراء ذلك ؟ افليس

الاصوليين المحدثون يقولون انما ورد عن طريق الاحاد ؛ وان كان مرويا عن
عدول سابقين او كان بمثابة ان يروي بالتواتر لو كان موجودا في الواقع ان
ذلك مخلوش فيه ؛ بل ان بعض الاصوليين لا يقبله البتة ؛ يعرف واحد من
الماتيين او من بعض قري قبيلة رسموكة ؛ ان جدنا نوطن وادي ساموكن ثم
يظن هنا ذلك جميعا ؟ ان هذا لمعجب عجاب .

قالوا لا يسبقن الى ذهن القارىء اننا ممن يرمى تلك القبيلة بما يرميها به
رعاعنا او نابي ان ننظم نحن واياهم في سلك واحد ؛ فلسنا والحمد لله من
ذوي الشعوبية المقوتة ولا ممن يتصلون مما ثبت ؛ ولا ممن يتناولون الى
مالم يكن ؛ فان آل ساموكن اناس فضلاء فيهم ما في الناس جميعا ؛ ذهبوا حرف
ولو صح اننا واياهم يجمعنا جدم واحد اوضح ان جدنا سكن بين ظهرائهم
اسبقنا ذلك بكلتا اليدين ولا بديناها للناس اجمعين ؛ فاننا في شرف نفسي
يكفينا عن كل شرفوراء ذلك ؛ ولكن الواقع ان هؤلاء الفضلاء في واد ونحن
في واد فان ثبت ذلك بعد بما تثبت به المعلومات من الادلة والحجج والبراهين
ونبين ان جدنا كان من ذلك الوادي فاننا ممن يتشرف بهم اهل ذلك الوادي
كما تشرفت برسول الله صلى الله عليه وسلم عدنان .

قالوا اننا نرى الرسموكي وتابعه الحضيكي يقولان في الشيخ التهامسكنا
الساموكني وطنا ؛ فهذه العبارة لانكاد ندرك لها معنى ؛ فلاندرى هل المقصود
ان وطنه الاعلى هو ساموكن ؛ ثم اتخذ تهالا بعد ذلك مسكنا ؛ فان كان هذا هو
المقصود وهو الاقرب ؛ فاننا نحتاج اولا ان نعرف اين ولد الشيخ واين مسكن
والده لندرك مقدار ما لذلك من صحة ؛ ولكننا لانعرف على ما يقوله الناس الا
ان الشيخ بنفسه هو الذي قدم من (تامدولت) ولا يمكن ان يقدم بنفسه ؛ مع
اضافة ذلك له ؛ الا اذا بلغ مبلغ من يقدر على النقلة وجوب البلاد ؛ فهناك
تواتر عند الناس انه كان في اكادير نتبسيست ؛ ثم بعد ذلك كان عند شيخه
بهيما بن عبد الله سنوات ؛ ثم تزوج سنة ٩٨١ هـ في ايمور حيث عاش سنين
سنة او اكثر ؛ ففي اي وقت يكون ساموكن وطنه ؟ كما قاله الرسموكي ؛ في
حين اننا نرى نقلته من تامدولت فسكناه في اكادير نتبسيست ؛ فانقطاعه الى
شيخة سنوات ؛ فتزوجه سنة ٩٨١ هـ هذه الامور كلها لا بد ان تتابع كما ترى
وقد قدرنا لهذا الوقت كله نحو ٢٥ سنة ثم تلقى من ذلك اعوام الصبا
فيها الذي يبقى بعد ذلك ؛ حتى يستوطن فيه ساموكن استيطاننا يستحق ان
يسمى له ؛ حتى يكون في مقابلة سكناه في تهالا الذي كان سنين سنة فاكتر
وان لم يكن هذا مقصود الرسموكي بتلك العبارة ؛ فليت شعرا ماذا يقصد بها ؟

قالوا فتبين لنا من كل هذا ان هذه العبارة لا بد ان تكون غلطا من قائلها
والعاسل ان اهاليها يابون بكل ما في امكانهم ان يسمي الشيخ الى ساموكن مطلق
سبة وان يكون به ولو مرويا ؛ ويرد ذلك علمنا كما ترى في رقم ٦٥ صا

كتبه شيخنا على هذه الجملة من كلام الحظيكي ؛ ان ذلك كذب محض ؛ فهذه الاجوبة التي ذكرناها تفصيلا ومددنا فيها القول ؛ واتينا فيها بالحجج والبراهين المنطقية تارة ؛ والخطابية تارة هي كل ما يمكن ان يتمسك به من ينفي ذلك ؛ وقد سمعت غالب ذلك من اهاليها فنظمتها كما ترى .

اما انا فقد وقفت ازاء هذه المسألة ؛ موقف من لا يريد ان يسير الا بمصباح نير ماله ؛ فقد فتشت واكثرت التسال عن مولد الشيخ ومكان منته ؛ ومقبر والديه ؛ علني ان اعرف ما استند اليه في هذا المبحث ولكنني لم ارجع بعد كثرة السؤال الا بغضى حنين ؛ فعولت على ان ارجع الى هذه الوثائق نفسها لعلني اجد فيما بينها ما يفتح لي هذا الباب .

كنا قرانا في الوثيقة الموضوعة تحت رقم - ١ - ان عليا عم الشيخ هو الذي كان وكيله عند عقد النكاح ؛ وقرانا ايضا في رقم - ١٢ - ان احمد بن عبد الرحمن توكل في عقد نكاح احمد بن عبد الله عنه ؛ وقد ذكر كاتب الرسم انه من نسبه ؛ فادركنا بذلك ان لاسرة الشيخ فروعا موجودة ؛ وادركنا ان الشيخ ليس وحده ؛ ولكن ابن يسكن هؤلاء الفروع ؟ فهل كانوا يسكنون الشيخ بايمور ؟ او كانوا في اكادير تنبسيست وانما يزورونه هناك عند امثال هذه الافراح كما تجرى به عادة ذوى الارحام ؟ لاندرى ؛ ولا طارق العصى يدري اي هذين كان كما لم نخرج ايضا بعد مراجعتنا لهذه الوثائق كلها من جديد ؛ الا بجهل مطبق عن هذه النقطة ولا يسترعى نظرنا الا ما عند الرسموكي الذي يدفعه اهاليها بما رايت .

اكثرت التأمل فخطر لي انه يمكن ان يجمع بين مايقوله اهاليها ومايقوله الرسموكي بتاويل كلامه .

ان اهاليها يقولون ان الشيخ كان في اكادير تنبسيست قبل ايمور ولم يكن في وادي ساموكن فقط ؛ وقال الرسموكي ان وطنه هو ساموكن ؛ او ليس انه يمكن ان ساموكن اذ ذاك كان يطلق على ما يعم اكادير تنبسيست؟ وهو في جواره ؛ فلئن كان الامر هكذا فان الرسموكي اذن صادق ؛ ولا اقرب من هذا التاويل والجمع متى امكن لايصار الى الترجيح كما هي القاعدة الاصولية ؛ وايضا اننا نستبعد ان يلقي الرسموكي الكلام جزافا فيما هو بصدده في كتابه ؛ وقول المورخين لايطرح بسهولة خصوصا من عاصر وشاهد او شاهد من شاهد ؛ ومتى تاولنا كلامه هذا التاويل القريب فانه يمكن لنا ان نجمع بينه بكل سهولة مع ما عند اهاليها كما ترى ؛ اوليس هذا مما يترجع ؟ فنذكر ساذن ان الشيخ ما انتقل الى ايمور الا قبل تزوجه بحقبة ؛ وكون عاقد رسم النكاح لم يصفه الا الى ايمور ؛ ولم يصفه الى مكانه الاصل ؛ لايدفع هذا لان الانسان بمشواه الان ؛ لا بما درج منه على ان العقود لايستدل بها الا فيما

سبقت له لاغير ؛ واما ماسوى ذلك فلا يستدل عليه بها ؛ وذلك معلوم عند كل فقيه .

بهذا عرفنا وغلب هل لنا ان اصل الشيخ من اكادير تسيست كما يقوله اهاليها وتواتر عندهم ؛ وبدل عليه قول الرسموكى ان لهنا ذلك اللهم الماشى ؛ واما نسب الشيخ ؛ فسرى امامك الكلام حوله .

ثم هانحن اولاء ترجح عندنا ان الشيخ كان فى اكادير تسيست ؛ قبل ان ينتقل الى ايمور ؛ ولكن هل ولادته ومنشاء هناك ام كان فى تاملت كما يقوله اهاليها ؟ اننى ارجح فى هذه النقطة ان ولادة الشيخ ومنشاء فى اكادير تسيست ؛ وان الذى انتقل من تاملت احد اجداد الشيخ ؛ والذى رجح هذا عندى ان وقت جلاء تاملت الشهير كان فى اوائل القرن التاسع او قبله بدليل انهم يقولون ان الشيخ على بن يونس الاغشانى هو الذى كان سبب هذا الجلاء فى حكاية تحكى ؛ وعلى هذا كان حيا فى القرن التاسع او ترجمته واخباره ينسبها النقلة الى الشيخ احمد بن عبد الرحمن المسجداوى المتوفى حوالى مولد الشيخ صاحب الترجمة ؛ ثم يظهر من ترجمته لعل بن يونس انه لم يدركه ؛ وحياة المسجداوى فى النصف الاول من القرن العاشر ؛ وقد توفى سنة ٩٤٨ هـ فهذا ندرى ان الجلاء التاملتى كان قبل الشيخ صاحب الترجمة ولا يمكن ان يكون هو بل ولا بوه من بين الجالين ؛ فربما كان الجالى هو جده الاذى او الاعلى ؛ ويرجح عندنا ان الشيخ ليس هو الجالى بنفسه ان السنوات التى حزرناها له قبل زواجه وقبل اتصاله بشيخه يحيى بن عبدالله ؛ القصر من ذلك واضيق ؛ ثم اذا اضفنا الى ذلك المقدار المحزور من عمره ما عاشه بعد فان ذلك يناهز نحو ١٠٠ سنة ولا نعلم ان الشيخ عاش اكثر من ذلك حتى يزيد فى ذلك القدر المحزور سنوات اخرى يتاتى له فيها ان ينتقل من بلد الى بلد انتقالا يضاف له كما يقوله اهاليها .

هذا ما ترجح عندنا فى هذه النقطة والله اعلم ؛ واما ان نقول ان اصله الاصيل من ايمور ؛ بدليل وجوده هو فيه فهو ضعيف ؛ لاننا لم نجد لذلك دليلا مسموعا ولا معقولا ؛ الا ما كان من الاستصحاب المعكوس الذى هو ان نقول ان وجوده هو فى ايمور ؛ دليل على وجود اصوله هناك فهذا هو الاستصحاب المعكوس وهو ضعيف فى الاستدلال ؛ وكون التواتر عند اهاليها هو ان اصله من اكادير تسيست ؛ يكفى فى رد هذا التوهم وخصوصا حين يتايد هذا الخبر التواتر بما قاله الرسموكى ؛ من ان وطنه من ساموكن وقد عرفت ما مقصوده بساموكن فيما تقدم على ما اولنا اليه كلامه ؛ وهذا منتهى ما امكن لنا فى الموضوع ؛ والحمد لله . وقد كان اكادير تسيست من قرى ساموكن قبل ان يستلحقه ايت على المريطيون .

رابعاً - انك قرأت فى ترجمتى الرسموكى والعنسيكى الموضوعين تحت

رقمى ١٤-١٥ = ان الشيخ توفى يوم الاربعاء ٢٧ من ربيع الثانى سنة ١٠٤٠ هـ لم فرأت بعد ذلك انتقاد ذلك لشيخنا الالفى حفظه الله مستدلا بما فى رقمى ٦-٧ = من رسم التصوير المورخ باوائل ربيع النبوى سنة ١٠٤٧ هـ ومن رسم الموافقة من اولاد الشيخ على هذا التصوير المورخ برجب سنة ١٠٥١ هـ وماخذ ماذهب اليه شيخنا فى ذلك ان الرسم الاول يظهر من لوائح عبارته ؛ انه كتب حين الاشهاد كما يظهر ايضا من الثانى ان ذلك الابراء من اولاد الشيخ لايبهم كتب فى حياته وان تاريخ الابراء هورجب سنة ١٠٥١ هـ وان كان الرسم لم يكتب الا فى سنة ١٠٩٢ هـ حين طلب ذلك من الشهود فاملوه استرعاء ؛ وعينوا وقت وقوع ذلك ؛ فهذا استدل شيخنا وبهذا انتقد ان يكون الشيخ توفى سنة ١٠٤٠ وتكون وفاته على هذا بعد ١٠٥١ هـ وقد كنا نزرنا ولادته فى ٩٥٥ هـ فيكون عمره يناهز المائة كما ترى .

ثم اننا ان تبنا هذه الوثائق الماضية ؛ نجد ايضا فى التى وضعناها تحت رقم ٩- فى رسم المفاصلة بين السيدة زينب زوجة الشيخ وبين آلهما فيها ورثوه عن آباؤهم انه وصف هذه السيدة بايم الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ثم ارخ ذلك الرسم سنة ١٠٣٩ هـ فكان فى ذلك غرابة ؛ لاننا نتيقن ان صاحب الترجمة فى هذه السنة لا يزال حيا ؛ وكيف توصف فرينته بايم وهذا غلط بلاشك ؛ ولا يعتورنا ريب فى ذلك ونظن ان هذا الغلط ممن نسخ من الاصل ؛ وكانه اراد ان ينقل ١٠٥٩ هـ فسبقه القلم فاستبدل -٣٥ او مثل ذلك

اذن فلم يبق بين ايدينا الا ما للرسموكى وما فى رقمى ٦-٧ فالتبادر هو ما ذهب اليه شيخنا الذى دل عليه ما فى هذين الرقمين ؛ لان من يبعد عن الانسان ؛ ولا يخالطه - كما كان ذلك من الرسموكى مع صاحب الترجمة القرب الى الغلط من الموثق الذى يجعل بين عينيه تاريخ الوثيقة التى يكتبها وان كنا نستبعد ايضا باعتبارات اخرى عدم تثبيت الرسموكى فيما تصدى له من تحرير وفيات معاصريه ؛ ويتايد هذا الاستبعاد بالمعاصرة ؛ وبان غلظه الممتد الى ما فوق احدى عشرة ؛ كثير قلما يقع للمتصدى كمثل ذلك ؛ ويتايد ايضا بانه عين يوم الوفاة وعين الشهر وذلك كله مما يدل على التثبيت ؛ ولكن مع كل هذه الاعتبارات ؛ وهذه المؤيدات لقول الرسموكى ؛ لانزال مع شيخنا فيما يرجح عنده ؛ لان عبارات ما فى وثيقة التصوير وما فى اختها اقوى اعتبارا من هذه الاعتبارات الاخرى ولتقتصر اذن على انه توفى بعد ١٠٥١ ولبقى على ذلك الى ان يظهر لنا ما ينقلنا عنه ؛ واما الحضيكى فانما هو تبع للرسموكى فيما ذهب اليه ؛ نقول ذلك وان كنا نميل احيانا الى التردد حين يتجمل تثبيت الرسموكى من جهة اخرى فتشعير ؛ والله اعلم .

هذا ما يمكن لنا ان نقوله في وقت وفاة صاحب الترجمة ؛ وبذلك ندرؤا له
معجز حتى ناهز لهو ١٠٠ سنة رحمه الله *

هذه نظرات حول هذه الوثائق الخمس عشرة ؛ وقد بينا فيها كل ما
وصلت اليه بحوثنا ؛ وابدينا ما ندل عليه نصريحا او تضمنا ؛ ولم يبق لنا
الا كلمة اخيرة حول كلمة قراناها في الوثيقة الموضوعه تحت رقمه - وهي
قول احمد بن علي بن ابراهيم التوييتي فيما خاطب به السلطان «فترفب من
امر المومنين المنصور بالله امام وقته ابي العباس احمد الشريف نصره الله
بعلى وايدى ؛ ان يلحقهم بامثالهم في التحرير والخروج بهم عن المطالبة على
عادته في اهل الخير والصلاح والدين والقراءة والافراء على وجه الله تعالى
بحق جدتهم المصطفى صلى الله عليه وسلم» فقد رايت انه قال بحق جدتهم
المصطفى صلى الله عليه وسلم فما معنى ذلك ؟ امقصوده انهم شرفاء ؟ هذا ما
لم يدعه قطمر ابطونا ؛ ولا سمعنا من ادعاء لهم او انما هي كلمة ارسلها
التوييتي على عواهنها ؛ وذلك ايضا بعيد ؛ ولهذا يحتاج المقام الى تان وتبصر
حتى ندرك ما يرمى اليه هذا الكلام الذى وقعه ثمانية عشر عالما ؛ ولكى نعرف
ذلك ينبغى لنا ان نجول بابصارنا من هنا وهناك *

قرأت معى فيما تقدم ؛ البحث عن منشأ الشيخ واصله ؛ وقد استقر رأينا
اخيرا على ترجيح ما يقوله اهلنا من ان الاصل الاصيل من تاملولت لم لا يعرفون
ما وراء ذلك ولم اجد انا ولم اسمع شيئا آخر يمتد منه نسبهم ؛ الا ما كان
الاستاذ سيدى محمد بن احمد الاولوى الامنوزى اخبرنى به منذ سنوات
انه راي رسما كتبه بعض آل الشيخ قبله ؛ ذكر فيه النسبة الى الجعفرية
يعنى الى جعفر بن ابي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال العوام
في بعض السلات من جهتهم ؛ هذا ما سمعته لا غير ولكن هل لهذا من صفة ؟
فان اهلنا بقوا جاهلين هذه النسبة الى الان ؛ ولم اعرف لها روجانا بينهم
قط ؛ الا ما كان من رسالة رايت فيها هذه النسبة وهي مخطوطة بيد الاستاذ
العلامة سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله كتبتها الى تلاميذه بابى مروان ؛ ولا
ادرى من اين تسرب اليه ذلك ؛ بل ولا سمعت بعد عنه ذكرا يروج حول ذلك
هذا كل ما خطر حول هذه النسبة ثم لم يتصل بذلك رواج بل ولا عرف له
مستند ؛ حتى جاء الاستاذ سيدى محمد بن مسعود العدوى فصار يخاطب
بهذه النسبة شيخه الشيخ الالفى في قصائد ورسائل ؛ بل وسم بذلك قصيدة
نونية ستقراها ان شاء الله في ترجمة الشيخ (هز الراية الجعفرية ونشر
الصفحات العنبرية في النافحة عن الطريقة الالفية بذكر بعض مالها من
المآثر السنية في كتاب الترياق المداوى)

وقد سألت شيعتى سيدى سعيد ؛ الثانى عن استقر من عنده هذا الاستاذ

هذه النسبة ؛ ومن اين توصل بها ؟ فذكر عنه ان الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ذكر له انه رأى ذلك في طرة كتاب ؛ هذا هو مستقى ما يقوله الاستاذ ابن مسعود ؛ ثم عنه انتشرت اخيرا هذه النسبة فوصلت الى مسامع اهاليها فاما الذين عقولهم فى اصمختهم فانهم تلقوا ذلك كانه ثابت بما تثبت به المعلومات ؛ واما ذوو الالباب فلا يزالون فى ريب لان الانساب لا تثبت بمثل ما فى الطرة ؛ ولو كان الرسم الذى ذكره الاستاذ الامنوزى موجودا ؛ وتحققنا منه هذه النسبة لكان ذلك ماثرا لمن اراد ان يظن هذا الظن ومثل هذا يكتفى فيه بالظن - ولكننا لم نتوصل بهذا الرسم لنعلم ما هنالك ؛ لان هذه النسبة لو كانت صحيحة لما فرط فيها الاولون ولحافظوا عليها ؛ فنقول اذن فى حقهم الناس مصدقون فى انسابهم ؛ واما حيث لا يدكرون ذلك ولا يرفعون به راسا فلا مصير اليه الا بما تثبت به المعلومات ؛ لا بما وجد فى الظن لم انى كنت سمعت ان هذه النسبة كانت مكتوبة فى جدار مشهد الجد صاحب الترجمة ثم محيت ؛ ثم لا ادري اكانت مكتوبة قبل تجديده فى اول هذا القرن ؛ ام لم تكتب فيه الا بعد تجديده ؛ ولهذا يضعف ايضا الاستدلال بها .

هذا كل ما عرفه راجعا عن هذه النسبة الجديدة وانا الى الان لم تبلغ عندي حتى درجة الوهم ؛ لاننى استبعد ان يكون ذلك ثم ينسأه الاباء ؛ ولم يملأوا به مسامع الابناء مع ان كثيرين ممن انتقلوا من (تآمدولت) عضوا على هذه النسبة بالنواجذ وحافظوا عليها بالمحافظة على سلسلة انسابهم الى الامام جعفر ؛ ويتعهد ذلك بظواهر الملوك ؛ كابناء على بن يونس الايشانيين فلهم سلسلة نسب متصل الى جعفر ستراه عند ذكرهم ؛ واستبعد ايضا ان تكون هذه النسبة موجودة لعبد الله بن سعيد ؛ ثم تتخطاها تلك الوثيقة التى حشرفها اولئك العلماء ما عرفوه .

ثم لقائل ان يقول ان هذه الوثيقة هاهى ذى تنادى بان جدتهم هو المصطفى صل الله عليه وسلم ؛ فيكونون حينئذ شرفاء ابناء فاطمة من الحسن او الحسين ؛ فاذا عقلت صفة هذه النسبة بمثل هذه الوثيقة مع انها هكذا ؛ فلم لا يحكم بان الشيخ صاحب الترجمة شريف وان ذريته شرفاء ؟ افول هذا امرى ايراد له حظ من النظر . ولكن الذى يمنعنا من قبول ذلك ان مثل هذه النسبة لو كانت لما فرط فيها الاولون ؛ ولاعلنوا بها فى كل مناسبة ولراينا ظواهر الملوك التى بين ايدينا عدة منها ؛ وقد ذكرنا منها اثنين فيما تقدم وسنذكر فى آخر هذه الترجمة سائرهما تصرح بذلك وتعلنه على عادة الظواهر الملوكية فى ذلك ؛ وهذا كله جدير ان لا يقبل به ذلك القول الذى صدر من الفقيه سيدى احمد بن على التويبى فى تلك الوثيقة .

ثم لقائل آخر ان يقول اولم يمكن ان تفسر هذه النسبة الشرفية التى

ذكرت في الوثيقة هذه بأنها هي النسبة الجعفرية ؛ لأنها مستمدة الى زينب بنت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكما انها ولدت الحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب كذلك ولدت زينب بنت علي بن ابي طالب التي اولدها جعفر بن ابي طالب سلالة الزينية وهي مشهورة ؛ فما المانع ان يطلق علي هؤلاء الزينيين ايضا ان جدهم هو المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ كما يقال ذلك في اولاد الحسن والحسين الولد ان لهذا القائل مصلح ساميا وقولا فيه ما يلفت نظر الناظر .

حقا ان قوله اقرب ما توول به قولة تلك الوثيقة وهذا القول علي الاقل نجد فيها بروج اخيرا من بلوكة بلسانه ؛ وان لم نعتد عليه ؛ ولا كانه عليه لوائح البرهنة ؛ علي ان ابتداء المصطفى اختصوا عرفا بابناء الحسن والحسين منذ القرن الثامن الى الان وهذا مما يستبعد به ان نجد ايدينا الي نقل ما يقوله هذا القائل برمته .

يطرق اذاني فينة ان هناك نحو وادي ايسى شجرة نسب للشيخ صاحب الترجمة صارت الي بعض الناس هناك احتجتها ؛ ولم ادرا ؛ هذا الذي يطرق اذاني صحيح او هو من بنيات الالسنه ؛ وطالما حثت بعض الناس اليه لعلهم يجهلون في التوصل بنسخة منه علي الاقل ؛ لعلنا نجد فيه ما نخرج به مما يفور عليه هذا المبحث ؛ ولكنني بكل اسف لا اجد الا كسلا واعراضا ولا حول ولا قوة الا بالله .

نخرج من هذا المبحث ؛ ونحن كما دخلناه ؛ شكنا علي شك في هذه النسبة ؛ وهذا لم نجد هذه الشجرة وذلك الرسم الذي يذكره الاستاذ الامسوري ؛ لاننا لانجد الابا موصدا امام نتيجة يتناول اليها بعض من لم يكلفهم شريك الاسلام العام ؛ وابي الا ان يزوج نفسه في الطالبين ؛ ولا ندرى ؛ فلمسلي الايام تصدق ظنهم ؛ فيقع لنا في هذا مثل ما وقع للاستاذ احمد بن خالد الطاصري الذي اعلن الشك في نسبة الناصريين في الجعفرية في كتاب الاستبصار لم لم يلبث ان ظفر بما تقوى به عنده ما حاده الي ان يرجح هذه النسبة في كتابه (طلعة المشتري) .

هذا آخر ما تيسر تحريريه فيما يتعلق بالشيخ سيدي عبد الله بن سعيد رحمه الله فقد بذلنا في ذلك جهدنا ؛ واسهبنا بعض الاسهاب ؛ علنا نتصرف منه نواحي غامضة ونحن نسلك طرق البحث التحليل بقدر الامكان ونتمسك بما رايناه صحيحا بالبرهان ؛ ونلقى نظريا ما لا تدعمه حجة .

وله من الاولاد من رايتهم فيما تقدم فاما احمد فسوري ترجمته ؛ واصبا محمد فدفن في (كاور) بمقاط ؛ واما بلقاسم فدفن في قرية (تيدل) بقهيلة ابلشان واما موسى الذي مات بعد والده بلا عقب كما قاله العم ابراهيم ؛ ولم

يعقب كما يعقب اخوه ؛ فانه قال ان الغالب انه دفن في ايمور ؛ لان قبره لم يعرف كما عرفت قبور اخوه في اماكنها ؛ وقد اخبرنا شيخنا سيدى عبد الله انه رأى رسماً مورخاً بنحو ١٠٩٨ هـ يتضمن وقف بعض ماله على ضريح والده قال وقد توفي موسى اذ ذلك في تلك السنة كما نبه عليه كاتب الرسم ؛ ثم ذكر انه رأى مثل ذلك الوقت من زوج موسى ؛ وانه مورخ بسنة ١١٠١ هـ فدل هذا على ان موسى تاخرت وفاته كثيراً ؛ وانه لا يعقب له مع انه متزوج لانه عزب كما هو متوهم .

اخبرنى الفقيه سيدى على بن صالح من اكرض اقفير انه رأى فى سلفه سيدى بلا ارخا وهو عبد الله بن محمد من اكادير ايزرى بين رسومه ما يدل على ان ازواج سيدى عبد الله بن سعيد متعددت ؛ فالتالية هى ام محمد ؛ والافرائية هى ام بلقاسم والكرسيفية ام احمد والساموكية لا عقب لها يعرف ؛ وذكر ان اولاد الشيخ خمسة فزاد اثنين منهما موسى ؛ والخامسات فى حياة ابيه ؛ ولم يسم ؛ ثم قال ان التالية من تاچكالت انتهى ما كتبه عنه ثم اتنا كنا سقنا فيما تقدم ثلاث تحريرات من السلاطين ؛ فلتبعها الان بكل ما تابعها وراء ذلك من الملوك الى الآن ؛ لتجتمع الفائدة فى محل لمن ارادها

(٤)

ظهر السلطان على ابودميعة التازروالتى ؛ حملته اولاد المرابط الصالح سيدى عبد الله بن سعيد التهالى من تظهرين يبقون على عاداتهم من التوقير والاحترام والتحرير التام ولا يطالبون بسائر الوظائف المخزنية باسرها؛ وبه نوكد الابى بباعلى (١) بن الحسن وغيره وكتب برمضان سنة ١٠٦٣ هـ

عبد الله سبحانه
على

(٥)

ظهر فى ايام السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل كتابنا هذا اسماء الله ؛ واعز امره ؛ واطلع فى سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره بيد حاملية المرابطين سيدى صالح بن عبد الله ؛ وسيدى احمد بن على ؛ وسيدى عبد الله بن موسى احفاد الولي الصالح سيدى عبد الله بن

(١) احسبه على بن الحسن بن احمد بن موسى ؛ ولعله كان قائدا على جهة ايمور والخ ؛ فاستحق ان ينيه على ذلك .

سعيد رحمه الله وقديس روحه يتعرفون منه بحول الله وقوته اننا جندنا لهم
 على ما يديهم ؛ من ظهائر سيدنا وعولانا اسماعيل قديس الله روحه ؛ وظهائر
 الملوك السابقين من قبله من التوفير والاحترام لهم ؛ ولجميع من تعلق بهم
 والوائف عليه يعمل به ولا يتعدده والسلام * في مهل رجب الفرد عام ١١٤٢ هـ
 وعليه طابع ليس بجميل ؛ لم تهتد للقراءة مافيه ولد ذكر فيه كما ترى ظهائر اسماعيلية
 واعلمها هي التي تمزقت بين تلك الظهائر ولم يبق من بعضها الاطابع ككتابها
 (وصيف المقام العالي منصور بن الرامي وفقه الله) وفي دائرته ما يأتيني
 (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت) ولاندرى من منصور هذا ؛ ولا من كان
 وصيفه من الملوك (ثم عرفت انه قائد من القواد الكبار في الجند الاسماعيلية
 وقد كان ولاءه على سوس حينا) *

(٦)

ظهير حسنى :

يعلم من كتابنا هذا اسمى الله مقداره واطلع في سماء الاسعاد ثموسه واقماره
 اننا بحول الله وقوته ؛ اسدلنا على المرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد
 النازلين ببلاد مجاطة من سوس ؛ اردية التوفير والاحترام ؛ وحملناهم على
 كامل الجيرة والاكرام ؛ وحاشيناهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح
 ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ فالوائف عليه من خدامنا
 وولاة امرنا يعمل به ولا يعيد عن كريم مذهبه والسلام ؛ صدر به امرنا
 بالله في ٢٤ جمادى الثاني ١٣٠٠ هـ . وفوقه طابع صغير فيه الحسن بن
 محمد الله وليه *

(٧)

ظهير عزيزى *

يعلم من كتابنا هذا اسماء الله واعز امره ؛ واطلسح في سماء الاسعاد
 ثموسه واقماره ؛ اننا بعهد الله وقوته وشامل يمنه ومنته جندنا المرابطين
 اولاد سيدى عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس حكم ما تضمنه
 ظهير سيدنا الوالد المقدس بالله من سدل اردية التوفير عليهم والاحترام
 وحملهم على كامل الجيرة والاكرام ؛ ومحاشاتهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم
 الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ تجدينا تاما لسفير

الواقف عليه أن يعمل بوقفه ولا يعيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه والسلام
اصدرنا به امرنا الشريف في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ هـ ووقفه طابع فيه
عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه *

تحرير للقائد سعيد الكلوي الحاحي الذي كان قائدا عاما على تزئيت وما
اليها سنة ١٣١٥ هـ *

مضمن كتابنا هذا اسعده الله يستقر بايدي حامله المرابطين الاخيار ؛
معادن جواهر الاسرار السيد الكامل ؛ والمربي الواصل يتيمة عقد الاولياء
وخالصة القوم الاصفياء سيدي عبد الله بن سعيد السوسي دفين زاوية
بايمور ؛ عمرها الله بذكره على مهر الدهور يعاملون بمقتضى حقهم من مزيد
التعظيم والاحرام وزائد التوقير والاحترام ؛ تميزا لهم عن غيرهم من العوام
وتزويها لساحتهم المطهرة عن سامها بقصد ذلك او رام وامثالها لامر الله
بتعليم حرمانه التي هتكها من كبائر الاجترام وتنفيذا لحكم ما تضمنه ما
بايديهم من ظهر سيدنا المقدس من انهم لايسامون بادنى تكليف ولايضامون
بال توليف وغير ذلك مما هو المعتاد من القيام بالخدمة المخزنية ؛ واداء
الوظائف الامامية من الهدايا والمواصلات ؛ سوى ما اوجبه الله عليهم من اداء
الاقتدار لزاويتهم التي للعلم والتي للفقراء قياما بواجب التعاون على البر
والنقوى ؛ ونبذنا لمنهى الاثم والعدوان ؛ فلامجيد لهم عن ذلك ولاسبيل لاحد
من العمال اليهم بوجه ولابحال ؛ هذا ونامرهم بالوقوف عند حدود الله سرا
وعلانية واقتفاء سنن سلفهم ؛ وان لاياتوا ماينافى الانخراط في سلكهم
ونعهد اليهم ايضا بتوفيرهم ظاهرا وباطنا جزيل حقوق القائمين بامر
الدين وحماية حوزته ؛ الوارثين للجد الاكبر في طريقته ارباب الزاويتين
العلمية والفقرائية ؛ السيد البركة سيدي الحاج عبلا بن صالح بزاوية
تحت الحصن وولده الشيخ صالح العلماء وعالم الصلحاء ؛ الفقيه سيدي
علي بن عبدالله ؛ وحاشيته القريبة وكذلك قدوة السالكين ومربي المريدين
الشيخ سيدي علي بن احمد الدرقاوي وحاشيته كذلك ؛ فان هؤلاء ممن وجب
عليهم القيام على ساق الجد في خدمتهم بحسب الاقتداء ؛ لماخصوا به من حلية
العلم وزينة الوقار ونشرهم في الناس بضاعتهم من النصح والعلم والاسرار
فبهذا استوجبوا من ولاة امور المسلمين ومن غيرهم السعى في خدمتهم ؛
والاجتهاد في قضاء اوطارهم وان لا يواخذوا بما يواخذ به عامة المرابطين من
مصالحتهم المخزنية اوغيرها رعا لتنصب العلم ؛ وذبا عن جناب حزب الهدى
وفريقه ؛ امن الله سيرنا من مخاوف طريقه وامدنا بنور توفيقه ؛ واعلم بهذا
من سيقف عليه من ائمة المسلمين بعد ان شاء الله ؛ في ٢٤ ذي الحجة عام
١٣١٥ هـ ووقفه احمد بن محمد الكلوي الذي هو خليفة القائد سعيد ؛ وعنده

الأصل أن قال : والذي حرر هذا بقلمه الأستاذ محمد بن سعيد الرحمن
المصري الشهير بالبرقاني ، وقد توفي سنة ١٣٤٠ هـ

(٩)

ظهر مهندي لجلالة سلطان العصر محمد بن يوسف حلفه الله :

يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره : أننا بحول الله ولونه وشامل
بفضله وفضله جددنا للمرابطين اولاد سيدى عبدالله بن سعيد المالين ببلاد
مدينته من سوس حكم ما تضمنته ظهار اسلافنا الكرام : قدس الله ارواحهم
في دار السلام : من سأل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل
الظهور والاكرام : وحاشيتناهم وعائلتهم من خدمة الطرق التي يكلف بها العوام
مراعاة لصلاتهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل :
تجسدنا تاما : نامر الواقف عليه من عمالتنا وولاة امرنا ان يعمل بمقتضاه :
ولا يفتد من كريم مذهب ولا يتعداه والسلام

صدر به امرنا المعتر بالله تعالى في ٦ صفر الخير عام ١٣٥٣ هـ وقد سجل
هذا الظهور الشريف في الوزارة الكبرى بتاريخ ١٣ صفر عامه الموافق ٢٦
من سنة ١٩٣١ م محمد المقرئ وفقه الله : وفوقه طابع صغير فيه محمد بن
سعيد الله وليه .

هذا هو الظهار والتحريرات التي وجدناها في الموضوع : وهناك رسائل
اخرى في لايبد التحرير من القائد سعيد الكلولى يكتبها هو او خليفته احمد
بن محمد : تركناها هنا اختصارا : للاستغناء عنها بذلك المرسوم : وانما
الظهار الملوك الاخرين فانها تمزقت حتى لم نهدمنها الا الى كلمات لا تسمن
ولا تظن من جوع : ولايت هنا ابيانا كنت قلتها صبيحة ٢٠-١-١٣٦٢ هـ
وقد بت هناك بايمور قصد زيارة تربة الجد :

كيما نرور هناك خير مزود
جمعت شتيت مسرة وخبور
طى ابتهاج فى الذ مسير
فيه الجدود ثووا طوال دهور
كالشمس تشرق فى ظفاوة نور
والرشد صين من الهوى بالسور
بل المكرمات مشهر مساور
اسماء من عمل لهم مشكور
ماكان خير مشيد ملكسور

الله رحلتنا الى ايمور
فلمن يد الاسعاد منها رحلة
ظويت هبال لم اوداء بها
يهدو بنا الشوق المبرج للذى
حيث استفاض الدين منهم مشرقا
حيث المسابح صافيات للهدى
حيث استنق اساس اصلاح لك
فهل لك الاخلاص مصفاة وما
شهدت لهم طرق التادوا حولها

فإذا بها ضمنت صدور العير
من كان مثل التاج في ايمور
أيديك ما يبقى طوال عصور
تشدى مناقبهم من المستور
ممن يدير دواليب المقبور
أيديك من عمل رضى مبرور

كانت معاشي ليس تسلم غيرها
لله منك الهمة القساء يسسا
علما لعصرك كنت تمت خلفت
فكذا يكون الصالحون وهكذا
زدت الكرامة والتشرف والرضا
وتنفتت الابناء ما رسمت لهم

هذا آخر ما يتعلق بجدنا الاعلى عبدالله بن سعيد رحمه الله ورضى عنه .



سيدي احمد بن عبد الله الالغي

نحو ١٠٠٠هـ نحو ١٠٨٠هـ

بسمه

احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورلا *
هذا ولد من اولاد جدنا الاكبر الذي قرأت ترجمته ؛ ولد رايت ان لغاربه
بلمن هذا منهم ؛ وهذا هو جدنا آل الخ ؛ ومن نسله انتشر صلاح كثير ؛ وعلم
كثير ؛ ولكننا لم نعلم ايضا من اخباره على الحقيقة الا بعض نكت لفظيا
بعضها من السنة المتحدثين والا بعض امور توصلنا بها من اثناء تلك الوالدي
التي قرأناها معنا ؛ ومن رسوم اخرى لانطيل بسوقها *

رايت فيما تقدم ان والدته هي زينب الكرسيفية ؛ وان والده زوجته نحو
١٠٤٦هـ بهريم بنت عبد الله بن عيسى البعقيل التي سألت اليه ذلك
الجماد الثاني ذكرنا انه ستمائة مثقال ؛ وهي ام ولد عبد الله بن احمد الذي
قرأ ايضا ترجمته فيما بعد ان شاء الله ؛ ثم انه تزوج ايضا بامرأة
من آل (المرابو) كما راينا بخط الفقيه سيدي ابراهيم بن سليمان
وهي الأخيرة هي ام اولاده كلهم ماعدا عبدالله الذي ولدته الاولى *

وتكلم صاحب الترجمة ساكنا في مسكن والده بايمور حتى النقل الى الخ
بسمه لا يعرفه كما لا ندرى ايضا كيف اختار هذه القرية التي هي في
الصحراء المقفرة القرب منها الى العمران ؛ ولم يقع لنا في ذلك الا هذه
المعجزة التي اخذناها جزافا كما نلقها اليك جزافا *

يقولون ان سيدي احمد بن عبدالله جاء يوما على حمارة له ؛ وقد جلا عن
ابور فيزل في سطح الجبل الشاهق في شمال الخ ؛ فاجتمع عليه هتاك
الوقايرون والابشانيون والتانازيون والحريبيون الالفيون ؛ فصارت كل
قبيلة تقترح عليه ان يشرعها بالنزول بين ظهرانيها وانها قائمة به احسن قيام
فالتفت الشيخ عنهم فصار رؤساء القبائل يتجادبون الحديث حول ذلك ؛
وكل يريد ان يستبد بالشيخ ؛ ولكنهم حين لم يتفقوا بمجادبة الكلام ؛ شاور
بعضهم بعضا ؛ وكانوا يميلون الى امتشاق العصام لولا ان اسرع اليهم ذلك
السيد المتكبر عنهم فهداهم ؛ وربط على قلوبهم بهيئته ؛ فامر بالقامة صلاة
العصر ؛ وكان وقتها حالنا ؛ فاصطفوا وراءه ؛ وقد اهدوا ما هم فيه ؛ فما كانت

الصلاة تنقضي حتى علمت في جنوبى مصلاهم ذلك ؛ فلفقتان من البارود تسمى
 مشى فالتفت اليهم - وقد سلم من الصلاة - فقال لهم ماذا ؟ فقيل له ان هناك
 فى قرية دو كاديير رجلا صالحا كان مريضا . ولعله توفى الآن - والعادة ان
 المطلقين لا يتابعان كذلك الا اذا حدث امر غير عادى فقال لهم ان الاول بنا
 الآن ان نقتنم اجر الصلاة على هذا الرجل الصالح اولا ؛ ثم بعد ذلك ننظر فيما
 اختلفتم فيه ؛ فقام يقلم ذلك الجماء الغفير ؛ فواروا الرجل الصالح سيدى
 احمد الفقير وهو اسم ذلك السيد المتوفى اذ ذاك ثم لما نفخت الايدي من
 القبر ؛ وامت سنة التعزية ؛ التفت الشيخ الى الحاضرين فقال لهم: انسى
 نازل فى هذه القرية المتوسطة بينكم جميعا ؛ فاكون كانى نازل بين ظهرانى كل
 قبيل منكم ؛ فرضى من حضر بذلك ؛ وتفرقوا على احسن حال ؛ ثم ان ذلك
 المصلى الذى صليت فيه العصر ؛ لا يزال يسمى الى الان (اكن تناكزين) ويقولون
 انه سمي بذلك اضافة لتلك الصلاة العصرية التى صلت فيه اذ ذلك
 (شعب العصر) .

ويقولون ايضا ان ذلك الصالح المتوفى سيدى احمد الفقير كان اهل القرية
 الحربليون الذين آووه للتبرك به ؛ وللتيمن بوجوده بين ظهرانيهم ؛ قالوا
 له وهو محتضر وهم حوله يبيكون لمن تركنا وراءك ياسيدنا ؟ فاننا سنصبح
 بعدك فى مضجعة اذ نعدم منك مرشدا يارشاده نهتدى فى السبل ؛ فقال لهم
 لا هائله لا تصيفون ؛ فلاتدفنون احمد الفقير حتى ياتى اليكم الله باحدا آخر .
 هذه هى الحكاية المتداولة المتواترة التى تذكر سببا لسكنى صاحب
 الترجمة فى هذه القرية ؛ ونحن لانرى فى كل هذه الحكاية ما يعد مستغربا
 بل كلها فى دائرة الامكان ؛ وان كنا نرى فى بعض حواشيتها ذبولا مما نعهد
 مثله فى الاساطير ولكن التاريخ فلما يسلم من امثال هذه الاهداب المذهبة
 للماعة .

هكذا استقبلت قرية دو كاديير هذا الرجل المبارك الذى يفود اليها بحمارته
 من الصلاح والعلم والدين والعمران ؛ مما لا يقوده كثيرون ممن يقبلون السى
 مكان بجياد جرد عناق .

تلقى الحربليون اصحاب القرية ضيفهم بكلتا اليدين ؛ واستهلوا فرحا
 باختياره قريتهم الضئيلة دون تلك القبائل التى كادت تتناحر دونه ؛ فقاموا
 بقضيمهم وقضيضهم فبنوا داره ؛ وافسحوا له فى مزارعهم وحقولهم . فعينوا
 له مواضع منها ؛ فاستقر باولاده فى القرية ؛ وطاب له المقام ؛ ولاشك انه
 بابتعاده عن ذوى رحمه بايمور يجد سعة وفسحة مما لا يمكن ان يجدهما بين ذوى
 رحمه ؛ ورحم الله عمر الذى كتب الى ابي موسى ؛ قل للذوى القربى يتزاوون
 ولا يتجاوون .

ثم ان هناك حكاية اخرى تؤثر بعد ان استقر صاحب الترجمة بسداده

الجديدة ! وبعد ان راي من جيرانه الجدد الجارا واحتراما ! لايراهما لو كان
لا يزال بايعور ! او ليس انهم اصسوا له منزلا بين منازلهم ! وجعلوا له حقولا
ومزارع بين حقولهم ومزارعهم غير انهم بعد شعور كثيرة ! صاروا يسمون
بهنكي العاكون يشاهدون منه مصائب تصيب بهائمهم وماشييتهم ! فكيف
بهيمة او شاة اطلقت الى حقوله او مزارعه لانفلتها مصيبة عاجلة ! فتكرو ذلك
مرات ! حتى اتتدى اهل القرية يوما ! فاجالوا القداح بينهم لعلمهم يقعون على
دواء ! فقال ذو راي منهم : ان هذا السيد مادام يصاب ولا يصيب ! وتفلت
ماشية الناس الى حقوله ! ولا ماشية له ! هو تفلت الى حقول الناس لا يزال الامم
كما ترونه ! والدواء الوحيد ان تجعلوا له ماشية كما لكم ماشية ! فلا بد ان
نعم ايضا ماشيته في حقولكم ومزارعكم غلطا ! فتساوى الكفتان ! فبرولها
برونه لامحالة ! فاتبع اهل القرية راي هذا الرجل الخبير ! فجمعوا ما يبلتهم
صرمة من غنم ساقوها الى الشيخ ! فانقطعت تلك المصائب ! وعادت المواشي
الى عاداتها ! فلم يسمع بعد بضرر الم بها ! هذا ما يحكى نسمعه لك ايها القاري
الكريم ! كما اسمعناه من هم اكبر منى ومنك ! ولك الخيار في القبول والرد
وما على انا كمورخ الا ان ابلغه اياك *

اخبرني العم ابراهيم بن احمد ان الجد سيدي احمد بن عبدالله ! كان في
همره كله لايهتم بتائل الاملاك من جديد بعد ماورثه عن ابيه ! قال ولم تتركه
رسمها واحدا في ذلك ! بل ما كان يهتم باقامة الزاوية بالغ ! يحمل الناس الى
الانقباض اليها ! ولم يتائل كل هذه الاملاك التي بايدي احفاده ! ولا التام
الزاوية وشانها كما ينبغي ! الا ولده علي بن احمد ! واما والده احمد فله نيل
بها بصير ! مكثيا بذلك ! منحاشا الى المسكنة والانقباض ! هذا معنى ما قاله
العم ! وكان هو وحده من صار اليه خبر من مضى من اهلنا ! وحين كان بهذه
الغاية ! وكانت هذه شهادته في صاحب الترجمة فلنكتف بها *

وايت انه تزوج نحو سنة ١٠٢٣ هـ والغالب ان يكون في ذلك الوقت ابن
شهم اوفوقها بقليل او تحتها بقليل ! ولذلك حزرنا ولادته بسنة ١٠٠٠
وهذا هو الغالب ان يتزوج فيه الناس ! وان امكن ان يكون اكبر من هذا ! وان
ولادته قبل الالف ! وان كان الغالب ما حزرناه لانه اصغر من اخويسه
عبد وبالحاسم كما قيل ! وقد عرفنا انه امي لا يشتغل بالقراءة التي يتاخر
بها الزواج في الغالب بهذه البلاد ! واما وفاته فلانكاد نهتدى الى وقتها ! ولم
يعد هل ذلك الا ما يفيدنا الوهم فقط ! فقد راينا ولده عبد الله في رسم كتب
سنة ١٠٦٣ هـ ينادى فيه على من كان تحت ايديهم متخلف امه مريم بنت عبد
الله بن عيسى البعلبعل وقد توفيت اذ ذاك كما دل عليه ذلك الرسم نعمنا
ثم لم يدكر في ذلك الرقم ما يشعر بان والده توفي اذ ذاك وكذلك راينا الاخيه

محمد بن عبدالله بن سعيد أيضا رسما آخر كتب سنة ١٠٧٨ هـ يشهد فيه
اخوه محمد انه القبط اخاه احمد بن عبد الله صاحب الترجمة - بعض ما كان
لزوجه مريم في ايام والده ؛ ولم يتعرض فيه لوفاة سيدى احمد ؛ بل الذى
يتوهمه منه القارىء انه لا يزال حيا اذ ذاك ؛ وان هذا الرسم كتب فى مقابلته
ولكن هذا انما هو وهم فقط ؛ وايضا كان فلم نهند الى وقت وفاته تحقيقا او ظنا
الا ما كان من العم ابراهيم ؛ فانه ذكر ان وفاته فى آخر العشرة الثامنة ؛ ولذلك
رايتنا وضعنا رقم الوفاة نحو ١٠٨٠ هـ

ثم ان هناك حكاية اخرى ان ثبتت فان وفاته تتأخر ايضا عن سنة ١٠٨٠ هـ
وهى ان بعض المستنيرين ممن يجولون فى الاخبار حكى لى ان السلطان مولانا
الرشيد مر بالغ بعد ما قوض دولة ايلخ وشتت شملها ؛ فطاف بجانب صاحب
الترجمة نسي - ولم يستحضر ذلك كما هو - فانس منه مصيبة حملته على
تحمين ظنه به ؛ واكبار مقامه .

هذا ما حكاه لى هذا السن ؛ فانصح هذا فان وفاته وراء رجب من سنة
١٠٨١ هـ لان الرشيد القى كلكه على ايلخ فى ربيع النبوى - كما وجدته مقيدا
فى بعض فيها اربعة اشهر حتى خرب دار بودميعة ؛ ولم يدع فيها حجرا على
حجر ؛ ولا سقفا قائما ؛ ولا بابا فى محله ؛ فيكون رحيله فى شهر رجب من
هذه السنة ان حسبنا الاربعة اشهر ؛ فيكون مروده بالغ فى طريقه الى تارودانت
فى اثناء هذا الشهر . هذا ما امكن لنا قوله فى حين وفاته ؛ وذلك كما ترى
وهم فى وهم ؛ ولم نخرج بعد كل هذا البحث الا بمثل ما دخلنا به من الشك
فلو شاعت هذه الحكاية الاخيرة شيوعا يستثير الظن لاتكانا عليها فى طريقنا
الى هذا الخزر ؛ ولكن كفى بها ضعفا انى لم اسمعها الا من واحد من غيراهلنا
ولصاحب الترجمة من الاولاد (١) عبد الله المذكور (٢) محمد (٣) على
(٤) ابراهيم (٥) مسعود (٦) الحسن (٧) موسى . فاما موسى ومسعود فلا عقب
لهما ؛ واما الحسن فقد عدا عليه اخوه ابراهيم وقتله فى ايام والده ؛ فخلف
الحسن عقبا يسكن اليوم بايمور ؛ ولكونهم لم يرثوا جدهم صاحب الترجمة
بسبب اعمامهم الذين حجبوهم ؛ لا يدكرون فى اولاد الشيخ ؛ ولا يتناولون من
نذور مشهده حتى نسي انهم من اعقاب صاحب الترجمة .

ومن العجب ان العم الذى هو ما هو فى انسابنا ؛ ومن املائه كتبت فى
غير هذا الكتاب (١) جميع اعقاب صاحب الترجمة الى اليوم ؛ لم يعرف عن هؤلاء
انهم من اولاد الحسن بن احمد ؛ حتى نبهه الى ذلك ولده الاستاذ عبد الله بن
ابراهيم ؛ استاذ مدرسة ايمور اليوم .

واما الباقي من اولاد الشيخ ؛ فهم (١) عبد الله (٢) محمد (٣) على (٤)
ابراهيم فاعقبوا كلهم خيرا كثيرا .

(١) (من انواع الرجال)

سیدی محمد بن عبد اللہ

نحو ۵۹۸۰ نحو ۵۱۰۶۰

هو اکبر اولاد الشیخ سیدی عبد اللہ بن سعید ؛ ویدگرا یضا بالصلاح
وقد استقر فی جهة (کاور) وله دار فی کاور و فی (تلات عزیزین) و فی اکادیر
(اڑی) ولایزال الناس یرون من ضریحه حیث مشہدہ فی (کاور) ما یدل علی
ان له روحانیة عجیبة ؛ ولها احوال غریبة ؛ وتقام علیہ حفلات سنویة الی الیوم
وہ اولاد کثیرون ؛ عقبہم الیوم فی (اکادیر اڑی) و فی (ترکا اخصیر) و فی
ایت (بوصحیب) ؛ (ادبیران) و بعض اهل (اکرض الفیر) و فی (تاکانزا) و فی
(انویدیر) و فی (تأحووات) و فی (دوتمنروت) بـ (ایتوفقا) و فی (ایسور)
وہم انص من ابناء عمیہم احمد و بلقاسم



سیدی علی بن احمد الالغی

نحو ۱۰۵۰ھ بعد ۱۱۳۰ھ

نسبه

علی بن احمد بن عبد الله بن سعید بن حسین بن یبوءک .
كنت رايت في ترجمة والده انه لم يزد على ان انتقل الى الخ ؛ ولم يتائل
فيه مزرعة جديدة بالشراء ؛ وانما اكتفى بما يدره عليه ما تصدق به آل القرية
ولا يزال حقل كبير حول هضبة (اوسايك) ينسب له الى الان ويسمى اودرى
والله هو الذي تصدق عليه به من الحرييليين ؛ كما لا تزال داره التي اسماها
له من تلقوا نزولهم بينهم بكلتا اليدين ؛ مشهورة الى الان .

خلف صاحب الترجمة والده ؛ فوجد لاهله امامه ذبلا مملودا من الاحترام
من جيرانه ؛ فاتم الله عليه نعمته ؛ فزاده شرفا الى شرف ؛ وقد كان آل
(تاكانزا) جلوا عن وطنهم بسبب ما ؛ فاستردهم اليه بوجاهته ؛ وكان مقامه
عند الحرييليين مقاما كبيرا ؛ وسترى في بطاقة كتبها اليه عبدالرحمن الساموكني
في شان آل سيدى احمد الفقير وقد نشرناها في ترجمة هذا الالف ذلك
الخطاب العظيم الذي يخاطبه به امغار قبيلة ساموكن ؛ وقد وافقت ايامه
العصر الاسماعيل الممتد ما بين ۱۰۸۲ هـ الى ۱۱۳۹ هـ فقد مر بنا في ترجمة
الجد ما يدل على ان هناك ظهائر اسماعيلية لهذه الاسرة ؛ ولاشك في ان عليا
هذا هو الذي تلقاها ؛ لانه رئيس الاسرة السعيدية ؛ التي كان لها في زمنه
مقام سام بين جيرانها ؛ وقد وقفت على رسوم صدقات كثيرة ؛ من الحرييليين
الساموكنيين وغيرهم لزاوية صاحب الترجمة ؛ وان كان جل ذلك كله منسوبا
لوالده ؛ ليتأتى لآخوانه اجمعين ان يتوصلوا منه بحظ ؛ وهذا مما يدل على سمو
نفس ؛ وعلو همة ؛ وسلامة سريرة ؛ قال العم ابراهيم ؛ ان هذه المعاريف (۱)
التي تقام على مشهد سيدى احمد بن عبد الله من آل (اداي) و (تاجارمونت)
وامتضى و(تاكانزا) وغيرهم انما تنافس هؤلاء بها طلبا لعلو الشان ؛ كما
تلايت ايضا نفوسهم بحبوب وثمار بكيل معلوم على كل اسرة ؛ يعينون به
سنويا الزاوية الالفية ؛ قال ؛ وهو الذي حمى اكادير نيت على لال مريض ؛ وعين

(۱) حفلات الطعام العامة على مشاهد المعتقدين ؛ والمفرد معروف .

لهم صلحة يزولون بها ومكربلا يكتفون به ؛ ودعا لهم فيه بالحركة التي لم يزل ذلك
معمولا به الى سنوات الاحتلال حين حدث الكيلو والعبرة الفرنسيان منذ
عام ١٤٥١ هـ وهو الذي همي بسببه زاوية والسيد سيدي احمد الاطرية
هذه ؛ والمسكن التي يسكنها صاحب الترجمة الزاهي ؛ وهالك رسما فصحا
من تصحيف في عبارته ؛

انقلت جماعة اهل الجربة العربليون - وهم آل (ناكانزا) وجماعة بني وفتا
وجماعة آل ايضمان ؛ عل المصالح في زاوية الشيخ الول الصالح المرحوم بالله
السيد احمد بن عبد الله بن سعيد المربط بتظاهرين اصلا ووجارا ؛ وفي دار
ابنه السيد علي بن احمد بن عبد الله على امر السراق وغيرهم معا لايليل بين
المسلمين ؛ فجميع من سرق شيئا في هري الشيخ وفي دار ابنه المذكور يعطى
لشمان قبيلته اثني عشر مثقالا ؛ كما يعطى السارقون من الحصون ؛ ومسكن
سرق شيئا ايضا في حوزة حرم الشيخ وساحته وفي حرم الدار يعطى ايضا
مثقالا واحدا ؛ اتفقوا كلهم على ذلك اتفاقا كليا برضاهم رضا تاما ؛ فكل من
هام حول ذلك الحمى فلايلومن الانفسه ؛ في رجب ١١٣٠ هـ محمد بن محمد
ابن عبد الله بن يوسف بن حسين اليموني الايسى ومحمد بن احمد بن ابي
القاسم بن عبد الله من النسب هـ بعد ما اصلحت فيه كلمات وهدبت عبارات

وهكذا تمينت الزاوية العليا وصارت لها حرمة رسمية بين جيرانها ؛ فياويج
من حدثته نفسه ان تمتد يده الى شيء منها ؛ ثم لايزال الحال على ذلك الى زمن
الاحتلال ١٣٥٢

كانت دار سيدي احمد بن عبد الله مبنية في القرية السليمانية ؛ وهي
لايزال الى الان شاخصة ؛ ثم لما دفن سيدي احمد في دار البرج كما كان في
ذلك يسمى ؛ وبني عليه مشهد ازاه مسجد ؛ بنى صاحب الترجمة داره الزاه
المشهد ؛ واتخذها دار مكناه ؛ واختار تلك السعة لتلا يضيق على اخوته في
مساكنهم في القرية السليمانية ؛ ولايضيقوا عليه ؛ وهذا المشهد وتلك الدار
هيا اللذان رايت من الوثيقة المتقدمة ما جعلته لهما القبائل الاثنية من الحرمة

انقلت لايزال تذكر تلك الوثيقة الكبرى المتقدمة في ترجمة سيدي سيد
الله بن سعيد التي وقعها ثمانية عشر عالما ؛ انها كتبت في ايام صاحب
الترجمة ؛ ويطلب على الظن انه هو الذي طلبها منهم ؛ وانهم ما وصفوا من ذرية
الشيخ سيد الله بن سعيد الا ما راوه من هذا السيد صاحب الترجمة ؛ وبذلك
لستدل على ان له في مصالح المسلمين سعيًا حثيئا متواصلًا حتى يصح لسه
الاتصاف بتلك الاوصاف العلية التي وصف بها خلف الشيخ ابن سيد في
تلك الوثيقة .

ثم ان لصاحب الترجمة اربعة اولاد (١) بلقاسم (٢) محمد (٣) احمد (٤)

عبد الله ! وكلهم اقبلوا بعده كما سيربك فيمن يصلح ان يذكر منهم ان شاء الله .

ثم اننا رمزنا لوفاة صاحب الترجمة بانها وقعت بعد سنة ١١٣٠ هـ والذي حملنا على ذلك ما بيناه من التاريخ الذي في تلك الوثيقة المتقدمة ؛ ثم انه في سنة ١١٥٢ هـ لم يكن والله اعلم حيا ؛ لانك رايت فيما كتبناه تحت رقم ٥٠- من الظواهر الملحقة بترجمة الجدة ان الذي حضر هناك ولده احمد بن علي مع بنى عمه ؛ والقالب انه اذ ذاك لم يعيش بعد ؛ او كان شيخا كبيرا لا يقدر على السفر ؛ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١٠٥٠ هـ فيشمل ذلك العقد الخامس والسادس من القرن الحادي ؛ توهمنا ذلك لما رايناه من تصدره على اخوته ؛ وتولييه الزاوية بينهم ؛ وشفوفه عليهم مع وجودهم ؛ والقالب ان لا يكون كذلك الا اذا كان من كبارهم ؛ ولانستحضر الان ترتيب اولاد سيدي احمد بن عبد الله في السن ؛ لتعلم منزلته بينهم ؛ وان كنا نستشف وراء ما يمر بين ايدينا ان اخاه عبدالله بن احمد اكبر من علي هذا ؛ ثم باقى اخوته وكيفما كان ؛ فالذي يظهر لنا ان ولادته في نحو ١٠٥٠ هـ ان لم تكن قبل ذلك بكثير . هذا ما امكن لنا فيما يتعلق بسيدي علي بن احمد رحمه الله ورضي عنه .



سيدي عبد الله بن احمد الالفي

نحو ١٠٤٠ هـ بعد ١١٠٢ هـ

سيرة

هو عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك *
كثرت يوما اطالع الطبقات للحضيكي ؛ فوجدت فيها في ترجمة سيدي محمد
ابن محمد الحضيكي صنو جد المؤلف ما يأتي *
واظهر لي الفاضل الولي الصالح عمنا الشيخ السيد محمد القشاني ؛ انه
كان ثقة مرة هو والرجل الصالح عبد الله بن احمد حفيد الولي سيدي عبد
الله بن سعيد النظهريني ؛ قال فعقدنا النية على زيارة صالحى (اسما) من
الهند الصغرى ، فلما كنا بالطريق اشتهدنا الطعام والفاكهة فقلت لهما ؛ اما الا
فما هي شي ؛ ولكن تركت المزود فى دارى معلقا على الوتد ؛ فمن قدر ان ياتي
به فليأكله ؛ قال فقام الفقير محمد الحضيكي ؛ فقال باسم الله فاطمه
واحمد وبقائه وهو لا يرحم من مكانه ؛ ونحن جلوس فاكلنا ؛ فلما رجعنا من
الهند ما وقع لنا مثل ذلك *
ابن تالبي سيدي عبد الله بن احمد ممن اشتهر فى عصره بما يشتهر به

العبادة والصلحون فى العادة من اصحاب الكرامات ؛ فقد اخبرنا هذا الكاتب
الله عن يظن به انه قد تغرق له العادة ؛ فاردت ان اشفع ذلك بما اعلمه به
من بين اهاليها ؛ فسالت جهة اخبارنا ؛ العم ابراهيم ؛ فذكر انه كان مشهورا
بالصلاح والعبادة والتسك والقناعة بما تيسر فى عصره ؛ ولم يولس عنه
الاخبار بتاويل الاملاك كما اكر عن اخوته ؛ وقد اشتغل بخويصة نفسه ؛
وباستقلال ما ورثه عن ابيه وامه ؛ قلت انى وقلت على رسوم تبرعات
وتعدده له حول ما صار اليه من ارث ابيه وامه ينادى فيها على من اعترضها
عن الله ؛ والاختصار لم يجعلها الى القارى ، وقد وقلت ايضا بين الرسوم على
بطاقة بخط الاستاذ القاضى سيدي عبد المؤمن بن محمد الايشاني ؛ وهى هذه
كثرت فيها شهادة لبعضهم ؛

(اعترفت زوجة ولدى عبد الله وهى حواء بنت علي بن الحسن الحريرية ؛
والثرت على ان ما وضعته بوجه الامانة بيد المرابط سيدي عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد النهابى من ايجور ؛ من ثوبين لخصت جميعها ؛ والهام

تصح ليرهما عليه ؛ وبه كتب برسم الأشهاد عنها بذلك في تاريخ ١١٠٢ هـ
عبد المؤمن بن محمد بن علي بن محمد وقله الله بمته .

تأمل هذه البطاقة فتفهم منها أن صاحب الترجمة كان مقصودا بالودائع؛
وإن أماته اهله؛ لذلك ؛ ثم تفهم أيضا أنه كان لا يزال حيا في هذا التاريخ ؛
لأن الغالب أن هذا الإبراء لو كتب بعد وفاته ؛ لترجم عليه كاتبه ؛ كما هي
العادة ؛ ولذلك رمزنا لزمان وفاته بعد هذه السنة كما رمزنا لولادته بنحو
١٠٤٠ هـ لأن هناك في رسوم تبريحاته ما هو مورخ برجب سنة ١٠٦٣ هـ
والغالب أنه لا يتولى ذلك بنفسه إلا من له ما فوق عقدين ؛ ولا يتم رشده في
العادة إلا بذلك ؛ وأمه مريم بنت عبد الله توفيت قبل ١٠٦٣ هـ لأننا رأينا
فام يتطلب إذ ذاك بمتخلفها وحظها بين أخوتها .

ويظهر من حاله أنه وإن كان في سمة الصالحين ؛ كان مشتغلا بأقامة
أسباب معاشه ؛ ذائدا عن حظه يدكل من يمتد إليه ؛ وكونه لم يشتتر هو
بنفسه شيئا كما قال العم ؛ لا ينافي هذا وهذه الحكاية بنفسها هي حالة حياة
مرابطينا ؛ دين وصلاح في ضمنه الكد وراء الحلال ؛ لئلا تمتد يدهم في فاقة
إلى استجداء ؛

واستف ترب الأرض كيلابرى له على من الطول امرؤ متطول

هكى العم أنه لما اظلم أجله ؛ اقترح على أهله أن يزيروه قبر جده بإيمور
فحملوه وهو مريض ؛ فباتوا به في قرية (سلات) فاجتمع اليه أهل القرية ؛
فطلب منهم في آخر المجلس أن يتفضلوا بحمل قنطرة من قريتهم إلى إيمور ؛
فما أصبح الصباح ؛ حتى فاظت نفسه ؛ فكان هو القنطرة المحمولة على أيدي
أهل (سلات) إلى إيمور ؛ فدفن أزاء قبر الجد ؛ رحم الله الجميع .

ولصاحب الترجمة من الأولاد ثلاثة ؛ سليمان ؛ وصالح ؛ وحسين ؛ وكلهم
اعقبوا غير حسين الذي مات عزبا ؛ وسترى بحول الله ترجمته فيما بعد

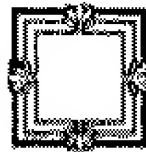


سيدي حسين بن عبد الله الالفي

من اهل القرن الثاني عشر

المقدمة :

هذه هي حياة سيدي حسين بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يورك ،
وهو من اولاد المتقدم ؛ وتوثر عنه بركة ؛ وكان سيدي الحاج عبلا بن صالح
من اهل مدينة شامه ؛ والناس كذلك يقصدون ضريجه بالزيارات والندود ؛ خصوصا
من اهل بلاد ارب في النسل ؛ فانهم يرون انه مجرب لذلك ؛ وذكر العم اله
من اهل بلاد ارب عن غير عقب ؛ ولذلك يستأثر عصبته بنو صالح بما ذبح هل فبره
وهو من اهل القرن الثاني عشر ؛ ولم نعرف عنه غير ذلك الآن .



سيدي احمد بن على الالغى

قبل ١١٠٠ هـ بعد ١١٥٢

نسبه :

احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كان والده على بن احمد رئيس الزاوية الالغية ؛ كما قرأت ذلك في ترجمته ثم بعده تولاهما احمد هذا ؛ ولكنه كما يظهر ليس له من خصال جدوده الا انه يجول في مسلاخهم ؛ ولم يؤثر عنه اى شىء ؛ كانه لم ينحدر من تلك الاصلاح التي تركت افعال اصحابها دويا لايزال يدوى الى الآن ؛ واطنه كان كثير من ابناء الصالحين من ارباب الزوايا ؛ ورث جاهها وحرمة واعتقادا ؛ فاراد ان يستغلها من غير عمل جديد يضع به لبنة في الجدار ؛ وكفى من خموله انى لم اسمع به يذكر الا في الوثيقة التي وضعناها تحت رقم ٥٠ - في ترجمة الجعد وهو احد الثلاثة الذين ذكروا فيها ؛ والا في خير سقط الى ايضا اخيرا ؛ وذلك ان بعضهم ذكر في معرض حروب بعقيلة ومجاط ؛ ان بعقيلة علا كعبها مرة على مجاط ؛ وصاروا يتوصلون منهم بالاتاة على راس كل سنة فسافر امغار على بن باها بمجاط الى (تامانارت) ليمتار لاهله تمرا ؛ ولكنه طرق اذنه من ملعب التامانارتيين اشعار شلحية من النظامين ؛ يخزون مجاط باسفاف الهمم وموت النفوس حين جعلهم البعقيليون مطايا ذلا يمتطونهم كيف يشاؤون فلم يطق امغار على ان يصبر بعد ؛ وقد استشرت منه النخوة ؛ وجرح منه الشعور جرحا يتدفق دماء حارة ؛ ففارق (تامانارت) من غير ان يتذكر الحاجة التي ورد بسببها فمر برئيس زاوية الغوه وهو صاحب الترجمة فكشف له عن عجره وبجره ؛ وقال له ادع لى ؛ فانتى انوى مغامرة ؛ فاما القبر واما الصدر فداه سيدي احمد على ان ياتى الامر من بابه ؛ فامر ان لا يستبد بذلك عن رئيس ايليغ - ولعله احمد بن محمد بن بودميعة الايليغى اوولده سيدي يحيى وهو آنذاك كما استرد شان ايليغ وجاتت يده من جديد بين القبائل ؛ وكان مشواه ملتقى عاما ؛ وندوة للرؤساء متى ارادوا ان يتراءوا في امورهم ما يريدونه من المصالح ؛ وقد تقلصت ايضا ذبول الحكومة منذ توفى مولاي اسماعيل ؛ وكانت يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ؛ لما تطل ايضا على هذه القبائل .

ذهب اذغار قبل ابن باغا ا فلانوس الرئيس الايليفي ا وقال له اننا لا نصبر
بعد لآواء هذه الاناوات ا باي وجه ا واننا لناجرون بعقيلة حتى نردهم هنا
وهن هه ماننا صافرين ا فقال له الرئيس هاهكذا ياسعد نورد الابل ؟ وماهكذا
نصاح الامور ؟

ان العقيلة في مثل هذا - والله استشرتني ووضعت في تفكك - افضل لها
يرمي اليه ا والظنوج اسهل والرب الى السلامة ا اذهبوا الى اصحابكم واطلبوا
عنهم ان يجاوزوا لكم عن هذه الاناوة في هذه السنة ا وتطلبوا عذرا لظنوليه
لهم ا ثم عنوهم ان توفوهم السنة القادمة اناوة سنتين في واحدة افسطيليون
ان ذلك مشاورتي ا فسارمي بعجري معكم ا واستحسن ذلك ا فهكذا فعلت مجاط
فخالفت لها بعقيلة سننظر في ذلك ا ثم نرد اليكم راينا الاخير ا فقالوا فيما
يبثهم لحي عندنا ماجرم حتى تراجع الايليفي ا فالتوا اليه الحديث ا فقال
لا باص بالنظرة ان استنصر اصحابكم ا فهي اول من مغالبة لاندرن فيها
الانصار ا فقال ذو راى من بعقيلة ان هذا امر تدبر بليل ا وما طلب تاخير هذه
الاناوة في هذه السنة الا علامة ان القوم بدا لهم راى آخر ا وعزيمة جديدة
الانصار بها همامهم من تحت ايدينا ا قال الحكاى فكان ذلك اول ما افككت
بجاط في ذلك العهد من بعقيلة ا بمعاونة الرئيس الايليفي ا وببركة مشاورة
الانصار ا ثم كان ذلك ايضا اول التراق بين ايليفيين بعقيلة
ثم ان اذغار الدهر ا ثم ان بعقيلة آنتت من اصحابها تنصرا ا ورفع الجهاد مما
كان قبل في رفع الاناوة في تلك السنة معناه قد انتهى ذلنا منذ هذه السنة ا
قال فلانوس بعقيلة تغفل لمجاط في الذروة والغارب ا وتتربص بها يوما ما
ان تصبها فيه بغارة ملحاح لاتبقي ولا تدر *

كان في (وانكيشا) رجل يلقب (بزم) وكان من روساء بعقيلة ا فعاريطا
الى (الغار) كانه يخطب هناك امراة ا وهو في السر يهيء سرية كبرى يحتاج
بها (الجزلي) ففي مرة ذهب مع روساء امثاله كانهم ياتون بالعروس ا فامسى
بطن روح كثير وخبره ا ففي وسط ليلة جاء ومن معه يقدمون آل الغار ا ثم
يهرعون كل من مروا به من البعيليين ا وقد تعرضت بغال موقرة خبزا لي لنية
هناك ا فتناول من الاخباز التي فيها ماتت من الفاوير الاشداء خبزة خبيزة
وهذه البشاق الفجر ا كان الجيش يتجاوز التخوم ا ويخوض فسي بعبوحة
(الجزلي) وقد طاف النهب والقتل بالاموال والنفوس ا فما متع النهار حتى
تجاوزت الطلائع نازامورت ومجاط في دهن البسوت يتطايرون فرارا امام
هذه الغارة الشعواء ا حتى تلاحقت جماعات من مجاط في (كراما) فتوالفت
هناك ا ثم صعدت للبعيليين الذين اكتسحوا كل ما امامهم ا فواظروهم ساعة
ثم هبت لسيمة من النصر لمجاط ا فقالوا هل الاخرين ا وهم مفترون بما نالوه

صباحا ! فاقبلوا عليهم قتلا واسرا ! حتى ان فارسا قتل بالسلاح الابيض من
 (كراما) ال بسيف وانكيسا ٢٧ رجلا ! ولقد اعلنت الواقعة بنشئت شمل
 الميرين ! وقد سقط منهم ٢٨٠ قتيلًا ! ثم انضاهت وانكيسا كلها الى مجاط
 وصارت تقوم بلادها في الكادير تتركتن ! وقد وضعوا فيه حرسا كثيرا ثم
 لم يزل الامر كذلك حتى كاد لهم البعقليون بعد سنة بوقعة اخرى حر من
 المجاطين فيها ٢٠٠ من حرس ذلك الحصن ! فاستردت بعقيلة وانكيسا
 هذه هي الحكاية برمتها ! وقد ذكر من حكى لي - وهو ممن يعرفون مايقولون -
 انها مكتوبة هكذا عند بعض رجالات وانكيسا .

ثم ان سيدى احمد ان ثبت ان له في هذا العهد هذا الذكر؛ فذلك يدل على انه
 طال عمره بعد اوائل القرن الثاني عشر؛ لان هذه الحكاية - ان صح انها
 وقعت في ايام الرئيس احمد بن محمد الايلقى؛ ولم تقع في زمن سيدى يحيى
 ولده او في زمن سيدى على حفيده - يظهر انها تاخرت عن سنة ١١٥٢ هـ والله
 اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١١٠٠ هـ لاننا راينا انه هو الاكبر من
 اخوته لقوله امر الزاوية بينهم؛ وتلك هي العادة المتبعة؛ وقولنا نحو كذا في
 احوال هذه المواضع نفصده به العشرة التي قبل والتي بعد او اكثر من ذلك .
 وقد خلف صاحب الترجمة رحمه الله ثلاثة اولاد : (١) الحسن (٢) محمد
 (٣) بلالاسم



سيدي عبد الله بن موسى الاوخطيري

لهو ١١٠٠ هـ بعد ١١٠٢ هـ

تسمية

عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد *

هذا هو جد بعض آل اكادير ايزري ؛ وجده محمد بن عبد الله بن سعيد
كان له ملك في قرية (كاور) بمجاط ؛ فأنحاز اليه عن امور افواها هناك
اقبله وقبره هناك مزاراة مفصودة ال اليوم ؛ وهو جد آل اكادير ايزري ؛ وقد
انقلب اولادها منهم موسى والد صاحب الترجمة *

كنت رأيت في الوثيقة الخامسة من ملحقات ترجمة الجدة ذكره مع سيدي
العميد بن هل ؛ ومع سيدي صالح بن عبد الله بن احمد فظهر بذلك انه من
الاسرة السعيدية اذ ذاك ومن وجهاتها المذكورين ؛ لانه لا يقف في امثال
الوفاء الا الرجال المتفوقون في الاسر *

العميد بن هل ؛ فقال لي انه من افاذ رجالاتنا ؛ ومن عضوا بالنواجذ
البرية السعيدية ؛ وماهو الا الاقبال على ارشاد العباد وتصحيح والتفاني في
مسارهم ؛ مع اقبال في نفسه على ربه ؛ مجتنباً للاسفاف التي يبتلى به ابناء
الرياسة ؛ وقد كانت له سمعة وصيت في عصره ؛ واعتقاد من الناس يسوقهم
الى الشياخ حضرته ويؤثر عنه من الاحوال ما تشنف به السامع لهذه العجالة
العميد بن هل *

لم ان له دارا الخذا في قرية تاركا اوخطير التي نسبنا اليها ؛ فحبيب له
منازلها فهناك قضى ما شاء الله من عمره حتى توفي ؛ وقبره مزاراة عند اهل
للك الجهة ؛ ويقومون عليه حفلة طعام في راس كل سنة ؛ وهو من لذات
سيدي احمد بن هل المتقدم ؛ ولذلك رقنا له في الولادة والوفاة بما رقنا
به الذي *

وله عقب كثير كما ذكرناه من آل اكادير ايزري رحمه الله *



سیدی

ابراهيم بن بلقاسم التاكانزي

قبل ۱۰۹۰ هـ - ۳ - ۱۱۵۸ هـ

سید :

ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

ابن همام النظمي ، وكان بلقاسم من اولاد سيدي محمد بن عبد الله بن سعيد وله
هو خمسة اولاد (١) ابراهيم صاحب الترجمة (٢) عبد الله ؛ وهو جد
المرابطين السعديين الساكنين بقرية (دوتمنروت) بايت وفقا (٣) محمد بن
بلقاسم ؛ جد مرابطي قرية انويدير (٤) الحسن جد مرابطي قرية تاحواوات
(٥) علي القطع عقبه بعدما انتشر في قرية انويدير .

ابراهيم هذا رجل صالح مذكور في عصره وبعده ؛ وان كانت شهرته لم
تصل شهرة ابناء اعمامه الاخيرين ؛ كان متوطنا واولا في قرية انويدير فيقر هناك
ماشاء الله ؛ وقد نشأ له اولاد ؛ من بينهم ولده علي ؛ وكان يرعى غنم اهله
فاور مرة رجلا امنوزيا تعدي عليه ؛ فاذا بالمرايط استامد على ذلك المعتدي
فكان الله في عونته ؛ فمزق احشاءه بظعنة ؛ فاجفل والده باسرتة عن تلك
القرية التي بنيت في نحر امانوز وقد خاف علي ولده الامانوزيين الذين لا
يعرفون المعتدي من المعتدي عليه ؛ ولا يعرفون الا ان ولدهم قتل ؛ فلا بد ان
يقتلوا قاتله ؛ فمر بقرية تاكانزا ؛ فطلب منه اهله ان يحط رحله بين
ظهرايهم ؛ ثم لايمس جانبه ماس باصبح ؛ فنزل هناك وقد تحول بكل ما يملكه
ثم ان ولده علي الذي اسكرته خمرة الغرارة ؛ لايزال يتناب الخ ؛ ولا يحسب
حسابا للامانوزيين ؛ فذهب به والده الى قرية اخواله آل قرية اكرض الفقير
فزوجه هناك ؛ قصد ابعاده عن بسيط الخ ؛ وقد كانت زوجة صاحب الترجمة
بنات من بنات داود بن الفقير احمد بن داود بن يوسف الحرييل الذي استقرا
ترجمته ان شاء الله فيما ياتي .

ثم ان سيدي ابراهيم بلي بن ظهري الناكاليين الكرام مهجلا محترما
موقرا ؛ الى ان التحق بربه في ذلك التاريخ ؛ ولولئله احوال سلبية مما
لغيره امثالها من ابناء عمه الابرار ؛ ولله اعلم سنة ذكور *

(١) علي (٢) بلقاسم (٣) محمد (٤) محمد (٥) صالح (٦) الحسن *

فاما محمد «سما» فمات عن غير عقب ؛ واما محمد «فتح» وصالح والحسن
فبعد ان انتشر لهم عقب الغرض ؛ فلاديان منهم اليوم ؛ واما علي وبلقاسم
فلهما النثر ما انتشر ؛ ومن آل علي كان الاستاذ سيدي علي بن صالح الالفري
الذي سطرنا ترجمته ان شاء الله فيما ياتي ؛ وهو الذي افادنا ترجمة جدوهنا
واوقفنا على تاريخه جزاء الله خيرا *

ثم انه دفن في ناكاترا في مقبرة (تافراوت او كادير) ؛ وتقام له حفلة
طعامية على راس كل سنة حفلة من اولاده ؛ وحفلة من الذين اكرموا مشواه
في حياته ؛ ثم لم ينسوه بعد وفاته رحمه الله *



سیدی بلقاسم بن علی التیمیوتی الالهی

من اواسط القرن الثاني عشر الى اواخره

نسبه

بلقاسم بن علی بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن بيورك .
كان لسیدی علی بن احمد المتقدم اربعة اولاد تقدم منهم احمد وهذا اخوهم
بلقاسم واما محمد وعبد الله فلم يوثر عنهما ما يذكران به .

بلقاسم هذا صنو عمه عبد الله مبدا ؛ فكلاهما يوثر عنه الصلاح والانزواء
الى التصوف ؛ والذي يظهر لي من حال صاحب الترجمة ان له مقاما ربما اوفى
على مقام عمه وقد ادركت ذلك من اخبار تنهال على من اهالينا ؛ وقد اختار
ان ينتدب عن قرية اهله ؛ فنزل في (تیمیوت) وهو اول من اختط ديارهم هناك ثم
اورثها اولاده ؛ والغالب انه كان اشترى هناك اولاً من اهل الكجكال الذين لهم
اوساط بسيط الخ ؛ قبل ان يبيعوها لمرابطينا هؤلاء ولان بعدهم ؛ ثم تحقق
عندي انهم وهبوا له تلك البقعة ؛ فيكون ملكه هناك سبب نقلته عن قرية
اهله ؛ وهناك حكاية مهلهلة مما يلهج بامثالها في امثال صاحب الترجمة ؛ وفي
سبب نقلته تقول :

انه طاف به امر وكرب شديد من قرية اهله ؛ فصار ينادى الاولياء
لينظروا في حاله ؛ وليختاروا له مسكنا ملائما ينتقل اليه ؛ فاكثر من
الاستغاثة بهم اکتارا ؛ ثم انه طلع لجبل ايشان الشاهق وهو ملتقى الاولياء
فيما يقال - ثم صار ينادى باعلى صوته ؛ اين انتم يارجال الاغاثة فاني في
ضيق وكرب شديد ؛ لم اهوى براسه مضطجعا ؛ فوقف عليه بعضهم مناما
او يقظة فيما يزعمه بعض من حكى لي ؛ فقال له اهلا انت ؟ اهكذا يرقد من
كان محزوناً ويرفع صوته بالاستغاثة بنا ؟ قم لاريك مسكنك الجديد ؛ فراه
موضع قرية تیمیوت ؛ كانه نقطة متلاثة في وسط هذا البسيط ؛ قال فكان
ذلك هو اول ما تنبه الي سكنها ؛ فبنى داره ومسجده في بقعة وهبها له
الاکجكاليون ؛ ولا يزال هؤلاء يتناولون ذكر هذه الهبة الى الان . ثم استقر به
القرار ؛ وطابت له السكنى ؛ ووجد هناك فسحة في قلبه وداره ؛ ما كان ليجد

عاشها في قرية دوكهير ا حيث بنو ابيه مطعمون ا يتزاحمون كل ما خلفه ابوهم
صدي على وهناك حجر معلوم في جدار داره الاصلية يشترك به الناس ويقولون
ان احد الاولياء ا هو الذي اعطاه له ليحمله في داره ا وهو ظاهر في وجه الجدار
المقابل لمسجده الذي اسسه ازاء داره ا وقد فتح اليها بابا من المسجد

ذكر العم ان صاحب الترجمة كان ساكنا في هذه الدار التي بالقرب
السليمانية وهي دار كان والده على بناها قبل ان ينتقل الى مسقطه الاخير
بالزاوية العليا ازاء والده سيدي احمد بن عبد الله ؛ وهي بنفسها مسكن
سيدي محمد بن ابراهيم السلامي - وستاتي ترجمته - ولا تزال في ملك
اولاد صاحب الترجمة الى الآن ؛ وقد ابوا ان يبيعوها بعدما خوطبوا بذلك فابوا
حافظوا عليها اذرا خالدا من آثار جدهم هذا ؛ وذكر ايضا من احواله انه صاحب
شمول وديانة ؛ وافناء الاوقات كلها في الاذكار فكان ذلك مما شهره حتى
صارت الوجوه تلتفت اليه ؛ لانهم يعرفون منه ما يعرفون من آباءه السالفين *

اقول يجوز في ظني ان صاحب الترجمة ؛ ما مال الى الانزواء في ذلك السكن
الجديد ؛ الا انه راي من ابنا ابيه شيئا آخر غير ما يعتاد من اسرتهم الكريمة
من عهد الجد الاعلى ؛ فيحفزه ذلك الى ان يتبد عنهم كل الانتباز والله اعلم *

ثم اننا لم نتيقن بل لم نصل ولو بوهم الى وقت ولادته ولاوفاته؛ وانما يعرف
انه ممن عاش في اواسط القرن الثاني عشر ؛ وانه توفي في اواخره *

وقد ظن العم ان وفاته تكون قبل ١١٧٠ هـ وعند الله علم ذلك *

وقد اعقب اربعة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) عبد الله (٤) ابراهيم *
وكلمهم اعقبوا الا الاخير ؛ فقد انقطع عقبه بعدما انتشر ؛ رحم الله الجميع *

وقد وفقت على ان محمد بن بلقاسم المذكور ؛ توفي يوم الجمعة ١١-١١-١١٤٧
عام ١٢٤٧ هـ وعلى وفيات بعض اولاده ؛ وهم مريم بنت محمد توفيت ليلة
الاثنين ١١-٦-١٢٣٢ هـ واحمد بن محمد بن بلقاسم عند الظهر في يوم الثلاثاء
١١-١٨-١٢٤٠ هـ ومحمد بن محمد بن بلقاسم في السبت ١٣-١٢-١٢٤٠ هـ عمام
١٢٦٠ هـ وولد هذا عبد الله بن محمد بن محمد بن بلقاسم في الاربعاء ١٢-١٢-١٢٦٠
عام ١٢٠٤ هـ وامرأة محمد بن بلقاسم المذكور فاطمة بنت ابراهيم في الثلاثاء
١٨-٢-١٢٦١ هـ *

وفقت على هذه الوفيات في طرة دليل الخيرات لهذه الاسرة ؛ فجمعتها هنا
لغائدها *

سيدي احمد بن بلقاسم التيميوتي

نحو ١١٥٠ هـ - بعد ١٢٤٥ هـ

نسبه

احمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن بيورك
هذا ولد سيدي بلقاسم المتقدم ؛ وهو من رجالات الخ في اوائل القرن
الثالث عشر ومن رجال الصلاح الذين تصرب اليهم اكباد الابن من مرابطينا
في ذلك العهد ؛ وورث من ابيه تالدا من الشهرة والاحترام ؛ فزاد هو مجدا
ظانرا اشتهرت به قرية تيبوت الحديثة اشتهارا ؛ وكان ابوه يرتفع شأنه بمقدار
ما يهره هو من الخمول ؛ ويتظاهر صيته كلما امن تحت ذيل الانزواء ؛ فجاء
ولده فملأ مكانه والده هذه بحالة حسنة ؛ وسريرة طيبة ؛ فكان من التابعين
له باحسان ؛ فارتفعت منزلته وعلا مقامه وكان له من المظهر الصالح الهادي
للمن الذي يجول فيه ما يستحق به ان تتخذ عتبة بابه متعلق الانظار ؛ وله
مع ذلك غرائب صدرت منه في عصره ؛ وراى برهانها منه الناس عيانا ؛ فسلموا
حاله ؛ وعلموا له منزلته .

هناك خوارق متعددة تناولها الالسن ؛ ولما كنا في هذا الكتاب نتكيب
الاكثر منها ما امكن ؛ لعدم ثبت الرواة ؛ اضربنا عن ذكرها صفحا ؛ الا ان
هناك واحدة اشتهرت كل الاشتهار ؛ حتى صارت تحت كل لسان ؛ وفي ضمن
كل اذن ؛ وقد تلقيت بالتواتر ؛ فرائنا ان نسوقها ؛

كان لصاحب الترجمة غنم في مرتبع ازاء (تاركانترلاط) وكان لاهل ذلك
الموطن تعال وقوة ؛ لا ينظرون بهما الى الضعفة كمرابطينا ؛ الا كما ينظر
المختال القوى الى خنفساء تعرضت امام قدمه في الطريق ؛ فعمد بعض رعاعهم
الى غنم هذا السيد ؛ وقد اقبلت للمورد فذاها عنه ظلما وعدوانا ؛ والماء
موجود ؛ والعين ثرارة ؛ وقد اصدر كل الرعاء ؛ فرجع الغنم بعطشه فبلغ
ذلك صاحب الترجمة فثار منه ما يشور من كل مظلوم ففرع الى الباب الذي لا
يغلق دون دعوات المظلومين ؛ فنفذ السهم واستجيبت الدعوة ؛ فاصبحت عين
اولئك الطاعين غائصة ؛ لا تبض بعد بقطرة وقد بدلوا كل الجهود في حفرها
بعد ؛ فاصبح الماء واقفا لا يجري ؛ فدامت تلك العين الرا خالدا من آلال دعوات
المستضعفين .

هذه حكاية صحيحة رويت بالتواتر ، ولا يزال العيون مائلة شاهدين لصاحب
الترجمة بذلك الدعوة التي لم توجد ابواب السماء دولها *
ثم نشر لبيدي احمد بن بلقاسم مالها اولاد شجوا في ظل ذلك المجد البوريف
فصار الشيطان يترغ بينهم وبين بنى سليمان معاصريهم في قرية (دوكادير)
فعدا عبد لصاحب الترجمة علي ولد لآل سليمان فارداه ، وكان ذلك لثنا
بين الاسرتين لما بينهما من المعاصرة والقربى والغنى - والاراب دائما كالعقارب
والابيضك مثل خبير - ولد ولدت علي وليقة فيها فصل هذه القضية بظن الاستاذ
سيدي محمد بن عبدالله ابن الشيخ سيدي محمد بن احمد الحضيكي اوهي هذه
(وبعد فقد حضرنا وتوسطنا بين اخواننا سيدي احمد بن بلقاسم من ذرية
الولي سيدي عبد الله بن سعيد التيطها ريتي من تيبوت ؛ وبين ابناء سيدي
سليمان المرابطين من (تحت الحصن) ؛ منهم سيدي ابراهيم بن سليمان واخوانه
وخال احمد بن محمد بن سعيد وغيرهم في شأن القتل من ابناء سيدي سليمان
فاتفق رايهم علي ان يقتلوا عبد سيدي احمد بن بلقاسم ؛ الذي قالوا انه هو
القاتل له ؛ فاذا قتلوه انقطع نزاعهم وانفصل امر الثار المذكور ؛ وانجبر رايهم
ولم يبق بينهم شيء من دعوى مال ولا غيره الا تهتمهم لاولاد سيدي احمد بسن
بلقاسم بانهم هو الامرون لعبدهم بالقتل فمضى طلبوا منهم الحلف علي نفس
دعواهم ؛ استحلفوه ؛ طال الزمن او قصر ؛ وعلى هذا اتفق رايهم ؛ وتفاصيلوا
في ذلك القتل بذلك تفاصيلا صحيحة قاطعا ابدا مؤبدا واما ما كتبوه بينهم من
العرف الفاسد بحضور بعض اولاد سيدي احمد بن موسى ؛ فلم يبق عليهم
الحال بينهم لكونه مخالفا طريق الشريعة الحمديية ؛ وكتبنا هذا بينهم فعلا
قاطعا للنزاع بينهم بتاريخ اواخر ذي الحجة عام ١٢٤٥ هـ عبد ربه محمد بن
عبد الله بن محمد الحضيكي بزاوية الفلال ؛ كان الله له)
اقول ان خؤولة مرابطينا آل سليمان آل الحضيكي نشأت من ان هو يمشي
محمد بن سليمان تزوجها آل الشيخ الحضيكي *
امتحن صاحب الترجمة في اواخر ايامه بهذه المحنة ؛ وكثيرا ما يمتحن
الاصفياء بامثالها الا من عصمه الله ؛ فلاندرى كيف تلقاها ؛ وكيف تجلد اثارها
وان كنا نتيقن انه مغلوب في آخر عمره باولاده ؛ فهم الموردون المصدرون ؛
النقم الشيطان عقولهم فقادهم الي ما ليس من عالم ان ينقادوا اليه ؛ ولكن
الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الحضيكي اغاث الله به الاسرتين السليمانية
والقاسمية ؛ وهم يمتون اليه بخؤولة ؛ فحبر الصدق ؛ واتى بحكمة القصاص
وفي القصاص حياة عند اول الالياب
ثم انك رايته لا يزال حيا سنة ١٢٤٥ هـ ثم لم تطل به الحياة بعد ذلك ؛
ولقد قال العم انه توفي حوالي ١٢٦٠ هـ وكيفما كان ؛ انه لم يمض بعد ١٢٦٠ هـ
رحمه الله من رجل صالح لا يزال صيته يرن الى الآن ؛ وله من الاولاد
المعظمين علي ؛ ومحمد *

الفقيه سيدي سليمان بن محمد الالفي

نحو ١١٣٠ هـ - ٩٤٩-٩٥٠ هـ

نسبه

سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا اول فقيه اعرفه من قبيلتنا السعيدية ؛ واول من بدا له ان يول وجهته مع قرينه الاتي ذكره سيدي احمد بن صالح شطر المعارف ؛ فانفتح بهما باب جديد لاهالينا لم يلبثوا بعد ان ازدحموا في عتبه ازدحاما ياخذ فيه البعض بعنق البعض - في لجة امسك فلانا عن فل -

كانت القبائل السملالية والايسية والتلمية بل والايفشانية ؛ يتلادها العلماء من ازمان ؛ واهلنا في الخ في نسك وعبادة وامية قد تعرف باللسان مايناه بالسبعة البنان ؛ واخيرا وفقت الاسرتان الصالحة والمحمدية الى ان يرسلوا اولادهم في هذا الميدان ؛ فجاء سليمان بن محمد بن احمد ؛ واحمد بن صالح بن عبد الله بن احمد ؛ يحملان الى قومهما قيسا من العلوم ؛ فادركا به من الشاوا مظهر به للسعديين الذين لا يعرفون الا الامية المتدينة ان للعلم شرفا خالدا ؛ ومجدا مؤثلا اكثر من شرف ما ورتوه عن آباؤهم ؛ ومن المجد الذي عرفوه من قبل .

على ان صاحب الترجمة لم تقف من اوليته على شيء ؛ حين كان يتلقى القرآن ؛ وكذا نجهل ايضا استاذه في العلوم ؛ لو لم تهدنا الصدف الي مخطوط قال فيه (ذكر شيخنا سيدي مسعود بن محمد المرزكوني كذا) وكنت قبل ذلك وقفت على عقد نكاحه فوجدته مكتوبا بخط هذا الاستاذ سنة ١١٥٦ هـ ثم عرفنا ان هذا الاستاذ من اصحاب سيدي احمد بن ناصر ؛ وانه كان يدرس في سملالة ؛ وقد تخرج به الاستاذ سيدي محمد بن الحسن التوغزيفتي الشهير ؛ فوضح الصبح حينئذ لدى عينين ؛ فعرفنا المتبع الذي استقى منه سليمان ؛ ومن اين تلقى تلك القبسة العلمية التي تنورها جيران الخ بنظر عال

اذا كانت سنة الكون تتمشى على نظام واحد ؛ وعلما انه من المستحيل العادي وجود نبات بلا بذرة ؛ ووجود دخان بلا نار ؛ فلا بد كذلك ان ننظر ما هو العامل لهذه الاسرة المحمدية - آل صاحب الترجمة - حتى مالوا بولدهم الى

التدريسة من بعد ان كانوا لا يعرفون عن اهلهم الا المسرح لسواهمم والحرب
 لمراداتهم فلنقتضى ساقين = من المراء = كما يقول لابليون = لعلنا نجد من ام سيدى
 سليمان ما يدعهم لنا هذه السنة الكولية التي يذكر عنها انها لا تخرم فيما يرقم
 راجعنا ذلك العقد الذي ذكرنا اولاً انه محرر بقلم الاستاذ مسعود بنى
 محمد المرزكونى السملال فوجدنا اثناء ان ام صاحب الترجمة سوهى عائشة
 بنت الطالب الحسن بن على التوييسى = وهبت لابنيها سليمان هذا وصنوه
 سمعته كل ما كان لها مما يسمى مالا من املاك وحبوب وعقار وخرقى الدار اما
 كان لها حينئذ وما سيكون ؛ وكذلك جهازها وحفظها من ابها ؛ وهبت لها
 ذلك هبة تامة +

اذن ام سليمان هي عائشة التوييية ؛ وابوها هو الطالب الحسن بن
 على ؛ وقد كنا راينا فى الوثيقة الكبرى التى نشرناها فى اول ترجمة سيدى
 هبة الله بن سعيد ؛ فقيها يسمى احمد بن على بن ابراهيم التوييسى ؛ فيكون
 اذن احمد هذا خال صاحب الترجمة ؛ ولذلك راينا فى تلك الوثيقة اول من
 هدد فصولها ؛ ثم اتبعه العلماء الاخرون فهو حينئذ انما يشيد بذكر اصهاره
 لم جاء عطف اولئك العلماء ينفى من التهم ما لعله يتوجس فى مثل هذه
 الشهادة التى صدرت من هذا الفقيه لاصهاره فعائشة والدة سيدى سليمان
 هى التى ضرب عرقها فى ولدها ؛ فبزته الى اسرته لعلها ترى منه خلال خاله
 احمد بن على ؛ وشرفه العلمى ؛ اذن اتضح السبب ؛ وجاءت سنة الكون مدعمة
 بهذه النتيجة ؛ فسليمان العالم انما ورث العلم عن اخواله ولعل الطالب
 الحسن بن على عالم ايضا ؛ والطالب اذ ذاك يطلق على العالم ؛ وقد عرفنا ذلك
 من قصة سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ حين قال ان اهل بلادنا لا يسمون
 العالم الا الطالب فلان ؛ لكن بعد اقرارنا له بالعلم ؛ ما مقدار نور علمه ؟ وما
 هى المكانة التى تبوأها من بين علماء عصره ؟ اما آثار قلمه التى راينا فى
 الرسوم ومخطوطات القسمات ؛ وفى اثناء سؤال رايته رفعه الى عالم ذلك
 العصر سيدى احمد بن بلقاسم الكرسيفى المفتى المتوفى ١١٨٠ هـ فانها نقل
 على رقة فى العربية ؛ يتبين ذلك من ثنايا عباراته المهلهلة التى يتعثر فيها
 اليراع عشرة بعد عشرة ؛ واما منزلته فى عصره ؛ فهى منزلة متوسطة ؛ لانه لا يدل
 بينهم لا بالافتاء ولا بالتدريس ؛ وكيف يظهر ؟ والاستاذ الحظيكي معاصره
 واقرانه الافذاذ قد ازدحموا فى هذا الميدان فلا يجاريهم الاكل بازل قناعس (١)

وابن اللبون اذا ما لزمى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
 وانما الذى عرف به ان يتعاطى قسمة الترمكات ؛ ويفصل ما بين الخصوم
 فى النوازل غير الموبصة ؛ فقد اخبرت ان فى ايشسان ومجاط وكل القبال
 التى تعادى الخ مخطوطات يده فى ذلك ؛ كما اخبرنى به العم حفظه الله ؛

(١) البازل الذى له تسع صميين ؛ والقناعيس بضم القاف ؛ العظيم من الابل

واما رسوم القرية وما اليها في ذلك العصر ؛ فنكاد تكون مقصورة عليه وعلى
 فرشته سيدي احمد بن صالح الا اني ذكره فقد عجت سلات اهاليها بمخطوطاتهما
 وقد مرت بين يدي مرة سلة رسوم لاسرة فقيرة ؛ فرايت مخطوطات رسومه
 بين ما فيها كثيرا جدا ؛ وعلى ذلك فليقس ؛ وكان رحمه الله عدلا ثباتا دينيا
 مشهورا ببركة وصلاح ممزوجين بهذه القبصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك
 هلة ضافية ؛ وله مع ذلك ثروة لاتماثل بين اخوته ؛ وكانه بسببها انتشر له
 من الذكر ما انتشر ؛ فهو اول من اثل الاملاك بين المتأخرين في مختلف البلدان
 بالغ وبتامانارت وغيرها ؛ ولا يزال اولاده الى الان يتوسعون فيها ؛ اثلها لهم
 مما اشتراه من الوفقاويين ومن الحرييليين ؛ وبوادي تامانارت ؛ وقد صار في
 زمنه بهذا العلم والمال والدين رجل الخ المقصود في آخر القرن الثاني عشر ؛
 بعد ان تناسى بعض ابناء عمه سيدي علي بن احمد ما كان لايهم ولجدهم ؛
 فاقبلوا على الدنيا وحدها ؛ وكانت له زوجتان ؛ احدهما عائشة بنت عبد
 الرحمن بن محمد البعيلية التي عقد عليها سنة ١١٥٦ هـ فكان له منها فاطمة
 بنت سليمان المولودة في رمضان ١١٥٧ هـ ومحمد بن سليمان المولود وسط
 ربيع النبوي ١١٦٠ هـ واحمد بن سليمان ٣- من ربيع الاول ١١٦٣ هـ والزوجة
 الثانية فاطمة بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسدرمي ؛ تزوج بها قبل
 ١١٦٧ هـ وكان الاولى ماتت اذ ذاك فولدت له عائشة في رجب ١١٦٧ هـ ومحمد
 بن سليمان ١٠-١٢-١١٦٩ هـ ومحمد الاول مات اذ ذاك ؛ ثم ولده الفقيه
 ابراهيم ١٦-٨-١١٧٨ هـ وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١ هـ واحمد
 ابن سليمان ٤-١٢-١١٨٣ هـ وكان احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمي الثاني
 باسمه ؛ والله اعلم .

نقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة ؛ نندرک منها ان اعتناقه
 للمبدأ العلمي قد امله الى الافادة بالقلم ؛ بعد ان كان اهله الاولون لا يعرفون
 كيف يقبضون القلم ؛ وقد توفي رحمه الله عن سن عالية ربما اوقت على ٨٠
 سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ هـ لاننا حين رايناها تزوج سنة
 ١١٥٦ هـ فلربنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر في تلقى القرآن ؛ والتقلب في
 المدارس لا يقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ما هي عليه العادة المألوفة التي
 استمرت الى عصرنا في تلك الجهة واما زمن وفاته فقد افادناه ولده سيدي
 ابراهيم رحمه الله ؛ وكذا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم ؛ ولكن من
 ادخل الى داره اليراع ؛ وورثه بنيه قاول فائدة يستفيدها منه هذه الفائدة
 التي ليست بقليلة ؛ وان جهلها كثيرون .

ومن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدي محمد بن يحيى الازاريفي المشهور
 هذا وباسم المترجم سميت القرية ايتسليمان ؛ وان كان فيها غير اولاده
 كابناء سعيد اخيه .

(١) القبصة بالفتح ؛ ما تأخذ برؤوس الاصابع

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١١٧٨-١١٧٨ هـ = نحو ١٢٦٣ هـ

نسبه

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد *
لم نعته بالفقيه الا متابعة لصاحبه محمد بن ابراهيم السلامسى ؛
فاننى رايت في رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم ؛ ومجاوره المكاسر (١) ؛
وبدل ذلك بعض الدلالة على انه كان معروفاً بذلك الوصف في عصره ؛ والوصف
بالفقيه في بلادنا هذه يضمن به الناس ولا يكادون يضيفونه الا لمن يستطع
حقيقة او ظناً ؛ وليست عادتنا كمادة احوال العمراء وما وراءها حين يتدفق
هذا الوصف على كل من دب ودرج ؛ وعلى من مر بالمسجد ؛ وان لم يلق حتى
حفظ الفاتحة ؛ مادام يجز العجة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمسقف (٢) *
لم نعرف من اولية صاحب الترجمة شيئاً بل حتى من اخرياته ؛ وكل
ما عرفناه انه من حفظة القرآن ولكن لم ندر كيف تلقاه ؛ وهل سافر وراء
تعليمه كما هي عادة بعض الناس ؛ او انما جوده في القرية فقط ؛ ولذلك
عرفنا ان عنده قبضة من المعارف يستطيع بها قلمه ان تقل عثراته قلة ما ؛
ويمكن بها لاصحابه كابن ابراهيم السلامى ان يصفه بالفقيه ؛ ولكن لا يمكن
من اين تعلم ؛ امن عند ابيه ؛ ام من عند الاستاذ سيدى محمد بن الحسن
التوغزيفتى خليفة استاذ والده سيدى مسعود المرزكونى بسملالة فى
التدريس ؛ وقد امتد عمر التوغزيفتى الى ما بعد ١٢١٢ هـ ام من عند الامير
الحضيكى واولاده الذين يخوضون بحار العلوم فى المدرسة الفلالية بين سمر
الغ ونهره فى هذا الحين ؛ ام من عند عبد الله الجشتى التمل الذى ما تدرى
المدرسة الجشتية سنة ١١٩٦ هـ حتى خلف فيها استاذاً يسير على خطه فى
التدريس فهؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفين وغيرهم من
رفعوا راية التدريس فى ذلك العصر ؛ فلاندرى بمن منهم اتصل صاحب
الترجمة ؛ فالتبس علم الترمكات ؛ وفصل بعض التوازل والقيام بتحرير كل
رسم فى القرية مع صاحبه سيدى صالح بن عبد الله الا ترى ذكره ان شاء الله
ومع جاره السلامى الذى تعرفه ايضا *

(١) الجار المكاسر ؛ الذى يسكن فى كسر دارك بكسر الكاف اى جانبها

(٢) المسقف بكسر الميم وفتح الميم ؛ الغربال الكبير

اخبرني العم ان يده في معلوماته العصر من يد والده ؛ ادرك عنه ذلك من محرمات يده التي راي منها مات ؛ واما انا فلم يمكن لي ان اري الا بضع عشرات من تلك السلة التي ذكرتها في ترجمة والده .

ثم انه يشاع عنه وراء هذه المنزلة صلاح كثير وكشف وخوارق ؛ وكرم لكل من قصده ؛ فكانت هذه الخصال التي تجمعت فيه يدعم بعضها بعضا ؛ والكرم يحليها برواء يراق من الثروة التي صارت اليه من بين ما خلفه والده ومما استجده هو ايضا فتحوطه تلك الخلال بسياج متين سميك .

اخبرني بعض الناس ان بعض المسنين الذين ادركهم ؛ قال عهدي به في مسغبة والناس يتضورون جوعا ؛ والاملاء - وما اقلهم - اوصدوا ابوابهم دون رغبات المدقعين الراغبين ؛ وهو يظل وعليه سراويل سوداء يدور على قدور منصوبة عند باب داره تقور بالجزر اليابس والحفونات من الطعام ؛ وهو يناول كل من وقف عليه من ابناء السبيل حتى يفرغ ما في القدور ؛ دام على ذلك طوال تلك المسغبة ؛ وهذا ما امكن من الكرم في بلادنا الفقيرة .

واخبرني آخر من مجاط انه كان مرة عندهم وهم يعتقدون فيه خيرا كثيرا ودعوة مستجابة ؛ فراته امرأة منهم وشاهدت له بركة ؛ فبقيت بعد ذلك تذكراه ؛ وهي التي اخبرت من حكى لي .

واخبرت ايضا انه كان صاحب مرة معاصره سيدي صالح بن عبد الله الزاوي - الاثني - لزارا القبرة العليا التي هي من آثار سيدي بلقاسم التيبوتي وهو الذي استعدتها ودفن فيها زوجته اولا ؛ ثم دفن ازاها ثم تنابع الدفن فيها حتى اتسعت زارا من هناك ؛ ثم مشيا في غريبها حتى وصلا محل المدرسة اليوم ؛ فقال احدهما لصاحبه ماتسمع ؟ فقال اسمع قراءة ؛ ثم انحذرا حتى وصلا بير العنصر شمالي القرية السليمانية فقال ايضا احدهما لصاحبه ما تسمع ؟ فقال له اسمع اذكارا يجهر بها ؛ قال المخبر فهذا منهما كشف بالمدرسة والزاوية قبل ان تخرجا الى الوجود باكثر من نصف قرن اقول ان هذا المخبر الذي اخبرني عدل ثقة ؛ ولكن اشك فيمن اخبره وهو لم يدرك الحادثة ؛ وقد انقطع سندها ؛ ثم انني لم اسمعها الا منه ؛ وهذا كله ما تندق به هذه الحكاية حتى تكون ارق من شعرة ؛ فلا تواتر ولا سند متصل ؛ فماذا يبقى بعد ؟ على ان امثال هذه الاخبار كثيرة ؛ تسيل بها السنة المحدثين ؛ وقد راينا وسمعنا من مثل ذلك كثيرا ؛ فلو كان لهذه ما يشبث به امثالها لتلقيناها بكلتا اليدين فان الكشف طبيعة روحية تكون في بعض الناس متجلية اتم التجلي ؛ وربما كان ذلك في المسلمين وفي غيرهم ؛ ولذلك لا يقبله اساطين ارباب هذا الفن الا بشاهدي كتاب وسنة ؛ وذلك لا يستبعد حصوله الا من كان اغلف العقل وان كان يتظاهر بانه احدق الناس ؛ ولكن لما كان الكذب والتقول في ذلك

كثيرا ؛ ينبغي ان لا يقبل ان لم يصدم الكتاب والسنة الا بعد الوقوع وقونا
صحتها ؛ تحفيظا او نقلنا قويا (لم بعد كتبى هذا وقتى من ما يزيد تلك الحكاية
من القوال المسمى اخرين مما يدل على شيوعها)

الفصل صاحب الترجمة بالقلم فيحرر رسوم القرية قبل وفاة والديه
سنة ١١٩٩ هـ كما رايت ذلك في رسم كتبه قبل هذه السنة بقليل ؛ ثم دأب
على ذلك الى ايف وسنين من القرن الماضي ؛ فوافاه اجله ؛ وقد فتشنا لعلمنا
نجد عقيدا لبعض اولاده بنه على وقت وفاته ؛ ولكننا لم نجد ؛ والعم يقول
انه توفي نحو ١٢٦٣ هـ لان والدته (نكدا) بنت عدى (التي ستاتي ترجمتها)
اتركته حيا حين تزوجت ال الخ سنة ١٢٦٠ هـ ثم عاش بعد ذلك ؛ ولذلك عرفنا
به بها نرى .

واصحاب الترجمة ثلاثة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) والطيب ؛ وكلهم اقبوا
فولاد كثيرين بآرك الله فيهم .

هذا المترجم هو الحافر للبر في (ناغيا) سنة ١٢١٤ هـ وهي ملكة
للبرابطين لالعربيليين ؛ وقد وقع فيها خصام بينهم حوالى ١٣٦٢ هـ فادل
الاولون برسم شهد فيه العربيليون انفسهم اذ ذاك بان الحافر هو سيدى
البرابطين في سنة ١٢١٤ هـ وذكروا القدر الذى انفق في الحفر ؛ وقد حكم في
القضية شيخنا سيدى الطاهر بن محمد ولكنه حين راي ما راي نبذ عنه الفصل
في القضية وهو يقول بلسان الحال : ربي وصلاتى



سيدي احمد بن صالح الالغي

قبل ١١٣٨ هـ - بعد ١١٨٥ هـ

نسبه :

احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا قرين الفقيه سيدي سليمان بن محمد المتقدم وما اولاه ان يدعى بالفقيه ؛ ويوصف به مادام قرينه هذا يوصف به وصفتهما واحدة؛ ومجالتهما واحدة ؛ وقد طلعا على ابناء عبد الله بن سعيد بفجر جديد من انوار المعارف هي ابي وادوم

عاشا معا يتقلبان في قسم التركات وقص بعض التوازل؛ يكتب احدهما فيعطف عليه الاخر ؛ وكان سيدي سليمان هو الذي له الصدارة ثم يليه احمد هذا ؛ فلا يزالان دائما كالفرقدين .

ذكرنا في ترجمة سيدي سليمان ان شيخه في العلوم التي عنده ؛ هو سيدي مسعود بن محمد المرزكوني ؛ فهل صاحبه هذا ايضا كذلك ؛ فاننا لم نقع الى الآن على ما نستدل به في هذه النقطة ؛ ولم اتصل بشيء من كتبه لعلمي اقع على كلمة نفهم منها ما فهمناه من الكلمة التي وقفنا عليها لسيدي سليمان حتى اخباره ثم اعرف منها الا ما ذكره لي العم من انه رديف سيدي سليمان في كل ما يزاوله ؛ وقد سالت شيخنا سيدي عبد الله بن محمد عنه لعله يفيدني فما زاد على ان قال انه راي في مخلفاته ما يدل على انه يدا في الفرائض والحساب والهيئة ؛ ومشاركة قليلة من العربية والفقه ؛ فهذا كل ما نقض الى عنه ؛ ثم لم يتيسر لي ان اري من رسومه ومخطوطاته ما ادرك انا به بدوري ما لعله يخفى عن اولئك ؛ حتى مبتدأ حياته ومنتهاها لم ندر كيف هو ؛ وكل ما نعرفه انه معاصر لسيدي سليمان الذي كان حيا من نحو ١١٣٠ هـ الى ١١٩٩ هـ فلتلك المعاصرة رايت رقم الولادة مرقوما بما قبل ١١٣٨ هـ والوفاة بما بعد ١١٨٥ هـ فاحتطنا في زمن الولادة والوفاة .

ولم يعقب الا من ولده عبد الله وحده رحم الله الجميع *

سيدي صالح بن عبد الله الزاوي

ربيع ١٢١٠ هـ - نحو ١٢٦٠ هـ

تسبيحه

صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سيدي سيدي صالح كاسمه ؛ صالح هو ومن امتد منهم ؛ ومن امتدوا منه ؛ والله رايته ترجمته والد جده عبد الله بن احمد ؛ وما وصف به ؛ ويذكر مثل ذلك الصلاح في جده صالح بن عبد الله وفي ابيه عبد الله بن صالح ؛ ولكن معنا ان نردهما بترجمة اننا لانعرف عنهما الا هذا الوصف فقط ؛ وهذا الوصف في الحقيقة كثير من انصف به من اهالينا الى الان ؛ وشرطنا ان نعرف للرجل ما يستحق ان يذكر له وراء صلاحه ؛ الا اذا كانت له شهرة بصلاحه نلفت الانظار فاننا نعتني به بدورنا ؛ وتلفت اليه بصرنا ؛ وهل يراعي الورع الا ما يراه بصره ؟

حفظ صاحب الترجمة القرآن ؛ واتقن رواية المكي ؛ واستبصر شيئا مما وراء ذلك فكان ممن يحرر بقلمه كل ما عن من الرسوم وما اليها من اول القرن الماضي الى وسطه وقد جرى ذكره في كلامنا على سيدي ابراهيم بن سليمان وقد حكى عن سيدي صالح اخبات كثير وديانة وسكنة ودعوة مستجابة ؛ وكشف لا يزال يذكر به تواتر عنه الى الان ؛ وكان قليل ذات اليد فلا يملك الا حمارة وبقرة يحرت بهما فيجمع البركة التي تيسرت فيزكيها فنزل البركة ؛ فتكفيه ما تكفي مئات الكثيرين ؛ حكى لي مجاطي عن مجاطلة ان فلانا من كبار مجاطة سماه ؛ كان من رؤساء قومه ؛ فصادف مرة صاحب الترجمة قد جمع من محصول فلاحته مقدار عشر غرائر ؛ فقال له ان هذا لا يكفيك مؤنة السنة فلماذا لا تكثر الفلاحة ؟ فقال له صاحب الترجمة وكم تدخل انت من محصولك ؟ فقال ادخل المائة فاكثر فقال له ؛ وما يدريك ان يتوقف صاحب المائة على صاحب العشر ؟ فلما توسعت السنة ؛ ووصل وقت الحرت احتاج المجاطي الى البذر ؛ فعاء اليه فسلفه اياه ؛ وكثر ايضا تحدث الناس بانه كان سنة ١٢٥٥ هـ صباحا في متوضعا مسجد الزاوية ؛ فاجبر من حضر

بفرق كثير في وادي تامالارت ؛ وبعد يوم جاء الخبر بان سيلا جارفا حمل سقى
 تامالارت واجتث اشجارها ؛ وهذه الحكاية يتحدث بها الناس تحدثا كثيرا
 وقد كان تزوج امرأة من تافيشيت بسملالة ؛ فولدت له ولده الحاج عبد الله
 وحده ؛ ثم لم يرزق سواه ؛ فبقى كذلك سنوات كثيرة ؛ فوفد عليه اصهاره
 يوما وقد عرفوا له مكانته من الصلاح ؛ وراوا ان يجبروا خاطره - فقالوا ان
 كان لك غرض في زوجة اخرى ؛ فلا تمنعك اختنا ؛ ولا الحياء منا ؛ فقد طبنا
 نفسا بذلك ؛ فلا احب اليانا من ان تعمر هذه الدار ؛ فقال لهم ان جعل الله
 البركة في عبد الله فانه يكفي ؛ فالعبرة بالبركة لا بالكثرة وان لم يجعل الله
 فيه البركة فماذا يجدي مائة من الاولاد ؟ فسرعان مايطوف الوباء الجارف
 فاذا هم لاعين ولا اثر فاعقب عبد الله وحده ؛ فكان منه الخير الطيب ؛ والنسل
 المنتشر المبارك .

كان سيدي صالح مقصودا في عصره بالرقى والتمايم والدعوات ؛
 معروفا بذلك فلايخلو مكانه من الواردين ؛ وكان اذا راي من اطال المكث عنده
 يقول ان اردت دعوة او تميمة اورقية فهاهي ذى عندي ؛ وان اردت مائدة ممدودة
 وفراشا مسوطا فعليك بسيدي ابراهيم بن سليمان ؛ يقول ذلك لان هذا
 شفي كريم ؛ هو طوبى العتبة بكرة وعشيا بالوارد والصادر .



سعيدى

محمد بن احمد السعيدى

لحمو ١٢١٥ هـ - ٢١٦ هـ

لحمو

محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد
هذا جد والدى ومربيه ومعينه على حفظ القرآن ؛ كما سترى ذلك فى
ترجمته ان شاء الله ؛ وقد كان لوالده احمد وجاعة وذكر ومال ؛ ولكنه لا
يشكر الا بهذه الوجاعة وهى ما لا نعتبره فى اهلينا بالترجمة الخاصة ؛ ما لم يكن
وعلى صلاح مشهور او علم لان امثال هذه الوجاعات فى قبيلتنا وجاعات شخصية
لا ترفع اسم الاسرة ؛ ولا تجد القبيلة منها ظلا وريفا ولا تسمع منها كلمة نافذة
لاننا استغنا شرطها فى اهلينا خاصة .

كان صاحب الترجمة ممن اتقن كتاب الله الكريم ؛ ومن اشتهر بصلاح
ورقة وشهرة وسقى لم تدرك شهرة معاصره سيدى صالح المتقدم الذكر ؛
وان الناس يتناوبونه للرفى والتمايم والتطبب خصوصا فى المرض السلى
يسهوله قطع اللحم ؛ فانه ممن اشتهر عنه مداواته ؛ وقد طال عمره كثيرا حتى
استوفى تسعين ؛ وله من الاولاد جدنا احمد الذى هو والدنا آل الشيخ ا
واصلنا ؛ ثم بعد سنتين لحق ايضا سيدى احمد بابيه ؛ وذلك سنة ١٢٩٨ هـ
وولادته لحمو ١٢٣٠ هـ وقد خلف عمنا محمدا المتوفى ١٣٢٩ هـ وعمنا الحاج
عبد الله المتوفى فى الحجاز فى ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هـ والشيخ الوالد الذى
سترى ترجمته ان شاء الله ؛ والعم ابراهيم الذى افادنا جل مافى هذا الكتاب
وسترى ترجمته ؛ والعم بلقاسم المتوفى ٦ ذى القعدة ١٣٦٦ هـ

فهؤلاء اولاد احمد بن محمد رحم الله الجميع والحقنا بهم مسلمين .

سيدى محمد بن بلقاسم التيبوتى

نحو ١٢٥٠ هـ - نحو ١٢٨٩ هـ

نسبه

محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبدالله بن سعيد
هذا اول فقيه علامة متمكن شهير نشأ بالغ من اهالىنا بعد الفقيه سيدى
سليمان المتقدم فرجع راية الافتاء رفح من يخلق ويفرى ؛ ويقبل ويدبر ويزاحم
معاصريه باكتاد العماليق الذين يكون لهم الخصل فى كل مسابقة ؛ والاستعواذ
فى كل مزدحم ؛ لولا انه سقط بقصر العمر دون المدى .

جاء الفقهاء المتقدمون سليمان بن محمد وابنه ابراهيم واحمد بن صالح
بعلاية يتبلغ بها ؛ ويفجر له نور ضئيل ؛ لم ينشب ان ذهب بلا آثار باقية
ولا اخبار تولى فظهر انه الفجر الكاذب الذى يتعرض تعرض ذنب السرحان ؛
ثم لم يلبث ان تجيش عليه الدياجير فتغمره ؛ ثم جاء الفجر الصادق اليبس
الذى يتبين به الخيط الابيض من الخيط الاسود بصاحب الترجمة العلامة
الفهامة الفقيه المتمكن فى تفهم النوازل وفقها غاية التمكن ؛ فلم يلبث اصحاب
القضايا وارباب الخصومات ؛ ان سالت اليه بهم الاباطح ؛ وهو يقضى
ويحكم بما اراه الله ؛ وقد طار صيته بين فقهاء عصره فكاتبهم وكاتبوه ؛
وعرفوا له مكانته التى اطل منها ما بين الاقران ؛ ثم بينما هو يتاهب فلكه الارساء
ويستعد للتزوج ؛ اذا به اعتبط او فر ما كان نشاطا واعل ما كان شهرة فذهب
مبكيا على شبابه النضر ؛ وابقى ثلثة واسعة فى الخ اذ ابكت قلوب الاصدقاء
واشمنت افئدة الحساد ؛ وما اكثرهم فى كل عصر ولكن ان ذهب سيدى محمد
ابن بلقاسم ؛ فان الخ يتمخض عن علامة آخر سينزع نزعا يشى نزع ابن بلقاسم
ويرد البشر الى الذين سالت اعينهم دما بالرزء بصاحبهم هذا ؛ حتى تعود
الثغور كلها به بواسم ؛ وايام الخ به وبآثاره وبآثار معاصريه اعيادا ومواسم هكذا
جاء صاحب الترجمة كبرق اومض ؛ ثم لم يلبث ان تبعه خصب كثير ؛ او
كفجر صادق لم تنشب بعده الشمس ان طلعت فاستوت فى رابعة النهار .
فلئن كان هو امضى حياته هذه القصيرة بين النوازل واربابها فقط ؛ فسياتي
من يضيف الى ذلك مجدا موثلا ؛ فيؤسس مدرسة يتدفق اليها الطلبة من كل

بتأدية بصاحب الترجمة شامسة ؛ فلم ندر منقلبه في حين اخذه للقرآن
 ومن هم اصحابه فيه ؛ وهل اعمل الرحلة وراءه اولا ؛ وكذلك لانفردى عن
 غيره الاستاذين محمد بن محمد المافاماني ومحمد بن محمد بووازي الساموكني
 وقد شاطب كل واحد منهما بشيخه ؛ اين اخذ منهما ؛ والاستاذ المافاماني
 في المدرسة الابغصانية حوال ١٢٧٠ هـ ماشاء الله سنوات كثيرة اولا
 كان ايضا في مسجد (ابشوكاك) في اكادير ايزري ؛ فهل اخذ منهما في هذين
 العهدين او في غيرهما ؟ الجواب عن ذلك درج في غفلة التاريخ ؛ ولكن شيوخه
 الذين تعلمهم حقا ؛ ورائه لازمهم كل الملازمة هم آل اكشيم الحاج عبد الله بن
 الرهين واخوانه محمد والحاج احمد وربما اخذ ايضا عن والدهم شيخ
 الاسلام عبد الرحمن بن عبد الله الذي لا يزال حيا يوم التحق بتلك المدرسة قبل
 ١٢٧٠ هـ فهؤلاء اصباغهم حقا المعروفون ؛ فلولا انه انتسب بالتلميذية للاستاذ
 المافاماني والساموكني لما توهمنا انه عدا هؤلاء الجشيمين الى غيرهم *
 ثم اننا راجعنا كتبه التي خلفها ولا يزال اهله يحافظون على هذه الخزانة
 الى الان ؛ وحافظه الفنين على درهمه الوحيد ؛ فرايناه نسخ البهجة للسيوطي
 في عصر بعد العصر بالسبت الثاني من شعبان ١٢٦٨ هـ والتاودي على الزاوية
 في الاخير الثاني عشر من رمضان ١٢٦٨ هـ والاجوبة الروضية عن مسائل
 في البيع بالثمن والوصية ؛ والمقنع ؛ وشرح الزواوي والفقهيات
 للناودي ؛ والتاودي على التحفة و متن الزواوي ؛ وكنز العربية شرح الاجرومية
 للزواوي وبعض شرح السلم ؛ والدردير على المختصر ؛ والازهرى على
 الاصول ؛ وابن كثيران (كذا) على ابن عاشر ؛ وابو الحسن على الرسالة ؛
 هذه كلها نسخها بيده وربما نسخ غيرها ؛ لان من ارسلته وراى ذلك قال انه
 لم يسمع كتبه كل التسبع حتى يعرف ابقى وراء هذه من مخطوطاته شيئا مالا قال انه
 لم يدرج من مخطوطاته الا التي ذكر تاريخها لا غير ؛ فمن هذا النسخ والصبر
 عابسه ندرت هممة الرجل واكبابه بكل ما في جهده على التحصيل ؛ فعين كاتب
 كتب الدراسة لهوزه والمطبوعات اذ ذلك لا توجد في الاسواق للبيع ؛ ولا هناك
 فرائد يستعاد منها قبل على الانتساخ ؛ ولاتكون هذه الهمة الا في الافراد
 الذين يعملون نصب اعينهم التحصيل *

كثيرا ما اسمع بعد رجوعى هذه المرة الى الخ بصاحب الترجمة وانا اخلو
 من علمه ومعرفة شانه قبل ؛ فصرت ابحت عنه على اصناف من ادركه ؛ او
 من علمه حقيقة خبره ؛ فلم اجد الا العم فنفض لي بعض ما يتعلق به ؛ والاما
 كان من شيخ كبير السن من آله ؛ هو ابن اخيه فقال لي استحضر وانا صغير
 ارضي بهم (١) اسرنا في سنج ربوة مشرفة على فريتنا ؛ والفصل فصل الربيع وقد

التسعت الربا بالأزهار وبرزت الأرض في برد موسى قشيب ؛ فشهدنا ونحن صبية صفار جنازة مضي بها أهل القرية لسمعنا من يقول إنها للفقير سيدي محمد بن بلقاسم ؛ وقد ادركت من مباحثته أن تلك السنة ربما كانت ١٢٨٩ هـ ثم حكى لي أيضا - وقد سألته عما يسمعه من عند أهله عنه - قيل لهذا الفقيه لماذا نرى المتخاصمين يتناطحون ويتشاكسون ويتراعى بعضهم على بعض ؛ فإذا جلسوا اليك لا يلبثون أن يرجعوا في هدوء وسكون ؛ ماذا تصنع بهم حتى تفتأ شرتهم ؛ وتسكن من حدتهم ؛ فقال إذا جلس المتخاصمان إلى فلا يخلوان معا من أحد أمرين إما أن ينقادا معا لحكم الشريعة ؛ ويتبعان الحكم الذي أحكم به عليهما ؛ فيقومان حامدين شاكرين ؛ وقد ادرك صاحب الغلط منهما غلظه وإما أن يلد أحدهما والآخر ممن يتحمل الصبر ؛ فيستحي مني ؛ فأنى أكلفه أن يتنازل عن بعض حقه فيخرجان راضيين معا ؛ فليل له وأما إذا كانا معا من ذوى الألداد ؛ وذوى الصمم عما تقول ومن لا يستحي منك ولا يهتبل بمقامك ؛ فقال إذا كانا كذلك فاني أعالجهما بالتى هي أحسن حتى اصرفهما عنى ؛ وكل ما أتطلبه منهما أن يهدأ حتى يتعدا عن مجلسي ؛ قلت هذه السياسة التى أوتيتها هي لأريب التى رفعت من شأنه ؛ وأعلت من مقامه ؛ وأسألت إليه البطاح بأعناق المطايا ؛ فإن الأخلاق الحسنة ملاك العلم ونخاعه الذى به يقوم صلبه وكان من عادته أنه يأخذ ممن له الحق حفا يتفاوضان عليه وقد ادرك من العلماء من يقولون أن قضاة البادية الذين لا يتوصلون بحقهم من بيت المال وقد انتصبوا للقضاء ويمضون فيه جل اوقاتهم فى مراجعة المسألة ومحاسبة وكتابة وتتبع الرسوم لا بد لهم من اجرة ؛ وأولى من يعطيها من صحت له القضية ؛ وفاز فيها ؛ هذا قول بعضهم (١) ولل بعض الآخر كلام آخر ؛ وعلى تلك الطريقة يسير غالب علماء سوس ؛ وعلماء الخ قديما وحديثا ؛ ومن بينهم صاحب الترجمة ؛ فكان يفاض فى ذلك صاحب الحق حتى يتراضيا على اجرة تطيب بها نفس المعطى ؛ وقد أخبرني المسن ابن اخيه المذكور انه سمع ان بعض الوفاويين كان حكمه وصاحبا له فى قضية فحكم له وتوصل منه بما تراضيا عليه ثم ان الوفاوى راجع الفقيه فقال له اننا غلطنا فى الحساب حين ادفع لك اجرتك ؛ فقال الفقيه انى تحققت ما توصلت به منك ؛ ولم يجتز الى درهم واحد يزيد على ما تراضينا عليه ؛ فكان الوفاوى تناوله بكلمة مست شعوره فثار عليه فقال لتؤاخذنى بين يدي الله ان خنتك فى درهم واحد ؛ ولتقف فى باب الجنة ان قدرت حتى تصدنى بدانقك ان مر الى ؛ فطوى الوفاوى البساط ؛ وقد جد الجدد ورأى من الاستاذ انه لم يبق ذلك المرابط الضعيف

(١) لعبد الرحمن الجشتى :

لنا اسوة بالاقدمين شيوخنا فكم اخذوا اجر الفتاوى وقد اعلوا

المستكين - بعد ما اهل العلم شأنه ؛ وارهف حده؛ وازال الفسادة عن بصيرته

أخال ان سيدى محمد بن بلقاسم فاروق المدرسة الجشتيمية نحو ١٢٧٥ هـ قبل السنة التي سافر فيها استاذه سيدى الحاج احمد الى الحج ؛ ثم انه منذ ان لازم داره وانقطع عن الاخذ اقبل على فض التوازل ؛ وقسم التركات ؛ واجالة

قلم الفتوى وما اكثر مخطوطات يده فى ذلك بيلاذ الوفاويين والمخاطيين والحرييليين ؛ وكان الذى يصاحبه غالباً سيدى الحاج عبد الله بن صالح اولاد اخبرت انه هو الذى قسم املاك ايت اورعى ببغلاش ؛ اخبرنى بعض البغلاشيين المسنين بذلك ؛ وقال انه يستحضر ذلك الوقت وهو صبي صغير

ان اعجب مارايته لصاحب الترجمة اعتناؤه بتحرير المسائل ؛ فما نزل بين يديه نازلة الا امعن فيها بل يشاور علماء عصره ليدلوا فيها بالرأى فقد وقفت له على اسئلة يوجهها الى الاستاذ محمد بن محمد المافامانى ؛ والى الاستاذ محمد بن محمد بووازي الساموكنى ؛ ومعاصره الاستاذ الحاج ياسين والفقير محمد بن صالح الساموكنى ؛ والى الاستاذ احمد بن عدى العركوبى ؛ والاستاذ محمد بن محمد الايسى الملقب هموش ؛ والاستاذ على بن محمد التوزونى المخاطى التمكيدستى ؛ والاستاذ احمد بن محمد الايفرى التامانارتى والاستاذ سعيد الاساكي الافرانى وأشياخه الجشتيميين ؛ وربما كتب سؤالا واحداً فى قضية واحدة ؛ ففرقه عليهم جميعاً ليرى جواب كل ؛ وهذه همة الافذاذ الذين يودون ان يقفوا على الحقيقة ؛ وشيمة المنصفين الذين لا يتكبرون من ظهور جهلهم ولا يتعالمون على معاصريهم حتى لا يتنازلوا الى مساالتهم فى مسألة ؛ وكذلك رايت له ايضا مكاتبات بينه وبين الفقيه سعيد بن على البريمى التازروالى والاستاذ الحاج الحسين الافرانى ؛ وهذه بطاقة كتبها اليه هذا الاستاذ ؛

« ه وبعد فقد اذنت للفقيه سيدى محمد بن بلقاسم التيبوتى سلاله سيدى عبد الله بن سعيد فى تنفيذ الحكم الذى ابرمه سيدى احمد بن محمد المنكبى - الايفرى - على محمد بن بلقاسم مطوس ؛ به علم الاغنى بعد ان القى السلاح ولم يات بما ينفعه كتبه باذنه فى ٢٣ من ذى الحجة عام ١٢٨٥ هـ عيد ربه الحسين ابن الحاج احمد بن الحاج بلقاسم الافرانى كان الله له ولياً ونصيراً »

وهذا مايدلك على شهرة صاحب الترجمة بين معاصريه ؛ على قرب بروزه بينهم فقد رايت فى مخاطبات بعضهم اليه اجلالاً واحتراماً ؛ ثم ما زال صيته يدوى حتى وصل الخبر مسامع يعسوب هذه الجهة فى ذلك العصر ؛ الشريف الحسين بن هاشم الايلقى فاستحضره على بغلة مسرجة اتي بها عبيده ؛ فركبها وهو لايس خفيفاً خفيفاً مما اعتيد لباسه فى الشتاء فى ذلك العهد ؛ وفى مدخل راسه المنخل وراسه المنخل وراسه المنخل هكذا لعكس حياته تعجباً لان المعناه من العمامة للحسين الهياة ؛ فتوى بايلغ بعد ان رحب

به رب المثنوي سآله عن مسألة فقهية تتعلق بملك جرى فيه خلاف بينه وبين رئيس الجرارين ؛ امغار محمد بن علي ؛ وقد كان علماء ايليج وهم كثيرون اذ ذاك افتوا بان الحق لسيدى الحسين ؛ ولكن اراد هذا ان يتثبت خوف ان يكون هؤلاء انما هبوا بالريح التي توافق خاطر صاحبهم فذكر له صاحب الترجمة ؛ وانه قوال للحق ؛ لايبالي باحد فلذلك استحضره فقال له ماظهر لك في مسألة صفتها كذا وكذا ؛ فاستمهله هذا الى الغد ؛ فراجع حتى عرف ما هناك ؛ وفي اليوم الثاني قال له الرئيس الحق مسالتك على هؤلاء العلماء فانهم قالوا فيها قولهم ؛ ثم انفتل الرئيس عن المجلس لترك الفراغ لمن اراد ان يبدي ما ظهر له بكل حرية ؛ فالتفت سيدى محمد بن بلقاسم الى العلماء فقال لهم انكم افتيتم في هذه المسألة بخلاف الحق ؛ اين انتم مما قال فلان ونص عليه فلان ؛ وقال فلان انه هو المشهور ؛ ثم ناقشهم فيما ذهبوا اليه فاطرقوا كلهم بعد ان قطعت جهيذة قول كل خطيب .

حضر الشريف فاعلن له ضيفه الحق في المسألة ؛ وان الملك انما هو للجرارى ؛ وليس له ؛ فلقى سيدى الحسين على اذنايه من اولئك العلماء نظرة طويلة من النظرات التي يلقيها الانسان على من يعسف عن طريق الحق نزلفا اليه ؛ فكان ذلك لصاحب الترجمة كمذيع اذاع شهرته ثانيا الى عنان السماء ؛ ثم صار صاحب ايليج يرسل اليه في الرضانات لدرس الحديث اليهود ؛ الى ان انقضى اجله بسرعة .

هذه الحكاية سمعتها من اناس كثيرين ؛ فكانت لنا كالمجهر الذي نستقرب به ماتباعنا مما يتعلق به (ثم بعد هذا اتصلت باوراق كثيرة من مسألاته للعلماء ومن فتاويه ؛ فبعد ان عزمت على سوق بعضها هنا ؛ رايتان احيل القارىء اليها في كتابنا - آثار فقهية للمتأخرين بالغ وغيره - فقد حشرنا فيها كل آثاره التي لاتعدو الفقهيات ؛ لان الادباء الذين كتب لهم هذا الكتاب - لايسامحونا ان سقنا بين ايديهم مسائل فقهية التي يعدونها - فيما يزعمون- من المستقلات)

كان الاستاذ التيبوتى اتصل بالجنشيميين كما رايت في تواريخ نسخته لتلك الكتب قبل سنة ١٢٦٨ هـ اوفى تلك السنة بنفسها ؛ واخال انه اخذ عن المافامانى والساموكنى قبل ان يتصل بالمدرسة الجنشيمية ؛ اخذ عنهما المبادئ والله اعلم . ثم قبل ١٢٨٠ هـ رجع موفورا مودعاً من اساتذته الجنشيميين الى داره ؛ وقد وقفت على مقيد لاسرته بينوا فيه مالكل من الاخوة ؛ وهوبينهم بينوا ذلك ليلتحق كل واحد بحظه متى شاء ؛ ثم بقى الشمل منهم بعد ذلك مجتمعاً ؛ وكانت اسرة غنية تحدرت اليها الثروة ممن قبلها ؛ وفدايت لى ترجمة عمه الرجل الصالح سيدى احمد بن بلقاسم انه كان ثريا ؛ ولكن

الأخبار تحدث عن هذه الأسرة بطنى وأمر أكثر مما يظن ؛ حتى أنهم ذكروا لها عبيدا ومدخرات ومواشى كثيرة ؛ حتى ليقال الفوقان ولدت - ١٠٠ = شاة في يوم واحد ؛ ولا يخلو هذا من العراق ؛ ولكن ذلك على كل حال يدل على ثروة خطيرة بحسب مقياس هذه البلاد الفقيرة التي يعد فيها من يملك اذذاك مائة ريال كمرئىء الاسرائيل المشهور في بلاد اوربا ؛ على ان ماناله الاستاذ من المكالة والشهرة بسرعة مما يشهد لذلك ؛ لان الناس عبيد المال في كل عصر ؛ وكلمة من ملكه هي العليا دائما ؛ وقد اسس الفقيه من بين اسرته دارا خاصة به ؛ والى املاكها جديدة من وراء ما يتوصل به في قضائه ؛ فعزم على التزوج وقد اعد كل شيء اذا بمرض غير طويل الم به ؛ فلم يفارقه حتى اراحته القبر ؛

وبعضنا قائل ما اغتاله احد وبعضنا ساكت لم يوت من حصر

ووفاته في نحو ١٢٨٩ هـ كما ذكره العم ابراهيم ؛ وكما تبين ايضا من حديث ابن اخيه المسن المتقدم ؛ وهو على كل حال لم يدرك جمادى الثانية من سنة ١٢٩٠ لاني رايت بطاقة فيها تحرير امة من اخوانه احمد وعبد الله ومحمد - فتحا - بخط الاستاذ افكان - وقد نشرناها في ترجمته - فلم يذكر بينهم ؛ وقد اطلعت له على مورخ بسنة ١٢٨٦ هـ وقد تاخر عنه الفقيه الحاج على ابن عمه بسنوات ؛ كما اخبرني به المسن المذكور ؛ فلذلك نرجح ان وفاته في نحو تلك السنة ولو كان يورخ دائما مايكتبه لربما استدلنا لذلك بكثير مما رايناه له ؛ ولكن عمت البلوى منه ومن غيره من فقهاء هذه البلاد بعدم الاعتناء بالتاريخ الا في الرسوم ولو كان ايضا يمكن لنا ان نتبع الرسوم العسوية بيده لربما امكنت مقارنة معرفة وقت وفاته ؛ ولكن اين من يعنى بذلك ؛ فياضعة الاعتناء ومدفنه في قرية تيبوت في المقبرة هناك ؛ وعليه بيت ؛ واما وقت ولادته فقد قررناها بنحو ١٢٥٠ هـ احتياطا والا فالغالب ان ولادته قبل بقليل ؛ وقد رايت حين اتصل بالجستيمية سنة ١٢٦٨ هـ او قبلها كان حصل على بعض المبادئ حتى امكن له ان يعنى وينسخ ويكتب مايكتب في الحصر منسوخه ؛ والغالب انه اذ ذاك كان ابن نحو - ١٩ - سنة او اكثر ؛ ولما يكون أقل في نظر من اعتبر ما يتقلب به ابنا هذه البلاد قبل ان يشدوا ويدركوا هذا المدرك .

هذا ما امكن لنا ان نقوله عن الفقيه الاول بالخ سيدى محمد بن بلقاسم التيبوتى الذي اشتهر به الخ حينما قصيرا ؛ ثم رزنته سريعا ولم يخلف لها الا تلك الآثار الفقهية لا غير ارحمه الله ؛ وجعله في اعل عليين

الحاج على التيبوتي

نحو ١٢٤٥ هـ - ٢٥ - ٤ - ١٢٩٨

نسبه :

على بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد هذا فقيه آخر من قرية تيبوت ؛ وان كان لم يحظ بما حظى به ابن عمه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ لتفوق ذلك عليه فى المعلومات ولفارقته المدرسة ؛ ولتصدره فى ميدان الشهرة ؛ ولاشك فى ان آل بلقاسم ارادوا أن يزاحم اولادهم آل سليمان الذين كانوا اذ ذاك علماء الخ ؛ فمالوا باولادهم هؤلاء الى المدارس فحظى سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وكبا الحاج على ابن عمه دون المدى

التحق بعد حفظه للقرآن بالمدرسة المولودية ؛ عند الاستاذ الحاج ياسين فبقى هناك ماشاء الله ؛ حتى حج مع استاذه ؛ لم لم يزل وابضا بتلك المدرسة يتمصص من بعض معلومات الى ان زار اهله سنة ١٢٩٨ هـ فمرض فلحق بربه فى وقت الصبح يوم الجمعة من غير ان ينزع بقوسه نزعا نعرف به متانة عضلاته ولا اخاله الا انه كان خديم استاذه الحاج ياسين ؛ لانه من المقربين اليه .

حكى لى ذلك المسن التيبوتى السالف فى الترجمة المتقدمة ؛ ان صاحب الترجمة كان كثر اللحية ؛ وقد ابيض نصف شعراته لحيته شيئا حين توفى ؛ قال وهو اكبر من ابن عمه المتقدم ؛ وقد حكى كيف احتضر ؛ وان القرعرة وسكرة الموت اشتدتا عليه حتى اشمته بعض نسائه طيبا فهدا حتى خرجت روحه ؛ وكان تراثه من بين اخوته من متخلف والدهم مصونا فى بيت ؛ قال وبه استعان ورثته فى المسغبة التى دهمت الناس ١٢٩٩ هـ بعد موته قال وكان متقشفا لا يبالي بنفسه وكتبه لم تزل بالمدرسة المولودية حتى توفى ؛ فجاء استاذه الحاج ياسين تيبوتى فعزى اهله .

وقد ذكره لى العم ابراهيم وقال انه ضعيف المعلومات ؛ كانه بليد ؛ ولكنه اجتهد غير ان القدر حرمه من مناه ؛ فبهذه الشهادة من عمنا الذى يعتمد قوله فى مثل هذا المقام ؛ ندرك ان اضاءة صاحب الترجمة اصفر من عين بقة ؛ وان ساحة مجال فهومه كصفحة وجنة الدبابة ؛ ولولانا شرطنا ان نذكر كل من له مسكة من العلم او الصلاح من اهالينا كيفما كان ؛ لكان الاولى ان لا يذكر من لم يفد لافى حياته ولا فى مهاته شيئا فقد حى بلا آثار ؛ وتوفى بلا آثار ؛ فقد حى فى تلك

المدرسة حياة كثيرين من بلداء الطلبة ؛ حتى شاب لم ذهب كان لم يكن حيا ؛ ومن
لم يحيى في التاريخ بآثاره ؛ فلاحياة له
ولبعض الالفين :

بتفحاته الذكيات	الفجر بالنور وزهر الربا
يؤثر عنه في المجالات	لولا فرند ذى الفقار وما
له فقط في المشرفيات	لما رايت اليوم من ذاكر



الحاج عبد الله بن صالح الالفي

١٢٤٥ هـ - ٢٦ - ١٢ - ١٣٢٢ هـ

نسيه :

عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

كثيرا ماتجد بين الاسر اسرة واطئة تقتحمها الانظار ؛ وليس حولها ما يلفت اليها العيون . حتى لكانها لاتزال بعد في مكنون العدم ؛ ولكنها لاتلبث ان تتمخض عن بعض افراد ينبتون بينها مثل ما تثبت نبتة تنشق عنها النواة فتراها بين صفار النبات ؛ ومفرش النجم ؛ كان ورفقتها الضئيلة من فصيلة اوراق تلك النباتات التي حولها ؛ ثم لايمضي الا حقة حتى تراها تعلقو ما حولها شيئا فشيئا والايام تمضي ؛ والليالي تمر كما تمر جنبات الدولاب ؛ ثم لايشعر بها حتى تعلقو متناول اليد ؛ وهي تسرع الى كبد السماء ؛ ثم لاتتشب ان تراها سحيفة فارعة كأنها عماد من عمد السماء ؛ لو كانت السماء ممل يحتاج تدعيمها الى عمد ؛ ثم تتفرع عنها عراجين وعشاكيل ؛ ثم تدر على اهلها اكلاها كل حين باذن ربها .

مثل تلك النخلة مثل هذه الاسرة الصالحية ؛ فقد عهدناها منذ عهد جدنا عبد الله بن احمد ؛ ممعنة في الانزواء والمسكنة ؛ ولايزيدها صلاح اهلها وميلهم الى الخير ؛ وانحياسهم الى زاوية لايزاحمهم فيها احد من الثرين من ابناء اعمامهم الذين يتهاكون على كسب الدينار والدرهم ؛ الا ربوضا على الارض واطرافا عادة الرجال الذين قيل فيهم :

ان لله عبادا فطنا	طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا	انها ليست لحي وطنا
تخذوها لجة واتخذوا	صالح الاعمال فيها سنا

جاء صاحب الترجمة اميا وحيد والده ؛ فجعل الله فيه البركة التي قال والده فيها انها هي المعتبرة لا الكثرة ؛ فتزوج رقية بنت الحسين الاغوديدي فشر الله منهما خيرا كثيرا ؛ واخرج من صلبيهما من يرفرف بهم على الخ لسواء خفاق يشاهده الاقارب والاباعد الى الان .

ورث الحاج عبد الله من والده ذاك الصلاح المتقدم قطعا والجرأة الموشومة
 في بنائه ؛ فعاشت يده مريضا ولاجمعة ولادواء الاجاء الشفاء سريعا ؛ حتى
 ان ذلك ليلفت الابصار ؛ فقد سألته والدي مرة من اين يستقى تلك الادوية
 التي يصلها للناس ؛ فقال له انما ذلك شي ينقدح في ذهني عند سؤال سائل
 ويصحح ماآله انه ربما وصف في وقتين مختلفين شيئين متضادين ؛ لسداه
 واحد للسائلين ؛ فيشفي كلاهما بما وصفه له ورث ذلك التطب عن والده
 سيدي صالح ؛ ولكنه لم يرث عنه ذلك الانزواء الذي الرجى به حياه ؛ بل
 لخاص هو من العمول الذي صاحب آباءه منذ الجد الاعلى سيدي عبد الله بن
 احمد ؛ فجاء بهمة عالية في كل النواحي ففلاح وكسب وائل وتاجر ؛ فلم
 تتوسط العشرة الثامنة ٧٥- من القرن الماضي حتى كانت له هاشية كثيرة
 في اسافن مرتب اهاليينا الالفيين ؛ فقد كان نوي من ولده البكر سيدي محمد
 الذي ولد سنة ١٢٦٥ هـ ان يقوم له بماشيته ؛ ولكن هذا يهرب من ذلك الى
 المسجد ؛ فمزال اهله يردونه الى الرعى حتى هرب ست مرات ؛ فحينئذ فهم
 والده عن الله ؛ فاعتنى بتعليم ولده القرآن فشارك له في داره استاذا خاصا
 كما سترى ذلك في ترجمة ولده ؛ ثم لما اطل سيدي محمد بن بلقاسم على الخ
 بروعة العلم التي اظلتها انعاش اليه صاحب الترجمة ؛ فصارا يتصاحبان كما
 رايته في ترجمة المذكور ؛ ولاشك ان ذلك هو العامل له على انقاد الجهد في
 ثقيف ولده ؛ ومن هنالك جاءت هذه الفكرة التي طلعت على الخ بحظوة لم
 تطلع بمثلها اية فكرة اخرى *

وكان ايضا يصاحب امغار محمد المجاطي ؛ لما لهذا فيه من حسن نية ؛
 واخبرت انه صاحبه مرارا الى افران ؛ كما اخبرت ايضا ان له بال(اساكابلاغ)
 الصالا ؛ وان الشيخ احمد ابلاغ الاساكي ؛ قال لمولاي الحسن حين زار سوس
 ١٣٠٣ هـ وقد كان هناك احد اولاد صاحب الترجمة ؛ ان والد هذا سيدي الحاج
 عبد الله شيخنا *

هكذا خرج من انزواء اهله ؛ فصار يعمل لكل جانب حركة ؛ ولكل
 حركة بركة ؛ فاتصل بالناس وتعرف باهل عصره ؛ واشاد بذلك من جديد
 ذكر آل عبد الله بن سعيد ؛ مع ايمان فيما يعود عليه بفائدة دينية اودنيوية
 وقد اخبرت انه لارض مرة بعد ١٢٩٥ هـ الفقيه سيدي محمد بن احمد
 التيمولاي في دراهم اشترى بها زرضا كثيرا نحو مائة غرارة في تيمولاي فقيل
 له ان الزرع رخيص جدا لاربع فيه ؛ فقال يكفيننا فلس واحد للصاع ان ربناه
 وقد ولد له ايضا بعد ابنه محمد المتقدم اولاد آخرون رباهم كما شاء ؛ فمنهم
 من رباه للدين والعلم والارشاد ؛ ومنهم من رباه للعباد الاخر الذي لا بد منه
 والظاهر لا يطير بغير العناحين ؛ فقد ولد له ولده العازم الملازم للصف سيدي

أحمد سنة ١٢٧٥ هـ والاستاذ على سنة ١٢٧٦ هـ وإبراهيم ١٢٨٢ هـ وكلهم
أعجبوا خيرا كثيرا ؛ اطل الله عمر ابيهم حتى شاهد أبناء ابنته بكثرة .
ثم ايده الله فادى فريضة الحج سنة ١٢٩٣ هـ في رفقة الاستاذ سيدى
محمد بن ابراهيم التامانارنى ولذلك الفضل الله عليه .

غرس من اولاده ما غرس ؛ واعتنى بتعليمهم اعتناء كثيرا ؛ فبعد ان
كانوا يتعلمون في المسجد القرآن راي ان يخص لهم استاذًا على حدة ؛ فعل
ذلك بولده الاستاذ الكبير ؛ وكان احب اولاده اليه ؛ ثم الحقه بالمدرسة
التانكرتية ؛ فرجع منها سنة ١٢٩١ هـ ففرت عين الوالد بما توجهت اليه همة
ولده ؛ فكان له خير معين ؛ ثم تأسست المدرسة ؛ وقد طبقت شهرة ولده
الأفاق ثم توج شرفه بالتول بين يدى مولاي الحسن سلطان عصره فاقبلت اليه
الرفاق من كل جهة ؛ ولكن الزمن الذى اقر عين الوالد بما حظى به الولد ؛
لم يلبث ان ارمض كبده باعتباطه شابا كما سترى ذلك ؛ فاحتسب عبد الله
مصيبتة به ؛ ثم جاء على ولده الاخر بمارد الحياة الى الوالد وعرف به ان فى
الباقى خلفا ؛ فطال عمره عقدين آخرين ؛ وولده هذا فى شفوقة على الاقران
شغوفًا كثيرا ؛ وامتنع الله بطول العمر حتى راي من جميع اولاده تفوقا فى
العلم والدنيا والدين ؛ وكان لعلو همته لايجب الا معالى الامور ؛ حتى فى البناء
لا يهبط الا العالى المتين ؛ وكثيرا مايقول اذا راي من بناء الفقراء فى زاوية
الوالد ؛ انها هذا جمع احجار لمن سيبنى بعد ؛ وليس ببناء وما صدقه فى ذلك
رحمة الله ؛ ولكن الشيخ الوالد يقول انا ستمضى فيه اعمارنا والامر اسرع
من ذلك ؛ ولمن جاء بعدنا ان يفعل به ماشاء على كيفية تروقه ؛ وقد رزى عايضا
صاحب الترجمة بموت حفيده احمد بن محمد انجب مايكون فكان رزؤه
به كرزؤه بوالده قبله .

اما اخلاقه فانها هيئة لينة لايبالغ فى العتاب ولا يستقصى فى التانيب ؛
وقد ذكر الاستاذ على ولده ان والده ماكان يتكلم معه فى اى شىء حتى يبلغ
فيه الحزم الطبيين ؛ ثم لايتجاوز كلمة او كلمتين ؛ ولكن ولده يقهم منها ما
يريده والده ؛ ومبلغ تاثره فى ذلك الامر .

واما دينه وملازمته للصف الاول فى المسجد فاشهر من نار على علم ؛
لايحول بينه وبين ذلك اى حائل ؛ ومواظبته على ذلك فى ايام اقلال اسرته واولا
كمواظبته عليه اذ اسرته تدرك الف غرارة فاكثر من محصول الفلاحة ؛
والحظائر تعج بالمواشى والمدخرات تكتظ بها المخازن ؛ لايطيبه عن ذلك اى
شىء من هذا كله ؛ ولسان حاله ينشد قول بعض الالفين .

ومن عرف الدنيا كمعرفتى بها فليس بمفتر بقل ولا كشر
ومن عرف الرب الذى خلق الفنى نظيرى فانى يطبى عنه بالوفرا

(١) اطباء بتشديد الطاء ؛ استعماله

وأما نظرائه في مختلف الأمور فهي صالحة ، ويؤثر عنه كثف كثير ، وأراء صديقه ، وحكم هائلة ، عظمى لي استاذي سيدي عبد الله بن محمد انه الذي يوحى صدره ملئاً ببطية من دم منجم ، قال فحصل لي دهش كثير ، فذهبت بها إليه ، فقال لا بأس عندك ان هذا من اثر الشفاء ، فكان الامر كذلك

وقد توفيت رقية ام اولاده المتقدمة سنة ١٣١٤ هـ كما اخبرني به العم لم اخبرني ايضاً بعائشة البعلبية ، ورقية تلك توصف بالخبر بين نساءنا ، وكفاها شرفاً انها تكشفت عن هذين العلامتين اللذين هما ماهما

وفي اواسط سنة ١٣٢٢ هـ كان مرض يعزى صاحب الترجمة ولكنه يبل منه فتداعج مرة انه توفي مع انه ابل من ذلك المرض ، فوجد بعض الوفقاويين للعلوية قال حفيده استاذنا عبد الله فوجدنا امام الدار ، فقلنا انه الان مهمل من ذلك المرض ولا بأس عنده ، فاستحيا الوفقاوي فرجع ، فاخبر الجد بذلك فقال اولقول الناس ذلك ؟ اني اذن لبت قريباً ، قال ثم لم تمض ايام حتى صلت ، فالتحق بربه في ليلة جمعة ، ففصله ولده الاستاذ علي بن عبد الله والشيخ الوالد ، ثم صل عليه هذا ، فووري في القبة ازا ، ولده الاستاذ محمد ابن عبد الله ، وفي بقية من كفته كفن الفقيه الصالح سيدي عبد الله بن محمد ابن القاضي الايديكل الذي توفي بعد هذا بشهور

وقد رثاه شاعر العصر في القطر السوسى : الاستاذ الطاهر بن محمد بقوله : يعزى ولده الاستاذ علي بن عبد الله :

تذال نفوس لامصون من الدمع	على مثل هذا الحادث القادح الوقع
يقوم مقام العين للمجد والسمع	ابعد مصاب المسلمين بفقد ممن
ينوب اذا عد الكرام عن الجمع	وبعد مصاب الدين بالواحد الذي
يساء بضر او يسر بما نفع	وبعد ابي الاشياخ الفضل والهد
ودكت جبال المجد من نفخة الروح	لقد زلزلت ارض السيادة بعده
عن الدين والدنيا به ظلمة التبع	وفهب منه اللحد بدرا تكشفت
شبا صارم ان سل فل شبا السبع	وقل منه الصوت لادر صدره
ناى جنبه جنح الظلام عن الضجع	واوحش ربع الدين منه وطالما
ويكشف وجه الراى في الجلب والدفع	فانى امرى يفرى العويص فربه
فمات فكف المجد منى بالقطع	لقد كان للمجد المؤئل ساعدا
فاخرس الا والكمال هو المنص	هو الله ما قام النص بموتك
يسل فيرمى مارن الرزء بالسجدع	فصبرا امام الدين فالصبر صارم
اذامال منه الركن تجذب بالضع	فكفك لتشييد الكمال كفاية
يهب والت في العلا علم الرفيع	فلا تخضع الصم الصلاب لرزع
تلقيك امر الله بالسمع والطوع	فلا رزء الا دون رزئك فليكن
نضارتها اذ خانها مسعد الطبع	فبولكها مولاي من فكرة ذوت
من القول لاستنصت على الواجب المرعى	نسر وفاء لولممد بمنجم

الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالهي

١٢٦٥ هـ - ٢٢ - ٤ - ١٣٠٣ هـ

نسبه

محمد بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبدالله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد .

الخ عبارة عن هذا البسيط الافيج المتسع الذى زويت عنه زهرة الحياة
الدنيا ؛ ولم يحظ بالرياض الاريضة والجنان الخضراء ؛ والحدائق الغناء
والمزارع المخصبة والالفاف الغلب ومتنوع الاشجار ؛ والجداول المطردة والانهار
الفياضة والمرابع التى تفيض حيناً بالعشب النضر ؛ وحيناً بالغناء الاحوى ؛ كل
ذلك منعمه منه يد الطبيعة ؛ وحرمت اهله من الاستمتاع به ؛ فما هناك الاغصير
شمالية او لبولية او دبورية ؛ تصرصر فى هذا البسيط الاجرد فتش زواجر
لشذاع متناجاة ؛ وهى قائمة ممتدة من القبرا الى القبة الزرقاء ؛ كأنها صفوف
لخول مندفع ؛ وصرير الجواء يصك الاذان ؛ وتلاطم مختلف الرياح كأنه صفر
الجنه فى اوديتها .

فاية حياة ياترى تستطاب فى بلد هذه بعض صفاته ؟ او اى عمر يظن من
امضوا اعمارهم فى وسط تلك المهام القفار ؛ انهم امضوه تحت قبة السماء
- كما يمضى الناس اعمارهم فى هذه الحياة الاولى تحت قبة السماء - ولكن رب
العباد الشفيق الرفيق الذى شملت رحمته كل شىء ؛ لا يزوى عن بلدة متعة من
هذه المتع ؛ الا عوضها متعة اخرى من ناحية اخرى ؛ فباى متعة ياترى عوضت
انخ بعد ما حرمت مما ذكرناه

متعة الخ التى فاز بها فى هذه الحياة الاولى ؛ هى متعة الدين والعلم والادب
وكان الدين نبعت هذه النعمة العظيمة من ايديهم رجلا نبغوا اخيرا فى الخ ؛ فى
مقدمتهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله صاحب الترجمة

فهو اول من وضع الحجر الاساسى فى العلم والادب الالفين ؛ واول من
علم لبنيه حق التعليم كيف السيادة بالمعارف ؛ وكيف تستخرج دفائن الافكار
يعلم الادب ؛ ثم باشارته وبمعاونته اسس الشيخ الوالد زاويته بالغ بعدما عزم
ان يسكن فى موضع آخر ؛ هو اليق بالحياة وامكن ان يتيسر له فيه ما جعله
نصب عينيه كما سترى ذلك فى ترجمته ؛ فنالت الخ ببركة الاستاذ ابن عبد
الله مكانة وعظمة املت على لسان شاعر سوس ؛ وريبب الخ شيخنا الافرانى
ان يقول من قصيدة فى الاستاذ على صنو صاحب الترجمة الذى كان لاني اثنين

في الإضافة بمعارف الخ المأجدة :

تأهت بواجدها السطح فقلت لها إبه فقد سلمت مصر وزورا
أرضي لراعا غير والنسيم شدا والماء راح وكالسيافوت حصبا

الأستاذ محمد بن عبد الله هو أول من ذاق العلم من أهالينا ذوق مسر
أدرك منه أنه أساس السيادة الدينية والدينية ؛ ومفناطيس جميع المقامات
العليا التي تتركب اليها نفوس الأحياء الأبية ؛ فأقبل عليه وعلى تعليمه الجبال
ليربها حتى لا يعول بينه وبين تعليمه منصب القضاء الذي انتصب فيه بين هذه
القبائل ؛ فلم يكن كالأستاذ التسيوتي المتقدم الذي استراح في الدرجة الأولى
والتفنى من وراء علمه بمنصب القضاء

الأستاذ محمد بن عبد الله هو النبع الأول لجميع العلوم التي اشتهرت
بها الخ ؛ ووسمت بها من أواخر القرن الماضي بين البلدان السوسية ؛ حتى
صارت مثلا مضروبا في الأندية العلمية ؛ فكل من زاول العلم بعده من الألفين
وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم ؛ وهم عشرات إنما هم كلهم حسنة من حسنة
هذا الأستاذ

الأستاذ محمد بن عبد الله هو الذي وضع بفكرته البذرة الأولى لعلم
الأمم بين ما يلقبه من المقطعات والقصائد لتلاميذه ؛ ثم مازال نبغ أصحابه
وأبناء تلاميذهم ينتهجون منهجه ؛ حتى صاغوا لالخ خاصة ؛ ولسوس عامة
والجنوب المغربي أجمع تاجا من الأدب مرصعا ؛ يتلألا فوق هامات هذا العالم
العالم الذي لا يتعال إليه إلا المصطفون الأخيار ؛ فلئن كان شعر الأستاذ ليس
بما يلق به الناس ؛ فإن من بعده ممن سار في طريقه ؛ حازوا به حصل السيل
والتألق سلة النمو والتدرج والترقي ؛ ولا يمكن في العادة أن تخرم سلة الكهفي
كل شيء ؛ وإن تجد لسنة الله تبديلا .

فليعلم العالم أجمع هذا الأستاذ ؛ ولتخلده آثاره في الخالدين ؛ وليسبق
ذكره معسولا في أفواه ذاكريه في ندوات التاريخ التي لا تزاد بتقادم الأزمنة
الأجدة وظلاوة .

فليحى الأستاذ محمد بن عبد الله ؛ وليحى ذكره أمد الدهر ؛ وليحى
كل من بذل جهده في إعلاء شأن العلم والأدب ؛ وليحى هذا الأدب الأندلسي
النضير الذي ما أزهق في الخ بل في الجنوب المغربي إلا بسببه

محمد الأ

كان بكر والديه وكانا يطعمان منه ما يطعمه كل والدين من مرابطينا

اصحاب المواشي من ابنتهما البكر ان يكون ساعدا لهما ؛ ومعيناعل مشاق الحياة
وكانا يميلان به في السفر الى رعاية الغنم ؛ ولكنه كان يهرب الى المسجد ؛ وقع
منه ذلك ست مرات ؛ فانعكست به القضية المعتادة ؛ لاننا لانشاهد الا من
يهرب من المسجد لامن يهرب اليه فكان ذلك كارهاص لما سيؤول اليه امره

كان مسجد الزاوية كانه موقوف على طلبة دويملائن التملين احفاد
الشيخ سيدي يحيى بن عبد الله شيخ جدنا عبد الله بن سعيد ؛ فكان اولاده
محترمين عند اهاليها يتيمنون بهم فتداولوا هذا المسجد ؛ وكان في تعليمهم
نقص فاستحيا منهم اهل قرية الزاوية ان يستبدلوهم بغيرهم فمن عند اجدهم
افتتح صاحب الترجمة ؛ ثم لما راي والده ان القراءة بالمسجد عرجاء ؛ شارط
له في داره الاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم فكان سوقا افردنا له ترجمة
فيه تخرج في القرآن وذلك نحو ١٢٨٠ هـ

في مدرسة تانكرت

كان من اول ما لاحظت عيون السعادة صاحب الترجمة ان وفق والده
فالحظه بهذه المدرسة ؛ حيث كان الاستاذ سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي
الافرائي والد استاذنا سيدي الطاهر ؛ فهناك رابط كل سنوات اخذه ؛ ولم
يتجاوز ذلك الاستاذ في كل ما اخذه ؛ حتى افوعم انؤه ؛ وعثقت رحيقه
فرجع يخنال في رضا استاذه ؛ وقد حمل بين يديه مهمة عظيمة ؛ جعلها كل
منه في الحياة ؛ فعزم على ان يمضي فيها عمره كله ؛ وماتلك المهمة التي جعلها
نصب عينيه الايت العلم ونشره ؛ فلا حياة الا بعلم ؛ ولا علم الا بهمة ؛ ولا همة
الا من نفخت فيه روح تستمد من الملا الاعلى ؛ وكانت سنة اياه من تانكرت
١٢٩١ هـ

في مسجد قرنتي

قف بنا الان قليلا لنلقى نظرةعجل على هذا الطالب النحيف الذي لا يحرك
جسده الضئيل الا بعض دماء تجرى في شرايينه ؛ والا همة عالية تتناول
الثريا من القعود ؛ فمهدنا به وقد هاجر منذ عشر سنين ؛ من قرية ساذجة
منتهى سمو اهله في التعلم ان يحفظوا القرآن ؛ ومنتهى سمو جيرانها الذين
تعلموا بعض علوم ؛ ان ينصوها جائل لفصل الدعاوى وفض الخصومات
لينشر عليهم من ورائها بضعة دراهم ؛ فهذا الاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم
التيبوتي هاجر ماهاجر وكد وتعب حتى حصل ؛ ثم رجع فوجد اهله يتنعمون بمال
وافر ؛ وثروة كثيرة ؛ وانعام يضيح فيها العد ؛ ثم ما حال في ذهنه ولا مثل بين
عينيه الا ان يجعل عمره كله في فض التوازل ومزاولة الخصوم ؛ ليزيد تلك

الشرية فمماثلة الى فضيلة ا ولم يدبر في خلقه ان يبت ما حصله في صدور البشر
ولا يخلق في صدره ان يخلق من يؤسسون المدارس وان نظيره يبني له بمثل
قوة الاعمال مستقبلا كغيا لا بدوام المجد وخلود الذكر ؛ ووفر الاجر عند الله
فان انتهى عمله وهجره ان يظل يدور من ايت ولفا الى امتضى الى محط
الى ايلخ ؛ ليحفظ مستجنا بزيده الى ما عنده فكان جزاؤه بعد ان اعطى في
الخلق غير سطين انه لامات مات ذكره ؛ وكادت آثاره تمنحى من الوجود لو
لم تعمل بعلمها ؛ فاستخرجنا منها بعض ما يتعلق به ؛ واما صاحبنا هذا
الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ فقد رجع بهذه الهمة العليا ؛ وبهذه النظرة التي
لا ترى الا السجوات العليا ؛ فجعل امام عينيه ما جعل مع ان دار والده ان ليست
يشغل الى الاستاذ التيبوتي لفراء ؛ لولا بعض ما استجده فيها والده الحاج محمد
الله بسببه الحديث الجديد ؛ ثم ليس هناك شي اخر يعتمد عليه في أداء
مهمته هذه ؛ ولكن هم الرجال اذا توجهت الى شي كونت الاسس اولاً ؛ ثم
تكون عليها بناء مشمطرا يناطق اجواز السماء لم لم يظل العمر بالاستاذ محمد
ابن عبد الله على توجه الى مهمته هذه الا بمقدار ما طال بالاستاذ التيبوتي منذ
انزل القرص ؛ والنسب في القضاء ؛ ولكن ان وازنا بين العمليين ؛ ندرك
ما في القلوب ؛ فهؤلاء تلاميذ الاستاذ محمد بن عبد الله قد ملأوا هذه الارض
علما ؛ فان من ايقاهم الاستاذ التيبوتي من عمله ؟ واين ما يذكر به اليوم بعد
في عداد من القرويين ؟

هذا الاستاذ محمد بن عبد الله قد رجع بهذه الهمة ؛ وما هوذا قدالتصعب
في دراسة القرية الزاوية بالغ ؛ وما هوذا يحول المسجد الى مدرسة فيزيد بعض
العلماء بسبب بها المكان ؛ وهؤلاء الطلبة يجتمعون عليه ؛ وما هوذا يمولهم من
مدار وماهي في دروس علمية منتظمة تتوالى في المجلس الجديد الذي اسسه
في ذلك وماهي في سنوات ٩١-٩٢-٩٣- قد مضت وهو لايزداد الا نشاطا ؛
والطلبة الملتصمون اليه قد بدأت حالات النجاسة والتفوق تستدير بهم ؛ فما هذه
الاعمال ؟ وما هذه العزائم ؟ الفليس الرجل غريبا بهمة النادرة ان ليس باهله
وعلمائهم ؟

في الذكر عمداً اليوم مروراً ايضاً

انما أراد الله بالناس خيراً هياك من حيث لا يحتسب اعانات ؛ واركابا
التي ؛ فلجها بنيانه ؛ حتى لا تزعه العواصف ؛ ولا تنسه العواصف فهذا
يعطيه ما جرى لاستاذنا صاحب الترجمة ؛ فان سنة ١٢٩٤ هـ كانت على ابواب
السياسة العظيمة التي امت بسوس ١٢٩٥ هـ فاجتاحتها فاهلكت النفوس ؛
واغلبت الاموال ؛ والت كل امر كثيرة وعمل قري عامرة فاجتشت اصولها ؛ ولا
يبقى الا الله كيف تكون حالة الاستاذ لو بقي في ذلك المسجد في تلك المنطقة

وقد تطوق بهؤونة طلبته الفقراء الغريباء ؛ ولكن رعاية الله فوق كل رعاية؛ فقد
 حدثه العناية الربانية التي لا يعدمها العاملون المخلصون الى المدرسة البومروانية
 فشارك فيها ؛ والمدارس لا تخلو من زرع مدخر ؛ ينفع في امثال هذه المساعب
 وقد كان الاستاذ يفضل شيئا مما يتوصل به من شرط مسجد الزاوية فتجمد
 له في السنوات الثلاث ما اضافه الى ما يتوصل به من شرط المدرسة البومروانية
 من سنة ٩٤-٩٥- فكان زرعاً كثيراً فصار يشتري الاملاك في تلك المسقبة
 والاملاك من ارض ما يكون ؛ والمدخرون للحبوب قليلون ؛ والجهد يحمل
 الناس على بيع نفائس ما يملكون برخص ؛ فحاز بذلك املاكاً كثيرة في قريته
 وما اليها ؛ ففي سنة ١٢٩٦ هـ وهو لا يزال مشارطاً في المدرسة تلك ؛ عزم على
 تنفيذ فكرة جعلها نصب عينيه فبادر الى تاسيس مدرسته الخاصة وقد
 شجعه ما بيده ؛ وما صار اليه ببركة شرطه الذي باعه ؛ ومن الاملاك المغلة
 فرأى ان يستشير من هم اكبر منه ؛ فان المشورة لاثاني الا بخير؛ فاعمل رحلة
 الى شيخ العصر وبركة تلك الجهة سيدي الحسن بن احمد بن محمد التمكديستي
 فاستشاره فاذن له بعد ما اشار عليه ايضا العالم المدرس مسعود بن محمد
 البومرواني بتاسيس مدرسة كما حدثني بذلك تلميذه الفقيه سيدي عبدالرحمن
 الهواي عن ابي الحسن صنو المترجم وخليفته في مدرسته الالفية صانها الله
 وكان سيدي الحسن يشك في مقدرة الاستاذ لما رآه من ضؤولة جسده ؛
 ونعافة قوامه فظن انه رجل اقوال لارجل افعال ؛ ولم يدرك ما قال الشاعر :

لرى الرجل النحيف فتزدرية وفي اثوابه اسد هصور

وكان سيدي الحسن اسر الى بعض جلسائه ما يدل على ذلك في صورة
 مباسطة يسأله هل يقدر هذا على تنفيذ مايقول ؟ فتكفل الزمان بجواب
 سيدي الحسن حين توسطت سنة ١٢٩٧ هـ فشاهد المدرسة تشيد ؛ وما كان
 مظنوناً صار محققاً

المدرسة الالفية تؤسس

كان الاستاذ لا يزال بالمدرسة البومروانية ؛ وهو يوالي الدروس لتلاميذه
 بهمته المعروفة ؛ فما كان يحب ان يبطل درسا في وقته ما استطاع الى ذلك
 سبيلا ؛ فحين كان لابد له من القيام على بناء مدرسته بنفسه؛ استدعى الشيخ
 الوالد ؛ وكان اذ ذاك مشارطاً في المدرسة الفوكرضية ليقوم مقامه في موالة
 الدروس لتلاميذه فاسعفه الوالد ؛ فودع فوكرض ؛ فجه مع من معه من التلاميذ
 فحل محل صاحب الترجمة في بومروان سبعة اشهر حتى تمت الدورة
 السنوية التي شارك عليها الاستاذ اصحاب المدرسة ؛ وقد تمت المدرسة
 الالفية ؛ وفصلت بيوتها الكثيرة ؛ ولكنها بعد ذلك ضاقت بالطلبة ؛ فصار من
 له منهم طاقة يبني من جديد لنفسه .

العهود في كل المدارس الموسسية الخبيثة بين القبائل انها لرؤس على
 اهل القبيلة الذين يجمعون من عندهم اجرة اساتذتها ؛ ومن اعشارهم
 الطلبة الغرباء ؛ المتعلمين فيها ؛ ولم يهد بسوس فيما نعلم من قام بنفسه
 بتأسيس مدرسة وحده كما يفعله اساتذة السباعيين ومن اليهم حيث تتوفر
 لهم الاموال ؛ ويوجد معينون ملتذرون ؛ الا ما كان من صاحبنا الاستاذ محمد
 ابن عبد الله العصامي الذي انكل على ربه اولاً؛ ثم على جهوده ثانياً؛ فالتاسع
 والاربعون الالفية وحده ؛ جمع عليها العملة ؛ فقام بهم من داره مؤونة واجرة
 ولم نعلم ان احدا اعانه سوى الحاج ابراهيم الايتشاني ؛ فقد سمعنا انه اعده
 بعض اعانات ثم هزم الاستاذ على ان يقوم باود من ينقطع اليها ؛ بسلسلوا
 هذا الفروا ؛ وحده مما ندره عليه املاكة المستجدة كما ذكرنا ؛ ثم طابت نفوس
 بعض هجران الخ باعانات من اعشارهم ؛ التاكانزيون والتاجدمونتيون
 والافوريديون احوال الاستاذ ؛ واما آل (اسيف مقورن) فقد انعموا بان
 يتبرعوا بالخطب دائما ؛ واما مرابطونا الذين يجب عليهم ان يكونوا خير
 لنا من اهلهم الذي قاد اليهم المجد الموثل بارسانه ؛ فجعله في تناول
 اهلهم ؛ وفتح لهم هذا الباب بابا خالدا لا يوصد امام قاصديه ؛ ثم
 اهلهم ليبرهوا اليه ابناءهم لعلمهم يدركون من الشفوف عالم يخطر على بال
 اهلهم ؛ لا ياتهم من قبل ؛ هؤلاء الذين يجب ان يتبادروا كلهم اجمعون اکتعون
 اهلهم انفسهم قد انقسموا فرقتين ؛ فاما من شرح الله صدورهم للفقوى ؛
 وبارك الله بصلواتهم بانوار حب الخير ؛ ومسحت صدورهم من الاخرن والاضطراب
 والخش ؛ فقد انضموا الى جانب الاستاذ ؛ وابلقوه ان اعشارهم سيكون
 لها للمدرسة نصيب ؛ فهم اولى بذلك من التاكانزيين ومن معهم باعانة هذه
 المدرسة ؛ ثم صاروا ياتون بذلك في بعض السنوات بصفة غير منتظمة ؛ واما
 الفريق الاخر فقد اصبحوا ممن يتخبطهم الشيطان من المس تناكل قلوبهم معا
 وانفسوا على اهلهم فيما آتاه الله من فضله ؛ فواحي اليهم حسدهم ما اوحى
 فاهلوا يؤسسون بزعمهم مدرسة اخرى بايمور ؛ ازاء مشهد الجند سيدي
 عبد الله بن سعيد ؛ فصاروا يدفعون اليها بقبضة من اعشارهم ؛ فكانت مدرستهم
 مشهد الضرار ؛ كما سماها بذلك والدنا الشيخ رحمه الله ؛ ولكن مضت
 ايام فابام ومدرسة الاستاذ في ترقى واشتهار ؛ ومدرستهم كانوا بنيت فسي
 قهر بمر ؛ لان المدارس باساتذتها لا باساتذتها ؛ كما ان الصمصامة بسلفدعرو
 ابن معد بگرب لا ينصلها ؛ فيما مضت سنوات حتى راينا وراى العالم من خرجتهم
 المدرسة الالفية ؛ فارونا ايها الايجوريون واحدا تخرج من مدرستكم الاهين
 شارط فيها الاصالدة سيدي احمد بن صالح الافراسي ؛ وطلبه سيدي

محمد بن الحاج ؛ وسيدى المكي اليزيدى وهؤلاء من تابعهم انما علمهم من الاساتذة الالفيين الاخرين وما هم الا نعمة من نعمات المدرسة الالفية ؛ لان هؤلاء خريجوها واولادها والمربون في حجرها

الاستاذ في مدرسته الجديدة

طارت الاخبار بارتكاز المدرسة الالفية على الجهد والاجتهاد ؛ فانها اليها الطلبة من كل حدب ينسلون فصار من يرد يجد من تلك الثلة التي كانت صاحبت الاستاذ من اول يوم اذ كان في مسجد القرية ؛ وفي المدرسة البومروانية كالاستاذ العربي الساموكنى واقترانه من قدام تلاميذ الاستاذ قد تفوقوا ؛ ونالوا في تعلمهم المقام الذى يتمكن به صاحبه فيقبل ويرد ؛ ويزن بالقسطاس وزن الناقد البصير ؛ فاتخذوهم قدوة فى الاجتهاد ؛ واملوا ان يصبحوا امثالهم غدا ؛ ان ساروا على الدرب الذى سار عليه هؤلاء قبل ؛ فمن بين من التحق بالمدرسة ؛ فى تلك الحقبة الاستاذان الكبيران شيخنا الطاهر الافرانى وابوالقاسم التاجرموتى وامثالهما الذين سترى لهم بعد ما ترى ؛ فيقبل الاستاذ كل من ورد عليه ويركزه فى الطبقة التى تليق به ؛ فيقبل عليهم تهديبا وتربية ؛ وكان طلبتها فى ذلك العهد لا يتجاوزون خمسين ؛ ولم تدرك شوا المدارس القديمة العهد التى تزخر اذ ذاك بما فوق المائة لكل واحدة ؛ كالمدراس الادوية والبونعمانية والبوعبدلية والتمكدشتية والارازانية الراسلوادية والمحمدية الهشتوكية ؛ فان لم تدرك الالفية الحديثة العهد هذه القديمات المكتظة بالتلاميذ ؛ فان العبرة بالفائدة الحاصلة ؛ وبعدد الخريجين لا بكثرة المجتمعين

بغات الطير اكثرها فراخا وأم الصقر مقلات نزور

كيف دراسته الاستاذ

كما ان مهرة البنائين يرون ان منتهى الفكرة هو مبدأ العمل ؛ وان وضع أسس بناء فكرت فى ان تجعله عاليا ؛ لا بد لها من ارض صلبة ثابتة ؛ حتى تطيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركانها تطيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركانها واختلاف تقلبات الجو ؛ كذلك مهرة المعلمين الذين يربون النشء ؛ يرون ان البدايات مجلى النهايات ؛ وان الخطط تبنى على ما رسمت عليه من اول يوم فتراهم يسلكون بالمبتدىء مسلك الحفظ وتنبيه ذاكرته شيئا فشيئا بمعاودة ما يدرس ؛ ليتمرن على الاستحضار ؛ وعلى تفهم ما يتلقى فيستكثر له من تكرير القواعد وممارستها فى كل فرصة ؛ مع اجالتها باسلاط لسانه ؛ فذلك

الذي لم يتصوره ا ولان تكون له ملكة ثابتة مع الزمان حتى لا ينساها ولا ينسى
 من غيرها ا ابن ابي عمير بعد في طرق العلم الشئى التي يدفع اليها متى شئنا فعل
 على الطريقة سائر الاسناد في تعليمه ا فيها لكل من درج بين يديه فعات
 من ذلك من يعلم من الالبيين بعدا فلن كان بعض المتدئين يجدون في ذلك
 من صعوبة ا فانهم يجدون عجزها بعد حين ا لم بعد ان يشهدوا للمبدء وقد
 على الاثروعية التي يقرأها لا بد مرتين في اللوحة بشرط ان يحفظ كل الحدود
 في ان لم يدرك معناها كله الا ان فانه بعدها في حافظته لاسياني ا وقد قرأ
 في انون الصطري الجميل والزواوى واللامية والمبنيات ؛ وهذه هي متون
 التي في النحو ا واما في الفقه فابن عاشر ؛ فان استتم هذه والفقهيا
 وانها في مرات ؛ يستقبل الالفية والرسالة ؛ والقامات ؛ وهو ما هو
 بعد كل الشواهد وما يكتبه في لوحته ؛ لان الدرس في هذا الطور الثاني
 لا يكون أيضا الا بها ا وهو وطبقته يطالع النجباء لهم الدروس التي سبقوا لها لم
 يدروها هم بالفهم مرات بعد ان درسها لهم الاساذ ؛ واهراب الحزب بين
 المتدئين امر لا بد منه ؛ فهكذا لا يمضي للتلميذ سنتان ثلاث حتى
 يدرك في الالفية والرسالة فيقبل به ال المختصر والتحفة والزفالية
 والحدود والاشموني ؛ وقد كان في المرة الاولى يقتصر له على
 في هذا الدور الثالث يدفع به ال خوض كل شئ من حديث
 في الحساب بعد ما الم من هذين بشئ قليل في الدور الثاني
 في يوم الخميس يتلو في كتب الادب التي كان
 من المقامات الحزبية التي يدرسها يوميا ؛ بل ويحفظها وفي
 قصائد اديبة اخرى كلامية المعجم ؛ وبانت سعاد ؛ والمطبات
 والهمزية واليوسى والهمزية والجمرة ؛ فيدرك الطالب
 في مناسبات مختلفة ان يتراعى على
 ثم ان ظهرت فيه اهلية وظهر بقريحة جيدة فانه يعتنى
 والاشياء ا والا فيكتفى منه بان يدرك الفضة من القضة ؛ والجمرة
 في الدور الثالث يدرس ايضا علم البيان في متون التلخيص
 في منظومة ابن كيران ؛ والاصول في جمع الجوامع ؛ هذه خطة
 في هذه الوثيرة يتمشى اهليا ؛ ولا يتخطون هذا النظام
 بعد ان تلاميذه في مختلف الطبقات ليتدربوا ايضا على
 في هذه الطريقة بنتيجة عظيمة لا يمكن ان يهتدى اليها الا من
 والنظام والتؤدة والرفق والتدرج شيئا شيئا ؛ ما دخلت لى
 هو بنفسه بالطبع حتى يكون من المثل العليا يشاهده كل احد *
 هذا ما اصعبه الاساذ محمد بن عبد الله في مدرسته الجديدة التي سار
 فيها سيرا منظما متوازنا ؛ وقد حفظه الله من العثرات التي توالت عليه بعد
 ان كان يطلع في بعضها ؛ وما ارجع العثرات بالساعين في اجاز الاممال *

العشرة الأولى

ماكاد الناس يفلتون من مسغبة ١٢٩٥ هـ حتى جاءتهم سنة ١٢٩٩ هـ بمسغبة أخرى أشد وأعظم ؛ والاستاذ قد أمكن له ان يتملص من الاولى بانحيائه الى المدرسة اليومية التي كفته مؤنة تلاميذه ؛ وأبقت على ما اقتصده في مسجد الزاوية قبلها وامتده بشرط آخر تأتي له به وبما في يده ان يخرج فائزا من تلك السنة الشهباء باملاك وافرة هي معتمده يوم اسس المدرسة ولكن هذه الاملاك بورية ؛ وقد افلتت سنة ١٢٩٨ هـ من غير ان تريح الى خزائنه حبة واحدة ؛ ثم طلعت السنة التي بعدها فاذا الناس يتضورون سحبا ؛ ويسقطون بالجوع في الطرقات ؛ فماذا يفعل الاستاذ الان ؟ والمدرسة قد اجتمع فيها عشرات من المنقطعين ؛ والسنة الماضية ممحلة ؛ وهذه الحاضرة ادهى وامر ؛ طعن الاستاذ هذه الطعنة ؛ فلم يجعلها دواء الا ان يعجل على تلاميذه نظرة فيستبقى منهم من تقدم في التعلم وظهرت نجابته ؛ ثم يودع سواهم ويواعدهم يوم يعود الدهر بخيره ؛ وهل يوجد عمر الا اذا جاد الله ؟ فذهبوا وفؤاد الاستاذ وراءهم ممزق شعاع ؛ ودموعه على وجناته تساقط سمطين سمطين كما يقول الزمخشري

زار الشيخ سيدي المدني الناصري تلك السنة الخ ؛ فنزل بالاستاذ واذا كان لابد من شكوى الى ذي مرؤة يواسي او يسلي او يتوجع ؛ نفص الاستاذ شكواه الى صيفه فقال له وعيناه مغرورتان بالدموع - كما حكى من حضر - اني ياسيدي كنت شيدت هذه المدرسة لتعمر ؛ وأهاب السعد اولاً بالطلبة اليها ؛ حتى اذا توافروا والفنهم وألفونا اضطررنا هذه السنة العجلاء ان نامر بعضهم بمفادرتها وصدورنا تتأجج أسفا ؛ فكان السعد الذي كان ازاءنا اولاً ؛ قد طلقنا اليوم وكان الله لم يرد عمارة مدرستنا هذه ؛ لنرى باعيننا كيف خاب في ايدينا رجالونا فهدها الشيخ بكلمات مسح بها بعض ما ألم به ؛ ثم قال له قم بنا الى هري المدرسة ؛ فمدا الشيخ يده الى حفنة فبارك فيها فقال له لا تخف منذ اليوم ان يخلو هذا الهري من الشعر ؛ فان كل الاولياء يباركون فيه بعد ما يباركهم رسول الله صل الله عليه وسلم ؛ ومثلك لا يخيب له رجاء ؛ مادام قصدك حسنا - فشجعه الشيخ بكلام آخر كثير

ثم ما دارت الدورة السنوية ؛ حتى انجابت الغمة ؛ وانكشفت الغمام والقي الخصب بجرانه في الخ ؛ وقد كان الناس تكلفوا ما اطاقوه من حرث والاستاذ بينهم بانغ في ذلك جهده ؛ فافاء عليه محصوله تلك السنة ما يناهز الف غرارة فيما يقال ؛ فافوعمت مخازنه ومخازن المدرسة بالخيرات التي فاضت اليها من ربها ومن اعشار الناس ؛ فراجع الطلبة المودعون مدرستهم واتبعهم آخرون فسارت المدرسة في طريقها ؛ وانطوت تلك المسغبة الشديدة

عن الناس ! فقال الله فثرة الاستاذ بصدق لبيته وحسن طوبته ! ومن كان
الله كان الله له

العشرة الثانية

اشتهر الاستاذ بعلمه وفقهه كل الشهرة ! وصار بينه وبين الرائه سابقه
في ميدان الافتاء ! فصار ارباب النوازل وذوو الخصومات ! والمتظلمون للفسم
المركات يردون عليه ويحكمونه فيما بينهم ! ثم لم تزل شهرته تتسع وهؤلاء
يسكفرون حتى ليكادون يعولون بينه وبين ان يودي حق المدرسة ! ورئيسها
عرض له ايضا اشغال يسافر اليها فيبقى الطلبة بلا دراسة كسفره الي
الراش في اواسط سنة ١٣٠٠ هـ فحين اطلت سنة ١٣٠١ هـ راي ان يستعين
بالاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم اليزيدي فشارطه في مدرسته ليمسكن
الدروس ان تمشي بنظام ! ان حال بينه هو وبين موالاتها اشغال طارئة
او اصحاب النوازل الذين يصيرون امام داره كانه سوق ! فكان هذا الاستاذ
اليزيدي مما وفي به صاحب الترجمة من العشرة الثانية لان الطلبة الغريباء لا
الفل عليهم من ابطال الدروس ! وتغلل الفترات بينها ! ولا ينبتك مثل خير

الاستاذ وطلبتما في وادي افران

بدا للاستاذ ان يزور هو وكل من في مدرسته وادي افران ! فقصدوا
الشيخ سيدي المدني ومعهم الاستاذ اليزيدي ! والدراسة سائرة في طريقها
وام يقطعها السفر وقد وجدت للاستاذ هذه الابيات يخاطب بها سيدي المدني
هذا ! والظن ذلك في سفرته هذه

ايابن القطب احيا الدين جهرا	وجدت ما وهي وازاح جهلا
ايثنا كي نزوركم وكنتم	لذلك في اعتقاد العهد اهلا
فصوا بالقبول فذاك قصدي	وسعدى قولكم اهلا وسهلا
ومد للضراعة نحو ربي	ليقبل جمعنا شيئا وكهلا
وتم عليك من ربي سلام	به يرويكم نهلا وعلا

فحين حلوا دار الشيخ تطلب منهم رؤساء قبيلة تانكرت ان يتسبخوا
فراهم بيانا فاسعفوهم ! وكان الزيت مخصبا جدا في تلك السنة ! حتى كان
يكون بلائمن ! فصار اهل القرى يجمعون للاستاذ والطلبة قبضة - نحو كيلوم -
من الزيت لكل دار ثم اتبعوا سيرهم يتفرون ايضا قرى قبيلة اداوشقرا ! الى
ان حلوا بتمولاي اسفل افران وذلك كله محبة لاهل العلم ! والمنقطعين اليه ثم
رجع الاستاذ ومن معه الى الخ يحتلبون خيرا كثيرا واجرا حلالا ! ولا جناح على
المؤمنين ان يتفخوا فضلا من ربه من الباب المشروع

الاستاذ يعاود إدارة الدروس بنفسه

رايت ان الاستاذ اليزيدى هو الذى قام بإدارة الدراسة سنة ١٣٠١ هـ والاستاذ مشغول بأرباب النوازل المتكاثرين ؛ ثم كان نفسه لم تطب الا بمزاولة ذلك فلازم بنفسه ؛ فودع الاستاذ اليزيدى ومكنه شرطه ؛ وجزاه خيرا ؛ ثم انتصب لما هو بصدده ؛ ثم لايجد منه المتداعون الا مافضل عن اوقات الدراسة ؛ وقد سمعت انهم اذ ذاك يتجمعون امام باب المدرسة ينتظرون فراغه من الدروس ؛ هذا مع ان الاستاذ ضعيف البنية جدا ؛ هزيل نحيف من امراض لازمته منذ زمان ؛ لايجد متعة للحياة ؛ وقد حكى لى العم انه كان يقول الامن يعطينى صحة كاملة وجسما قويا فاناوله كل هذا المجد ؛ ولكن مع هذا الحال لم يطق ان يتخلف عن درس واحد ففضى بهذا كل هذه السنة ١٣٠٢ هـ

الاستاذ مع رؤساء إيلينغ

كان يعسوب جزولة ذلك العصر سيدى الحسين بن هاشم مولعا بكل مايزيده فى العالى لبنة ؛ فيزيد الى ارباب الصوادم والعوالى ؛ ارباب الدفاتر والاطلام ؛ فكان حوله منهم هالة كبيرة ؛ من بينهم الاستاذ المترجم الذى يفد اليه مند كان بمدرسة تانكرت تلميذا فى الرمضانات لدرس البخارى وفى ١٢٩٣ هـ حين ودع والده الحاج عبد الله واستاذه ابن ابراهيم الى الحج اعتذر الى الرئيس بانه يتخلف فى رمضان تلك السنة ؛ فأبى أن يقبله فقال له الاستاذ ابن ابراهيم انه سيأتى فى رمضان فكان ذلك باذن استاذه اكيدا عليه ؛ ثم قال له استاذه بعد : كان يمكن ان تنفلت قبل ان يالفك الرئيس واما الان فلاثم كان ذلك ديدن الاستاذ الالفى فى كل الرمضانات حتى لحق بالمالا الاعلى .

الاستاذ يتصل بالسلطان

جاء السلطان مولانا الحسن سنة ١٢٩٩ هـ الى سوس فنزل اذاء تزيت فاهرع اليه كل من له اعتبار من الرؤساء والعلماء ؛ فكان صاحب الترجمة ممن ادى الحق الذى عليه لصاحب العرش المغربى ؛ فزاره مع طلبته ؛ ثم فى سنة ١٣٠٠ هـ سافر هو والقائدان سعيد المجاطى ؛ والحسن البيرانى الى الحمراء فادوا التحية هناك فى ٢٤ - جمادى الثانية ؛ فوصل الجميع بصلات حسنة خصوصا الاستاذ فانه اعتنى به اعتناء زائدا ؛ ومن بين ما اتحفه به كسى كل من يتعلق به من اهل داره ذكورا واناثا ؛ طلب منه - كما سمعت - ان يقيد ذلك فنقد له الجميع ؛ واذ ذاك كتب له ولجميع المرابطين ذلك الظهير الشريف الذى نشرناه تحت رقم ٦- فى الملحقات بترجمة الجيد سيدى عبد الله بن سعيد فكانت هذه الحفاوة التى لاقاها من السلطان هذه السنة هى التى حدثت الى ان يعود الى زيادته ثانيا سنة ١٣٠٣ هـ والانسان اسير الاحسان

روح الأستاذ تلحق بالرفيق الأهل في مراكن

ما شينا الأستاذ منذ ولبته الأول ؛ فصاحبنا في كل تقبائه المختلفة ؛
وهي جميع مقاماته التي يترقى فيها ولا شك ان القارىء يدرك سمو هذه
الهمة الغلة التي هي كلها تطلع الى المرتبة العليا التي لا يعلى عليها ؛ وجرهن
على هذه العظيمة كل برهنة ما حكاه العم ان الأستاذ على بن عبد الله صنو
صاحب الترجمة كان يقول للأستاذ حين الليل على تشييد المدرسة كل القبائل
ما نصنع نحن بمدرسة جديدة ؛ والمدارس المبنية في القبائل كثيرة جدا ؛
وما يعمرها الا امثالنا ؛ ولا توصل ابوابها دوننا ؟ فباي شيء تقوم هذه
المدرسة اليوم او بعد اليوم ؟ مع ان المدارس لا تقوم الا بمعاونة قبيلة من
القبائل ؛ فقال له الأستاذ ما بنيت هذه المدرسة الا لاجرب هممنا لا عرف نحن
رجال مقتدرين ام لا ؛ ولكن يعرف الناس بعد من انت ؟ هل انت رجل مقتدر
لهاض بالعظائم ؛ او انت خائر العزيمة ممن يردهم خيال ويرهبهم ظل ؛
وينظرون بنفخة واحدة ادراج الرياح ؟

هذه هي همة الأستاذ ؛ وهذه مقدرته التي برهن عليها بفعله وقوله ؛
ولكن ربما يحسب بعض القراء ان التجارب التي اكتسبها من عمل طويل ؛ وان
الدروس التي تلقاها من عقود كثيرة مرت به ؛ هي التي شجعت همته ؛ وادته
انه لا يفوز في الحياة الا المقدمون الغامرون ؛ فتكون تجارب شببته وكهولته
هي التي اوحى اليه الفكرة العليا التي يتفلسفها في شيخوخته ؛ ولكن كم يطول
تعبه ان عرف ان هذه الهمة النافذة ؛ وان هذه الاعمال الخالدة ؛ وان هذا
الاقدام الذي لا يلتوى انما ذلك من شاب نشيط مقامر تواق الى المعالي ؛ والله
ودع هذه الحياة قبل ان يتسلق قمة العقد الرابع ؛ فلئن كان الأستاذ يحسب
الشورى ؛ والفتاح الشهير اسكندر المقدوني ؛ فاما بما قام به ؛ فيما يقارب هذه
السن ؛ فان لهذا الأستاذ من الاعمال التي يتانى لمن كان في وسطه ان يقوم بها
ما يراحمهما به في شرفهما هذا بمنكب عريض مع مراعاة الازمنة والامكنة ؛ وما
يمكن في كل عصر ؛ وما صاحبنا الاصنو سيدى بيورك بن عبدالله بن يعقوب
السملاي في همته وفي علمه وفي قصر عمره .

كنا غادرنا الأستاذ بين تلاميذه في مدرسته بوالى الدروس سنة ١٣٠٢ هـ
ثم في ١٣ - من ربيع الاول من سنة ١٣٠٣ هـ غادر المدرسة ؛ وقد استتاب
والدى في موالة الدروس مع الاشراف على صنوه على بن عبد الله الذى هو
خليفته الرسمي فسافر مع القائدين المذكورين ليجهدوا السجدة لصاحب
العرش ؛ وقد لازمه ذلك الهزال ؛ ولكن ذا الهمة النافذة والنفس الكبيرة ؛
لا يبالي بجسده ؛ في قضاء مهمته .

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الاجسام

فرجع القائلان بعد ان تم المرام ؛ وتشرقا بالبول بين يدي صاحب الجلالة مولانا الحسن فبلى الاستاذ وراهم هناك مع لمة من اصحابه ؛ وداؤه بلح عليه وربما عالجهم بهرهم لم ينجع فيه ؛ ثم ازداد عليه مضضه فاحس بدنو الاجل فطلب ممن معه ان يخرجوا به من الحمراء ؛ فنزلوا به في قرية صغيرة في احواز نامصلوحت ؛ وهناك جاءت الدقيقة الاخيرة ؛ فلفظ الاستاذ محمد بن عبد الله النفس الاخير .

قضى الامر ؛ ونزل مالميس لبني آدم طاقة تروده ؛ فافاق رفاقؤه ؛ فمالوا بالاستاذ الى مقبرة صغيرة ازاء تلك القرية فواروه فيها ؛ ثم جمعوا متاعهم فرجعوا ادراجهم الى الخ ؛ وهم يندبون سعدهم ؛ ويبكون جدهم ؛ ولا يدرون باى وجه يردون على اهاليهم ؛ وبأى طلة يطلعون على الخ وقد غادروا بدمه الوضاء . بنامصلوحت ؛ وحفروا هم له بايديهم هناك ؛ ثم افردوه فى رمس تسلى عليه الريح والمور .

وهم نعى الاستاذ المدرسة ومن حوايلها ؛ فقامت القيامة ؛ واسود وجه النهار وهم فى صحو يكاد يقطر غضارة ؛ فاقبل والده الحاج عبد الله مطرق الراس عليه ليرة ترهقه فترة ؛ يفصح جبينه بما لم يقدر لسانه ان ينطق به استسلاما للقضاء فادى حق التعزية وقوبلت وقود المعزين الذين تواردوا من كل جهة من الالفين وغيرهم ؛ بنفوس تعرف ماهو التجلد ؛ وكيف يكون الاحرار الاباة ؛ فى امثال هذه المواقف الجلى ؛ وكان من بين الواردين الشيخ سيدى المدنى الناصرى ؛ فسمعت انه قال لسيدى الحاج عبدالله ؛ وقد شاهد منه نزوة ؛ حق على من رزى بمثل هذا النابغة مثلك ؛ ان تطير عليه شعفات قلبه ؛ فنطق لسان بما يكنه ؛ وان كان لسان المعزى ينطق عادة بغير ذلك وكانه ينشده بلسان الحال ماقاله بعض الالفين بعد ذلك العصر .

تعزيك فيه بين من عانقوا الموت
عليها جميع الناس ان دفنوا ميتا
جميعا لى حزن عظيم كما انتا
على جزع كنا عليه كما كنتا
عليها مدى اعمارنا نحذر الفتونا ؟
لاحياتنا قد صار فى عالم الموتى ؟
فمن ذا الذى من بعده يرفع الصوتنا ؟
صراخ الالى يرزون ذلكم الميتا ؟
له همة لم ندر فى عزيمتها حتى ؟

تعزيك لا انا جهلنا مقام من
ولكننا نمشى على سنة مضى
فنامر بالصبر الجميل واننا
والستنا تتلو العزاء واننا
اسلوى وقد فات الذى كان عدة
وكيف التسلى والذى منه نشاة
لوورى والاشخاص منا شواخص
فاى لبيب ليس يعذران راي
فما كل مرهوس كاستاذنا الذى

تجاليده الأستاذ تنقل إلى الغ

كان الشيخ الوالد رحمه الله من الأستاذ بمنزلة اليد لاختها ؛ فهما الدنان
سنا وهمة وتطلعا إلى المعالي ؛ فالتحم ما بينهما التحاما ؛ فقد رايت كيف
ناب الوالد عن الأستاذ في المدرسة اليومية ؛ ثم ناب عنه في المدرسة
الالغية في رحلته هذه التي التحق فيها بربه فقام الوالد وصنو الأستاذ كل في
عبد الله فالتحقا بالحمراء فباتا فيها ليلة واحدة ريثما تم لهما تابوت ؛ فصرا
بهرمس الأستاذ فوضعا تجاليد في التابوت فأقبلا يفدان السير ؛ فدفعاه هذه
اهله في وسط المقبرة القاسمية ؛ ثم جمع اهله همتهم على تأسيس قبّة عليه ؛
فنزل الشيخ الوالد كبر ذلك ؛ ولكن لم يلبث قبو القبّة ان سقط ؛ فكان القدر
يعل في ذلك موعظتين

اولاهما ان ما اسسه الأستاذ بيده في ايامه ؛ واشاده في صدور تلاميذه
وخلفه من بعده خالدا مخلدا ؛ هو قبته الخالدة الدائمة التي لاتمسها الاعاصير
الالغية ؛ والواصف (تيفرميت) العاتية ؛ ولاتمتد اليها يد الدهر وان تطاول
فهي كالت له هذه القبّة من المجد الموثل ؛ فكيف يتوقف بعد على ما لا يد ان
ينهار اما اليوم واما في الغد ؟

والأخرى ما نهت عنه الشريعة باحاديث صحاح لا تمز فيها لغامز ؛ ولا يمكن
أن ترو بأفعال الناخرين الاذنين ؛ وحين يابى الاحياء ان يقفوا عند نهيا فان
الواجب المولى ليجار ال الله في عليها ان لاتبقى متصلة ببدعة من البدع فجاءت
الاعاصير الالغية ؛ والقواصف التفرميتية تؤمن على دعواتها فمالت على الجدران
لظنها هباء منثورا ؛ وما لا اسر له فلا بد ان ينهار . والمعلوم شرعا كالمعلوم هنا

اخلاق الأستاذ

كان الأستاذ كما رايت محفوظا في كل ماتسه يده ؛ وقد جعل الله
البركة في عمره ؛ وانزل اليمين على عمله فبنى وائل وولد وعلم ؛ وكل ذلك
في اثني عشرة سنة منذ فارق المدرسة التانكرتية سنة ١٢٩١ هـ الى منتهى
١٣٠٢ هـ وقد كان الشيخ الوالد كثيرا ما يذكر ذلك ويجعله مضرب الامثال في
المحظوظين الذين اخذ الله بايديهم ؛ ووقفهم حتى فعلوا ثم بقيت افعالهم خالدة
فاسمع ما قاله الوالد في رحلته الحجازية حين ذكره للأستاذ علي بن عبد الله
خليفته في المدرسة

منها ثقبته محصدا من كان لي الهمة فردا اوحدا
من يفعل الخير الذي قد فعله ؟ يعمل في العمر القصير عمله

قد خلف الذي عليه يجرى
 لانه الكرم من كريمة
 قد فاق بالجد والاجتهاد
 فقاتهم وسلموا في السبق
 وهو الذي قد شاد في بلدنا
 وغرس العلم له تلامذة
 وحبس الاحباس ثم خلفا
 فهذه الثلاثة التي ذكر
 في حال موته بغير ذخـر
 باى عزم مقعد مقيم
 القرانه من زمن المهاد
 من مثله في الغرب اولى الشرق؟
 مدرسة شادت له كل ثنا
 عديدة لهم فهوم نافذة
 اولاده ينتجعون الشرفا
 للفاعل اجر بها وان قبر

وسمعت من الاخ المرحوم سيدى احمد ؛ وكان ممن ينصف الرجال
 ولا يبطهم حقوقهم ؛ ان سيدى محمد بن عبد الله هو الذى اسس لآل سيدى
 صالح ما تفرعوا فيه الى الان ؛ وهم الان ديار متعددة ؛ واسر شتى ؛ قال وكل
 ما في ايدي هذه الاسر استحدثه الاستاذ في ايامه القصيرة ؛ ثم لم يستحدث
 من الاملاك بعده عشر العشرات ثم يفيض سجلا من الثناء على الاستاذ ؛ فصاحب
 الترجمة محفوظ من هذه الجهات افلا ترى ان ملاك ذلك كله اخلاقه ؟ افلا
 يكون ايضا محفوظا من جهتين ؟

فقد سمعت ان قضية كانت في يده لبعض اناس من آل دو كدير ؛ فادلى
 بعضهم برسم زور ؛ فرده الاستاذ ؛ فاجتهد الاخر بكل ما في امكانه ان يقبله
 الاستاذ ؛ والاستاذ يرده عليه ثم قلب له ظهر المجن ؛ فصار يتوعده لعل ذلك
 يؤثر فيه فيقبل رسمه ؛ فكان الاستاذ ازاء ذلك كحائط من فولاذ ؛ لا يتأثر
 باى شئ ؛ وهذه ناحية اخرى نعرفها من خلقه بهذه القضية .

وكذلك جرت له هو بنفسه نازلة مع سملاي ؛ اشتهرت في ذلك الحين
 كل الاشتهار ؛ فاطهرت انه صلب الارادة ثبت حاذق لا تمشى عليه الحيل ؛
 وذلك انه دابن سماليا في بعض المساعب بحبوب بتمن اكثر مما في السوق
 ثم أجله واللاجل حظ من الثمن ثم لما اخصب الناس راغ السملاي ؛ فقال انما
 ارد الحبوب بوجهها ؛ فصار يدلى ببعض فتاو من فقهاء يفتونه بما ذكر فيها انه
 باع بالفلاء لمن كان مضطرا ؛ في حين ان هذه ليست اخت تلك ؛ فاستفتى
 هو بدوره علماء آخرين ؛ وبين لهم ان هذا الانسان ذو املاك تدابن عليها ؛
 فاقتوه بلزوم الثمن ؛ ثم قام الرؤساء السماليون وهم يعرفون للاستاذ مكانته
 فالزموا ذلك الانسان ان يفرم ؛ فالتجأ هذا الى رئيس ايليغ سيدى الحسين
 فارسل الى صاحب الترجمة ان ياتيه برسومه ؛ لينظر اهي صحيحة ام لا ؛
 فارسلها اليه الاستاذ ؛ فاعرض سيدى الحسين عن القضية ؛ ومكن السملاي
 من الرسوم فأحرقها ؛ ثم دالت الايام على سيدى الحسين ؛ وقد حاصرته القبائل

أواخر ١٣٠٢ هـ أو أواسط هذه السنة ؛ فالتصل بامبار محمد الجاهلي ؛ فكان
 قول ما انتظرته عليه امبار محمد بين شروطان ينصف الاستاذ ابن عبد الله
 في قضيته ؛ فارتحل اليه في العيين ؛ فقال له الاستاذ اعطني رسومي أولا ؛
 فقال له سيدي الحسين ان الرسوم قد احرقتها المدين ؛ ولكني ساقب مصك
 بغيرها ؛ فقال له الاستاذ ؛ مادمت تريد ان تنصفي فاني ايضا قول لك ان
 ماوصلك من الرسوم الما هي نسخ منظولة من الاصول ؛ واما الاصول مسي
 الرسوم فهامي ذي عندي ؛ فعلت ذلك احتياطا فجعل سيدي الحسين دعوا هو
 في يد الاستاذ سيدي احمد بن ابراهيم السملال العلامة الشهر ؛ قال سيدي
 الحاج احمد البريدي فعرى الاستاذ بن عبد الله وانا اذ ذاك بالانحصار ؛
 فصاحينا فبتنا عند الاستاذ السملال ؛ فحكم بصحة دعوى الاستاذ والزم
 السملال بالغرم ؛ وكتب له بذلك فقال الاستاذ ابن عبد الله لسيدي الحاج احمد
 الجليلي الذي كان واسطة بينهما ؛ سل الاستاذ السملال كم اجرتك في القضية
 فقال له الاخر ؛ مثل لاياخذ من مثله اجرة ؛ انما اجرة امثالك فيما بيننا هو
 التعاون على التوكل ؛ والتناصر ؛ لاحقاق الحق فيها وابطال الباطل *

هذه الحكاية تربنا نواحي شتى من اخلاق الاستاذ ؛ فنرى منها انه لايلعب
 ولايعطي عامه ولو لرئيس ايلخ الذي كانت له سطوة هائلة اذ ذاك ونرى
 ايضا احتياطا في الرسوم فادركنا انه ممن لايفخد ولايقفح له بالشنان
 لواء اهرى تعرفها زيادة على ماتقدم

والاستاذ نظرات صائبة ؛ وقد راي من ولده استاذنا عبد الله وهو ابن
 توبج سنوات ماحيله على ان قال ان ابني هذا لجرى ؛ فكان كذلك ؛ فكان
 كلف له ستر الغيب ومن اوتى العقل فقد اوتى الفراسة التامة ؛ والتوسم في
 كل مايعلم امامه (واتلوا فراسة المؤمن)

وكان رحمه الله في الدروس جهورى الصوت فصيحاً ؛ حكي بعض سامعيه
 انه لم يعهد له ثانيا بعده ؛ على ان لصنوه الاستاذ على فصاحة كذلك فخر
 بها الامثال *

آثاره

لاادري اى آثار اخرى ينتظرها القارىء عن الاستاذ ؛ بعد ان راي في
 كل ما تقدم اهمالا خالدة ؛ لاتصدر الا عن رجال عبقريين ؛ فمثل الاستاذ الذي
 افرغ ايامه القصيرة في التعليم ينبغي ان تتطلب آتاه في صدور اصحابه ؛
 فيما بعدهم له من اثر ؛ واما آثار قلجه فلما يتفرغ لها من كان مطوقا بمثل
 ماطوق به ؛ فقد اظهرني ولده استاذنا عبد الله حفظه الله انه كان الختج

حاشية على البهجة واسعة ؛ ولكن اعجل عنها ولم يلمس فيها كثيرا ؛ على ان له مع ذلك ابياتا كثيرة في القواعد مشهورة عند اصحابه ؛ منبهة فسي الابواب والعلوم ما بين فقهية ونحوية ولفوية وغيرها ؛ وله كذلك بعض مقطعات ادبية يكتبها الى تلاميذه ؛ حشرنا منها كل ما توصلت اليه ايدينا في كتابنا السلي سمينه (جوف الفرا) كما ذكرنا له ايضا فتاوى فقهية ؛ في كتابنا (المجموعة الفقهية) لعلماء الخ وغيرهم من المتأخرين ؛ فليرجع اليها هناك من ارادها ولکننا نسوق هنا ماحلا في الدوق وحل في العين ؛ فمن ذلك ما كتبه الى تلاميذه بالمدرسة في ربيع الثاني ١٣٠٢ هـ من داره وقد تغلف عن الدراسة ذلك النهار للمطر ؛ قصيدة مطلعها :

بنت لي احبتنا عبيرة وخير الخلائق من يعتبر
رايت السماء بتلك السني— من من الارض ضاحكة تكتشر
الى ان قال :

فكل الحوادث اوعية لدر الفوائد ان تختبر
ولكن قليل من الناس من بايات خالقه معتبر
الى اخرها .

ثم كتب بعدها : حفظ الله الاخوان المداكرين ؛ وجعلنا واياهم لانعمه من الشاكرين ؛ ووفى الجميع كيد سائر الاعداء الماكرين ؛ وتمعنا اجمعين بالحظ الاوفى والمنهل الاصفى ؛ بين جنده القائمين بالاسحار والمباكرين ؛ وسلام الله تعالى عليهم وعلى من بهم واليهـ

وبعد ؛ فقد كثر المطر واشتد الوحل ؛ وتتابع السيل بامر الله لابنوء المشتري ولا زحل ؛ وحسنا بالفيوث في البيوت؛ وانشانا والحالة تلك ماتقراون من البيوت ؛ فتاملوها معتبرين واستقتوا بها عن نصاب اليوم مضطرين واقبلوا عذر هذا المسكين ؛ فانكم عنده في الحب والله بمكان مكين ؛ وقد قدمكم بشهادة الله على الوارد والسكين ؛ واعتقد كلامكم خير خدين بالصدق زكين ؛ فالله يحقق ذلك فيما عنده ويكثر بنا وبكم من عباده الصالحين جنده ويجعل اتباع السنة الاحمدية لكل منا دعه وهنده وصلى الله وسلم على الاتى بها وصحبه؛ وعلى آله وكل من قضى على ملته البيضاء محمود نجه ؛ وتمعنا بالحياة الطيبة من طاعته واياكم وصرف للديد خدمته محيانا ومحياكم ؛ وحصر في ذلك وحده محيانا ومحياكم

ومن ذلك ما كتبه اليهم ايضا وقد عزم على السفر الى العمراء ولعل ذلك في سفرته الاخرة ؛

(من محمد بن عبد الله بن صالح ؛ السلام والرحمة والبركة على جميع

الاخوان المداكرين معنا وجميع من تعلق بنا ؛ والقصد الاغراض بسببنا وعلى
وبعد ؛ فان الله تبارك وتعالى ؛ قد شرع الاستغلاف لصلة الانسلاف
وجعل النظام الامر مضمورا على الانحاء ؛ ووعده على الاجتماع وواعده على الانحاء
فقال ؛ (ولا تظنوا فقرا) ولذهب ربحكم)

ولذلك استغلفنا عليكم اخانا عليا ؛ سنده الله فيما كان له وليا ؛
فانذروه ابا ؛ وتوقروه ديننا وادبا ووصيه بجميع الاخوان ان يعلم من جانيهم
ويشكر نعمي وافهم ؛ وينصح جهده ويوطئ لجميعهم مهده ؛ وان لا يهزل بينهم
الا بامتنعاه وان يرضى لجميعهم ما يعبه لنفسه ويرضاه ؛ وارضى الجميع الامر
والامور ؛ ان يلاحظوا الله تبارك وتعالى في جميع الامور ؛ وان يعلموا ان اعظم
الصدق في نصرنا هو الصبر والكظم ؛ واحق به الاقارب بالدم والاعظم ؛ ثم
بالجارين والجارين ؛ مع مراعاة خدمة الله تعالى في ذلك كله ؛ واعلموا قطعا
ان حيلة العلم هو العمل بالعلوم ؛ ومن تعلم ولم يعمل فهو مدموم مدموم
وانما استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ؛ وابضع تعليمكم في سفر الارجاء الى
الذي جعل الله عليه وسلم فانه لا تكسد بضائعه ؛ ولا حان اعمال ذي الظفر
والعاهر ؛ الشات لكم مودعا في بحر الوافر

اودع جمعكم ونظام امر

(الى اخر ابيات ثلاثة) ومن ذلك ايضا رسالة كتبها الى تلميذه الاستاذ
شفيق الطاهر الافرائي نصها ؛

الحمد لله بالعلم اللدني ولد شيخنا المحفوف من الله بالرحمة والرفيا ؛
صديقي الطاهر ؛ وامتنعنا واياه فضلا منه سبحانه بصفاء الباطن واستقامة
الظاهر ؛ وجعلنا من الطائفة الظاهرين على الحق حتى نكون لاسرار الكتاب
والسنة من اجل الظاهر وسلام الله تعالى عليه يصحبه دائما حتى يكون
الكمال الفضل من جملة المشاهر .

وبعد ؛ فاعلم يا ولدي ارشدك الله وسددك ؛ واعانك على الاستقامة
والصفاء ابدك ؛ ان النهايات على قدر البدايات ؛ وحمد البداية انما هو بكمال
الآداب مع الله تبارك وتعالى سرا وجهرا بامتثال امره واجتناب نهيه ؛ ومع رسول
الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وخدمة ملته ؛ وكمال التواضع لسائر
العلماء ؛ بهيئت يرى العبد سائر المسلمين اشقاءه من هذه الاب الديني صلى الله
الله عليه وسلم ويقصد بذلك افراد عين النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وطاعة
من هم من خير عبيده سبحانه ؛ ولاسيما الاخوان المداكرين الذين يتلصق
المرء بمجالستهم ويزداد علما بمنازلتهم ؛ فعلمهم أكد وأكد ؛ وقد كنت احييت
القيام على هذه القدم لسائر الاخوان ؛ وادعو الله لهم بذلك في كل وقت واولان

ولكن كمال ينوني لوالدك ادرجه الله في مدارج العرفان ؛ وجعله في عالم البرزخ
 مبطوطا لكل فان يظهر لي اني نصرت في حقلك ؛ ويستقل لي ما اخترت من طيب
 العلوم في حقلك ؛ فتفكرت في وجه يتحقق به كمالك ؛ وتحصل عما قريب ان
 شاء الله آمالك ؛ فرايت السبيل ال ذلك هو كمال الادب والجد في الطلب
 فهما شاهدان عدلان على استحقاق المدعى ؛ مايمد اليه يده ويدعى ؛ ولذلك
 اوجبت عليك القيام بها ازيد من غيرك ؛ غير ملتفت الى سير غيرك في سيرك ؛
 واذا علمت - اصلحك الله من انا ومن انت - تستقل كل ماجدت به بعد
 واجب الادب ومنتت ؛ واذا علمت ان جدك الصديق رضى الله عنه انما فاق
 سائر المسلمين بالصدق الذي وفر في صدره ؛ من تعظيم النبي صلى الله عليه
 وسلم وقلده حق قدره ؛ تبليج لك صباح الفلاح ؛ وتيسر لك في هذا الامر اعمال
 المفتاح ؛ فتح الله منا ومنك البصائر وطهر بفضله العميم الظواهر والسرائر
 وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ؛ والسلام عليكم

من هذه الرسائل ومن نفسها ؛ تفهم ايها القارىء نفسية الاستاذ وكيف
 لم يبتئ ؛ وكيف احترامه لاشياخه ؛ وكيف نظرتة الى جميع المسلمين ؛ وكيف
 يهتف من الابداء ان تكون نظرتهم الى ما بينهم والى سواهم ؛ وامورا كثيرة ربما
 لا نراها حيا نلهم ؛ فرحم الله الاستاذ الذي وان كان تيجاني الشرب على سيد
 الشيخ سبيل الحاج الحسين الافراني ؛ لا يعرف للتعصب لذلك معنى ؛ وقد
 اذنت في ورفات التتج فيها والذي كتابا في شيخه سيدى سعيد ابن همو ؛
 ذكر فيها ان صاحب الترجمة هو الذى حثه على تالفيه ؛ وسماه له (البيدى)
 المييد في ذكر الشيخ سيدى سعيد) فمن ذلك ترى اولئك الرجال يعرف كل
 منهم لآخيه فضله ولا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذوه

واما آثاره الشعرية ؛ فكثير منها شعر الفقهاء كما قاله استاذنا سيدى
 الطاهر الافراني فلنسق منها ماتاتى لنا ؛ وامكن ان يقبله الابداء .

فمن ذلك قطعة حائية وقفت عليها بين اوراق للفقهاء سيدى الحسن
 التياسينتى يخاطب بها استاذه سيدى محمد بن ابراهيم ؛ ويتشوق الى افران
 (ولها بعض اصلاح لبعض الالفين) :

هفا بالقلب من صدرى جنوح
 فيبدو منه نحوهم جموح
 تفكرهم فالفر او اصيبح
 كان الجسم عمته جروح
 الى من وجهه الاسنى صبيح
 فاغلو في جداه كما اروح
 عظيم من ابى بكر صريح

اذا صاحب من افران ربح
 يشم بها اربعا من حماهم
 فاصبر ما اطيق فيرتقى بسى
 ابيت على التملل في فراشى
 وذلك كله من اجل شوقى
 ابى الثانى وشيخى من حبانى
 محمد نجل ابراهيم مجسده

تأخر بالصياغة وارتدادها
 فإنا بالعلوم وليس يفتو
 كما يفتو الربى والنصيح
 يرسل العلم مكسال شحيح
 له عمل بعلمه صحيح
 جزاء الله ما يجزي قسيسا

وقال أيضا يخاطب صنوه الأستاذ علي بن عبد الله وهو إذ ذاك صغيراً
 بعد ما كتب إليه اخبره هذا ما نصه :

الحمد لله فان ظهر لسيدى ان يتصدق على بربع رطل من السكر فعيدا
 لله جاني سيدى محمد الزيدى ؛ ولم يعده عندي

على بن عبد الله

فاجابه : الحمد لله وصل الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه اسلام
 الله على كتاب الحروف اعلاه ؛ ولرب بها زعمه وطره وادناه
 وبعد ؛ فها هذا الجفاء مع الواسطة العظمى صل الله عليه وسلم وعمل الله
 بعدم الصلاة عليه ؛ فسبحان من خلق الخواما للفظظة والجفاء ؛ وخيلتهم فنونهم
 ذلك الصلح من عدم المداينة والظهار الوفاء ؛ كلا ان الادب مفتاح كل وزمامه ؛
 والنبي صل الله عليه وسلم اعظم العالم الآدمى وامامه ؛ (لقد كان لك في رسول
 الله أسوة حسنة) والسلام عليكم

مداعبة

وتارة ذو درقة	غسارة ذو سرقة
بعث نحوى ورققة	وهيئ غيب طرفه
اك ان يصون ورقه	وقصده بكل ذ

وكتب إليه أيضا :

جنى وزهرالروض من مفرق الحصن	سلام عليك يا حل الشقيق والنس
وانت بتحت الحصن فاصعد الى الحصن	فديتاك ان العلم حصن وساوس
وحققه الرحمن عند الاخ الحصنى	وافتاح هذا الحصن فيما علمته

ومن شعره أيضا :

بوضع السطور فالعطية جلست	اذا الله اودع الانامل حكمة
بجثة عنق سلها حيث ملت	بعد حروف من لصور جزاؤها

وبعث الى تلاميذه وهم سبعة وقد سمعهم افتتحووا الدرس بالصلاة على
 النبي صل الله عليه وسلم ؛ كما هي عادة الشيخ ابن ناصر ومن اتقى الله ؛
 ياسبعة من سعد سبعة جمعهم
 فتحو الندى بذكر من لو جال في
 تلك الصلاة على النبي فيالها
 ظفروا بامر نعم ما الامر
 صخر الجنائل دكت الصخر
 من لدة لم تحكها الضمر

وقال يحض تلاميذه على الاعتناء بالمقامات الحريرية ؛ ويصفاها لهم ؛
ويدعو ان من فاز بفهمها سهل عليه قول الشعر ؛

اذا رمت نظما مقفى محبرا
فان الذى قد فاز من فهم ما بها
وقال يخاطب نداماه على الشراب ؛

انشؤا يا خير قوم
ادب المجلس شعر
عجبا كيف حصرتم
ان كاسا دون شعر
ولكم ارجو من الله

ملعا اذ ما حضرتم
طبق معنى ما شرتهم
ولشرب الكاس صرتهم
حنظل لو قد صبرتم
به مناكم ان صبرتم

وكتب على نسخة التصريح فى آخرها ؛

العبت فى تملك التصريح
بالله فاحفظه امن تملكه
واجعل الاهى من الاولاد
وقال ايضا ؛

نفسى وما اجمعه وروحى
من بعد ربه ولازم مسلكه
مالكه او اخوتى فى النادى

تكلف الاسفار للاوطار
من عادة الاكياس فى الرجال

فى شدة الحر وفى الامطار
بشرط ان تكون فى الحلال

وكتب الى الشيخ الوالد ؛ وهو اذ ذاك على قدم التجريد فساح مرة ؛
فاذ رجع الى البلد كتب اليه ما نصه ؛

سلام كما المسك والعنبر
على من له فى ابتدا سيره
ابى حسن من بقرته انى
ارانى الزمان بشاشته
والبسنى حلة طرزها
الى آخرها

على من باددان وصم بر
مهابة عال على المنبر
كسار بقلبي لم يجبر
بوصلكم الا برك الاكبر
سلاما سلاما على المخير

هذه نماذج من اشعار الاستاذ ؛ وقد اعنتى بجمع غالبها تلميذه سيدى
العزبى الساموكنى فى كراسة صغيرة مع مقطعات مما قاله لاخيه الاستاذ
على فى بدايته

الآخذون عنها

(١) الاستاذ الطاهرى بن محمد الافرانى

- ١٤ سيدى ابراهيم بن محمد ابن عم النظم
- ١٥ الاستاذ العربى الساموكنى
- ١٦ الاستاذ ابو القاسم التاجار مولى
- ١٧ الاستاذ محمد بن الحاج الافرانى
- ١٨ صفيوه الحسين ابن العجاج
- ١٩ الاستاذ الحسين التاطاروستى
- ٢٠ الاستاذ الكنى اليزيدى
- ٢١ ابن عمه الاستاذ محمد بن عبد الله اليزيدى الكبير
- ٢٢ سيدى الطيب الركبى
- ٢٣ الفقيه سيدى احمد الصمامى
- ٢٤ سيدى الحسين بن عبد الله السملالى
- ٢٥ سيدى محمد بن ابراهيم الاخصاصى خديمه
- ٢٦ سيدى محمد بن الحسين البعمرانى
- ٢٧ سيدى قلى الامر حسيبى
- ٢٨ سيدى الحسين بن ابى بكر الاغوديدى
- ٢٩ الفقيه سيدى الحسين التياستى
- ٣٠ سيدى مبارك النافسيستى
- ٣١ سيدى الحاج بلقاسم الزاوى
- ٣٢ سيدى محمد بن اليزيد السملالى
- ٣٣ سيدى محمد بن الحسن الكسالى
- ٣٤ صفيوه الاستاذ سيدى على بن عبد الله
- ٣٥ سيدى محمد الاعطيانى
- ٣٦ العم ابراهيم بن احمد
- ٣٧ الاستاذ سعيد بن عبد المؤمن
- ٣٨ سيدى ابوبكر الاكبوازى
- ٣٩ الاستاذ المدنى الماسى
- ٤٠ الاستاذ عبد الله باولا

فولوا من استحضروهم العم ابراهيم ؛ وهنالك من ربما نسيناه وخالسنا
وهولاء اخلوا عنه في منقلياته ؛ ثم انتهوا الى المدرسة الالفية التى تولاهما بعد
هذا الاستاذ اخوه على فلازموه ايضا حتى تخرجوا مع عشرات آخرين تراهم
في ترجمة الاستاذ على بن عبد الله ان شاء الله ؛ ولا نستثنى الا اثنين منهم
هما اللذان لم يأخذا عنه الا في المدرسة البومروانية سيدى محمد بن اليزيد
السملالى ؛ وسيدى محمد بن الحسن الكسالى ؛ وهولاء كلهم فلها وان كانوا
مختلفين في درجات التحصيل ؛ وسنرى ان شاء الله في ترجمة كل واحد

لهوره ! وفي الآله ان وجدناها كيف نزرعه ! والله يبسر ولا يبسر
 لم لنا لم نسردها الا اكابر اصحابه الذين يستحقون ان ينسبوا له
 والنقاية المختارة ! الا ماكان من محمد بن ابراهيم الاخصاصى وسيدى عبدالله
 بلولا ! والحاج بلقاسم فانهم ليسوا من النقاية ! وانما ذكرناهم لانهم الفيون
 واما نخالة المدرسة وذلك الطعام البليد الذى لا تخلو منه اية مدرسة؛ فلا تعرض
 لهم بذكر ! ولا تشغل انفسنا حتى بالتفكير فيهم ! لان من فتح له باب المجد
 على مصراعيه ! ثم لم يلج فيه ! او اتبعت له اجنحة يعلق بها فى مناط النجوم
 ثم قصر بنفسه فاحر به ان ينسى اليوم كما نسي نفسه بالامس (فاليوم نساكم
 كما نسيتم لقاء يومكم هذا) وهل التاريخ الا يوم العرض الاول الذى يسبق
 يوم العرض الاكبر ؟

اذا ما اهان امره نفسه فلاكرم الله من يكرمه

لم ان الاستاذ صاحب الترجمة اعقب من الذكور ثلاثة احمد وعبد الله
 وهب الرحمن وكلامهم ممن حمل تراثه وسترى تراجمهم امامك ان شاء الله .

من الأبيات

لم الفيا له على مرئية من تلاميذه ! الا مرئية رفيقه الشيخ الوالد الذى
 افلها من خطه مع ماصدرها به ! ونص ذلك باختصار :

وبعد * فهذا رثاء لعلامة زمانه * ورافع راية الدراية فى اوانه * الفقيه
 الشبيه * الأخر التزيه الأبر ابى عبد الله سيدى محمد بن عبد الله بن صالح
 بزواية (تحت الحصن) بالغ * قد قلته حين اصبنا برزية فقدمه وذهب ربنا بعده

فمن للعلا وللمعاسن والوفى	وللحسن والاحسان والسر والصفى
وللرفد والارشاد والقصد والندى	وللحلم والسخاء والصبر للجفى
وللخوض فى بحر العلوم بفلكتها	وتجرى ويجنى من فرائد مااصطفا
وللسقى فى النادى الندامى بديهه	كؤوس نظام الشعر تنسيكفرقا
يمل الندامى ما هداه وانه	بكل الذى يهوى نديمه قدوفى (١)
ففس عصام سودته وعلمت	له الكر والاقلام ليس الذى قفا (٢)
لتبك عيوننا الفقيه محمدا	بالغ بزفرات تذاب بها الصفا
وكيف وقد بدا بمجياه للورى	شريعة احمد وراثه مصطفى
ومن بعده بدت غياهب ظلمة	تراكمت الامواج منها على شفا
فلولا على صنوه وشقيقه	تسلت به الاحلام حين له اقتفى

(١) مأخوذ من قول الشاعر .

يمل الندامى ماعدانى فاننى

(٢) نفس عصام سودت عصاما

بكل الذى يهوى نديمى مولح

وعلمته الكر والاقلام

لالت بنا الاحزان من كل وجهة
 وابرزها للانام شمسا ولدوة
 فيسلي صدور المؤمنين بنوره
 فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر
 ايارب نوره ضياء بلا غلغسا
 وسرا وترياقا لجليلا لهم شفى (١)
 لما فيه من اسرار ربه والشفا
 لذا القول قول الحق حقا من الشفا

قولة المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

ومنهم الفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الله الالفي امام عارف معترف
 له بالهلافة والبراعة مع نفس عصاية وفكرة اياسية • حافظ للترتبة • ادبا
 وشروعة • ال رواية كثيرة • مشارك في فنون • من فقه وعربية وادب • انتفع
 به خلق كثير في وجهته وهو اول من اختط المدرسة العلمية ببلده • فعملها
 بالانواع التدريس ال ان اشتهرت واشتهر تلاميذها • مستفتى في المشكلات
 لصفية الرب العالية ؛ فاعترف بارشاده الخاص والعام • (ومن يساجل
 بحروب العارفين الهطل) علما وحلما •



(١) الانام كالاسباب • لغة في الانام ؛ كالمصاحف

الشيخ الحاج علي الدرقاوي

نحو ١٢٦٨ = ١٢-٢٨-١٣٢٨ هـ

سببه

علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد
ابن عبدالله بن سعيد .

هذا هو والدي الذي بسببه خرجت من العدم الى الوجود ؛ وله علي - كوالدي -
واجبات نعم علي ان اؤدى حقها ؛ وما هو اؤكد الواجبات علي الانسان ان لم
يكن حقوق الأباء علي الأبناء ولكنه يصعب مع ذلك علي من اراد ان يتحرى الحق
في مثل هذا المقام ؛ ان يذكر لآبيه كل ما يعرفه كل معاصر له قبل ان يعرفه
هو من سموح مجد ؛ ونباهة ذكر ؛ ان يجد بين يديه - امام من حجب اليهم
السلطان كل شيء - مسلكا يخرج منه سالما ؛ لانه اما ان يطنب واما ان يوجز
واللهما شغل عند بعض الناس ؛ فالطنبون يتهمون بالتحيز ؛ والاشادة بمعال
ياول اليهم فخرها ؛ وبصيرون كانوا يجرون النار الي قرصهم - كما يقولون -
بل يقال لهم مادح نفسه يقرئك السلام ؛ والموجزون يتهمون عند قوم آخرين
بالعقوق وغمط والديهم واسلافهم ما كانوا هم اعرف الناس به ؛ ولذلك يسلك
من يسلك هذه الطريقة عقبة كاداء صعودا فلما ينفذ فيها نافذ الا ارضى قوما
واسخط آخرين ؛ خصوصا في هذا العصر الذي افتضحت فيه طرق التصوف
بكثرة الكذابين الافاكين ؛ الذين اطالوا الاكمام وأرسلوا العذبات ؛ وأدعوا
مالم يكن لا للخليل ولا للكليم .

كيف يمكن اليوم لمثل ان يجلو علي أنظار هذا العصر صفحة نقية من
التصوف الخالي من الرياء والشعوذة والافك والبهتان ؛ كما يعرف به كل
الناس الشيخ الوالد رحمه الله ؛ ثم يجد من ينصف ويزن بالقسطاس المستقيم
ويتأني حتى يدرك معي ما ادركته ؛ قبل ان يخزني بحمة عدله ؛ او يصل الي
والي من ارسل في ترجمته يراعي بنيله ؛ فان هذا العصر وأهله خلقوا من العجلة
ومن السير السريع ؛ واقتبست عقولهم من سرعة السيارة والطيارة ؛ فصاروا
يعكمون لأول نظرة ؛ ثم لا يتهمون أنفسهم في أحكامهم ؛ وان اتيتهم بعد ذلك
بالف دليل وبرهان .

لكني رغم كل هذا اقدم علي ترجمة هذا الصوفي الكبير ؛ فاتمى رويدا
رويدا ؛ واستفري حياته من عهد بالهد ؛ الي ان ووري في اللحد وسأزيد ما

اسوقه باستقصائه واستنفاذه من اصغى مواردہ ؛ وساجعل نفسي حرا فيما
اقول ؛ واجهر بالحقيقة التي امر بها رضى من رضى وسخط من سخط ؛ جهر من
يقول ما عرفه كما عرفه من غير مبهمة ولا تورية .

اننى الان كمؤرخ يجب على ان اصدع بالذى اعلمه ؛ واشيد به للتاريخ
فاوجز ان اقتضى المقام الايجاز ؛ واطيب ان اسندنى الحال الاطناب ؛ واجعل فى
ذلك رالى ضميرا ابيا حرا لا يذمط الحقائق خوف ان يتهم بالتحيز ؛ ولا يقبل
كل ما يشره من يهرف بما لا يعرف الا بتثبت وتبصر وتأن ؛ ووزن بميزان
العقل الذى فضل الله به ابن آدم ؛ ثم ماقصر عنه عقل ؛ واعترفت فيما بينى
وبين نفسي ان يدى تقصر دونه ؛ فانى اسوقه ان ثبت عندى وقوعه فادعه بين
يدى القارىء فله ان يقبله وله ان يرده ؛ ورضى الناس غاية لا تدرك .

ثم انه يجب على كل مؤرخ ان لا يهتبل بآراء بعض ابناء هذا العصر من
شذاذ الافكار الذين يابى لهم حولهم الا ان يجعلوا تخيلا كل ما راوه شيبين
الذين ثم لا يزالون يترددون بينهما حتى تضيع الحقائق ؛ وتشتبه السبل فان
هؤلاء من انصاف العقلاء الذين لا ينبغي اعتبارهم ؛ وان كانوا يتوهمون عند
انفسهم انهم وحدهم عقلاء العالم .

هانذا اقدم اقدام من يقول ما يعلم ؛ ويصيح به على اسلات اليراع التي
هى ابلغ ايصالا من الواحى ؛ لانها توصل ما اودعته فى كل زمان وان تطاول
على حين ان الواحى لا يتجاوز آتة ؛ وانا معتصم بعول الله وقوته ؛ ومستوكلي
عليهما فى توفيقى فيما انا قائله ؛ ومتعزى الحق فيه جهدى ؛ والله هو المطلع
والآلاف من الناس الذين يعرفون ما اعرف بكل ما اقوله شاهدون ؛ ومن قال
ما علم فما عليه من ملام .

ثم اعلن بكل صراحة اننى ممن يؤمنون بالروحيات وبوجود ما وراء المادة
واؤمن بتطور الروح حتى لتتجسم ؛ واؤمن بان الكرامات والكشف المشهورات
امس عند صوفيتنا اخوات ما يشبه العلم الحديث اليوم من استحضار الارواح
وتشخصها ؛ حتى انها لتوزن وتصور ؛ وتانى باشياء من بعيد فى لمحة الطرف
ومن لا يؤمن بما عند صوفيتنا امس ولا بما اثبتته العلم الحديث اليوم ؛ فليول
هنا وجهه بسلام ؛ فما بعد الحق الا الضلال ؛ فليس فى مسلاخنا ولستنا فى
عسلاخه فقد ضرب بيننا وبينه حجاب مستور ؛ وانما قلت هذا لاعلن مذهبي
كفى استريح من ناس ضيقى الحواصل يريدون ان يجعلوا الاسلام ماديا
متجبرا سامحهم الله .

وضع الولادة

يجب ان من الناس من تكون الخطوة الاولى من خطواتهم فى هذه الحياة

فلنة من الفلنات ؛ فليبدو كرمز الى ان هذه الخطوة صدرت عن انسان غريب
وان حياته ستكون كلها غريبة ؛ فان كانت لا تدرك غرابة تلك الخطوة الاولى
بادى ذي يد كشيء يلفت الانظار ؛ ويطيل العجب ؛ فان صاحبها لا يلبس ان
يعيش بعد بسيل مائج من العجائب فتتبع العيون كل ما يتصل به ليل ؛ حتى
تنتهي الى تلك الخطوة وما يحيط بها ؛ فتجسم تحت نظره المبهور ؛ باثار
صاحبها فينالها حظها من العجب .

كان في الخ في عصر واحد ؛ عظيمان كلاهما اسمه على وكلاهما يقوم بعمل
عظيم لا يقوم به الاخر ؛ فاحدهما الاستاذ على بن عبد الله الذي ستقرأ في ترجمتهما
تقرأ ؛ فتوقن انه من اعظم الرجال ؛ فلما تسمع البوادي بمثله وثانيهما صاحب
هذه الترجمة ؛ وسترى امامك ما ستقف ازاءه مشدوها ؛ وقد ذهب بك الاعجاب
كل مذهب فكان من اغرب الصدف ان كليهما ولدته امه في مهمة قفر في جنوبي
الخ ؛ يتخذ منتجعا للغنم في فصل الربيع ؛ فتتبع نساء الاسر غنمهن يمخضن
ويقمن بما يحتاج اليه الرعاء ؛ فالاستاذ على بن عبد الله نfst به والدة في
محل هناك يسمى تارين ؛ وصاحب الترجمة ادرك امه الطلق في جانب آخر
يسمى وينكزماضن هكذا تمخضت كل واجدة من (رقية) والدة الاستاذ ؛
وتاكدا والدة صاحب الترجمة بما تحسبهما الحواضر ولدين عاديين ؛ قد
يعيشان وقد تميل بهما شعوب وهما بعد في المهاد ؛ ومن ذا يعرف الا الله اذ
ذاك ان ابن تارين سيكون من اعظم العلماء الادباء الذين سيفجرون من بحور
العلم والادب ما تزخر به الخ وما اليها ؛ وان ابن وينكزماضن سيتكشف عن
عن اعظم رجل مرشد ترفرف على هامته الوية الشهرة الخفاقة ويهتدى به آلاف
مؤلفة من الناس ؛ ويتدفق به الى الخ من الريدين وطلاب الوصل الى معرفة الله
طوائف الطوائف ؛ تموج بهم الطرقات ؛ ما بين وادي نون الى درعة الى الحمراء
الى الصورة فهكذا تسقط حبة من يد انسان ؛ فتدوسها رجله ؛ فيجتمع عليها
الثرى ثم تمسها بلة من ندى ؛ فتربل من جدورها الرقيقة ما لاتزال تسمو به
حتى تستحيل سرحة فينانة ملتفة الافنان ؛ متسعة الغلال يتفياها في الهواجر
اللوايح كل من احرقته (صكة عمى)

في الكتاب

كان والد صاحب الترجمة سيدى احمد بن محمد اميا ؛ ولكن جده محمد
ابن احمد كان من حفظة كتاب الله ؛ فكان هو القيم على حفيده فكان اذا رجع من
المسجد وفيه اذ ذاك الاستاذ سيدى بلقاسم افكان الذي تخرج به ليل ذلك
الاستاذ محمد بن عبد لله في دارهم يكرر له سورة ولما يذره كما يذكر العم
ابراهيم يكثر اللعب ؛ فيهدين تخرج في القرآن ؛ وعليهما جوده فيما روى عن
صاحب الترجمة اذ ذاك ما حكاه احد رجال تريتنا ؛ قال كنا نجلس في المصر

الخطير الذي هو مدخل مسجدنا فيهر بنا التلاميذ ؛ فكنا نتساحك عليهم ونقول لهم أعطونا من هبزكم لندعو لكم بما اردتم ؛ فقال لنا سيدي هل بن احمد يوما اذهبوا لي انا ان اكون شيخا كبير المقام ؛ قال فتعجبنا مما قال ؛ وما كنا ندرن مدلولها لنا الترجمة لاننا لم نعرف في بلادنا مثل مايقول ثم ما انقضى كسر الفداء ومر العشي ؛ حتى شاهدناه شيخا كبير المقام ؛ فكانت اعمال الصبا واحلام الفجر صادقة في دور الرجولة عند متوع النهار .

في مدرسة تانالت

كان الاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم اليزيدي يمت الى آنا برحم ؛ لالههم احواله ؛ فكان اذ ذاك مشهورا بالتدريس في مختلف المدارس ؛ فحين استتم صاحب الترجمة حفظ القرآن رات اسرته ان تسير بابنها في الطريق التي تسير فيها الاسرة الصالحة بابنها محمد بن عبد الله ؛ فانها ارسلته لتعلم الدين كما يطلقه عوامنا على العلم في المدرسة ؛ فترسل هذه كذلك ابنا الى المدرسة وقد اختارت المدرسة التي فيها ذلك الاستاذ الذي يعلمون منه انه سيقوم بابنهم احسن قيام ؛ فكانت لهذه المنافسة المحمودة نتيجة عظيمة ؛ وعقبى يالها من عقبى واذا اراد الله ببلد خيرا تنافس اهله في العمل الصالح ؛ وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون .

في مدرسة المولود

كانت السنة التي التحق فيها صاحب الترجمة بتلك المدرسة هي ١٢٨٢ هـ وفي السنة التي بعدها انتقل الاستاذ بطلبته الى هذه المدرسة الاخرى ؛ وهو مقبل اقباله المعروف على تلميذه الجديد ؛ يتدرج به في مدارج المتدربين ؛ وهو اذ ذاك دون بلوغ ؛ ولكنه حبت اليه العبادة منذ ذلك الطور فقد حدث عن نفسه انه كان وهو في تلك المدرسة ؛ ينتقل احيانا الى مشهد سيدي الحاج يسري الصالح الشهر المتوفى عام ٨٨٨ هـ ويبعد قليلا عن المدرسة ؛ فيتهدد فيه ؛ فطلبته عينه يوما فوقف عليه رجل مهيب مستثير ؛ تشع منه الانوار ؛ فقال له اتعرفني؟ فقال له لا فقال انا محمد بن عبد الله رسول الله ؛ فقال له بماذا اعرفك يا سيدي؟ فقال له تعرفني بان الظل لا يترامى لجسدي ؛ قال فكانت هذه اول مرة رايت فيها رسول الله صل الله عليه وسلم .

في مدرسة تازروالت

مكث يوما الاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم في المدرسة المولودية ؛ اذ باعوان الرئيس الايطلي سيدي الحسين بن هاشم اوصلوا اليه استدعاه الذي الشارطة في مدرسة تازروالت ؛ وكان هذا الرئيس اذ ذاك ذا شوكة وهيبة لا يمكن

معهما الخروج عن رايه ؛ فانتقل الاستاذ ومعه تلاميذه كلهم ؛ ومن بينهم تلميذه الجديد ؛ ومن بينهم ايضا سيدى عمر الاكضيي ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح اللذان صارا بعد ذلك من اصحاب صاحب الترجمة حدثني الاخير منهما فاه لاذني ان من عادة صاحب الترجمة في المدرسة التازروالتية ؛ ان يصاحبه كل عشية بعد العشاء ونوم الناس الى مشهد الشيخ سيدى احمد بن موسى ؛ قال فانام أنا ويبيت هو في التهجد ؛ قال وكان اذ ذلك مراهما وحدث سيدى عمر الاكضيي ان سيدى ابراهيم بن صالح كان له تقدم اذ ذاك في المعلومات ؛ لانه كان سبق الى الاخذ بسنوات ؛ وسترى ذلك في ترجمته في (القسم الرابع) ان شاء الله فكان يعيد الانصبة (اي الدروس) لسيدى على ابن احمد ؛ يعنى صاحب الترجمة .

هذا كل مانعرفه عنه هناك في تازروالت ؛ وكفى بذلك دليلا على ما يبحث عنه فيه وهو بتلك السن ؛ حيث تضى عنه الحلقة الاولى في التعلم .

في مدرسة تانكرت

لامر ما فارق الاستاذ اليزيدى تلك المدرسة ؛ ورجع الى داره فنفرق تلاميذه فالتحق سيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح ؛ وسيدى عمر الاكضيي بالمدرسة الادوزية ؛ واما صاحب الترجمة فقد راي اهله ان يلتحق بابنى عميه سيدى محمد بن عبد الله وسيدى الحسن التاياسينتى في تانكرت ليستعين بعضهم ببعض ؛ فنزل في تلك المدرسة في بيت مع شرفاء من اولاد سيدى احمد بن موسى ؛ كانوا ثمانية اخوة دفع بهم جميعا والدهم الى المدرسة ؛ واحدهم هو الاستاذ سيدى عمر الشهر ؛ وسيذكر ان شاء الله مع علماء اهله في (القسم الرابع) فتوى هناك صاحب الترجمة من عام ١٢٨٦هـ الى عام ١٢٨٩هـ فلاشك انه الان شاد فيما ياخذه ؛ قد تفتحت قريحته فاقبل اقبال التهم الجشع على مختلف اللون يلتهمها ؛ ولكن انزواءه عن الناس وانقباضه عن المجتمعات في زيادة ؛ وميله الى ماتشوق اليه روحه مما خلق له لم يزل في نمو وقد تلقن اذ ذاك الطريقة الناصرية من بعض المقدمين فيها ؛ ولاادرى من هو وانما ذكر ذلك في بعض رساله استطرادا ؛ وكثيرا ما اتوهم انه الشيخ سيدى المدني الناصرى الذى يجاور تلك المدرسة وقد كان المترجم ممن يحضر مجالسه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

في يوم من الايام اجتمع الطلبة بالمدرسة ؛ فقالوا الامن يقيم لنا حفلة فندعو له بما اراد ؟ فاقامها لهم صاحب الترجمة ؛ وابن عمه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله والقائد سعيد المجاطى وقد كان هناك اذ ذاك يتلقى القرآن فسأل الطلبة كل واحد عن منيته ليدعوا له بها ؛ فاما صاحب الترجمة فلذكر لهم مايدل على مقام عال في معرفة الله ؛ وقد انسيبت العبارة التى تلفظ بها ؛ ولكنها تنحو هذا المنحنى ؛ واما الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فقد ذكر مقام

الشفوف بالعلم والتفوق على الاقران به ؛ واما سعيد بن اطار محمد الجاهلي فقال اني اطلب ان اكون قائدا على مجاهد ؛ فسبق في القدر ان لقد السهم فاستجيبت الدعوة ؛ فقال كل واحد منهم ما في ضميره ؛ هذه حكاية مشهورة مشاورة الى الان .

ولاقاته بالشيخ سيدي سعيد المدري الدرقاوي

كان منبع الطريقة الدرقاوية من شيخها مولاي العربي الدرقاوي الشهير المعروف عام ١٢٣٩ هـ ؛ فتخرج به كثيرون ممن لهم شهرة طاهرة كالحصري والجزولي والمدني والديباغ والبدوي ؛ ومن لاشهرة لهم مع انهم من كبار اصحابه ؛ ومن بين هؤلاء الاخيرين الشيخ سيدي احمد بن عبد الله المراكشي صاحب الزاوية الشهيرة بازبوض بمراكش ؛ وقد توفي في نحو عام ١٢٧٠ هـ فهذا تخرج مشايخ سوسيون ؛ وفي مقلدتهم الشيخ سيدي سعيد بن عمرو المدري الامي الذي تفجرت منه اسرار جلبت اليه كثيرا من علماء وقتها كسيدي الحاج الحسن الناموديزي ؛ وسيدي الحسن التيملي دفين قرية ارازان براس الولاية وسيدي خالد بن افلاوكنس ؛ وسيدي الحاج احمد اليزيدي ؛ وسيدي الحاج صالح الاكماري وسيدي الطيب بن خالد الاكماري ومحمد بن احمد بن عبد الله الكريفي ومحمد بن احمد بن الحسين الكريفي والعلامة ابي فارس الازدي والحاج محمد البوزاكارني ؛ وسيدي محمد بن المخطوط الزمامسي ؛ ولهم من ساندتهم من ابراهيم الافراني مدرس مدرسة تانكرت التي فيها الان صاحب الترجمة ؛ ولهم من ساندتهم انشاء الله في تراجهم او نستظروهم في تراجهم ؛ وكان من عادته ان يتتبع البلاد بالسياحة فيرشد العباد ويهدى الغافلين ؛ وكان من بين البلاد التي يترقبها بلد تانكرت ؛ فقد رايت ان قالها الافراني من اجل اصحابه المعتنقين لطريقته .

حدث صاحب الترجمة عن نفسه قال مررت انا وصاحب لي بالشيخ سيدي سعيد ونحن فارغوا البال ؛ ولم نرجع اليه ؛ وهو جالس في مكان منقطع عن الطريق فرأيناه بعد الينا بصره ؛ فذهبنا لحال سبيلنا ؛ ثم في العشي سألنا اليه سائل السعد فآخذنا عنه الطريقة ؛ فقال لي بعد ذلك ان تلك النظر الاول هي التي فيها ما فيها ؛ ثم حدث من كان جالسا مع الشيخ سيدي سعيد حين مررت به صاحب الترجمة مع صاحبه اذ ذاك فقال ان الشيخ البهيم بصره مليا ثم قال ان هذه الذات نيرة ؛ لما اليها سر معرفة الله تعالى ؛ وفي بعض رسائل المترجم ما نصه ؛

(وقد كنت حين لفتني شيخي مستترقا فيه ساء الذكر - من ذلك الوقت قبل ليالي من بين يديه وبعده ؛ وليس لي شغل سواه لياما وعودا وعلى جنبي حتى اني لا اقدر ان اقطع حتى في حال الاكل الى ان صار خادما من خيراتي)

فكل نفس يعلو او يهوى يكون معه)

النهى المصوب

ثم لم يعط عن صاحب الترجمة الا ثلاثة ايام مع شيخه في بعض قري
تأنكرت ؛ حتى اصابه ما يسميه الصوفية في اصطلاحهم بالجذب ؛ قالوا
يعتري من فاجأ روحه ما لم تستانس به بعد ؛ فتغمره موجة تياره فيغلق على عقله
فلازمه ذلك اياما وقد فقد شعوره ؛ وانقطع عن الاكل والشرب ؛ واذا العقه من
معه شيئا من الحليب ؛ لا يلبث ان يعيى فيقلده ؛ وقد غلبت الحرارة على
بدنه حتى انهم يقطسونه في نظفة ماء بارد ؛ ثم لايزيده ذلك الا التهابا ؛ ثم
بعد لاي افاق من غشيته ؛ واسترد شعوره ؛ فصار الكون كله - كما قال - امام
عينيه هباء في هباء وقد ألم بهذا كله في بعض رسائله ؛ كما ألم به ايضا في
رحلته الحجازية اذ قال فيها :

على شفا يورثنى الشقاوة
يهدى الى معرفة الجليل
في نيل معرفته الكمالا
لدى والنقصان والكمال
بالله والاصناف والاحوال
والقلب منى واله حيران
هذا وكان المبدى المعيدا
يرفى بنا لحضرة الاله
وردنى عن سائر النور
بذر لكل ما لديه قصدا
عنها فقال : ليس غير هدى
ترفى الى حضرة ربنا العلى
قلهجت نفسى برى ذكرا
فيما يرى برؤية والرؤيا
ماوى ولا عن حسنه ملاهى
لكونها عن مقصدى عوائقى

قد كنت فى غياهب القباوة
وكننت صديان الى دليل
يجلو لى القلب لكى انالا
فيستوى الجلال والجمال
وتصبح الاقوال والافعال
بيننا فؤادى نحوه صديان
اذ قبض الله لنا سعيدا
فكان آخدا بنا لله
فكان لى القبله فى الامور
بنظرة اولى لديه شهدا
اخبرنى بعيد الاستحواذ
فهكذا نسمع : نظرة الولى
تركت ماسوى الاله جهرا
وقبحت عندى ملاح الدنيا
وليس لى فى غير ذات الله
فصلت عنى سائر العلائق
الى ان قال :

الى وصول خالق العباد
ومن غيون النفس والاسقام
من التانس برى الكل
بشبه ولا بفهم متكما

ولم يزل بنا على الارشاد
فزال ما بنا من الآلام
ورجعت ارواحنا للاصل
وللة الحضرة ليست تحكى

الى آخر ما قال

وقال ايضا فى رسالته المسماة «عقد الجمان» فى ذلك مانصه :

(لما من الله علينا بملاقاة شيخنا الأستاذ ؛ وقبولنا الأوجد ؛ امام العارفين
 ورائع الواصلين ؛ سيدي سعيد بن محمد السجلال طينا ؛ والمعدري وطنا بلاء
 باسمه فيس الله روحه في اهل عليين ؛ واخذنا عنه الطريقة الدرقاوية السالكية
 فلبت قلوبنا فلم تر ما يعلا اعيننا في الدنيا الا معناه وذكره ؛ وبعد ما اخذت عنه
 ظهوره بثلاثة ايام او اربعة ؛ حصل لي مقام الفناء والجذب ؛وسرى سر الله في
 ذاتي وروحي قلبا وقالبا ؛ ولما وقع ما وقع مما لم اراه من سر الله ؛ دهشت
 وهضت عظيمة وقلت ما هذا ولكن ادركني الله بالشيخ كان في قربنا ؛ فوصلته
 فخرجت في الحال ؛ ولكن لما التفت معي زاد على ما بي حتى لا يطيق ان اسمع الله
 ورسوله صلى الله عليه وسلم الا وذاتي تتمزق ؛ فلم اشعر بشئ يلهيني عن ذكر
 الله واجتمع عندي في ثلاثة ايام والحمد لله ما لا يجتمع بعبادة اهل اموام عديدة
 ببركة العارف بالله الذي التقينا به ؛ فاننا نعمل اعمالا عديدة ومجاهدة اكثر
 مما فعلنا معه ؛ من زيارة الصالحين الاحياء والاموات ؛ ولكن لم يشف ما بنا الا
 بملاقاته في الرب مدة وقل عدة ؛ لان العارفين بالله هم الاكسبر الحقيقي
 والتمسك من التلوي معهم لم يحتج الي كثرة عمل وتعب ومن لم يلتق معهم فكمن
 في شرب في الحديد البارد ؛ يعي ولا يقضي حاجته ؛ ولا يصل اليهم الا من اراد
 الله ان يوصله اليه) انتهى المقصود

صاحب شيخنا المعدري

ان كل من لم يخاطب هؤلاء الصوفية ولم يعرف اذواقهم ؛ يحمل كل ما
 يسمونه عليهم على الافك والبهتان ؛ والمخرقة والتدجيل والشعوذة ؛ ويغلب
 عليهم جميعا في ذلك ولا يفرق بين الصادق والكاذب؛ ولكن من خالطهم واستطاع
 ان يعبر اعمال الصادقين من الكاذبين منهم؛ فانه يشاهد منهم الولوف مع السالكين
 الاقيما فلجوا فيه على احوالهم او جهلوه ؛ ما يتيقن به انهم هم وحدهم القائلون
 بالاطلاع على دقائق الدين وحلاوة الايمان؛ وانه ان لم يكن العارفين منهم من
 رجال هذه الامة فلا رجال لها بعد ؛ وقد كنت انا وصاحبني الاستاذ محمد
 الفارسي الكناسي كثيرا ما نتذكر حول هذا ؛ لم نجعل اعيننا في بعض ابناء اليوم
 الذين يخبطون خبط عشواء في الصوفية من غير ان يعرفوا عنهم ما يقبلون ولا
 ما يردون ؛ حتى ان فيهم من ينكر الاستقلال بلا اله الا الله ؛ والعياد بالله فكنا
 لا نتجاوز ان نقول فيما بيننا ؛ من جهل شيئا عاده ؛ لم نرجع فنعذرهم بسبب
 ما نراه من ايماننا وعن شمائلنا من كثرة الايمان الذين تصدوا في منصات
 الروايا ؛ على حين ان بعضهم يحكي عنه انه لا يفتسل من الجنابة؛ وانه ***
 والله *** مما هو متواتر عنه

لم ما هذا الذي اختص به هؤلاء الصادقون من الصوفية ولا يوجد الا في
 ايديهم لم لا يكاد ينصف من ذوي المناصب يتلوقة من عندهم حتى تراه قد اضر في

عن كل شيء ونفسي يده من فضيحة منصبه ؛ ثم لا يطيب له العيش الا بالقطاع اليهم ؟

ما هذا الذي يبهر من يكون اعظم منكر على هؤلاء الفقراء الصادقين ثم يتهاقت عليهم بعد ذلك مستسلما تهافت النحلة على خابية العسل ثم لا تبالي ان كانت في بطن الخابية من المفرقين ؟

ما هذا الذي يشاهده من كان خاض في فنون العلوم المختلفة خوض الفهمين اللبقيين ثم لا يلبث بعد ان يلتقى مع احد هؤلاء الناس ان يعلن انه ما ذاق قط حلاوة يتلج بها الصدر ؛ ويطمئن لها القلب ؛ مثل مذاقه حين التفاته باحد هؤلاء القوم ؟

ما هذا العلم الذي قال فيه بعض كبار العارفين من ثم يتغفل في علمنا هذا ثم مات ؛ مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر ؟

من هم هؤلاء المشايخ الذين ينبغون فينة بعد فينة ؛ وربما كانوا اميين ثم لا يكاد يتصل باحدهم من كان يعرف في نفسه رياء وسمعة ؛ وثقل اعمال الخير ؛ حتى يعود كثوب مر تحت يد القصار ؛ ابيض براقا يتلأأ نورا ويتشعشع هداية واخلاصا ويستقيم في اعماله ومعاملاته حتى كانه معصوم ؟

لا أكذبك ايها القارىء ؛ فاني لم ادرك من كل هذا الا شيئا واحدا ايقنته من نفسي ؛ وهو اننى اذا كنت مع هؤلاء الصوفية ؛ بشرط ان يكون الصوفية الصادقين كمن اعرفهم ؛ اجدننى لين القلب ؛ مائلا الى الاخلاص والى التواضع والعبودية خلاف ما اكون عليه حينما اكون بين يدي غيرهم ؛ وهب هذا الغير من الاساتذة المحدثين الذين يملئون المسامع بقال الله وقال الرسول ؛ ويزفرون زفرات الغيرة على هذا الدين التحيف مع اننى فى مبدئى اخالنى على قدم هؤلاء الاساتذة الاجلاء ؛ ولكنى مع ذلك لا يبجد قلبى عندهم ما يبجده عند الآخرين فهذا كل ما أدركه من نفسي ؛ ولا اعل فى غيرى

ذاق صاحب الترجمة من بين يدي شيخه الجديد ما ذاق ؛ وحصل له فى تلك الايام الثلاثة ما حصل ؛ مما لم يتل ذرة منه - كما قال فى رسالته المتقدمة من مجاهدات كثيرة كان مشغولا بها قبل ذلك ؛ فعلمت اجنته بصحبة شيخه فلم يطق ان يفارقه ؛ فنسى الجار والمجرور وابواب البيوع ؛ وجداول المناسخات فأتى مانسخ حبه الجديد ما كان يجول حبه فى قلبه قبل اليوم

مجا حبا الى كنى قبلها وحلت محلا لم يكن حل من قبل

وصل الخبر الى الالفين بان صاحب الترجمة مر به الترقاويون اولئك الذين لا يلبسون الا المرفعات ويتطوقون بسبحات كبيرة غليظة ؛ ثم لا يكون شأنهم الا التقلب فى مختلف البلاد

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويوما بالعذيب ويوما بالخليصاء

فترى اهل الشيخ وخائفوا فل ولدتهم ان يجرن وقد صحب اولئك
التي الهة كما يهسهه الناس اذ ذاك ولا بد ان ظهر ذلك الجذب الذي
له يهلهم فلا يكاد يكون ان الجنة مسته وكل من يعرف قلوب الوالدين في
هذه الاحوال لا بد ان يلقى ذلك الموقف قدره (ان المحب بسوء ظن مولج)

ثاني والده حتى عرف ابن مستقر اولئك الذين طاروا بولده ا فرحب
ولحق بالشيخ المعزى وهو مع اصحابه بماسة ا فطلب منه ان يات
بالرجوع معه بعد ان تكلم مع ولده فما اثار جوابا فقال الشيخ لولده
لا يفسر جمع مع والدك فلا خير الا في ذلك ثم قال الوالد اني لا اريد الا للعلم
وان كانت درجة افضل من العلم فليطلبها ففرض الامر ا فرجع الوالد والولده
فترى اهل الجنة

مصارفة العافية

عزول الوالد ان يسمع من ولده كلمة واحدة تخرج من فيه منذ لاقاه
والله لا يفتق امامه اطراق الراس : وضم الشفتين : وذلك ما يسمى في اصطلاح
المصروفية الصمت وقد كان صاحب الترجمة تلقى من شيخه ذكر الاسم الاعظم (الله)
من اول يوم مع شروطه التي هي الصمت والعزلة وهجر النوم : والافلال من
الطعام فاقبل على كل ذلك : وابدا في ذكر اسم الله وهو لا يزال بين يدي شيخه
في المجلس الاول كما ذكره هو عن نفسه فيما سقناه قبل من رسالة له لهذا
الرجوعه والده ما كان ياله منه من الحادثة ولكنه اكثر عليه وهما مستراذقان
بالله المحيرة فكان ذلك سبب هذه المحاورة اللطيفة : قال الوالد : بالله عليك
ياولدي ما ذاربت في هذه الطريقة الجديدة التي اعتنقتها وهي طريقة جديدة
العهد في بلادنا هذه وما كنا نعهدا في بلادنا هذه : وما كنا نعهد الا الطريقة
الناصرية فهي التي نالها وبالفها آباؤنا واجدادنا : اولى بسجيب ان يفرح
الانسان من المعتاد مع ان الناس يقولون : العاقل يتبع الناس : والاحق يتبع
الناس : فقال له الولد : وما ذا ظهرك انت ياوالدي في البيع والشراء فسي
القطران الذي تاتي به من قبيلة ايت رخا وتساخر به ال قبيلة ايت صواب حتى
ليعه ؟ وهل كان المعتاد في اهالينا الاتجار بالقطران وهل كان آباؤنا واجدادنا
يهرقون ذلك ؟ اولى ايضا يعيب ان يزاول الانسان ما ليس معتادا عنه اهله
من اولته ؟ فقال له الوالد : اني ياولدي اخترت هذه التجارة لقله راس مالها
ولكثرة ربحها : فانني بذلك القطران املا دارنا لوزا وتينا وذبيبا ما سبده
به في قبيلة ايت صواب : فهذا ياولدي ما حملني على اختيار القطران : ومخالفة
عادة اهلي في ذلك فقال له الولد ان مثل هذه الطريقة الدرقاوية عندي مثل هذا
القطران عندي : فان العمل فيها ايضا قليل وما يجده القلب من ورانها كثير :
ولا يشك مثل غير

هكذا استدارت المعامرة ؛ ورائ الوالد ان لا يعرج ولده ؛ فهو الى ايناسه
احوج لنلا يرجع على عقبه ليلتحق ثانياً باولئك المجائين البله كما يزعم فيهم
الناس *

في مدرسة أدوز

رجعت المياه الى مجاريها ؛ فراجع صاحب الترجمة دراسته ؛ واستتمام
معلوماته وقد التحق بالاستاذ سيدى محمد بن العربى الادوزى ؛ اما فى اواخر
١٢٨٩ هـ واما فى اوائل سنة ١٢٩٠ هـ فاقبل على التحصيل بكل مستطاعه وتحت
يدى كتب كثيرة كتبها اذ ذاك ؛ وهى كلها دراسية لانه الان وقد شدا ؛ وتطول
الى تسنم القمم العليا فى الفنون اعوزته الكتب فاستعار له اهله من الخزائنة
الخصيكية بعضها ؛ فاقبل هو على استنساخ كتبه الخاصة شان الطلبة اذ ذاك
والمطبوعات كما ظهرت ولكنها لاتزال قليلة ؛ ومن بين الكتب التى كتبها بيده
الدردين على المختصر ؛ وايسر المسالك على الالفية ؛ وقد ملا طوره بفوائد نفيسة
وبالشواهد وتفسير الكلمات اللغوية فيها فهى نسخة قيمة مصححة وشرح من
شروح السلم ؛ وشرح للخزرجية وشرح المحل على جمع الجوامع ؛ والرحلة
الادوزية لاستاذ ابن العربى ؛ واضاعة الادموس للهلالى وكراسة فيها ايات
متفرقة فى النحو مما يحفظه عادة من يقرأون الالفية وغير ذلك مما تشتت بين الاوراق
لان هذه النسخات كلها لم تجلد فصاعت من بينها ورقات وكراريس ؛ ومن ذلك
تدرك همته ؛ وقد بذل هناك منتهى جهده وقد كان نفعه ما كان حصله فى
السنوات المتقدمة ؛ فلم يزل مشايراً حتى كان رئيس المدرسة فهما وانفانا للفنون
واكبابا على التصلع ؛ وقد اخذ من مختلف الفنون التى يعنى بتدريسها الاستاذ
الادوزى فاتقن عليه النحو واخذ عنه التسهيل ؛ وقد حفظها كلها اوجها اذ ذاك
- كما ذكره الاستاذ سيدى محمد بن مسعود - ويدل على ذلك انه كان يدرسها بعد
- كما سترى ذلك - وبلغ ايضا فى الفقه شأوا بعيدا يدل عليه مؤلفه الشلحى الذى
ترجم به مجموع الامير ؛ وقد اخذ هناك ايضا البيان والاصول واللفة ؛ وكان
مستحضرا لضبط الالفاظ ؛ متقنا للتصريف وقد عرف له استاذة هذه المكانة
السامية التى ترقى اليها بلازمته واجتهاده ؛ فرآه وحده اهلا لاستنابته على موالاة
الدروس للطلبة فى رحلته الى الحمراء مع سيدى الحسن بن احمد التمكدشتى
سنة ١٢٩٣ هـ

حكى لى سيدى ابراهيم بن صالح رحمه الله قال خرجنا لنودع الاستاذ
اذ ذاك ونحن نحو مائة وستين من الطلبة ؛ فحين حق الوداع واصطف الطلبة
اقبل اليهم الاستاذ فقال : ان سيدى على اكرام سوبذلك يدعى هناك اذ ذاك -
يتولى التدريس فى مقامى الى ان ارجع ان شاء الله ؛ قال فرجعنا ثم خلص بعض
المتكبرين من الطلبة الذين ينفسون على سيدى على هذا المقام - نجيا بينهم فقالوا

والله لا يقبل ان يقوم هذا المراتب في مقام الاستاذ ؛ فلئن توجه الى المجلس
واراد ان يتصدر ؛ لجرى لنا ما لا ينسأه اهل الابدان ؛ قال فاسترقت سمع ذلك
فصعدت حتى وصل وقت الدرس فولجت عليه بيته ؛ فصنعت من الخروج الى
المجلس العام ؛ ثم كان سيدي ابراهيم بن صالح قال لي اني مع الناس قليلين من
الطلبة افتتحنا عليه في غير المجلس العام فالية اليوس وذلك غالب ظني الان ؛
قلت وقتت على رسالة صغيرة ارسلها الى اهله في هذا السجين نصها ؛
من علي بن احمد بن محمد الى والده ؛ السلام والرحمة والبركة .

اما بعد فادعوا لنا بصلاح الحال والمال ؛ ونحن والحمد لله بالسلاوية
والعافية ؛ ونرجو ان تكونوا كذلك ؛ والفقير ذهب الى مراكش وجعلني خليفة
على الطلبة لتذاكر معهم لكن لم يتفقوا فتذاكر من اراد حتى يرجع ان شاء الله
والعاجل اننا نفرا لم نمكث ؛ فلاتشوشوا بالكم لان هذا المكان من اراد القراة
يقرا ابدا ؛ سواء حضر الفقيه ام لا ؛ ونحن والحمد لله لم يخصصنا شي من درهم
ولا درهم ولا ادم ونحضكم على شراء الوصيفة ان امكن ؛ فان للتأخير آفات وانفرا
عليكم السلام على الاخوت وقولوا لها يرحم الله المرحوم الذي قضى نحبه

هذه رسالة نقلتها من خطه ؛ وقد وقعت عليها صدقة من بين رسوم اسان
من اسرنا وهي تحقق لنا ماتقدم من حكاية سيدي ابراهيم بن صالح
الذي رفق صاحب الترجمة الخاص في زمن الدراسة ؛ وقد تقدم ان كان
له الاصبه ماشاء الله ؛ ثم لم يتكبر سيدي ابراهيم اليوم ان يجلس ايضا
ليأخذ عنه متابعة لاذن الاستاذ ؛ وقد كان سيدي ابراهيم هذا مشاركا
في البيت لسيدى عمر الاكضيي ؛ كما اني سمعت ان صاحب الترجمة كان في
ساركا سيدي الحاج احمد اليزيدي وذلك من قلة البيوت وكثرة الطلبة وحدث
بعضهم المذكور انه كان يمنع رفيقه ان يدخل الى بيتها صاحب الترجمة
ومارواهما للانصبه ؛ قال ويجلسان معا في براح ؛ وربما يكون الجو باردا
فيالهما ماينالهما من البرد ؛ وكثيرا ما يتأسف بعد ذلك حين صار من تلحقوا
بصاحب الترجمة ويقول واحيااه مما كنت اعامله به اذ ذاك ؛ وحكي ايضا ان
صاحب الترجمة كان كلما سمع من نادى باسم الله يسقط مفشيا عليه ؛ نسيم
لاستغفر الا اذا صل له على النبي صل الله عليه وسلم مرات في اذنه ؛ وكان
مجان الطلبة يتعمدون ذلك فينادون باسم الجلالة امام بيته ؛ وقد كان حينها
عمر صوته ؛ وفارق الزواة المعتاد منه ثم قال سيدي عمر فكنيت منذ رايت منه
هذه الحالة الجديدة اكره مجالسته واحمل ذلك منه محامل اخرى ؛ وفي يوم
جاء السان من دار نائية عن المدرسة ؛ فاستدعى الطلبة فامتنت انا من الذهاب
معهوم ؛ وما معنى الا كثرة كلام سيدي على اكرام ولكن حدث الطلبة بعد رجوعهم
الله لم ينحس ذلك النهار بيئت شلة ؛ وانه واجع ايضا صمته وانزواة ؛ قال
ثم من ذلك اليوم انقبض القباضا دائما حتى غادر المدرسة .

للت ان الصوفية يقولون ان من الاحوال التي تعثرى من يترقى في
المقامات انه يحل مقاما يسمونه (مقام البسط) فيقلب عليه البشر وكثرة الكلام
حتى ليعده من لا يعرف حاله من اهل الهديان ؛ ثم ان تجاوز ذلك المقام انطوى
عنه ذلك اليساط ؛ ثم لا يزال تتقلب به الاحوال واختلاف المقامات ؛ حتى يتمكن
قبع ذلك يصير حاله حالا دائما لا يتاثر باى شىء ؛ هذا مايقولونه نحكيه عنهم
واهل مكة ادري بشعابها .

وحدثنى سيدى ابراهيم بن صالح قال رايت فى حين ونحن بالمدرسة
الادوية سيدى عليا اكرام كثير البكاء والزفرات ؛ بسبب وبلا سبب وكثيرا ما
القاء بفتة ؛ فاجده على هذه الحال فتحينته يوما حتى كان فى بيته فدخلت عليه
وانا أقول فى نفسى انه بلاشك راي النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فاستهواه
الشوق فدام عليه ؛ وهذا افضل من يواخيه الانسان فى الله فسلمت عليه فقلت
ان طلبتى عندك ان تعقد الاخوة بيننا لله ؛ والناجى منا ياخذ بيد صاحبه ؛ قال
فماكاد يسمع ذلك حتى اجهش بالبكاء ثانيا وغلب على حاله ؛ حتى رحمته ورايته
لا يجيبنى بكلام فخرجت فتركته ؛ وفى يوم من الايام استدعانى ؛ فقال اليوم
تعقد ذلك العقد الذى طلبته منى ذلك النهار ؛ فهذا ما عرفناه عنه رحمه الله
وهو فى ادوز ؛ ولولا سيدى عمر الاكضيى ؛ وسيدى ابراهيم لجهلنا كثيرا من
احواله فى تلك المدرسة ؛ كما جهلناها فى المدارس الاخرى .

سافر الاستاذ سيدى محمد بن العربى الى الحمراء ؛ وصاحب الترجمة
يلرس مع بعض الطلبة ؛ ثم بداله فالتحق بأهله ؛ فركب على بغلتهم فالتحق
ايضا بمراكش ؛ وقد مكث والده دارهم يشتري بها ما يريد من الكتب ؛ ولكنه
لم يشتري الا قاموسا من المطبعة الحجرية القديمة ؛ وقال هذا كل ما
احتاج اليه ؛ ثم اشترى لاهله ما يعوزهم ببقية الدراهم (وهذه النسخة لاتزال
عندنا)

دراهم

ثم فى اواخر سنة ١٢٩٤ هـ طعن عن ادوز وقد ودعه استاذه واجازه باجازة
كانت محفوظة عندي بخط الاستاذ ؛ ثم نقلتها فى كناشة ثم عننا الفاد على
الاولى وتقلبات الاحوال على الثانية ؛ ونحن فى غرارة الشباب سادرون ؛ ثم ندرت
بعد قيمة المخطوطات ؛ فنحن الآن وقد توقفنا عليها لم نعتض عنها الا الاسترجاع
والحوالة

فى فض النوازل وقسم التركات

ها هو ذا صاحب الترجمة قد رجع الان من المدرسة موفور الحظ ؛ ثم سوق
السعد مشهورا له من اساتذته بالتبريز ؛ وبالتفوق فيما اخذ ؛ وقد سارت الاخبار
بذلك وتحدثت به الركباني ؛ فلا بد ان الناس سابرون غوره ؛ ومفتشون عمورا
اكثره لينظر اصدق من شهدوا له بالتفوق ام كانوا من الكاذبين ؟

سأول أمامه قضية متشعبة بين اولاد عمه ا سيدى ابراهيم بن سليمان
 وقرىها اعباس تشاكس حولها الورثة وقد كان الاسالدة سيدى الحاج ياسين
 وسيدى على المجاطى وسيدى محمد بن عبد الله الالفى وسيدى الحاج محمد
 الفيليدى نواردهوا عليها فلم يتفق لاي واحد منهم ان يفضي ختمها ولا ان يعزل
 ختمها ا فحين رجع صاحب الترجمة دفعوها اليه وحكموه ا فوافق ذلك ان لزل
 قلوبهم اصحابهم من مجاط ليتعاونوا معه على ذلك ا فيرغمون على الحق من اياه
 فيالتم القضية ا وسهل الله امرها بتساعل الورثة فيما بينهم ا فتم امرها
 وقد رايت ماكتبه لهم اذ ذاك ولكنه غير مؤرخ على عادة فقهاء اهل هذه البلاد الذين
 لا يهتمون بالتاريخ ا ولكن اليهود انهم لا يفرطون فيه في رسم الفاصلة على هذا
 وتلقى هذا لم يقدر تاريخه ا فذهب المجاطيون الى دارهم ا وهم يقولون هجرا من
 قومه هجرت من الخ لا يزال صغيرا فاض دعوى متشعبة عجز الاسالدة المستنون من
 قضاها ا بهذا الخبر لى من سمع منهم اذ ذاك

وكذلك فصل ايضا نازلة لبعض ايت (امتضى) حكموه فيها ا فاراهم فيها
 وجه الحق ا فرجعوا مستبشرين ا هكذا قدر له ان تجول خيله فيما يجول فيه
 اهلها فصره في هذا العين وفقهاء فطره الذين يجعلون ذلك هجراهم ويتسابقون
 اليه لم لم يعرف له انه حال في مثل هذه القضايا بعد ا لان الوادى اتى فطم على
 العرش ا كما سترى ذلك ان شاء الله فيما ياتي

في التجارة

ا طلعت سنة ١٢٩٥ هـ فانت على الرطب واليابس بمسقطها ا فللمحصول ولا
 وشكر ولا رخص ا فركت الناس عركا حتى لم يتخطها من الناس في هذه البلاد
 الا من مدله العمر وخرقت له العادة ا فقد صارت هذه البلاد كراس الاقرب الاغا
 كان من مهر وادى (درعة) ازا تامانارت ا فانه اتى بمحصول جيد فالتقا اليه
 الناس كلهم ا وقد كان الفقيه سيدى محمد بن على الكوسالى ممن عاصر صاحب
 الترجمة في المدرسة التانكرتية ا وكان تاجرا كبيرا ا ذا اموال يقارض بها الناس
 فاهل به صاحب هذا ا ففارقه ستين ريبالا او مائة حالك من العم المشير
 فتوجه بها الى تخوم معبر وادى درعة ا فاشترى هناك زرعاً وشبهه ثم صار
 يبيع شيئا فشيئا ويحوز هناك تمرا جديدا ا قال العم وكنت ادفع للفقيسة
 الكوسالى حتى تمت المعاسبة وانتهت المعاملة فكان هذا هو شغل صاحب الترجمة
 في غالب سنة ١٢٩٥ هـ والشغل عند اهاليها افضل ما يتعل به الرجل ا ويلي
 به شأنه ا ولا يستهين رجل ايا كان في النزول الى مزاولته ا فبلذات البيع لفقيه الخ
 الجديد ان يكون ممن مارس التجارة ا والرجل من يطيق ان يدبر كل شيء من له
 ثم يكتل فيه عمله بالنجاح

في مدرسة فوكرض مشارطا ومعلبا

كان الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله قد اكب على التدريس منذ رجوع من المدرسة ؛ والتدريس وبث العلم اسرع لرفع الشأن لكل فقيه فقد كان التحق بالمدرسة البومروانية بعد مدارس في مسجد قريته فعلا له بذلك ما تغيبط به أسرته ؛ ويتمنى المتمنون لو كان لهم مثل ذلك الولد الفقيه فتعطر بذكرهم الاندية وتدوى بصيتهم الاحاديث .

هذا فقيه آنا قد رجع ؛ وهاهو ذاق جرب في تينك القضيتين ففلج فيهما سهمه ؛ افكانت اسرتنا تفنع منه بان يكون لها تاجرا يزاحم في الاسواق ويقايض في البيع والشراء ؛ مع ان ذلك وان كان لا ينقص به في عرف اهلينا شرف الرجل وان كان فقيها ؛ ولكن لكل مقام رجال ؛ فهؤلاء رجال اسرتنا اخوان فقيها متواضعون فليبيعوا وليشترخوا وليقايضوا وليزاحموا في الاسواق ؛ ولكن الفقيه الاول به في نظر الاسرة ان يسلك طريق ابن عمه سيدي محمد بن عبد الله الذي تصدق في المدرسة البومروانية ؛ فحدث بذلك شيئا جديدا من آل عبد الله بن سعيد ؛ فليتحقق هو بمدرسة اخرى ؛ حيث يبث العلم ويهدب النفوس ويصقل الافئدة حيث يكون للاسرة من فقيها شأن كشأن الاسرة الصالحية من فقيها وليس هذا الذي افوله من بنات يراعى ؛ بل هو من صدى احايث كانت الجدة (تكدا) والدة صاحب الترجمة - تمليها على في نحو سنة ١٣٣٥ هـ وانا اسائلها عن ذلك التاريخ ؛ فكنت اراها تكبر زوج بنتها الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ؛ وتتمنى من فقيها الذي هو ابنها ان يسلك طريقه ؛ ثم قالت ولكن ماكنت اعرف انه خبيء له هذا انخير الكثير ؛ والمجد الباذخ الذي جاء بعد ذلك من غير طريق سيدي محمد بن عبد الله التي كنت لا اريد ان يتخطاها ؛ تعنى بذلك كونه شيخا مرييا ؛ فساق لها ولاسرتها بذلك من الشرف اضعاف ماساقله الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله لاسرته .

التحق فقيه الخ الجديد بمدرسة (فوكرض) فاجتمعت عليه ثلة من الطلبة يدرس معهم المبادئ ؛ ومن بينهم العم ابراهيم والفقيه المدونة الايفشاني ؛ وسيدي مولود الصوابي والحاج محمد البوزاكارني ؛ وآخرون ؛ واخال ان التحاقه بتلك المدرسة كان في اواخر سنة ١٢٩٥ هـ لان الاستاذ الطاهر بن علي اخبرني انه رأى رسم حبس كتبه صاحب الترجمة وهو هناك مورخا بسنة ١٢٩٥ هـ وانعم صمم على انه ما التحق بها الا في مفتح سنة ١٢٩٦ هـ والامر سهل ثم انه مع اشتغاله بتعليم الطلبة ؛ قد جعل لمن كانوا ينتابون المدرسة من العامة مجلسا وعظيا ؛ قال سيدي بلعيد الصوابي - وكان يحضره اذ ذاك - ان ذلك الوعظ اشبه بوعظه يوم تصدق للتربية

الم سنة في تلك المدرسة ؛ لم اتاح معهم الثانية فبقيت فيها بقية
شهور ؛ فاذا برسول الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله يطلب منه ما يأتي .

في المدرسة البومروانية

رايت في ترجمة سيدي محمد بن عبد الله ما حملة على ان استثنى صاحب
الترجمة في البومروانية لينتم له السنة ؛ فاذا الدروس وتابها ؛ كما كان
ابن يدي الاستاذ ولد جاء اليه تلاميذه الذين انقطعوا اليه في المدرسة المنقذة
فكان من بين من باخذ عنه من تلاميذ الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ؛ الاستاذ
قيل بن عبد الله الذي رجع بسببه وبمعاونته الى الدراسة بعد ان كان سمعتمه
الى التجارة ؛ والاستاذ احمد الزمامي وسيدي سعيد بن علي الاعطالي وسيدي
الحسين الناطاروسي وسيدي العربي الساموكني وسيدي الطيب الركبيسي
وسيدني الحسن بن عبد الله بن محمد السملالي ؛ فكان يدرس مع هؤلاء
الفاضلين زيادة على متون البندئين ؛ الالفية والرسالة والمختصر والتسهيل
والقامات الحريرية ؛ فكان يجول معهم بهمته المعروفة عنه بعد ذلك في كل
هايل اوله ؛ سبعة اشهر تامة الى ان تمت الدورة السنوية فالتحق بالغ ؛ والتحق
بالتأليف بالمدرسة الالفية عند استاذهم اندي بنى لهم هذه المدرسة الجديدة
والتأليف السنة ١٢٩٧ هـ .

العزم على المشاركة في المدرسة الوراقوية

لعت الركاب من بومروان ؛ فجزى الاستاذ ابن عبد الله صاحبه هذا على
ما قام به هناك ؛ ثم صار يفاوض الوراقويين على ان يشارط عندهم في مدرستهم
ابن عمه هذا المترجم ؛ فتم بينهم الامر ولكن اجل ذلك الى ان يرجع الناس من
موسم (تازروالت) وقد اظل يومه ؛ ولكن حالت امور جديدة بينه وبين هذا العزم
(وتحدث من بعد الامور امور) كما يقول الحكمي

الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

قد يحسب القارىء ان صاحب الترجمة قد نفص يده من الوراقوية ؛ والله
نسى شيخه فاعرض عنه مع انه ما كان يقطع زيارته في كل حين ؛ اذ هو بالمدرسة
الادوزية ؛ وبعد ذلك وانما اراد ان يجبر خاطر والده ؛ فرجع اليه بعد ان كلفني
من الاخذ بادوزتم حدته الاقدار حتى شارط كما ترى ؛ وقد كان اخوانه الفقراء
زاروه بطائفتهم حين كان بالمدرسة البومروانية وفيهم الفقيه الكبير الذي
تجرد اذ ذاك وانقطع الى الزاوية المعديرة ؛ سيدي الحاج الحسن التاموديزلي
فحين ولوا ارسل اليه هذا السيد رسالة عاتبه على ما هو فيه ؛ وحثه على ان
ينقطع ؛ وتمثل له في الرسالة بقول العراقي ؛

والفتى من سلبته جملة لا الذى تسلبه شيئا فشيئا .

فربما كان هذا البيت وحده هو الذى استثاره من جديد ؛ حين تسوق موسم (تازروالت) ثم مضى منه قدما الى الزاوية المعدنية حيث تجرد وانقطع بين يدي شيخه ؛ واعطى للتصوف نفسه فسلبته الطريقة الدرقاوية جملة بعدان كانت تسلبه قبل ذلك شيئا فشيئا .

ومن لم يجد فى حب نهمى بنفسه وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل بهذا اختتمت صفحة من نصف عمر صاحب الترجمة ؛ واستقبل سنة ١٢٩٨ هـ بما استقبل به الغزالي يوم طلق الدراسة بالمدرسة النظامية ؛ بادية العرب ؛ حيث لاقاه الاستاذ ابوبكر بن العربى ؛ وكان عهده به وهو بالنظامية وفى مجلسه اربعمائة عمامة من اكابر الناس وافاضلهم ؛ يأخذون عنه فقال له وقد راى عليه مرقعة ؛ وعلى عاتقه ركوة ؛ ويده عكازة يامام اليس تدرى العلم ببغداد خيرا من هذا ؟ قال فنظر الى شزرا وقال : لما طلع بدر السعادة فى فلك الارادة ؛ وجنحت شمس الوصول فى مغارب الاصول

تركته هوى ليل وسعدى بمعزل
ونادت بي الاشواق مهلا فهذه
غزلت لهم غزلا رفيقا فلم اجد
وعدت الى تصحيح اول منزل
منازل من تهوى رويدك فانزل
لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

وقد اشد له ايضا حول هذه المقام فى لقاء آخر :

قد تيممت بالصعيد زمانا
من سرى مطبق الجفون واضحى
وانا الآن قد وجدت الماء
فاتحا لا يردهن العماء

وقفتا قصيرا بالقارى .

احب منك ايها القارى ؛ وقد فاشتيتنى منذ اول هذه الترجمة الى ان طويتنا صفحات غير قليلة من حياة صاحبها ؛ ان تقف معى هنا و ففة قصيرة تفكر فيها قليلا فى الذى يتراءى لنا عنه ؛ اليس انه معظوظ فى كل هذه السنوات التى يتلقى فيها ؛ حتى ختم ذلك بحظوة عظيمة غبطه عليها اصداقؤه ونفسها عليه حساده ؛ يوم اناله الاستاذ ابن العربى الادوزى تلك الشهادة العليا بين جماهير من اقرانه ؛ ثم لما توجه الى مجالات فقهاء عصره ؛ وجد ايضا مكانا فسيحا واسرة لها مكائنها بين ذويه ؛ ثم لما جال فى مجالات التدريس فى المدارس كان نزعها فيها لا يقصر عن نزع ابن عمه الاستاذ محمد بن عبدالله لانه لا يرضى ان يخلفه فى منصبه ؛ ولا يتنازل ضميره الى ان يلد تلاميذه الذين هم افلاذ كبده الا فى يمن يراه كنفه فى الالقاء والفهم والتفهيم ؛ ثم ان كل هذا لم يستهو صاحب الترجمة ؛ ولا استمال نظره ؛ ولا اعاره لحة من فكره افلا يدرك من كل هذا القارى الكريم ان تلك الروح الوثابة التى تهلا ما بين جوانحه ؛ غير تلك

الأنواع التي تجول في كثير من فضاء عصره الذين لا يكاد احدهم يتعمق ويصعد
من حفظ أو يجمع حرفة عظيمة مريضة من مدرسة وأقبالة صغيرة من بضعة تلاميذ
هي بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : واحفظ العلماء بالفضل الوريف من العلم الشريف ؟

حقيقة ان ما يقضى فيه الفقهاء اعمارهم من فخر النوازل بالشرح والتحليل
والانصاف في المدارس وهي من المساجد التي لا يعمرها الا من آمن بالله واليوم
الآخر ؛ ومن تعليم التلاميذ وتهديبهم وارشادهم ؛ ووصل الامانات الدينية
والعلمية والثقافية اليهم كل ذلك فيه اجر عظيم ففي مثل هذه يتنافس المتنافسون
وفي المسابق اليه يعهد المتفانيون ؛ ولكن امثال صاحب الترجمة الذي خلق
لهم هذه المجالات وراينا همته تحفزهم الي مقامات اخرى غير هذه لا بد ان يكون
هناك شيء وقع عليه بين اولئك الفقراء وحظي به بين اركان تلك الروايات ؛ لم
يعدهم من بين الفقهاء ولا لجه في مجالس المدارس

فلما شعري ما الذي وجدته هناك ؛ ولم يجده في المدرسة ولا في علومها
العلمية ؛ اذ ان هذا الذي وجدته هناك ويجده كثير من الفقهاء الذين القوا
بالمسؤول وراهم فالبوا على مصاحبة الفقراء ؛ يتجل لنا في هذه الحكاية الالهية

وقال سيدى سعيد بن همام الشيخ المعمرى الى داره يوما فقال لمريدته
التي كانت الهشوكية ؛ اخرجى واستدبرى بالعائط فانك ستجدين عالمين
في طريقنا هدينا ؛ فلذاكريهما فخرجت فوجدت صاحب الترجمة والفقيه
الحاج الحسن التاموديزتى ؛ فجلست اليهما بعد ما سلمت ؛ وهي
تروي في حديثي - ففانحتها الحديث فانجر بهما الى ان وصل الى معرفة الله
العال ؛ فجلست بهما الفقيرة الالهية الى سموات عجزا عن مطايرتها اليها ؛ فسكننا
ثم قالت لهما ؛ انما اردت بهذا العلو في المذاكرة ان تعرفوا انتم معاشي العلية
الجامدين الذين لا يحسبون ان لله علما الا ما في تلك النقطة الضئيلة التي تظنون
انها لكم تجولون حولها في مدارسكم ؛ ان من الناس من تعجزون عن مجاراة
مع العلم بل ينقطعكم هذه ؛ و اردت ايضا ان تدركوا حق الادراك انكم تعرفون
هنا لا لا تخفى عنا منكم خافية ؛ فالنصفون منكم يدركون انهم خالون من عر
انوار القلوب ؛ ومن ذوق حلاوة الايمان ؛ وان هذه العلوم التي يخوضونها
ويقضون عليها اعمارهم ويعسبونها غاية ؛ على حين انها هي وسيلة للمعرفة
من معرفة الله ما انتم بالمراد من انوار القلوب وحلاوة الايمان ؛ ولكن مع انما انتم
هذا ؛ وادراكهم لكل ذلك حق الادراك ؛ يحسبون ان غيرهم لا يدركون منهم مسا
ادركوه من انفسهم من عدم معرفتهم لله وعدم استنارة القلوب ؛ والشراح
الصدور ؛ فقال لها سيدى الحاج الحسن ؛ وكيف معرفة الله ايها الفقيرة ؟
فقلت انكم انتم العلماء ؛ وانكم احق من يسأل عن مثل هذا لانا العامة الالهية
التي قل حياتها فثرت بهدياتها حتى جاوزت الحد ؛ فقال لها سيدى الحاج
الحسن لا بد ان تتكلمي ؛ فقلت لادري ما قول ؛ الا ان ولدا عندي يوما انظنته

من لومه فقال لربنا ما : انك ايقظتني من لومة عذبة حلوة لذيذة جدا جدا ؛ فقلت له كيف عدوبتها يا بنى ؟ فسكت مليا ثم قال نامى يا امى هنا مثل تلويها فكذلك انا قول لكم من اراد ان يدوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان العجب كل العجب فيمن ادعى انه عالم مع انه اجهل الناس بمعرفة نفسه وبمعرفة ربه وقديما قيل : من عرف نفسه عرف ربه .

هذه هي الحكاية حكاها من حكمتها له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ وربما زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صفه كما رايت من صاحب الترجمة الذى تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد فى الكتاب ؛ ثم ما كاد يلتقى بأصحاب هذه الجهة حتى انزعج فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف .

(الارواح جنود مجنونة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف) .

في التجريد وخرق العادة

لبعض الصوفية احوال عجيبة لاتزال الى الان محمولة فى اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم فى كل عصر حرب زبون ومجادبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لا يجدون فيما عندهم من مختلف الفنون ما يبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يتراعى من سيرة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ما لعله لا يوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلبس هذه الاحوال الغريبة حملات متوالية زاخرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الاخرين سائرون فى طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالمغور التى تجثم فى ضفاف البحار فلا تكاد موجة تصطدم واياها حتى تتكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متطايرة ؛ قلب معنى النظر اياها المؤرخ منذ تأسس التصوف فى القرن الثانى واستقل كعلم خاص ؛ له مبادئه واصطلاحاته وتأليفه المدرسية ورجاله الذين يتفانون فيه ؛ ويظلون ويبيتون فى تتبع دقائقه ومقدار تأثير كل دقيقة من دقائقه فى نفس المعتقد للتصوف المتبع لمقامات السلوك فيه ؛ تامل معنى منذ ذلك العهد الى الان ؛ تجد هذه المجاذبات العنيفة التى تقع فى مختلف هذه القرون وترى ما هناك راي عين ؛ فيتضح لك ان ما يستغرب فى ذلك الوقت ؛ يشور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كما هم لم يتأثروا بقلمه ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين ما يواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذى سمنونه التجريد بالتجرد عن كل ما فى ايديهم وعن كل ما هم فيه ؛ حتى يأمرونهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تنحطها الانظار

فأشرف دون إحصائها ؛ وإلى الوقوف مواقف ذل والكار للذات ؛ فقد يامر الشيخ
وإن يقول في عرفه غليظة بين القرى وبين عارفيه ؛ حتى يزول منه ما يجلعه من
من كان معروفًا في قومه بلباس حسن ومروءة وهز وعلو همة ؛ أن يطلق كل ذلك
المشادة على مثل ذلك ؛ وربما امرء أن يتعرض للناس للتكلف وأن يجهر بذلك
في الأوساط التي كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمى ذلك عند مشايخ الشريعة
(هرق العادة)

تعلم صرخات الفقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاهه بين الطرفين
فيقول المحدثون لم أرقط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امرأدا مني في يوم
وهم صمخ المرابين واستأذهم وقدوتهم أن يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين أيدينا لأنجهل منها ولو طرفا ؛ إلا يصح
من يري الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمي ؟ والمراد
هي المسلم أن يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لا بالفضة والإصطاف
والعقارة ؛ وإلى مسلم الف العقارة إلا التحفها حتى أمام الكفار وأعداء الدين .

ويقول الفقهاء أن عرض الانسان ومروءته وشرفه لهما تجب المحافظة عليه
والحجب المحافظة على دمه ودينه وماله فباي دليل وباي نص يستدل من يامر
الرواية التي هي كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متراثك فهياتان
التي هي في الاصواق بالتكلف وبإذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا إلا بعكس ذلك
فما يصرخ به المحدثون والفقهاء ويسهبون به في حججهم ويسوفون ما يسوفون
وإنا يشهدنا ذهبوا اليه .

وأما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يامرء شيطنة
أن يفعل ذلك لا يلبث بعد حين ؛ أن ينقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بظهور
أخر ؛ لم لا تستدير دورة الزمان حتى يتراى في عصره كشمس انكشفت عنها
السحاب السود في يوم صحو فتشرق في عليائها على الكون ؛ حتى تعلى الوارها
اللطافة كل الناس ؛ حتى أولئك المحدثين والفقهاء فانهم لا يكاد معظمهم من
المصطفين بشكر ما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

وأما صوفية آخرون فانهم يصمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم
لقد اهدمتم النجمة واكثرتم حول ما لا تعرفونه صرخاتكم ؛ فاننا اولا نعلمكم على
نوط ما يقوله الشاعر ؛

لو كنت تعرف ما أقول هلرتني او كنت اجهل ما تقول عدلتني
لكن جهلت مقالتي فعدلتني وعلمت انك جاهل فعدلتني

ثم اننا لانكسر معكم الجمال ؛ ولا نجاذبكم اولئكو حججنا انتم ادري الناس

كيف تلقى والها لسائلكم سؤالين اولهما لوجاه طبيب فقال لكم ان مريضكم هذا لا يسلم من مرضه المزمن الذي منعه الحركة الا اذا بترت يده او فطنت عينه فهينئذ يجرأ ويلقون ا ثم انه سبق له ان عامل بمثل هذه المداواة مرضى كثيرين فبرئوا! اكنتم تدفعون اليه مريضكم وتجاوزون له ان يداويه بما ذكر وبماتين انه ذوا شاف من مداويات له متقدمة ؟ ام تقولون له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ويقول له فقهاؤكم ان نوصواكم لم ترد بمثل ذلك ؟ فما كان موقفكم مع ذلك الطبيب الذي ادركتم صدقه هو موقفكم معنا فاننا انما نقصد بما فعلنا ببعض المريدين لاكلهم تطهير نفسه من الكبر الذي هو اخو الشرك وان نسلك به مسلكا يتلقى فيه دروسا يخرج منها بالاخلاص التام في اعماله وذلك هو قصدنا الوحيد؛ ثم لم نبال بالمروءة التي تقولون هتكناها العلمنا بان الغاية تبرر الوسطة كما ان ذلك الطبيب لم يبال بتر اليد ولا بفقء العين في جانب الشفاء الذي يحصل للذات كلها ؛ على ان المروءة التي يامر اللدين بالمحافظة عليها ليس منا من يقول بهتكتها وانما هي بعض عوائد في اللباس وامثاله تغير لعل ماوراءها يتغير؛ كما شرع تقليب اللباس يوم تصلى صلاة الاستسقاء هل انه لم يتخذ اشياخذلك ضربة لازب لكل مريد مريد ؛ بل انما يامرون به من يعلمون انه لا يداويه الا ذلك ؛ وطرق التربية شتى لا تنحصر ؛ والاشياخ انفسهم يختلف تربيتهم في مثل هذا اختلافا كثيرا ؛ كما تختلف طرق التداوى بين هيئات الاطباء في مستشفيات متعددة وذلك كله بحسب ما جربوه من انفسهم ؛ ونحن نقول ان كل شيخ يربي مريديه على النمط الذي تربي به ؛ ومن اين لنا ان تكون تربيتنا ؛ ونحن نقر بعدم العصمة كترية النبي صلى الله عليه وسلم الذي وفقه الله ؛ وعصمه في كل احواله ؛ وتولى تربيته وتاديبه فأحسن تاديبه فان ادركتم ايها المحدثون والفقهاء محور هذا السؤال ؛ وكنه ما نريده وراءه عرفتم متجهنا فاسترحمنا وارحمتم على اننا نشكركم على اعتنائكم بنا ؛ واخذكم بعجزتنا حتى لانفارق السنة ؛ فجزاكم الله خيرا .

والسؤال الثاني : اننا رايناكم تكثرون علينا في اتخاذنا حياة مخصوصة للمريدين ماداموا يتربون تحت انظار مشائخهم ؛ فتقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص اصحابه بهيئة مخصوصة ؛ ولا بشارة يتميزون بها عن غيرهم ؛ بل المسلمون كلهم في هيئاتهم كقذاح السهام في الكنائن ؛ لا يفضل بعضهم على بعض الا بالتقوى هكذا تقولون ؛ ولكننا نسائلكم فانصفونا في الجواب ؛ اوليس ان لكم ايضا ايها الفقهاء حياة اخرى خاصة بين المسلمين ؟ فما يكاد احدكم يتاهل للتصدر ويتساقا لى صفوف العلماء حتى نواه انتحى ناحية فيخرج اليها بالزى الخاص الذي احتكره العلماء لانفسهم ؛ فما كان جوابكم هو جوابنا فله علمنا ان قدوتكم في ذلك ؛ ابو يوسف ؛ ونعم القدوة ابو يوسف ؛ ولكن

الذين يطولون هناك فلنا لكم ان قمرنا الجديد والقران وامثالهما ؛ فقلوبنا لنا
 بشوقكم نعم القديتان الجديد والقران ؛ ليا اخواننا العلماء لماذا لا نتقى نحن
 وانتم في الوسط لتعرفوا ما عندنا ؛ مثل ما دركنا ما عندكم ؛ فتعاون على نفع
 الهياك التي بتربية ونحن بتربية ؛ انتم بتربية فلوا هم ونحن بتربية بواطنهم
 فاني ذلك الحرب واسهل لانعام ما يريد جميعا ؛ وقد امر الله بالتعاون على البر
 والتقوى ؛ والتعجيل لكل طائفة بلباس خاص امر اجتمعت عليه الامم ؛ فزى الكفاية
 وزى الاطباء ومعاونيهم وزى الجندي ؛ وزى البحريين والطياريين ؛ يخالف
 بعضها بعضا فلماذا يلام هؤلاء القوم وحدهم ؟ فهلا انصلمت ؟ فان الانصاف من
 شيم الاسراف .

هكذا يحتاج الفريقان مايتحاجان ؛ ثم يتحاجزان فيقبل كل واحد الى شانه
 والى حزب بها لديهم فرحون وربك اعلم بمن هو اهتدى سبيلا ؛ وان كان الحق
 بين الطرفين لا يخفى على ذي عينين

ظهر اذ ان اسرة صاحب الترجمة اثناء سنة ١٢٩٨ هـ ان ابنها الذي كانت
 تظن انها نطفة الاسرة الصالحة الى ابنها الاستاذ محمد بن عبدالله وتمنى
 وراءه ان يكون مثل ما دركته تلك الاسرة من وراء ابنها الاستاذ من مسجد
 ابيها ؛ ولزوا متزايدة ؛ صار يدور في الاسواق ويتكف الناس فيها فيمديديه
 وهو يقول اطعموني فاني اموت جوعا ؛ وهو في اسماق رفاع متلونة كأنها قوسي
 فرج ؛ وقد فعل وراء كتفه جراب مثقوب من اصله ؛ يلقي فيه كل ما امتدت به
 اليد الايدي ولكنه سرعان ما يسقط وراءه ؛ فيتبعه الصبيان زرافات ؛ والهجع
 الى رفاع الذين من دابهم ان يتجمعوا في امثال تلك المواقف

توالت هذه الاخبار الى الاسرة حتى صدقت بها ؛ من بعد ان كان ذلك
 عندها رابع المستحيات ؛ فثار ثأرها ؛ واسودت الجواء في اعينها في وسط
 النهار حتى كأنها في غيابات الجب ؛ وقد علمت ان ما يقال محقق ؛ فلا سبيل
 الى تكذيبه ؛

طوى البسيطة حتى جاني خبر فرغت فيه بآمال الى الكلب
 حتى اذا لم يدع لي صدقه املا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

واهلنا السعيديون ابعث الناس عن مقامات التكلف واعل الناس عن ذلك
 همما ؛ واكثر الناس في الجهد عن ذلك استنكافا ؛

واستف ترب الارض كي لا يرى له عمل من الطول امراء متطول
 ولذلك استبهلوا تصور ان ابنهم الذي يعلمون منه ما يعلمون يسف الى

ذلك او تتدل به هوته اليه ؛ ولكن لما تعفروا ذلك وانظروا الرب ؛ سبق الى اذلالهم ان ابنهم بلائيك ممن اصابتهم العين ؛ او طالت بهم بعض لغات السحر او المتبه مسة من جنة ؛ والا فلا يتصور في انفسهم ان يتنازل الى ذلك ولله مسكته من اجل اولهه من تمييز

الابن الشيخ سيدي سعيد المعدي لتلميذه هذا ان يجول في الاسواق وان يترق فيها العادة ؛ فجال اولا في بعض اسواق (ازغار) ثم في سوق (اساكا) ثم في موسم تازروالت وقد صادفه هناك الاستاذ الحاج داود الكرسيفي وكان ممن له الامم ببعض افماله الصوفية ؛ وما يقصدونه بها فلم ينكر عليه ؛ ثم صمد الى الاسواق التي تجاور الخ حيث اهله ومعاريفه ؛ فجال في سوق الجمعة بسملالة وهي الـ ذلك كما ابتدأت ثم في قبيلة ايت وفقا ؛ وهو في كل ذلك ملازم للصمت لا يسمع منه الا عبارات التكفف لا غير وقد قصده في ايت وفقا سيدي محمد المدونة الابيضالي تلميذه الذي كان اخذ عنه بالمدرستين : الفوكرضية والبومروانية فطلب هذه الدعاء والحق عليه ؛ وقد علم انه لم يفعل ذلك لحق او طلب دنيا او جاه وان ذلك انما فعله لتخلص به نفسه من شوائبها فاجابه هذا حين الخ عليه في الدعاء ؛ لا اربحك الله ؛ وعينه شاخصتان ؛ كانه مجنون حقا .

ادعو عليه وقلبي يقول يارب لا لا

لقد صبر اهله ؛ وبلغ الحزام الطيبين (١) فذهب اليه اخوه محمد مع رجل اخر فاصراه وجملاه على البغلة واتيابه مكبولا الى الدار ؛ وهو على حالته ؛ لا يجير الجواب لاييه ولا لاه ؛ ولا يتكلم بسوى عبارات التكفف والاستغاثة ؛ والصراخ بان الجوع كاد ياتي عليه .

حكى لي والدته (تاكدا) رحمها الله انها اذ ذلك كادت تتمزق كبدها وينفطر قلبها اذ سمعت به ينادى ان السغب يقطع احشاءه ؛ قالت فلا ادع كل ماتمله يدي ؛ وامكن لي من الطيبات الا قدمته اليه ؛ فاملا جانبيه باللحم الحنيد والبيض السلوق والسمن المزوج بالعسل واللوز المطحون والتمر الجيد والزبيب والجوز وكل ما عندنا ؛ ثم لا يعير ذلك كله التفاتا ومتى غفلنا عنه ؛ وقد اودعناه في بيت يفتل الى سطح الدار فيصرخ الامن يفتا جوعتي المتهبة الهائجة ولو بقطعة من الخبز المكرج (٢) فانتى ياعباد الله اكاد اهلك جوعا ؛ قالت فبادر الى ايوانه الى البيت ايضا ؛ ونحن نتقطع على ولدنا العالم الذي صار مجنونا يتخبط .

ذلك وقد صح عند الاشارة انه امامين واما مجنون ؛ فبادر والده فذهب

(١) الطبى بضم فسكون : العلة الزائدة في آخر الضرع ؛ وذلك مثل مشهور في اشتداد الشيء .

(٢) كرج الخبز ؛ اذا يبس وقسده

بما سمعته الى فريج اراء غيبوبة فوكرفس لا سمعه من ان ماصابه ربما جاءه من
نفس المديونة ؟ هكذا صار صاحب الترجمة في واد واهله في واد

في صبيحة يوم وقد اطل الفجر على الكائنات فافاض عليها من انواره فاستنار
كل ما فيها فاقبلت كل الامهات الى ابناها ؛ ليزددين بهم قرة عين ؛ وبهجة لبس
الآن اطلت الام الرزوقة في عالمها فالتفت عليه البيت لتستجد ايضاً من نظر الهيا
الى والدها زفرات اخرى مطلية ؛ قالت لي فمادخلت حتى ناداني وهو اول كلام
سمعته مني بامام ما هذا الذي في رجل ؟ فقلت انه كبل ياولدي ؛ فقال او هيلكم
فلماذا وضعت على الكبل ؟ وماذا عراني ؟ فقلت آه ياولدي انك ياولدي جلتك
فلم نجد بدا من ان نكبلك ؛ فقال عجباً او كنت كذلك ؟ ولكنني الان استرديت
شعوري قالت فتاب الى من الفرح والسرور ما الله اعلم به فسرت اسأله حتى
تفهم ما قال فاقبلت مسرعة الى مطبخ الدار وفيه نساء ناضجات بالفداء فاقبلت
بشرني فارجمت الدار كلها فرحاً فاقبلنا جميعاً مستديرين بولدي على وقد حضر بين
القرية فاما الكبل فالزال كذلك ولدى ما عليه من اللباس الخلق فانيته بكسوته
البيضاء من صندوقي فلبسها وارتنى بردائه ووضع العمامة على راسه فارسلنا
الى الاستاذ الفقيه سيدي محمد بن عبدالله ؛ فحضر عندنا فاليتم حلقة كبيرة
حضرها المهران والاقارب فاقبل المهنون يهثوننا بشفا ولدنا ؛ ولكن والده
لم يزل ملازماً للفراش من مرض كان ألم به ثم ازداد بما وقع
اولادنا ففي صباح يوم لعله اليوم الثاني ذهب ليزور الاستاذ سيدي محمد بن
عبدالله فلم اشعر حتى هرولت الى امرأة من القرية فصارت تناديني وصوتها
يتردد في اني الان رايت ولدك قد استدار بشية (تلات نيت عيس) وبذلك سر
الي الله جهراً ؛ وقد ذهب عنك ايضا قالت فقامت قيامتي ولم اتحصل الصبر
فاهويت بطلنا اجوب بها الطريق الى المدر لاسترد فلذة كبدي من ذلك الرجل
الغدير الذي افسده على قالت فراح على الليل في (تيغمي) فبت هناك عليه
اسرة من معاريفنا ؛ ثم تعقبني من اخبرني بان زوجي والد اولادي قد خرجت
رؤيته اثر خروجي من الدار ؛ فكنت اذ ذاك اشقى نساء العالم وانكاهن مصيبة
هؤلاء ولذي العالم الذي هو كل منيتي وآمال في حياتي قد عانه العائتون وتسم
فيه مرام العاصدين الشامتين ؛ حتى اختل عقله فتكذب اهله فصار يجول في
البلدان والها هيران ابله كانه هداوي من الهداويين ؛ وهذا زوجي وقطب اسرتي
ولبي فوجتي قد ماتت عني فوفقت في حيرتي لا ادري الاقدم الى الامام لاقتس من
والدي ؛ ام انكص على عقبى لاشهد ماتم زوجي ؟

هذا ما حكته لي رحمة الله عليها فاما لاذني ؛ وكانت ثرة الحديث متممة
ان وجدت من يكون عندها من المنصتين ؛ وكنت اذ ذاك قد بدأت اقتس عن اخبار
والذي هذه ؛ فيسر الله لي من عندها من ذلك لبدا لطيفة ؛ هذه الحكاية منها .
وقد ام صاحب الترجمة بذكر ما وقع اذ ذاك في رحلته الجعازية عند ذكره
الشبهة المديونية ؛ فقال بعد ان ذكر ما حصل عليه بجلالاته معه ؛

تركت ما سوى الاله هجرًا
 ولبعت عندى ملاح الدينيسا
 وليس لي في غير ذات الله
 فصلت عنى سائر العلائق
 بدلت احوالى بخرق العادة
 وكان في تخريقى العوائد
 ولست تعرف الذى ثم سوى
 تصير راقضا ومرفوضا اذا
 فاختلف الناس فدا يقول
 والبعضى قال انه مسحور
 وعند جل الناس كنت احمقا
 فكل من جهل شيئا عاداه
 من بين فرث ودم يسقينبا
 ذاك بفضل الله لا بغيره
 فلهجت نفسى برهبى ذكرا
 مما يرى برؤية والرؤيسا
 ماوى ولا عن حسنه ملاهى
 لكونها عن مقصدى عوائقى
 لطلب الاخلاص فى العبادة
 افضل ما يعنى من الفوائد
 بفعله ان كنت تارك السوى
 ما قرب الاخلاص ممن نبدا
 جن قاين القيد والحبول ؟
 اين رقى المسحور والبخور؟
 فلم يكن فعل لديهم منتقى
 وكل من عرف شيئا ناداه
 لئن معرفته يقينبا
 يوتيه من اراده لخيره

فضى صاحب الترجمة مائده اليه شيخه ووفاه شروطه المشروطة عند اهل ذلك
 الفن بكل دقة فمثل ثانيا بين يدي شيخه وقد انخرط فى سلك المتجردين بين
 يديه ؛ لا يتنفس الا باذنه ؛ ولا يلتفت يمنا ولايسرة الا باشارته وهو طوع يديه
 كيفما قلبه انقلب وقديما قال الشاذل لاستاذه مولاي عبد السلام : انى اغتسلت
 من علمى وعملى الا ما ياتينى على يدك ؛ وقال الجيلانى البغدادى فى عينيته
 المشهورة ؛ يوصى المريء بما يكون عليه عند شيخه ؛

وكن عنده كالميت عند مفسل يقبله ما شاء وهو مطاوع

وقال الشريشى فى رائيته المشهورة ؛

ومن لم يكن سلب الارادة وصله فلا يطعمن فى شم رائحة الفقر

ومن شروط هؤلاء المريدين ان من قال من المريدين لشيخه منهم له لا يفلح
 ابدا ؛ ومن اجل نظره يعلم ان هذا الشرط يتخذ اساسا فى كثير من الجمعيات
 والتنظيمات كالجندية وشبهها ؛ فلا يختص به الصوفية الربون لاصحابهم ؛
 فعل هذه الوتيرة سار صاحب الترجمة مع شيخه ؛ فيخدمه ويقوم بين يديه
 ويكفيه مع اولئك المتجردين كل ضروريات زاويته ؛ وكثيرا ما يقول بعد ذلك
 لتلاميذه حين رجح شيئا مريبا ؛ ليس العجب ان يستسلم الواحد لشيخ
 يحسه عالما ؛ وانما العجب منا نحن الذين استسلمنا لشيخ امى ثم وفقنا الله
 فراعيناه بكل ادب والحمد لله ؛ وقد اخبرت ان شيخهم وصلهم يوما فى هاجرة
 تذيب دماغ الضب ؛ وتعشى اعين الحرياء ؛ وهم يحصلون زرعا للزاوية فى
 بسيط المدر ؛ وقد سالت اصابع من كانوا قبل لا يالفون مزاوله المهن دما

صاحب الترجمة والناموديزني وامثالهما ! فلم يطق الشيخ اصحاب عليه فقال
 والله لولا ان الذي نطلبونه وهو هذه سبب الصلوات ما سببنا ! لا يعمل
 لهم الا بهذا ! ما كان في صدري قلب يستمسك حين يراكم على هذه الحالة
 واخبرت ايضا ان الشيخ خرج يوما في حيازة فيض ! فترى صاحب الترجمة
 يسلمهما اراء حائل وقد ادركته الشمس ! فتناول رداء من فوق ظهره فجعله
 عليه ثلثة ثقبه وهج الحرارة من غير ان يوظفه ! ومما وقع له في هذا الصدد
 ان كان صائعا مع اخوانه المتجردين فوصلوا (ارازان) براس الوادي ! فالخرج
 هذه اهل القرية ان يطلبوا من الله الاعانة بالامطار ! وقد فسدت المزروعات
 وهب الياق الى القلوب ! فقال الفقراء للمترجم انا نربطك في هذه المهمة
 فوجه كله الى ربه ليغني هذه الحاجة ! فرعان ما انهلنا الامطار حتى انظف
 الفاسي فقال الفقراء هذه كرامة كبيرة ! ولا بد ان تكرم الفقراء على العادة ثمكرا
 على ذلك ! فصار كل واحد يقترح منيته لهذا قميص وهذا لعل ان يكون
 من ذلك كله ما يكون لمن جميعه ست ريات حسنة ! وهي اذالك خصوصا
 في هذه الهلة المقلب مال له بال ! فخرج المترجم الى سوق هناك ! فوقف ينادي

الامن يهد لي لله ست ريات ؟ يكرر ذلك جهارا فكان الناس يمدون اليه
 شيئا فبردها فبقول انما اريد الست ريات دفعة واحدة ! فسرى التصجب
 في السوق ! هي اخبر بذلك تاجر من سكان تلك الجهة متمول ولكنه ما در
 بغيره ! فقال من الغرائب ان جمع ذلك في يده فقام حتى مده للمترجم ! فكانت
 الفضة من اخنها عند كل من يعرف الرجل ! فاشترى كل الفقراء منها
 تلك هامة الفقراء ! ان يكرم الفقير اخوانه متى ظهر عليه شيء يسره عزه
 او حسنة ! او كرامة اظهرها الله على يده ! ولعل ما فعل كعب بن مالك يوم
 ارده الله بالنبوة ما يستانس به لذلك حين خرج عن بعض ماله

واخبرت ايضا انه اجتمع مرة مع اخوانه المتجردين في بسيط العند يمدون
 لسيوفهم ! فجالوا في المذاكرات حتى طابت القلوب ! واحسوا كلهم بسكينة
 لذات قل قلوبهم ! فقال قائل ان هذا الوقت وقت طيب ! وربما يكون هاتية
 استجابة دعاء فليقترح كل واحد مافي قلبه لندعو الله جميعا بالاستجابة ! فقال
 المترجم مقترحي انا ان لا افقد طوال عمري من يعيش على ذكر الله وطاعته الى
 ان اموت .

واخبرت ايضا ان صاحب الترجمة رأى مرة اذ ذاك نفسه كانه راجع برعي
 صائعا كثيرة فقص رؤياه على اخوانه الفقراء فقال له بعضهم - وسمعت الله
 يصلي الحاج الحسن الناموديزني - ان رؤياكم يا بني عبد الله بن سعيد لا تعدو
 الرهي والمراهي التي اولعتم بها اشد الولوع اباعن جد ! ثم سقطت الرؤيا التي
 شيطنة ! فقال ان ذلك دعائه للخلق ! وتلك طوائف امر طوائف لئال عليه من
 كل جهة ! وكلها تصدر من يديه بالرى الذي لا ينادر عطشا ! فكان من المصادفات

ان الفقير سيدى محمد ابكى التالكركنى الافرانى حضر مرة فى موسم من مواسم صاحب الترجمة لاولى بالغ ؛ وقد ايلت الطوالف يوم الاحد تفرى من لواحى الخ ؛ فما يفرغ من واحدة حتى تقبل اخرى ؛ وقد ملات ارجاء الخ باذكارها المرتلة العالية الى عنان السماء ؛ فعد منها اكثر من خمس عشرة طائفة ؛ فى كل طائفة عشرات او مئات من الوافدين ؛ فمال الى الشيخ وقال له : الاتذكر الرؤيا التى كنت رايتها فى زمن تجريدك ؛ واولها لك الشيخ بما رايناه اليوم عيانا ؟ فهذه بشرى عظيمة اذكرك اياها ؛ فتهلل وجه صاحب الترجمة فجزى الفقير الافرانى بهدية عظيمة .

في السياحات

ان مما يقول الصوفية انه مما يصقل القلوب ؛ ويجلو مراهاها ويهذب النفوس السياحة ؛ ولذلك يجعلونها فى رأس قائمة شروط الطريقة ويقولون بقدر ماتبتعد عن شواغلك بين اهلك ومعاريفك تبعد عما يحول بينك وبين ما يقربك من ربك ؛ ويستدلون لذلك بان الله وضع السياحة ازاء التوبة والعبادة فى قوله تعالى «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله؛ وبشر المؤمنين» وهذا على قول من يفسر السياحة هنا بالسياحة المعروفة ؛ وقد غاب عن هؤلاء المستدلين بالآية ان المفسرين فسروا السائحين بالصائمين استنادا لحدِيث وذلك اليق بسياق الآية ؛ قالوا فوصف هذه مرتبته بين اوصاف المؤمنين ينبغى ان لا يفرط فيه المؤمنون ؛ وان يجعل كاساس من اسس الايمان ؛ وكمراءة يتراعى منها للمريد مايكثر به اعتباره ولا مقرب الى الله كمثل الاعتبار الكثير والتفكير الحى فى مخلوقاته ؛ وتفكر ساعة خير من عبادة سنة ؛ على ان للسياحة اثرا محسوسا فى تكوين الاخلاق والرجولة ؛ ولذلك نرى الشعوب الحية تاخذ بالتجوال ابناءها من شرح الشباب .

بين قرى سوس مع شيخها

مضت بقية عام ١٢٩٨ هـ والنصف الاول من عام ١٢٩٩ هـ وصاحب الترجمة فى طائفة شيخه يتقرون قرى سوس بالارشاد وتعليم التوحيد ؛ فكانت لهم سياحة الى افران بمجاط حيث وقعت لهم قضية مع الرئيس على ندبوهوش سندكرها فى محل آخر واخرى الى راس الوادى حيث تلقاهم الفقيه سيدى الحسن التملى نزيل (ايرازان) لقاء اذاه الى ان يعتنق التصوف على يد سيدى سعيد بن همو وقد ساله سيدى الحسن بمن يقتلى بعده ان فقده فدلله على صاحب الترجمة فى حكاية ستعرض لها ان ذكرنا هذا الفقيه فيما ياتى ان شاء الله ؛ وقد بقى صاحب الترجمة يتعهد دائما قبل ان يتصدر فى دست التربية وبعده الى ان

توفي هذا عام ١٧٠٨ هـ وقد اظهر احد الزكريين انه ما ياتي من سلسلة الخيرة
 فاهر من كل العوالم جمعاً ؛ ولذرت فيه حجة الله فالسته اهلوا اولادهم فيه
 حتى لا يزال بمطعم ولا يشرب الا رجلاً واحداً ؛ قال ؛ طرقتي وقد كنت يوماً
 وانما علي صهر بيج قريظاً ؛ وقد وصلتني نوبة السقي بين الجماعة ؛ فقلت
 فبعضه فاذا بي اصبح هبللة يجهر بها ؛ وقد انحدرت علي من ثنية لصاحب قريظاً
 لئلا ان سمعت هبللته حتى ملكت علي مشاعري ؛ فولفت مشدوها ؛ فسيبنا الله
 الذي يمدون من الصهر بيج فولفت في مكاني حتى مر بي الرجل وهو في عرفته
 والجهشورة علي كنفه والعاكزة بيده ؛ وهو لا يلتفت وعل معياه انوار تلالاً قايها
 انوار الشمس في الجو الصافي ؛ فتبعته لعل اساله من اين هو ؟ وهل يحتاج
 الي طعام ؟ وما مقصودك وراء ذلك الا ان اشاهد معياه مرة اخرى ؛ فقال لي كل
 سره انما القرية فاضطجع وغطى وجهه ؛ فولفت عليه اسائله ؛ وهو لا يجيبني
 بل يظلمه واحدة ؛ ثم اجترأت فمدت يدي فزحزحت غطاء وجهه فنهرني بهذه
 الهللة ؛ ما كان ينبغي لك ان تسال الاعن امور دينك وما تتولف عليه ان ولت
 بشي من رايك ؛ هذا كل مقال ؛ ثم غطي وجهه ثانياً فذهبت الي الدار فابست
 تماماً بالرجل لا عين ولا اثر فبقيت في قلبي نكتة منه ثم لم تضي السنوات
 فوصل اليها الشيخ سيدي الحاج علي بطائفته ؛ فاذا هو ذلك الرجل بعينه
 الذي اول من الحق به في القرية ؛ واحمد الله علي ذلك ؛ القول انك صاحبت
 امره في المرحومة في هذا الحال ورايت كيف كان حاله في طور التجريد
 وتوكلت اني اذا ساج وحده فقد رايت ان كانه احد رجال كتاب (روح الرياحين)
 لواعيد ذلك كورين في (الرسالة القشيرية)

في جباله

كان الشيخ سيدي سعيد المعدي اتصل بشال زاوية جباله الدرقاويين
 ابيه شيخ شيخه ؛ وقد كان الشيخ مولاي الطيب بن العربي زاد سوس عام
 ١٢٧٧ هـ وهل يشهد سيدي احمد بن موسى فكان بالمعدي عند سيدي سميد
 ولذلك لم ينس الشيخ المعدي يدال جباله فاحب ان يرسل ولداً من تلاميذه
 ليوصلوا هدية منه الي مولاي عبد الرحمان الذي صار خليفة لوالده ؛ فارسل
 سنة الفراء اواسط عام ١٢٩٩ هـ وجعل صاحب الترجمة مقدمهم .

اظهر لي الرجل الصالح سيدي الحسن التامكونسي انهم مروا به في
 ايام تالين ذهاباً واياباً كما حدثني سيدي بلعيد التيزكي ان هؤلاء مروا اذالك
 وكاله فباتوا في مدرسة سيدي منصور كما مروا بهم ايضاً في الاياب ؛ ثم
 صاروا علي طريق الجديدة فالبيضاء فالرباط فزمور فطلعوا الي زاوية جباله وهم
 يسرون بارشاد الفراء ؛ فما يقومون من حلة الا وقد عينوا لهم حلة الخصري
 بلز لون فيها ؛ اظهر لي الاستاذ الحركة سيدي الحاج علي من اولاد اولئك الشرفاء

انه كان في ذلك الحين يأخذ بعض المختصر عن نزل بزوايتهم من العليهما الزائرين ؛ قال فكان من حظي ان اخلت ايضا دروسا عن سيدي الحاج علي السوسي ؛ ثم قال رحم الله سيدي الحاج علي فقد نفع الله به البلاد والعباد ؛ أخبرني بذلك في احدى زياراته للحمراء في حدود عام ١٣٤٠ هـ وقد لقيته في زاوية القصور ؛ ثم حدثني ايضا بمثل ذلك سنة ١٣٦٢ هـ وقد تغدينا في دار ولده وجلس معنا مليا .

وفي ذلك الحين حفرت البير التي تضاف الى اهل سوس هناك ؛ فقدراي صاحب الترجمة اهل الزاوية يأتون بالماء من بعيد ؛ وتناهم من ذلك مشقة وصعوبة ؛ فقال ليس الماء قريبا هنا في الارض ؛ فقالوا بلى ولكن لم نجد من يحفر عنه ؛ فانتدب لذلك هو ومن معه ؛ فصاروا يجدون في الحفر ؛ فلما حفروا ماشاء الله طلع صاحب الترجمة فاضطجع ازاء البير وبعد هنيهة انتفض من مكانه ونزل فتناول المعول من يد من معه فمال على حرف البير حفرا فصاروا يقولون له ماتصنع ؛ ان الماء يستنبط من تحت لامن جانب وهو ساكست لايجيبهم - وقد دخل ايضا في الشروط التي من بينها الصمت كما بينها فيما تقدم - وبعد حين تدفق الماء من الجانب تدفقا ؛ وبشق الانفس تناول من في البير ماكان فيه من الاثاث قبل ان يغمر الماء ارضها ؛ وسمعت ان مولاي العربي او مولاي الطيب على اختلاف في الروايات في السنة المحدثين وقف عليه في تلك النمسة ؛ فقال له انكم تتركون الماء في جانب كذا ؛ فراه الناحية فكان ذلك سبب ما فعله وسمعت ايضا ان مولاي العربي او مولاي الطيب على اختلاف الروايات التي نسمعها ؛ وقف عليه في الليلة المقبلة ؛ فقال له انك اجريت لقريتنا الماء الحي الدائم ؛ وسجري في قلبك كذلك ماء حيا دائما ؛ هذه الحكايات كلها سمعتها تتداول بكثرة وكل ذلك ممكن والله اعلم ؛ واما الذي صح عندي من جهة السند فهو ماخبر به سيدي محمد بن سعيد المعدري ابن شيخ صاحب الترجمة قال ؛ بينما والدي ووالدتي في تلك الايام التي كان فيها سيدي الحاج علي في جباله جالسان في مشرفة دارنا يوما وبين يدي والدي شعير تنقيه للطحن وقد جلس اليها الوالد ؛ وهما في كلام متنوع اذا باي تبدلت سحنته وقف شعره واحمرت عيناه واخذته رعدة فريعت منه امي لما تراه منه دائما اذا وقع منه مثل ذلك الحال ؛ وكثرا مايقع منه ؛ فقالت له ماذا ؟ وما الذي اصابك من جديد ؟ فقال لها الآن دفع سيدي علي اكرام - وبذلك يدعى اذ ذاك صاحب الترجمة بين الفقراء - ابواب حضرة الله فولج ؛ وقد جعل الله مقامه على مقام سيدي علي الجمل ؛ هذه الحكاية اروياها باسانيد صحيحة متعددة ؛ وقد كان صاحب الترجمة مولعا بمطالعة كتاب فيه اقوال سيدي علي الجمل ؛ وكان في كوة من زاوية شيخه ؛ وكان شيخه كلما راي الكتاب في يده يقول له «تلاقيتما ثانيا يا عليان» او كما يقول له

هذا ما كنت أصعبه من الفقراء يدور حول صاحب الترجمة وهو في جبالة
 وأما فقراء جبالة أنفسهم فيوردون حكاية أخرى ؛ يقولون أن أهل سوس هؤلاء
 إنما يستغلون كبرهم من لعاس مما استطن فيه الأوغسة عادة إلى جبالة ؛ بل يقولون
 أنفسهم فيصيبون الحاج على حمله فوق رأسه من سوس إلى جبالة ؛ حتى حصى
 من رأسه بذلك ؛ فعاد اصطلح وهذه الحكاية لم اسمعها إلا من جهة اصحاب هؤلاء
 الفقراء ؛ ويمكن أن يشتري هؤلاء الفقراء هذا السطل بفاس أو من مكان آخر
 قريباً ؛ فيذهبون به إلى الزاوية وأما أنهم أتوا به من سوس فبعد وأما يكون
 صاحب الترجمة بحمله فوق رأسه فحصى شعره بذلك فعاد اصطلح ؛ فطرافة من
 الفقراء الذي يبالغ به من بصاحبون أبناء الزوايا ؛ ممن يريدون أن يفعلوا كمن
 فعل في الخدمة سرا ظاهرا وربعا عاجلا ؛ حين يستشهدون بفلان وفلان أنهم
 كانوا الزاوية وفعلوا وفعلوا فكانوا سادة قومهم ؛ وصاحب الترجمة لم يحصى
 من رأسه إذ ذلك ولم يكن اصطلح ؛ الا إذا حدث فيه قليل مما يعتاد في بعض
 الناس لهن فيخوضنه (نعم) انه ثبت عندي أنهم أتوا حقيفة بذلك السطل الكبر
 من سوس إلى جبالة)

رسالة من صاحب الترجمة إلى شيخنا

بسم الله الذي لا اله الا هو
 يا شيخنا الذي لا اله الا هو
 يا شيخنا الذي لا اله الا هو
 يا شيخنا الذي لا اله الا هو

وما يحضر من الفنى مثل نفسه
 فحدث بما قد ذقته زمن الوصول
 انظر من لطف الرقيق بكاسها
 فعلت صريح الكاس والاشين اللؤلؤ

الرسالة

من هل بن احمد الملقب بالدرقاوى ومن معه من الفقراء سيدى الحاج
 محمد بن سيدى ابراهيم وسيدى محمد بن الحسن وسيدى مبارك وسيدى الحسين
 محمد الذين ساءوا إلى دار الشيخ مولاى العربى ومولاى الطيب واولادهم ؛ السى
 بنى وقبولنا واستاذنا وملاذنا وسندنا وعمدتنا وقررة عيننا وانسنا وعسرا
 وحيانا وروشنا وفرحنا ونزهة قلوبنا ومنيتنا وغاية مرامنا من لاحت شواهد
 شروق شمسه ؛ ولبلجت من سماء العرفان بدور انسه ؛ وما زال مرتقيا لسجده
 الاعلى والعالى في يومه من بعد امسه ؛ حتى كانت قدمه على قدم من كان يركع
 في سجده في رصده وكيف لا وقد ادى الثمن وجاد بنفسه وفلسه ؛ واحسن العمل
 في دعائه وهذه ولذلك كان طبيبنا للداء العضال الذي يتبعه الوبال وكل مسن
 يستلنى قلبه بعلمه بشكبه بالترياق بعد ما ظن انه اشرف على الهلاك والاختلال
 فهذا السيد الجليل هو الذى انقذنا من الظلام الذى اسبل علينا الجراح وداوى

بثرياقه فينا السم النافع ؛ ولقنا السع الخرق على الرابع ومدانا في شبكته واقع
وأنا في ذلك الوقت يافع ؛ صارت تزايد على القواطع فسل سيفه القاطع فقطع
به كل ناطق وصامت وسامع ؛ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا اتي عليها بالامسح
فجازاه الله الجزاء الذي هو لانواع الجزاء جامع وانالنا على يده ما خلقنا له من
الاخلاص الساطع ؛ من اشارت اليه الايدي بالبنان بانه حامل راية العرفان على
رؤوس الشهود والعيان سيدنا الشريف مولاي سعيد بن محمد احمد الله
عاقبتنا بكم آمين بسلام مزخرف بروائح المحبة والشوق اللذين هما اعطر من
المسك والريحان ؛ تزفه سبحانه الى حضرتكم المرضية وخلواتكم الربانية
مادام وجود واجب الوجود ؛ الذي هو المعبود (وبعد) فليعلم سيدنا انا وصلنا
الى دار اولاد الشيخ بسلامة وعافية في الطريق والحمد لله ؛ ودخلنا يوم الثلاثاء
الرابع والعشرين من غشت فوجدناهم بسلامة وعافية والحمد لله ؛ واول من
لقينا منهم بعد الدخول ؛ الذي تقول لنا هو وارث مولاي الطيب وهو ذو الحاجة
منهم الشريف الاصيل الجليل النبيل ؛ الذي التقى السخى النقى الوفى الخفى
الذكى الودعى اللبيب الحبيب الاريب الاديب النجيب ؛ سيدى ومولاي عبد
الرحمان ابن مولاي الطيب؛ فرحب بنا اى ترحيب وسالتنا عن احوالكم واستقصى
الاخبار استقصاء الطيب فأخبرناه بسلامتكم وبشوقكم بالبراءة وبما فى رؤوسنا
حتى شفى الغليل وبرى العليل ؛ وكل واحد منهم لقينا بما تصدر قلب البلد
سواء الصبيان والعيالات من الاحرار والعبيد ؛ وحتى فرحت بنا الاشجار
والاحجار وتلاطمت علينا لجة الانوار والاسرار وقد شاهدنا ذلك عيانا على فقد
الاعيان ؛ وزرنا مولاي الطيب فى بيته فوالله ياسيدى لقد كان على ما وصفته
به فى حياته لما دخلنا بيته كاد لحمى وعظمى يتمزقان ؛ حتى اشرفت على الغيبة
وكيف لا وحال مماته كحال حياته (ولانحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون) والحاصل انزلونا منزلة الملوك ؛ وكانوا لنا خداما
وان لم تكن اهلا للخدمة تمسكا بالحديث (سيد القوم خادمهم) واعطيناهم
الزيارة التى اتينا بها ؛ وهى ثلاثون ربحا ؛ عشرون بوجهها وعشرة فى رياتين
والله لقد راينا ذلك اقل القليل ولكنهم اهل القبول ؛ جزاهم الله خيرا عنا ووقاهم
ضيرا وقد سمعوا بالجلال الذى وقع فى بلدنا (١) حتى كان ذلك اكثر بنسبة
بلدنا ؛ ولكن الهدية على قدر الهدى ؛ كما قالته النملة لسيدنا سليمان على
نينا افضل الصلاة والسلام ؛ وعلمنا منهم ان قلوبهم لم تتعلق بالدنيا ولا بمن
اتى بها ؛ بل كان احب منه عندهم الذى اتى بوجه الاخلاص لانا راينا كذا وكذا
من الفقراء جاءوا على وجه الله ما اتوا بشىء بل ربما اتى بعضهم باولاده ليعيشوا
عندهم ؛ فرفدوه هو واولاده ؛ وجعلوه فى عين التعظيم ؛ والحاصل ان احوالهم

(١) مسغبة ١٢٩٩ هـ

أحوال الكمال فمن إلى شيء فلسفة وأماهم فمستغنون في القلوب عن ذلك
والجهد لله في الخبر في مكانه كما قلت لنا ؛ في الوقت الذي مات (١) مولانا
الطبيب ؛ رأيت الأولياء اجتمعوا واقاموا مولانا عبد الرحمان مقلده ؛ وقد صح
ذلك المقال بفظه ومناجاة وسلم منا ياسيدي على جميع اخواننا واخواننا فان
سوقنا لم قطع اكنافنا ؛ فهانحن ان شاء الله متى خرجنا من الزيارة نتوجه الى
البيت ونصبح هل الاخوان ؛ كما قلت لنا ؛ حتى نصل في الزمان الذي اراد الله
ولنا في ماضي ؛ وادع لنا ياسيدي وجل فينا ؛ فوالله لقد رأينا قلوبكم كالتي
علينا ابدورا بسونا في السفر كما رايتونا في العضر ؛ جزاك الله بكل احسن
ظاهر او باطن حسي او معنوي ؛ نرى فتياكم فيه متى وقفنا عليه وعلينا في
الزيارة لله ؛ هكذا يكون الاشياخ يرعون المريدين في السفر كالعضر والحمد
لله الذي جعل علينا الوصول الى هذه الدار الذي احببته لنا وامرنا به وارسلنا
اليها جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع احسنه والسلام .

هذه هي الرسالة والقارى لا يتم قراءتها حتى يخرج منها بامور كثيرة من
الامور الجديدة ؛ فكما يفهم منها ما شاهده كاتبها هناك ؛ ويرى منها نظر هؤلاء
العلماء ؛ الى مولانا عبد الرحمان الذي نعلم عنه في آخر حياته (٢) ما نعلم ؛ يفهم
منها الامور العظمى الذي يحمله هذا العالم صاحب الترجمة لذلك الامى الذي
انوارنا في القلوب كثرين من علماء اهل زمانه ؛ فنعرف لذلك كيف
كانت الامور فيهم ايضا منها نظريات اخرى لا تخفى عن يالك ان يستنتج
منها ؛ اننا الجواهر من الظواهر ؛ مما لا فراغ معنا الا نحتي نتعرض له فانه
يكون فيهم هذه الفكرة الروحية التي حاجت على المترجم فانسته كل شيء
كان في قلبه من المدارس ؛ حتى كان لسان حاله ينشد امام هؤلاء السلفاء
الذين قادهم فيما هم فيه

فمن اين يدري الناس اني توجهنا
الى البهار الزاخرات وراءنا

في فاس

في الالفة احاديث كثيرة مختلفة ؛ ودعت لصاحب الترجمة مع رفقاته
في فاس ففهم من جمهم من قبالة ؛ ويورد بعض ذلك على صورة الكرامات ولكن
لم تكن في ذلك الآن حتى على فن ؛ الا ما كان من خلوة اختلفوها هناك في محفل
معهود في خلته مدرسة الوادي - ان امكن ان يجد فيها غريب ماوى - فخرج احد
الافراء فارصاه صاحب الترجمة ان يتطلب في السوق بالجهر وهو والى هذا
شخصا من الغيب وان لا يقبل دون ذلك العدد ؛ فصادف بعض التجار الكرام فقال
له لك مثل ذلك كل يوم ؛ عادت انت ورفقاؤك في فاس ؛ والا ما اخبرني به

(١) توفي مولانا الطبيب ١٢٨٨ هـ

(٢) ايام ثورة الربيع

بعضهم واطنه صحيحها ؛ ان بعض الفاسيين دخل الى خلواتهم تلك فسمعهم فسي مذاكرة من مذاكرات ارباب القلوب - كما تسمى في اصطلاح الصوفية هؤلاء - فاعجب بها يقولون وكلهم يتكلمون باللغة العربية ان كان بعضهم يعرفها وهو غير بعيد ؛ والا فبماذا يتخاطبون مع من في الطرق من الشياظمة الى ان يرجعوا اليها ؛ فاقترح عليهم ان يكونوا اضيافه فاضافهم مرات في داره وهذا الفاسي احد الرؤساء في الطريقة الحراقية بفاس من اصحاب سيدي الخضر السجعي . ثم وقفت في نونية التعريف بالشيخ لابن مسعود على مايل

وراهم شيخ بزواية وقد	وجدوه في ركن من الاركان
فراى من أهبة جدهم مارقه	فاتوه للتسليم واللقيان
سالوه كيف الحال سيدنا فقا	ل انا اعتزلت هنا لصمت لسان
للدكر ثم رايتكم فذكرت من	احوالكم صحب الرضا الصمداني
اعنى الامام الدرقي العربي ك	سنت رايتهم بمحجة الرضوان
ناهيك من حال يذكر حال ص	حسب العارف المذكور قطب الان

وقفت على ذلك فعلمت انه يشير الى هذه القضية التي وقعت لهم بفاس واخبرني الشيخ سيدي محمد العطار الحراق حين نزولي بفاس مفتتح عام ١٣٤٣ هـ بما علمت به ان لصاحب الترجمة ورفقته اتصلا بالحراقيين هناك وذكر ان تحت يده رسالة كتبها اليهم الشيخ من الطريق بعدما ارتحل مع اصحابه عنهم الى سوس ؛ كان وعدني بها ولكن الصبا وغرارة الشيبية منعاني مسن ان اتردد اليه حتى افوز بنسخة منها ؛ وهذا الذي اضافهم من هؤلاء العراقيين بلاريب

ثم وقفت بعد كتابة هذا على رسالة للشيخ كتبها الى اصحابه اللذين بزواية مراکش يلم فيها ببعض ذلك وقد صرح فيها بان ذلك الحراقي خليفة سيدي الخضر ؛ ونصها

اخواننا في الله المتجردين السيد الحاج محمد البوالطبي ومن معه من حضرة مراکش سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته وبعد فلا بأس والله الحمد عندنا وعند الفقراء جميعا في كل جهة في سوس والمتجردون سائعون الى جهة فم تاملت عند سيدي احمد بن يوسف ؛ ثم الى الوكوم وزكيط ؛ ويرجعون ان شاء الله في يناير ؛ وسيدي سعيد التتاني معهم في السياحة ونحن في البلد بخير وعلى خير والحمد لله ونرجو من الله ان تكونوا كذلك ؛ وهانا ارسلت هؤلاء السادة ياتوننا باخباركم ويأتونكم باخبارنا لاغير ؛ واما الأمور فكل شيء في رؤوسكم ولانحتاج ان نذكره لكم ان كنتم بعقولكم ؛ لان العاقل يفعل فسي الاخير مالاتوصيه عليه ؛ وغير العاقل لايفعل شيئا سواء وصيته ام لا ؛ وتعمير الزاوية بالذكر في كل ليلة مطلوب منكم ؛ وانتم اولي بذلك ؛ فقد وصيبت سادتنا اهل مراکش في براءتهم على ذلك ؛ فانتم اولي بذلك ؛ وكذلك ان تعرضوا

النفس هل ذكر الله والورد وللغزوة لعباد الله ؛ فالتم اول ان تفتسوا من الناس
 وتجاهبواهم الى الورد بكل ما يمكن لذلك هو المقصود بالزاوية لابنائها فقط ؛
 وسيدى الحسين الركاكبي يلزم الرحامة لا يفارقهم وقوموا بالطريقة كما كانت
 فيهم اصحابها وبنائها وما يضرها وما ينفعها وما يصلحها وما يهدمها واياكم
 في الحال في الطريقة ؛ فانكم احتجت للمقال والحال ولا تتركوا واحدا من
 قولوا ترابا للفقراء واكثروا من ذكر الله والصمت والعزلة والجوع واتركوا
 الهزل مع الفقراء فانكم ان صلحتم يصلحون في الحين والزمو الصلح في
 القول والفعل ؛ واياكم والكذب وازهدوا فيما في ايديهم فلا يرون فيكم الطمع
 في الدنيا بفسد العيبة ؛ فكل ما كان عندكم من الفلوس فلا بد ان يروا الشيء الذي
 يفسدها فيه لتلا يظنوا انكم تجمعون الدنيا ؛ فان النفس لا بد ان تطيب
 النفس ان لم تساعد (قال بل ولكن ليطمئن قلبي) فالفقر اذا ذكر الله تعالى
 في كل هذا بقلبه ؛ ولا يحتاج الى تبييه ؛ واياكم والشهوات فالمدبنة موضعها
 في الناس ولا في الفراش ولا في الماكول؛ فالطريقة ابتداءها الجلال والتهافت
 الجمال ويطهروا كل منسب لله تعالى وجميع عباد الله ؛ واياكم وسوء الخلق
 والادب والادب مع الحق ومع الخلق وقد قال مولانا سيدى مولانا
 الفقيه الشريف رضي الله عنه : زينوا وجوهنا يا فقراء بترك الطمع ولا تقروها
 وهذا هو المقدم العادل لا يتقدم الفقراء الا ان اتصف باوصاف الكمال ؛ من
 كثر في الجوع او كثرة الصمت وكثرة الجوع فحينئذ يتقدم امامهم ويكون امامهم
 بهمة العافية من الاكوان ؛ فيمد الناس من نور همته في مقاله وحاله ؛ فكل من
 اراد ان يجلس في بيت يورثه الى حضرة ربه ؛ رغما عن انفه احب ام كره ؛ فقد كنا
 في بيت سيدنا سيدى سعيد بن محمد العدري السملال حين ارسلنا الى زيارة
 مولانا العربي في جباله كل من رانا او سمع بنا وارى ان جلس معنا لا يلدن ان
 يفارقنا ؛ وكانوا يشغالون الينا من بعيد لافى الذكر ولا في المذاكرة وقلوبنا
 في الملكوت كما قال سيدى على الجمل ؛ على في الحانوت وعلى في الملكوت
 وقد قال لنا خليفة سيدى الخضر في فاس ؛ وقد قبضنا ثلاثة عشر يوما اذ قلنا
 له لعمري « والله ما اتى بكم ربي الا لاغير وكنا نغيب في كل ليلة ونهار في
 الذكر والمذاكرة ووقعت لنا في فاس كرامات كثيرة وخرق العادة لا ينشأ الا من
 خرق العادة ؛ كما قال في الحكم «كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من
 نفسك العوائد» والفقر المتجرد تمكن من كل خير ان اراده الله للخيرات ؛ ومن
 وجد من يعمر معه وقته لله ؛ فصار ينظر الى غير الله فذلك والله هو الاحصق
 فالزاوية للفقير الصادق بمنزلة الكعبة الشريفة للمصل ؛ فهو قريب من ربه غاية
 القرب ولذلك يعمل اهل الله الزوايا للذكر لاستحضار القلب مع الله تعالى فاذا
 كان واحد عند الكعبة الشريفة ؛ واجب عليه تعظيمها غاية بالامة ما بنيت له في
 كل وقت وحين ؛ واصل تسميتها بالزاوية ؛ اما هو كونها موضعا لله تعالى
 لان الزاوية في الاصل ركن بيت فقط ؛ وحالة الذكر ان يجلس في ركن بيت

يذكر الله فيه ؛ فهذا هو الغالب على الذاكر ؛ فلما صنع الموضع كله للذاكر من
بالزاوية ؛ وحينئذ فكل من اقام بالزاوية من الفقراء ولم يشتغل بذكر الله تعالى
فيها فهو ظالم (ومن اظلم ممن منح مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في
خرابها) وهانحن وصيناكم هذه الوصية التي صلحت لكل فقير يكون في الزاوية
اية كانت ؛ فاتخلوا هذه الوصية ولا تهملوها ؛ فإله يقويكم وإيانا جميعا
على الخيرات ويقينا وإياكم من جميع المضرات آمين في تاريخ ليلة الجمعة ٢٨
١٠-١٣٢٧ هـ

في محاوراة الشيخ كنون

اشتهرت عند الناس قاطبة تلك الحملات التي كان شيخ الاسلام علامة
فاس في النصف الاخير من القرن الماضي الحاج محمد كنون ؛ ويعلم كل من له
ادنى اتصال بالاستاذ الصوفي سيدي احمد بن الخياط ما كان لاقاه من استلذه
هذا ؛ وما كان يسمعه من التنديد على ما كان يلابسه من احوال الصوفية وجرأة
كنون في ذلك الميدان كان لا يدانيه كل من له اتصال بالصوفية ؛ خصوصا من
اتصل بالدرقاوية ؛ التي فيها مظاهر تستثير من الاستاذ موجات جارفة هائلة
لاتبقى ولا تدر ؛ حتى انه يبادر صاحبها بضربه بلجام بغلته وسط الطريق

استوى الشيخ كنون يوما على كرسيه في القرويين ؛ وقد استدار به
مئات فمئات من الطلبة ؛ فصار يخب في درسه ويضع ويفسر ويشرح ويقبل
ويرد بفصاحته الشهيرة ؛ وذلافته التي تفوق بها على اقرانه ويستميل عينه
فينة بعد فينة رجل في عرض المجلس عليه مرقعة بيضاء لاتتمى رقعة منها الى
رقعة بسبب وفي عنقه سبحة غليظة الحبات حمراء كانها كريات المرجان
الكبيرة وهو يزدلف الى صدر المجلس ازدلاف من يفهم ما يقرر ؛ ويمد بصره
الى منبر الاستاذ مد من يعرف هاتيك المسائل التي يقبل فيها الاستاذ ويدبر
ويخلق بها في سماوات مجلسه بين سوارى القرويين ؛ فكان الاستاذ وقد لاحظ
سمة ذلك الرجل ؛ وقد ظهر له منه انه عارف بما يقال عراه عجب ان يرى من
كان في ذلك الزى يفهم مافيه الدراسة ؛ فلما انقضى الدرس وسلم الطلبة على
الاستاذ كما هي العادة ؛ اقبل اليه في اخريات الناس صاحب المرقعة فسلم
عليه بدوره ؛ فقال له اراك بين الطلبة تتبع ما تقرره ؛ فهل تعرف مانحن فيه ؟
فقال له نعم والحمد لله ؛ فكان الاستاذ القى عليه من مسائل الدرس فاعجب
بعوابه ورباطة جاشه ؛ وقوة جنانه فقال له حين انت بهذه المثابة فلماذا اويت
الى هذه الحالة المزرية التي لا يتزيا بها الا اهل الرياء والسمة الذين يريدون
ان يتظاهروا بانهم على قدم الجنيد ؛ مع ان بينهم وبين مافيه الجنيد وامثاله
من الرعيل الاول ؛ ما بين السماء والارض فقال له صاحب المرقعة اما هذا الزى
فهو زى المساكين الذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ؛ واما حكمك

بانه لا يتزيا به اليوم الا اهل الربا والسمة فحكم غير مقبول الا من لسه
الاطلاع التام على كل سر الر اصحاب هذا الزى ؛ ومن الذى يزعم لنفسه ان
هذا الاطلاع التام ؟ واما قول سيدنا انهم يتظاهرون بانهم على قدم الجليد
واتباعه ؛ فقد اتى على القوم من حيث يحسب انه يقدم فيهم ؛ لانه لم يشهد لهم
بالتسبه بالجنيد وامثاله فقد كفاهم بذلك اهتداء ورباحا ؛ لان التسبه بالكرم
رباح ؛ ومن تشبه بقوم فهو منهم ؛ واما قوله ان بينهم وبين ما فيه الجليل بعد
ما بين السماء والارض ؛ فان ذلك لا يضرهم لان عليهم ان يسيرا في الطريق
وان ينتحوا ذلك الدرب ؛ وكل من سار على الدرب وصل ؛ وان يبدلوا جهودهم
واما ان ينالوا كل ما يطلبون فذلك من الاقدار على ان هذا الكلام الذى صدر من
سيادتكم يدل على انكم ممن يقولون بان فضل الله قد انقطع ؛ فلو ان صاحب
وجفت الاقلام ؛ مع ان هذه الدعوى من اخذ بها وتمسك بحبالها فلا شك ان رايه
فائل لامحالة ؛ وهو من المدحضين عند المناظرة ؛ وانت ايها الاستاذ ان حكمت
بان فضل الله قد انقطع وان امثال الجنيد والتستري ومالك بن دينار وابي
على الدقاق وعبد الرحمان السلسي والقشيري ومولاي عبد السلام بن شيبان
والشاذلي قد انقطعوا ؛ وان ما كانوا معروفين به فى ذلك العصر قد انقطع فى
هذا العصر ؛ فماذا يكون جوابكم ايها العلماء الجهابذة اذا وجه اليكم آخر مثل
هذه الدعوى ؛ وقال لكم هذه العلوم الفقهية والدينية التى تخوضون فيها ان
بينكم وبين المكاة التى كان فيها ابن القاسم واشهب وعبد الرحمان بن الحكم
وعبد الله بن وهب وابن حبيب بعد ما بين السماء والارض ؛ وقد كان بين ما
تقررونه فى دروسكم ؛ ان الاجتهاد قد انقطع اليوم ؛ وانكم انما تمثلون اولئك
المجتهدين كما يمثل الماء النجوم ؛ فاذا كان التسبه كله ربا وسمة فقد وقع
العلماء فيما ينسبون اليه صوفية اليوم ؛ فما كان جواب علماء اليوم كس
جواب صوفية اليوم

هكذا افاض الرجل صاحب الترجمة فى هذه المحاوره كما حكى ذلك
احد رفقاءه المتشبهين وقد كان المترجم ممن اوتى الجواب المسكت وحسز الملصل
والقول الفصل فى امثال هذه المقامات ؛ وممن رزق الحكمة وفصل الخطاب
فى المحاورات ؛ حتى ان اصحابه ليعدون ذلك من كراماته ؛ فلا يقال له كلام الا
أتى فيه بجواب مقنع مسكت ؛ وهذه المحاوره صحيحة الا ان اختلاف رواياتها
تجعل السامع المتشبه واقفا ازاها وقوف الحيرة ولكننا فعلنا بتلك الروايات
التي بعضها يزيد على بعض او ينقص ؛ ما فعله الزهرى بحديث الافك الذي
مزج فيه بين الروايات ؛ وادخل بعضها فى بعض وهى لعمر السحق محاوره
عجيبة يكفى من شرف الشيخ كنون ومن انصافه ؛ انه لما رأى من صاحبها
كلاما طويلا ابى الا ان يخضع مع سير الشيخ كنون ازا كرسية طويلا - وقد
جلسا حين المحاوره فقال له المرء فقيه نفسه ؛ وعند الله علم السرار ؛ فقام

وذلك على عكس الحالة المعروفة المشتهرة عن كثر من حين بعثتم في امثال هذه
المواقف فانه ربما يتناول صاحبه بلسانه اوبيده ؛ ولعل الله راف بذلك
القريب فنجاه من ذلك الجيش الجرار المتعوج في القرويين ؛ فلو ان الشيخ
كتون اشار اليهم لنال الغريب نكال شديد ؛ ولله الحمد على السلامة .
تلك هي زيارة صاحب الترجمة لفاس اذ ذاك ثم لم يرها بعد الى ان لحق
بربه ؛ وقد اكرمت فاس متواها ؛ ومن ذا الذي يصدر عن فاس الا ولسانه يتدفق
على اهلها شكرا ؛ الا من فيه عرق ينزع الى النفاق ؛ فتراه يتمعر ان ذكر
المؤمنون ودار المؤمنين بخير

في سلا

ان لاهل سلا قديما وحديثا آداب ترجمة ولطفا ياسر العواطف واخلاقا تؤهلهم
الى ان يحافظوا على كل غريب ؛ مادام بين ظهرانهم نازلا ؛ ثم يزودونه عند
ارتحاله وبعده حسن الاحدودثة وذكر طيبا خالدا .
مر صاحب الترجمة ورفقته بسلا ؛ فنزلوا في الزاوية هناك مرجعهم
فبعد ارتحالهم صاروا يقولون لمن ورد عليهم - كما اخبرني به مغبرون - عجا من
فقراء سوسيين مروا بنا ولهم مقدم له مذكرات قوية ؛ فحسبه اضال من الديك
واقواله كأمثال الجمالات الضخام ؛ واخبرني آخر من السوسيين انه بات في
زاويتهم ؛ فتذاكر كبار الفقراء في احوال صاحب الترجمة هذه ومما راوه منه
اذ ذاك ؛ فقال لهم فقير من النساء ؛ وهل تعرفونه عيانا ؟ فقال له احدهم لو كانت
تلك الناحية من القبة تتكلم لانبأتك عن احواله واذكاره ومذكراته في تلك
الايام التي قضاها مع رفقته هنا ؛ فقد كان لايفتر عن ذكر الله سرا او جهرا
واذا جاء دور المذاكرة استولى على المشاعر واستثار القلوب حتى لانشعر بانفسنا
ذلك هو اثره في سلا ؛ وذلك الشاء هو الذي يتبعه السلويون الابرار كل
من الم بهم وكل انا بالذي فيه ينضح ؛ ولاينبتك مثل خير .

بين الفقراء في سوس بعد موت شيخنا

استأثر الله بالشيخ سيدي سعيد ؛ وهذه الرفقة هناك في هذه السفرة
فتوجه الحاضرون الى سياحة بمقاط تحت رئاسة سيدي الحاج الحسن
التاموديزتي ؛ فوصلت هذه الرفقة المعذر ؛ ثم توجهوا الى تاموديزت فأرسلوا
الى اخوانهم ليتلاقوا هناك ؛ فصادف ان جاءوا هم أيضا ذلك النهار الى
تاموديزت فالتقوا هناك - كما حكى لي كمن اخبره من حضر - بفرح عظيم وبشر
آخر صوفي لايمت الى بشر الناس العام ونا رأى كمن سمع ؛ ثم اجالوا امورهم
بينهم فظهر لهم ان ينقلوا الشيخ سيدي سعيدا من مدفنه بتانكرت الى المعذر
حيث اهله ؛ فذهبوا اليه ليلا فنبشوه فساروا به حتى وضعوه في مقبره اليوم
وسط ساحة زاويته .

سيدى الحاج الحسن خليفة الشيخ

فأراد سيدى سعيد اصحابه من غير ان يعين لهم خليفة ا وكانوا الجوع
 الفير ا وقد ذكر له ذلك في مرضه ا فما زاد على ان قال لهم ان الشخص اذا
 طمعت لا تخفى هل احد ا ولكن الفقراء المتجردين رأوا ان يعينوا فيعاقبهم من
 يتسبون به ا ويعتصمون عليه ا ويكمل به صفار الفقراء ويتولى رفع راية الإرشاد
 العام كما كان شيطهم يفعل في القرى ا اجالوا القديح في ذلك حين اجتمعوا
 كلهم في مجلس عام فأشار سيدى الحاج الحسن الى صاحب الترجمة ا فقال له
 هذا لأوالله ما لنا لها بهل ا فكما انه لا يحق لابن ابي لعاقبة ان يتقدم بين يدي
 رسول الله وكذلك لا يحق لى ان تقدم بين يديك ا لسناك ولعلمك ا ثم اقبل
 على الفقراء ا فقال لهم ان سيدى الحاج الحسن هو نائب الشيخ ولا يعنون لهذا
 الاسم ا ولا معنى في كثر القال والقليل ا فاتبعه كل الفقراء فاصبح التاموديزلى
 أيضا وصاحب الترجمة من بين من ياتمرون بأوامره فجالوا في سياحات في
 ارجاء صحراء احيائها الى حاحة ا وقد اخبرنى من رآه في تلك السياحات والطلافة
 في طريق ا وهم مابين متذاكرين او متحدثين في العاديات ا وهو مشبه
 من القل يسمى مطرق الراس متفكرا ا وعليه مرقعته وهيضورته ا فلم يخرج
 من هذا الدور ايشاهما كان عليه في زمن شيخه وكذلك ساحوا ايضا سياحات

القرى
 اهلها

القلع خيره عن اهل من ذلك اليوم الذى خرج فيه صباحا الى العذر
 وخرجت جنازة والده العنسية الى المقبرة ا ولم يطرق آذانهم عنه بعد ظهر ذلك
 فمروا الى توجه الى الغرب وذلك ما يطلق على ماورا مراكش في تلك البلاد
 فاصروا له ا ففي يوم كان احد اخوته يعرث عند (تيزرايفولوسن) فابصر
 سوادا عظيلا من القبلة فامعن نظره فاذا بصاحب الترجمة مع فقير او فقيرين
 جالوا من جهة تامالارت وقد فارقوا الفقراء الذين ساحوا الى اقا ا فاطلقوا
 ليرجع العرث واقبل ركضا يشب وثبات المستعجل النشيط المرح الذى يمسك
 السرور كل مشاعره ا فصاح على امه بعد ولوجه باب السدار البشارة البشارة
 اهل على جاء ا فطارت امه ا فأول ما قالت لابنها اجر الى الفتم التنا بكيش
 تعلى الوالدة من ولدها على تقبلا وعناقوضيا وطالما امتعت النظر في وجهه
 ولو كان لا يزال صطيرا لسمته الى حجرها ا ولكن شبعمرو عن الطوق فالتنه
 بالسوة جديدة ا فأراد ان يجبر خاطر الوالدة فاماط مرقعته ا فلبسها فطابت
 نفسها وغادت اليها الروح *

ثم بعد ايام ودهها ا وقد وعدنا على التردد اليها احيانا فصار يختلف
 بين اهل وبين الفقراء عام ١٣٠٠ هـ والذين بعده كل ان كان ما سلكه

لطمته ترداه إلى أهله بالكلمة

قرأت معي أيها القاري، حالة صاحب الترجمة في هذا الدور الذي بقى فيه بين الفقراء بعدموت شيخه ؛ كما رأيت أحواله أيضا قبله وهو تحت يد شيخه ؛ فلاشك أنك تدرك من كل ما رأته أنه ممن يؤثر الخمول ؛ ويقنع بالعزلة ؛ وممن ينفذ على نفسه قول الصوفية : الخمول كله نعمة والظهور كله نقمة ؛ فقد عرض عليه أن يكون نائب الشيخ ؛ وكان غالب الفقراء لا يبتغون به بديلا ؛ ولكنه نفض اليد من ذلك وقع بان يكون تابعا لامتبوعا ؛ ثم صدق قوله بفعله ؛ فدام نحو ثلاث سنوات على ما عاقد عليه أخوانه ؛ هذا مع أنه يحكى عن نفسه أنه منذ توفي شيخه كانت هواتف والهجمات تستنهضه لإرشاد العباد فما كان يلتفت إلى ذلك خوف أن يكون من الشيطان الذي لا يؤمن مكره وقد حكي عن نفسه أنه سمع عام ١٢٩٩ هـ وهو في قرية اينشادن قائلا يقول له : (زد هان اردن ران ادتر ايدن) (أي زد امامك فان القمح سيزداد) كما وقع له مثل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد رآه كما قال عيانا في مسجد قرينته في ثاني الاضحى عام ١٣٠١ هـ ووقع له مثل ذلك كثيرا ؛ ولكنه يتهرب ويأبى الظهور كل الأباء ؛ وقال إن ذلك كان على اذالك كنقل الجبل ؛ فيقع ان يؤدي تلك الوظيفة من ارشاد عباد الله تحت يدي سيدي الحاج الحسن فكان في تلك السنوات يبذل جهده في الارشاد مع بذل جهده أيضا ان ينسب ذلك الى هذا السيد لا له ؛ هذا ما كان نوى وعزم عليه ؛ ولكن اذا اراد الله امرا هيا أسبابه .

في لغتنا الشلحة مثل يضرب (يان واش كاي تيلينغ افولوسن اف ياسن امان) معناه (انما يكون في الدجاج منحوس واحد فيهرق ماءهم) يعنى فيبقون عظامها ؛ والمقصود بذلك ان الجماعة التي تضم في صفوفها من يفسد عليها رأيها ؛ فانها لا يلبث رايه ان يفسد الجميع ؛ هذا بعينه ما وقع لهؤلاء الفقراء الذين طلقوا الدنيا واقبلوا على ربهم بكلياتهم ؛ فان فيهم من ليس مقصوده ذلك كما يكون بين كل جماعة من يشد عنها وعن مبادئها وان تزيا بزيتها

جلس اصحاب سيدي الحاج الحسن مرة للمذاكرة ؛ وفي يد المترجم كتاب يذاكر فيه ؛ فجرت عبارة صوفية اختلفت فيها اذواق الحاضرين فتداولوها ؛ وكان الغالب في ناحية المترجم في اخرى فتجادبوا المسألة بادب ووقار على عادتهم دائما وكان فقير طالب يسمى ابراهيم بن الحسن الايعداني المجاطي حاضرا للمذاكرة ؛ وكان ممن لم يقدر تهذيب التصوف ان يستل من اعماق صدره ما كان الفه بين رجالات قبيلته من مراغمة من يجاذبونه بعنف وبطش ؛ فلم يلبث في ذلك المجلس ان قام مسرعا من مكانه ؛ فمد يده الى خد المترجم فلطمه ونزع من حجره الكتاب ؛ وهو يقول له : في كل مرة يامدعي

تليح في المذاكرة وتأتي أن نطاطي الراس لصاوتك ! وبإني لك اعلاؤك إلا أن
 تصاد بهم العيال كالك لا تعرف مقامك ولا منتهى قدرتك ! فقام المترجم واعلمين
 بالتوبة فقال هل راس اللاطم لقبه ! ورجع ال مكانه مطرفاً ومأفاه الفقيه
 ابراهيم بن الحسن الابدالي من أن صاحبه لا يسلم في المذاكرات الخلد مقلوباً بها
 يراه بينه وبين رئيس الفقراء الشيخ سيدي الحاج الحسن إذا كمالاً بتذاكرات
 وهما من الأقران وسيدي الحاج الحسن لا ينظر ال ذلك نظر الابدالي فكأن
 هذا وأمثاله يريدون أن لا يروا احداً يتكلم امام خليفة شيخهم اصلاً ! كاني
 ذلك مما يدخل على الله لم يدخل بعد في نطاق الاجماع الذي وقع على الخالسيدي
 الحاج الحسن خليفة للشيخ سيدي سعيد العدي ! وحول المقبول استقال
 الابدالي موجودون في كل طائفة

الر هذه اللطمة تم للمترجم ماتم لما استراه امامك فقد طارت اللطمة
 بالله باناميت الذي يفرقع بين اركان بناء متماسك ! فيهتز بفتة فيسقط ما
 يستحق وينشق ما ينشق ! ويبقى ما يبقى فقد امتعض الفقراء مما جرى حسن
 الابدالي الا قلبين ممن هم على رايه فتشقى الشقاق بين القلوب سرا ! من غير
 ان يكون لذلك نالر جهرا ! ورحم الله ابا العباس القباچ اديب الرباط اذا قال

فوج الرجال من الرجال ل اذا تنافرت القلوب

هذا في مطلق الجماعات التي تملكها قوانينها ومبادئها ! فكيف
 بقوم الفقراء الصوفية التي لا يضمها غير العاطفة والشعور

لا يسر من كز لا يلدتها

اشهر العم ابراهيم قال بينما نحن في ٢٦ من رمضان ١٣٠٢ هـ اذا بسيد
 الحاج الحسن التاموديزي وطائفة من الفقراء معه كبيرة ! منها اخونا علي لزوا
 ابراهيم سليمان ! فبينناهم بدارنا فنزل اليهم الاستاذ سيدي محمد بن
 عبد الله الالفي ! وفي اليوم الثاني الترح عليهم ان يبيتوا عنده ثم سافروا في
 ٢٨ من احيلا على فانه تخلف ! وفي وقت صار يتحدث ال الوالدة ويخبرها بأنه
 عازم على الزواج في المدير وعلى الاقامة هناك ! وقد خطب ال رجل فخطبه !
 والما يريد أن يكون معه احد اخوته الاعزاب ليستعين به على ما لا بد منه من
 الأشغال فتارت الوالدة في وجهه ! وقالت له والله ما انت بمفادرتنا ! ولا بتورك
 لغربة اهلك وموطن اباتك على كل حال ! ثم اتصلت بزواج ابنتها الاستاذ
 سيدي محمد بن عبد الله فاستعانت به في معاملة استئصال تلك الجلود من
 كسرو اهلها على بكل ما امكن ! وقالت الكون امه اري منه فرة عيني وقلادة كيدي
 وابني فل مستغفله من الاماني ما الله اعلم به ! حتى اذا اجنت منه الثمار يطلب
 نفي فليتها الى ميمك لا اراه ولا يراني ! لا والله لا يكون الامر على ذلك ! فقال

الاستاذ الى اخينا علي فالح عليه ان لا يفارق الخ ؛ وقال له فيما قال ؛ فاذا ذهبت
 انت عنى فمع من اسكن هنا ؟ ابقى هنا في غربة وحدي ؟ وانت تعلم ان من اياه
 نصيب من العلم يكون غريبا ما لم يكن معه من يعرف قدره ؛ وهل يقدر قدر العلماء
 الا آخرون ؟ فاعتذر اليه اخونا علي بانه خاوى الوفاض ليس عنده ما يعتمد عليه
 في هذه البلدة الشديدة الوطأة في الحياة ؛ قال وامامى المدر فهناك من ساتزوج
 من عنده ؛ فاجعله بادي بدء معتمدى ثم هي بلدة سهلة الاشغال قريبة المنافع
 لا يحتاج فيها الى ما يحتاج اليه هنا ؛ فقال له الاستاذ انا كفيلى لك بكل ما تتوقف
 عليه ؛ الى ان تستقل بامرك فان كان هذا هو عدرك ؛ فهو عذر زائل منذ الآن
 هكذا اخذ الاستاذ بحجزته من جهة ؛ وتأخذ بها امه من جهة اخرى ؛ ليقتضى
 الله امرا كان مفعولا .

قال ؛ فلم يكن لاخينا علي من ان يسلس لما طلب منه وقد راي الامور
 تيسر ؛ ومن علامات الاذن التيسر كما يقول الصوفية
 في بعض الرسائل للمترجم انه **رسى النبي صلى الله عليه وسلم** فآزره ان
 يقوم الى ارشاد الناس ولا يد ؛ قال كان ذلك من اصعب الامور على الى تلك الساعة
 فزال تلك الصعوبة عن قلبى ؛ فتشوفت الى ذلك كل جوارحى وكان ذلك في
 وقت السحر ؛ ثم عند طلوع النهار اتصل بانسان يسمى سعيدا من ايت سليمان
 من سكان قريته فلقنه الورد وهو يقول له تفتح امرنا بك واسمك سعيد فلعل
 الله ان ييسر جميع الامور فتسعد كما يحكيه الفقير سعيد نفسه وقد تاخرت
 وفاته بعد شيخه اذ توفي نحو عام ١٣٣٠هـ وكان هذا الان في اخر العام ١٣٠١هـ
 ثم انه رجع الى اخوانه عند التاموديزتى الى ان جاء في رمضان ١٣٠٢هـ كما ترى
 قال العم ثم ان اخانا عليا قال ان كان الامر هكذا وكانت السكنى
 لا تكون الا فى الخ ؛ فلنبدا منذ الآن فى تأسيس الزاوية ؛ ففى اول شوال
 اثر العيد ١٣٠٢هـ صار خدمة ينقلون احجارا الى مكان الزاوية وقد اختار ذلك المحل
 لبعده عن القرية ؛ وقد قال ان الفقراء لا يلقى بهم الا مكان مبتعد عن الناس
 وكان مكان الزاوية لامرأة تسمى تابوريشت فاشتراه من عندها الاستاذ سيدى
 محمد بن عبد الله ثم ابتدا البناء فى اواسط شوال ؛ فكانت الزاوية الداخلية
 القديمة اول ما بنى اذالك بناء سادجا على الكيفية التى تمشى عليها المترجم فى
 جميع ابنته كلها ؛ لايهمم الا بالحجاج اليه فقط ؛ من غير تزويق ولا تقويم
 ولا تصحيح واذا ذلك قال الاستاذ ابو الحسن الالفى :

بيت اتيج الخير من وجهاته	فاتيج ما ينكا الحسود القالى
مشوى السعادة والسيادة والتقوى	ومزار كل مهذب مفضل
سلم اله العرش اركاننا له	ببيت على تقوى وعن افضال
وادم به ذكر الحبيب وكل ما	يحدو القلوب الى المرام العالى
واجبر به كسرا بلا من ديننا	وانضح به رينا بشوب الحال

والمتفرجهم في اول رسالة له امام بها وقع له في هذا الطور ! مما اشرنا
اليه فالاولى ان نسوق كلامه فيه حول ذلك ! نصه

الجهود لله الذي يتكرم على عباده ويتفضل ويؤتي من يشاء من عباده
بفضله ولا يسأل عما يفعل ! الذي معرفته هو القرب لعباده من حبل وريدتهم
فذلك احد من طلبه معرفته بعبده اول لحظة ! كما قال سيدنا موسى حين
قال له ابن اجدك يارب ؟ فقال له من اول قدم رفعته لاني موجود معك والى
المنزلة التي وهذا المقام لا يفهمه الا من وصله ! وقد كنا قبل وصولنا اليه نجهد
ونظن اننا في غير الحضرة ! فلما فتح علينا وجدنا انفسنا غرقى في الحضرة
الالهية ! وانما السحاب على بصائرنا فلما انجل وجدناه كالمقال جاء الحق وذهبت
الظلمات فصيرنا والحمد لله في الحضرة الربانية والتبوية جامعا لهما في الهيئة
فهي فيهما القوة الكبيرة ! الى ان تجلى لنا رسول الله صل الله عليه وسلم بظلمة
القدر في شهر الصوم الثاني لعيد الاضحى عام ١٣٠١ هـ وانا على الوضوء انظر طلوع
الشمس مسرعا في ذكر الله فقال لي اعطيناك الاذن العام والخاص ! فمن ذلك
اليوم ذهبت همتي لاصلاح العباد ! وارشادهم الى العزيز الحميد فلفتت الورد
في ذلك اليوم لهم بعد ما كان ذلك شاقا على نفسي ! ولا اقدر ان اظفر
الى ذلك شيئا من ان اريه ! وقد كان شيخنا سيدي سعيد المعدي ارسلني الى
الشيخ السويدي مع فقير ! فقال لي اعطيناك الاذن في الطريقة عام ١٢٩٩ هـ فقلت
لي لا اريد الا الحق واما الخلق فلا طاقة لي بهم فقال لي هذا
الامر وسنة الوقت ! فلم ارد له جوابا ! ولكن وجدت ذلك الامر كالجبل على
الذي ! فنهضنا من المدر فرحنا الى (ايشادن) وذلك الامر هو لنا ! فسمعت
هاتفا يقول لي بالمعجبية (زدهان اردن ران ادتر ايدن) (١) وذلك خطاب الله تعالى
لاني فاستطرت في حضرته ولكن قلبي لم يلتفت الى ذلك الى ان وقع الاذن الثالث
الشعوري ! فاحتمت همتي لذلك من غير ارادة مني لان الاذن اذا وقع من اللالة
من الشيخ ومن الله ومن رسوله صل الله عليه وسلم لا بد ان يتكون المأذون فيه
وذا على اهل الخبر فربحوا منا وربحنا منهم ! وانقطعوا عن الدنيا وتعلقوا بالله
وذلك هو الربح الكامل ! وهذا المقام هو الذي كان عند السادة الاولين يرتبون
الخلق الى الحق ! الى ان يعرفوه حق معرفته ! كالامام الغزالي والساذلي ومولاي
سيد القادر الجيلاني انتهى المقصود من الرسالة

هذا ما ذكره المترجم عن نفسه اخترنا ان نسوق فيه كلامه بعينه لان المرء
فيه نفسه ! ولا يصبر عن حالة الرجل مثل بنائه ان عمله

(١) اي زده امامك فان الجميع سبزهات

تصدير الشيخة وتربية المريدين

قرأت الاسباب التي دفعت المترجم الى تسمي تلك الدررة ؛ وليس لنا بعد ذلك ما نقول ؛ الا ان الفقهاء يقولون ان من رأى من نفسه اهلية للقضاء او الامامة او العدالة او لمرتبة من مراتب الدين ؛ كالوعظ والارشاد ثم لم ير من تتوفر فيه اهلية لذلك من معاصريه او مساكنيه ؛ فانه يجب عليه وجوبا عينيا ان يقوم لذلك وان يقبل وظيفته ولا بد ان عرضت عليه وان يطلبها ان لم تعرض عليه بل زاد بعضهم انه يجب عليه ان ينال ذلك ولو بدارهم ؛ هذا ما نعرفه عند الفقهاء ثم القينا نظارنا واجلناها فيما بعد هذا الحين من حياة المترجم وشاهدنا تلك الجهود العظيمة التي يبذلها في تعليم التوحيد ؛ ومكارم الاخلاق للناس حين يتبع القرى يستقرها واحدة فواحدة ؛ فيجمع الكبير والصغير والذكر والانثى فيعلم الكل الدين ومبادئه وشروطه ؛ وكيف فضائل الاسلام وتعاليمه القيمة من غير ان يتوصل من وراء ذلك بدرهم يوعيه او يتطلب رئاسة يترقى اليها بذلك ؛ ومن غير ان يقتصر على المنتسبين اليه من مريديه بل كان يجمع اليه جميع المسلمين ويجعلهم سواسية في التعليم الديني العام ؛ ثم انه امضى في ذلك كل عمره الممتد من عام ١٣٠٢ الى ١٣٢٨ هـ وهو لا يعرف ملا ولا سائمة ولا لشجرا من معاناة ذلك التعليم ومما لا بد ان يقاسيه من يشتغل بتعليم طبقات متشاكسة الطباع ؛ متنافرة الاخلاق ؛ ثم هو وراء ذلك كله قد ايد بالتوفيق وعين الاعشى قبل البصير من عمله ذلك نفعا عاما ؛ اجمع الناس على انه لم يقم به من معاصريه احد كقيامه به اذا عرفنا كل ذلك ونحن لا بد عارفوه مما سيأتي من باقى ما نتبعه من حياته ؛ فاننا سنجد من قاعدة الفقهاء نفسها ما يبرر تصدره لذلك الحال ؛ ونراه وجوبا عينيا قام به ؛ على حين ان كثيرا من رجالات عصره وفقهائهم ناسون لذلك او متناسون وبحسبنا ان نجد له مبررا مما عند الفقهاء ثم نذر الصوفية وما يذهبون اليه ؛ فالفقهاء لا يمكن ان يحملوا على اقرانهم هؤلاء ما وجدوا فيما بين ايديهم مبررا يستخرجون منه برهانا وحنة لان الجميع على وفاق ؛ وبراهينهم ومقدماتها متحدة النتائج ومثل هذا القيام للتعليم العام للامة جعله الغزالي فرض عين على كل ذي علم ؛ وذاك نفسه هو غالب ما يشتغل به المترجم

رايت ان اول يوم اتصف فيه بالمشيخة هو الحادى عشر من ذى الحجة عام ١٣٠١ هـ وان الفقير سعيدا كما ناول من تلقن منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ؛ فكان اسم هذا المريد البكر عند شيخه دليلا ناصعا على ان السعادة ستلحفه باجنحتها الموفورة الخوافى والقوادم ثم تتابع آخرون في السنة نفسها فكان كل من لقنه الورد يثبت على مبدئه ؛ وفي الدين دخلوا اذ ذاك في باب الصوفى الكبير سيدى الحسين بن مبارك المجاطى من

(بالإضافة إلى) كان ما بدأ كهم الجاهلات لا ينم ولا ينظر ! فلا تفتينا وقد كان
 الصلح بالسيد المدني الناصري فلفنه الطريقة الناصرية ! قال ابن مبارك فليفت
 طائفة الله ولم ألقى المسكينة والطمانينة القلبية التي يذكرها الصوفية في كتبهم
 فيفتكوت ذلك لسيدنا المدني فقال التي لست من أرباب هذا الميدان ! وإنما
 ألقن الناس ما يابديننا بجر كما ! ثم قال شلرطت في مسجد من مساجد دوكالوير
 لأحد الشيخ فلفنتي ! فلي العين وجدتي منقطعا ال الله ! وقلبي قد حلقته
 وألقنا منه فاستجاب الله دعائي في العين ! هكذا يلتقي الشيخ بطلاني يعنون
 وهذه ما صليحيا بكرة فيه ! فيعلون له من الشأن ما صار يتعالم بتوالي
 الأيام هني كان ما كان مما نحن ذاكره .

ذلك ما استفتح به المترجم عام ١٣٠٢ هـ ثم انما بتأسيس زاويته ! وهو
 الآن قد وقع عقبرته بالناداة اليه ! وقد بدأ منه لاهله حال غريبة كلها نشاط
 لازل به ذا كانوا الفوه منه من خمول واطراق ! أيام كان يمضي وليدا في مرفعة
 الشيطان بلح طويصة نفسه ! فقد كان عهدهم به عل هذه الحال ! ثم ها هوذا
 أنهم بوجه آخر واول ما فعله تأسيس زاويته ! والتصدر لتلقين الأوراد
 والآراء ! فهذا كله غريب عجيب عندهم وقد جر ال بلدته مالم تكن تعرفه
 في ذلك الوقت الاستاذ محمد بن عبد الله جرقبله المعارف بارستها حين أسس
 زاويته ! فذلك امر سهل وهو معروف عند كل احد ! ومن الذي يجهل العلوم
 والآراء هي المسلمين ؟ ولكن هذا الرجل الآخر جاء من جديد بنحلة جديدة
 لم يعرفها في الخ وقد كانت انباؤها احدثت ما احدثت حين اعتنقها وخدمها
 في ذلك ! ثم الفى عنه هياته الجميلة - فجال في مرفعة غليظة وسبعة طويلا
 في مرفعة مغلوبة مهلوة ! فكيف يكون الحال اليوم عند اهل القرية ؟ حين لازل
 في تلك الهم بأوصى زاويته ! وما معنى الزاوية ؟ ويعلم انه شيخ يتصدر
 زاوية المريدين ! وما معنى الشيوخة ؟ وما المقصود بالتربية ؟ كل ذلك عجيب
 عند اهل القرية كما يعجب منه ايضا بعض الفقهاء وخصوصا حين يرى الرجل
 يخرج من خمولة المتراكم فجاة ! ومن اطرافه لراسه فيتقدم ال الميدان رافع
 الرأس وهالحن اولاء لتنازل فنشارك هذا البعض من القراء في عجبهم وتظهر بمظاهر
 التعجب والفتي من بعيد ننظر هل هذا الرجل صادق في دعواه هذه فيمسا
 سبالي عن صحته التي سئمت بها ؟ ام هو كمدعين آخرين نعرفهم في ههنا
 العصر بالفنسا ! كما نعرفهم في بعض العصور المتقدمة بواسطة التاريخ فكثيرا
 ما يصوم من يلبسون مظاهر مثل هذه الالوان التي رايناها لهذا الرجل فيزعمون
 همها الهم عاقبوا الا هن اذن من الله ورسوله ومن شيوخهم وانهم ما قاموا الا
 لتدفع الهباء ! وتهذيب النفوس ولكنهم لا يلبثون بعدان يتجبعوا الشهرة والاقبال
 ان يلبسوا العباء ويخرفوا في شهراتهم ال الألمان ! فليسان كل الشأن لا عظم فيه
 يدبره كيف يشاء ويلفظ به من الدعوى امثال الجبال العظيم ولكن عند الاعمال

تظهر الرجال ؛ وعند الآثار تظهر الرجل المستوية من العنقاء ؛ وعند المصبات
تظهر التراكات ؛ فما عبر عن الحر كعمله وآثاره لأنه لا يمكن ان يستقيم الظل
والعود اعوج ؛ ولبعض الالفين ؛

خيل السباق تتساوى في ابتدا ولا يرى السابق الا في المدى
كذلك الرجال كل يزعم لكن لدى الاعمال كل يعلم

يتزوج بزوجه الاولى

في تلك الجلسة التي انعقدت في دار الاسرة من الاستاذ محمد بن عبد
الله ومن ام المترجم في عشية يوم ٢٨ رمضان حين قرر ان يبقى بالبلد ؛ قرر
ايضا ان تنظر له سيدة كريمة يقترن بها ؛ ومعلوم ان الامهات يعتقدن انه لا يعقل
الابناء بعقل متينة الا الاقتران ؛ فذكرت اول بنت للحاج ابراهيم الايفشانى
ف قيل انها مخطوبة ؛ وقد تم امرها لابن عمها محمد بن الحاج محمد بن احمد
ثم ذكرت بنت (حوكا) اخت الحاج ابراهيم فاستنكفت حوكا ان تزوج ابنتها
من عادته ان يتجول في البلدان ؛ وينكف في الاسواق ويمشى في مرقعة
ويجربسبحة غليظة ؛ وهو ابله يترك داره وعمله واهله ويصاحب هداويين
يصرخون بالاذكار في كل فج ومن كل ثنية وقد طلق عمله وسمته الذي يعرف
به امثاله من العلماء ؛ وحين كان يالف ان يطلق حتى نفسه وامه واهله ؛ فالاقرب
منه ان يجز ايضا وشيكا ذيل الطلاق حتى على من تزف اليه ؛ هكذا تقول حوكا
وتعتقد لمن ارسل اليها وسيطا في الخطبة ؛ وهو الفقير مسعود بليوش
التيبيوتى بلديها وجارها ؛ ولكن عزيمة الفقير لم تغفل بتلك الاعذار ؛ فلم يزل
بالمرأة حتى اخطبت فعقد النكاح يوم عيد الاضحى نفسه من هذه السنة فزفت
الى زوجها وكان الاستاذ محمد بن عبد الله والطالب الخير الحاج صالح بن احمد
من اعمام المترجم شاهدي عقد النكاح ؛ والمستلمين للشوار على العادة ؛ كما
في عقد النكاح المكتوب فيه اثمان ما جهزت به السيدة بخط الاستاذ المذكور
ويوجد نص ذلك في الجزء الثالث من كتاب (من افواه الرجال) وكان الزفاف
الى الدار الجامعة للاسرة وسط القرية لان البناء المحدث من شوال ليس فيه الا
بيت واحد فقط ياوى اليه بعض فقراء جدد قد حدثوا في هذه السنة عند المترجم
وكان ياوى معهم الى ذلك البيت يتداكرون فيه ويذكرون ؛ وقد حدثني العم ان
الاستاذ ابن عبد الله جاء في عشية من تلك الشهور يفتش عن المترجم فوجده
مع اصحابه في ذلك البيت في ظلام فتداه حتى خرج اليه ؛ فقال له او كنتم في
ظلمة ؟ فقال لا باس ؛ والتيسر هو الذي يقنع به ؛ ولم يتيسر لنا الآن هانسرج
به من الزيت لتعديل فارس في الحين الى الفقراء انا من زيت يسرجون به

أمر الحياة الجديدة

سائرنا حياة المترجم من هذه في الكتاب فالمدارس فمناظرة الى العبد
فصاحبه ا فجلنا معه وهو في مرفعة متجردا عن كل شافل ا ثم هاهو ذا الآن
نراء في هذه السنة قد ظهر بظهور اخر جديد وقد اسس مركزه والزوج وتغير
المهنيطة ا وطلق ذلك الظمول الذي كان خيم عليه في كل حياته المنقضية فبره
واقفا مرشدا ا وشيخا هربيا الرء لا يزال بصاحب مرفعة كما كان قبل ام
يلبس ايضا لهذه الحالة الجديدة لبوسها لان من يتصدر لتزهد الناس ووظفهم
والاخاء بخواصهم لا بد له من حالة تعين بلسان حالها ا انه غير محتاج الى ما في
ابدهم ا ولا متشوف الى ما في جيوبهم والا كان ذلك كعبالة من هيات القلبي
نفر الناس يادي به اكثر مما تهدتهم ونفود اذنتهم ونحن نعلم من حال الذي
صلى الله عليه وسلم انه كان ذا حياة مستحسنة في قومه ا لانظفهم موصيا
العيون ا ولا تميز منها النفوس بل كانت له حلة يتجمل بها للوافدين يوم
فدومهم ونلك لاشك حالة لا بد منها لكل من يرشح نفسه لمثل ذلك المقام فلذلك
اريد ان نرى كيف يسلك المترجم في حياته الجديدة ا واية حياة سيبرز بها ا
وقد كنا نعرف منه احوالا تستغرب في العادة لبل هذا الطور وما كانت بلاريب
للألم هذا الطور الجديد ا مثل ما وقع له في حادثة قبل ان يلبس بحاله الجديدة
فقد سافر مع الاستاذ محمد بن عبد الله الى (تيمكيدشت) فكان الاستاذ في
ظرة حصة ا وبرة تاخذ بالابصار وهو على بقلته كالنجم الثاقب في عياله قال
شادم الاستاذ اذ ذاك السيد الحسين المانوزي والد امغار بلقاسم الأذربيجاني
الروم كان معنا في تلك السفرة سيدي علي بن احمد وهو في مرفعة وسبحة
وهذا انه يعل الجوا بهيلته لا يفر عنها طوال الطريق ذهابا وايابا فهذه حياة
في كانت للألم ذلك الطور في حالة التجريد فانها لاشك غير ملالمة لهذا الطور
الجديد ا الذي يقتضي تبشير الناس وتاليهم بلسان حاله ا لانظفهم بمجرة
الرية والاستمد للوب وعقول كثير من الناس الاماتاكر به ابصارهم وقربها
قال العريب ا «البس لكل حالة لبوسها» فكما ان لكل مقام مسللا ا
فذلك ان لكل مقام لباسا ا فالفقر المتجرد الذي يعرض عن كل احد لا يقبل الا
من قومه له ا فانه لا يزال بفره الجبل ام اعرض انس ام نفر ا تلاله مرفعة
التي خلف بها مشونة الاهتمام باللباس في كل وقت ا من تجديده وغسل وعالي
والا بخلاف من نصب نفسه للناس فانه لا بد ان يكرن مثله مثل الناس فسبي
العادات المألوفة التي لباس بها ا ليكون ذلك ادعى الى تاليب القلوب والاتصال
بالناس ليجن النافر المطلوب *

حقا لابس المترجم للحياة الجديدة لبوسها فراجع العهد من لباس قومه
الوسط وداخل الناس وخالصهم وواصلهم ا فلا يترك مجتمعا في القرية ولا في

جيرانها الا الم به مؤانسا اولاً لمواظفا مرشداً ثانياً ؛ وكان مع ذلك قلمها يبارق
 الاستاذ محمد بن عبد الله في المذكرات العلمية مباحثة ومراجعة ؛ فعاد الى
 الميدان العلمى كما كان قبل ان تستهويه الطريقة ؛ كما كان ايضا يلقي ورده
 لكل من آنس منه قبولاً ؛ وما تلقين الورد الا انخرط المرء فى جماعته ليتمكن ان
 يربيه كيف يشاء وقد صار من انقطعوا اليه من اصحابه يسمونه شيخاً ؛ حتى
 تسرب ذلك الى العوام كلهم ؛ فصار الشيخ كانه علم عليه وحده فى تلك الناحية
 متى اطلق فلا يسمى الابن عند اصحابه وعند غيرهم ؛ هكذا تلبس بحياته الجديدة
 فتغيرت هيأته التجريدية التى ما كان زجها فيها الا انصواؤه تحت لواء شيخه
 الربى ؛ والصوفية لا يشترطون تلك الحالة الا لبعض من لا يزالون تحت نظر
 الشيخ ؛ ممن يونس منهم الشيوخ رعونة نفس ؛ فيداوونها فيه بما جربوه
 عندهم فصح دواؤه واما من سلم منها او من تخرج من عند الشيخ فلا لباس ان
 يلبس كل ما تيسر ؛ كما هو معلوم فى الرأية الشريشية وامثالها من الكتب
 التى تحوم حول التربية الاصطلاحية كما يسميها القوم ؛ كذلك تغيرت ايضا
 حالته الاجتماعية ؛ فراجع المؤانسة وملابسة الناس لان مقصوده لا يحصل الا
 بذلك ؛ ويد الله مع الجماعة على كل حال ؛ كذلك استجد له اصحابه اسما
 جديداً وسموه به فلاينادى ولا يذكر الا باسم الشيخ وهو نفسه قد نصب
 نفسه على تلك المنصة ؛ منة المشيخة ؛ ولذلك ندخل فى غمار الناس فننتعه منذ
 الآن بالشيخ كما اشتهر به اشتهارا غريباً فى كل الجنوب منذ هذا الحين

الشيخ يسيح إلى آقا

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى قد بذر بذور طريقته فى قبائل كثيرة فى
 سوس فى انحاء مختلفة ؛ فكانت تانكرت ومجاط الى تامانارت فأقا من سارحه
 ومثوى اتباعه ؛ وبعده صار اصحابه الكبار يتعهدون الفقراء هؤلاء ؛ فكان
 خليفة الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ومن اليه ؛ وصاحب الترجمة
 ومن اليه والكل على مبدا واحد يختلفون الى الفقراء تذكيراً للعهود واستنهاضاً
 لهم ؛ فلهدا ذهب راجلاً فى صفر سنة ١٣٠٣ هـ بعد ان مضى عرسه بقليل
 يتعهد من بجهة آقا ؛ فبقى هناك الى ان مضى عندهم عيد المولد ؛ وكانى باحد
 القراء يتعجب ويقول ؛ ان الرجل غريب حيث لم يستهوه ما يستهوى من
 يكونون حديثى عهد بعرس ؛ ولكن يجب ان يعرف ان الشيخ يظهر انه من
 رجالات لا تظمن نفوسهم كثيراً لما تظمن اليه نفوس كثير من الناس فلمجلس
 واحد يقضيه فارغ البال مستجمعا لقلبه مع اخوانه فى المبدأ اعظم بهجة وسرورا
 مما يستهوى كثيرين فى مثل موقفه ذلك ؛ من المراسقة والمغازلة فى مخادع
 الفوانى ؛ ومتى اشتغل انسان بناحية وغمرته بما كان فيها من رواء وبهاء
 فبهات ان تبقى منه لفته اخرى الى اية ناحية سواها ؛ الا ريثما يودى من
 الحقوق ما ينال به الخيرية التى اوما اليها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
 حين قال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى ؛ ولا لباس ان تلقى فى اذن بعض

الحضريين المترفين ان التعيين هكذا الر همس حديث في منقاي من الاهدل ا
 ليس مما يحظركه في هادك اهايلنا ا والهر بالاهل اما يطلب من المرجيل
 بحسب بيئته التي يقطن فيها ا وما كان مقبولا متسامحا فيه فلا تبعه على من
 اختلف فعله ا ولذلك يعلم ان تعيين الشيخ اول عهد لاليا من امراته الجديدة
 لا باس به عندنا في البيئة الالفية التي لم تعود شهور العمل

براجع التدريس

كثيرا ما ترى هؤلاء الذين ذاقوا من بين الفقراء المحبين المهيئين ما لهم
 يشوقوه ما بين الطلبة الماريج الماريج المفايه ا ووجدوا ما بين ايديهم والاه
 مذاكراتهم وبين طيات احوالهم مالم يكن يخطر لهم على بال حين يجولون في
 صون العلوم المعهودة فتراهم وقد انتشوا بما انتشوا به ا مما عبر عنه بعضهم
 اذ قال : «لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف» لا يجنون بهذا
 من انفسهم ميلا الى خوض هذه العلوم التي يسمونها العلوم الظاهرة والرسجية
 الا اذا اضطروا لذلك ا فتراهم يقتحمونها كما يقتحم المرغم الخائف ارضا
 ضالكة ا والحق يقول من يقول : «ان التصوف اذا سبق تمكنه في فكر الانسان
 بحيث من اعماله جدور محبة العلم المتعارف والميل اليه» حتى قال ابن عرفة
 «كل من رايته يثاب الصوفية من طلبة العلم فاعلم انه لايجي منه شي» ويرحم
 الله ابا اسحاق البليقي دفين الرحبة القديمة بالبحراء ذكر الله الصغراء
 بكلي خير اذ قال : «من اراد الله به خيرا شغله اولا بالعلوم حتى يتمكن فيها
 ثم بعد ذلك يديفه من التصوف فيكون سعيدا» او كما قال هذا ما يقال في
 الصوفية والعلماء ا لا يزال كل واحد منهم يسعى الى غاية واحدة يوم كان التصوف
 لم ينصب بعد بكل هذه الشوائب التي اذهبت رواءه وقلبت المقصود منه الذي
 شغله ا ويوم كانت ايضا هذه العلوم لمايسف اربابها هذا الاسطاف المخرن
 هي كان العلم جهل ا وحتى كان متعلمه يتعلم الجهل والفلسفة والمنهجية
 والاشراض عن اصلاح نفسه ا وكان ذلك يوم يتقارب الفريقان ثم اتى الواقف
 العلم قبل الفري واختلط الحابل بالنابل واستنت الفصل حتى القرعي (1) فذهب
 رواء التصوف والعلم معا ا فاختلفت النيات فضرب بين الطائفتين بسور من
 حديد لا اتصال بينهما ا فما ظنك بنظرة الصوفية ان هذه العلوم واهلها
 الا لا يكون الا كمثل نظرة اصحاب هذه العلوم اليهم والى ما هم فيه ا فيكفر
 بعضهم بعضا ولكن ان شاع هذا في صوفية المتأخرين وفقهائهم فقد يشد بعض
 الفرائد من الفريقين فيعلم كل واحد مالاخر من مكانة لا تنكر ا والشيخ من هذه
 الفئة القليلة من الصوفية التي وان تبجحت التصوف وخصت فيه كل مخالفة
 لم تفضي بعدها كل النفض من العلم واهله فقد رايته تصدر في مدرستي
 في كورن وبومروان بعد ان التحق بالتصوف واتخذ شعاعا وجعل مبداهة تارا
 اعلم على المشي ا لعمرة والفري كفضي ا جدول الماء واصبحت ا جرت والفصال جميع
 عديل ا صفار الابل والفري : التي اصحابها الفري والجهل الثلاثة امثال هربية

وسئرى معنا ايها القارى، اعماله الخالدة حول العلم تشييطا واعالة فى الباقى من حياته التى امامنا ؛ وها هو ذا اليوم لم يكذب يتلقى بعد رجوعه من القارمالة كتبها اليه رفيقه الاستاذ محمد بن عبد الله حين توجه الى مراكش تركها عند العم ابراهيم وفيها انه سيخلفه على الدراسة الى مرجعه ؛ حتى طار الى المدرسة فتصدر فى منصة التدريس فى العلوم التى تدرس فيها كلها والاستاذ وان اوصى بالمدرسة لصنوه على الا ان الشاب الفرهد (١) لا يقوم مقام القارح الصبور

هكذا عاد الشيخ ايضا مدرسا يستنير بافهامه امثال الاستاذ سيدى العربى الساموكنى وسيدى الطاهر الافرانى الشاعر المقوه والفقيه الحسين التاطاروسى والفقيه احمد التازيمامتى والعلامة احمد بن صالح الافرانى والجهيد الشهير بلقاسم التاجارموتى والقهامة المكى اليزيدى وخليفة الاستاذ على شئون داره ومدرسته العلامة الكبير على بن عبد الله وكثيرين ممن كانوا اذذاك نجوم المدرسة الالغية والفظاحل المتفوقين فيها ؛ وهم مشحودون اذهانا متمرنون مباحثات مامنهم الا من يتقى ويعلم انه كبش الكتيبة حقا ؛ وقد استفرغ فيهم استاذهم محمد ابن عبد الله كل جهوده حتى خرجهم كاسنان المشط ذكاء وتفوقا وتحقيقا فين يدى هؤلاء تصدر الشيخ يتابع لهم دروسهم فى النحو والفقه واللغة والادب وكل ما يتعاطى هنالك من العلوم ؛ لكنهم فى اثناء اجتهادهم مع الشيخ استاذهم الجديد دهمهم نعى الاستاذ الاكبر سيدى محمد بن عبد الله اواخر ربيع الثانى فسافر الشيخ مع صنو الاستاذ سيدى على بن عبد الله فاتوا بتجاليد الاستاذ وهو مقترح الشيخ الذى اصبح اليوم كبير الخ بعد ذلك الاستاذ المنعى ؛ فعز عليه ان يبقى مجهول القبر فى ضواحي تامصلوحت فاتوا به فى صندوق ؛ ومما يتعلق بذلك انهم باتوا فى قرية سيدى ميمون فى قبيلة كسيمة فاودعوا فى قبة الضريح الصندوق الذى فيه تجاليد الاستاذ ؛ فباتوا ولم ياب بهم احد من اهل القرية وفى الصباح غدا اليهم رجل من سكانها مبكرا ؛ فقام بافطارهم وقال لهم ان له بنتا تتراى لها اخيلة الارواح ؛ فرات تلك الليلة روح الاستاذ ابن عبد الله فقال لها عجباً لكم نبئت عنكم فتبقوننا بلاضيافة فسالته من هو فافضى اليها بانه صاحب الصندوق الذى فى قبة سيدى ميمون ؛ وكان الرجل غير عارف بان مع الرفقة صندوقا فكان الشيخ بعد ذلك يداعب ويقول اننا معشر المرابطين اعتدنا بين الناس التكفف فان استعف عنه احيائنا قام به امواتنا ثم يحكى الحكاية متيسما

لازم الشيخ المدرسة كل سنة ١٣٠٣ هـ مدرسا ؛ فجال جولات الافراد فرات منه المسوغات للابتداء بالكرة وصور الطلاق ومقامات الحريرى ومسائل الحجب والفرض والتعصيب ؛ من كانت تعرفه قبل ١٢٩٨ هـ فاذا هو هو لم يزد تصوفه الا ما يزيد المسن لظبا الصارم الخدم ؛ وبعد تمام السنة سلم الوديعة الى ربها وألقى المقاليد الى العلامة ابى الحسن ابن عبد الله (ان الله

(١) بضمين : القوى

بأمرهم أن تؤديوا الأمانات إلى أهلها فودعه الاستاذ لما كرا فعليه في تلك الليلة
لم يقل كلمة المشاورة إلى الزاوية خمساً وعشرين ساعة من الشيخ ؛ فكانت
أول ما دخلت الزاوية من الحبوب منذ أسست ؛ ثم تزايد الخير إلى أن كان ما كان
ينتهي بهمة هائلة إلى ما هو بصدده

إن الثانية من السياحات التي قام بها الشيخ بعد تلك التي ذكرناها إلى
الزاوية هي سياحته إلى قبيلة املن ومعه طائفة من مرديه الجدد كسيدى الحسين
ابن مبارك المصطفى وسيدى بوهوش اللوكاديرى وامثالهما من علماء مرديهم
الذين ارتسفوا منه الرشفة الأولى ؛ كما كان فيها أيضا كثير من اخوانه ممن
يلتسبون إلى سيدى سعيد المردى فجال هنالك في املن بالارشاد الخاص والعام
وهو كان يفيض حديثه علينا به سيدى بلعيد الصوابى ؛ قال طرقت اذ ذاك تلك
القبيلة التي رجوع الشيخ منها فوجدت احاديث المتدييات كلها تدور حوله ؛
فسمع في سبع ما شاهدته الناس من قلوبهم اولحين تاخرت بكلامه تاخرهجيا
والتي ابعثوه لنا من احوال الشيخ حيث يباين صنيعه في سياحته ما كان
من احوال المرابطين الذين يسيحون بزعم ارشاد الناس ولكنهم لا يرضون من
الارشاد الا بوقدار امتلاء جيوبهم وانتفاخ وقاضهم فجاء هذا الشيخ الجديد
في ذلك الزمان عزوف عن قبول ذلك بعد ما يقدم له فضلا عن ان يرضى
به من يرضى به بين الهلاك كما هي عادة المرابطين السائحين ؛ وكل شغله الشاغل
في دعاء الناس التوحيد وارشادهم إلى ربهم وكف ايديهم عن مدها إلى
الارباب الا بها يرضاه الله ورسوله ؛ يبت ذلك بلسان موثر ووعظ يفتق الصخور
ويصدم الصخور ؛ قال وكان ايضا مما اثار عجب الناس العجائب تلك الهبة التي
انزل بها الناس الفقراء الدرقاويين ؛ ولم يكن قط اهل هذه البلاد يسمعون
بها فضلا عن ان يروها ؛ فكان مجموع ذلك مما اثار زوبعة هائلة من التعجب
من الشيخ قال فوجدت اناسا كنت اعرفهم ناصريين قد استحوذ عليهم الشيخ
فعدوا اليه ايديهم ؛ فاعتنقوا طريقته فصاروا يحكون لي ما يدوقونه بسعد ان
التقوا معه من طمانينة وسكينة واخلاص ؛ مما كانوا لا يتدوقونه قبل اليوم
مع قيامهم باذكار كثيرة ومجاهدات لا تنقطع ؛ قال فقلت لهم انى كنت اعرفه
أهل اليوم حين كان مشارطا عندنا في مدرسة فوكرض قال ومن كان اخذ منه
اذ ذاك الفقيه سيدى موسى الاسكاورى الكرسيفى والرجل الصالح سيدى الحاج
الحسن من ايت عيسى (١) التافراوتى وغيرهما من كبار القبيلة واعيان املن قال
ثم كان ذلك هو السبب الذي هداني حتى ولدت عليه بالغ فانقطعت إلى خدمته
وتلبيت بالاحسان في حضرته (ومن وجد الاحسان قيما تقيدا) وقد ذكرت كل
ما حدثني به في جزء من كتاب (من افواه الرجال)

ثم ان هذه السياحة كانت في اوائل ١٣٠٤ هـ فرجع الشيخ إلى الخ ثم

(١) هو والد هذا الناجح الحاج عابد السوسى المشهور في البيضاء بكل الخ

صار لا يظن في زاوية الا يوجع ! ثم يخرج الى القرى المجاورة ينذر عشيرته الاقربين ! فيبيت ويظل يعلم الناس التوحيد وما يجب لله وما يجوز وما يستحيل والقواعد الخمس كلها واحكام الصلاة والصيام والزكاة ؛ فكانت عادته التي افتتح بها حركته هذه ؛ ثم دام عليها الى ان كفته كافته ؛ انه يتبع القرى قرية قرية ؛ ثم ينادى مناديه ان يجتمع الناس في المسجد ذكورا واناثا ؛ ويامر بعدم الاختلاط بين الجنسين وكثيرا ما يكون الرجال داخل المسجد والنساء في فناءه ؛ ثم يطلع - اذا كان الوقت ليلا - الى مافوق السطح ان وافق الفصل ذلك ؛ فيبقى يعظ الناس وهو يلون مواظبه بين تيسير وانذار وبين تعليم ونهي وامر ؛ وهو يتخلل ذلك باذكار اصحابه ؛ او بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكثيرا ما يامر من يحفظ قصائد الوعظ المنظومة ان يقوم فيتلوها على السامعين بغنة خاصة ؛ وهو بين ذلك يسكته احيانا فيتم ما اراد بكلامه فيتكون من مجموع ذلك تاثير غريب في قلوب السامعين ؛ وهم مبهورون حين يسمعون من الشيخ ما كانوا لا يسمعون قط من عالم ؛ ولا يقوم به بين الناس عالم ؛ والعلماء في غفلة عن هذا الواجب كانهم لا يحاسبون به امام الله

بهذه الحالة كان في اثناء سنة ١٣٠٤ هـ يتقرى القرى الالفية والتي تجاورها فرأى الالفيون ومن جاورهم من ذلك الرجل الذي كانوا يسمعون به ابله ذاهقة وسبحة غليظة وعكازة طويلة عالما جديدا ومرشدا كبيرا ؛ ومهتلا بالدين اهتبالا غريبا ؛ وقائما بتعليم ما كان كل الناس جاهليه ثم لا يجدون من يشتد احتسابا الى ان يعلمهم اياه مجانا من غير ان يطمع فيما بأيديهم ثم كان بين ذلك يلقن ورده لمن اراده وقد اندفع الناس كلهم وراءه فاما العامة فينتفعون بما يعلمهم اياه مجانا ؛ واما الخاصة وطلاب اذواق الطريقة فلهم منه مجالس اخرى ؛ وكان الشيخ لا يحدث الناس الا بما يفهمون عملا بماورد ؛ «حدثوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله ورسوله؟»

هكذا انذر الشيخ عشيرته الاقربين واسمعهم ما لم يكن قط لهم في حساب لانهم لم يالفوا قط من علمائهم ان يتصدر واحد منهم لذلك ؛ ويجعله كل همه ويجعل على عاتقه القيام به في المنشط والمكره فادرك ذوو البصائر منهم ؛ ان الرجل رجل آخر وان قيله احسن قيل (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) فشكروا له ذلك وعرفوا له قدر هذا المجهود الذي يبذله في نصحتهم ؛ فكان منهم مريدون قد اعتنقوا طريقته وسلكوا نهجه فسرعان ما تكونت له منهم شيعة تقابل شيعة اخرى تتكون ايضا شيئا فشيئا من الناحية الاخرى ممن يزدرون عمله ؛ او لا يشرحون به صلورا ؛ اما حسدا واما جهلا ورجما بالقياس سنة الله في كل من يتصدى لامر كان ما كان ؛ حين لا بد ان ينبعث ازاءه من يخالفونه على خط مستقيم ؛ ولذلك حكم عظيمة لا تغفى عن ذوى الالباب وبضدها تتميز الاشياء

قد سخط الناس اذبال الفلثون بنا
وفرق الناس فيما قولهم فرقا
فكاذب قد رمى في الحب غيركم
وصادق ليس يدري انه صادقاً

سياحات اخرى كبيرة

في منتصف عام ١٣٠٤ هـ تكون بين يديه اتباع ينهلون على الاربعةين ا
مامنهم الا من القى قياده له على شرط اهل التربية الاصطلاحية ؛ فيطلبه ماشياً
وهو مطاوع ؛ ولايقول له لمة ؟ فانضم الى هؤلاء الاربعةين مثلهم من اخوانه
اصحاب سيدى سعيد ؛ فخرج من الخ في ثمانين عدا ؛ فمر بابت صواب وقد
كان ساح اليها قبل هذه المرة فتكون له فيها بتتبع قراها اتباع ؛ من بينهم الفقيه
السمى سيدى محمد بن ابراهيم ثم صمد الى جهة قبيلة اداوزكرى ؛ فكان مما
هياه الله له ؛ ان كان رئيس القبيلة راي في منامه رؤيا بان سعيدا سيقتضيه
فيصعد على يديه ؛ فاذا بالشيخ نزل بمدرستهم فصادف فيها رؤساء القبيلة
فلم يكدر يراه ذلك الرئيس صاحب الرؤيا حتى نسخ في ذهنه ان هذا تعبير
رؤياه ؛ ثم لماجال الشيخ في ميدان ارشاده ونشر بزه ؛ فرأى الرايون انه من
طراز آخر غير ماكانوا يعتادون ؛ ايقن ذلك الرئيس بصحة رؤياه ففرق في
العين الى اذنيه في ا كبار الشيخ ؛ فاتبعه كل الناس فصار الشيخ يتفرى لرى
القبيلة ؛ وكل رجالها لايفارقونه ؛ فكان الجميع الجماء الغفير ؛ فكانت هذه
الرؤيا اساس محبة تلك القبيلة الزكرية لجناب الشيخ ذكورا واناثا من لدن
ذلك العهد الى الآن ؛ ومما زادهم فيه محبة انهم اقترحوا عليه ان يكو نسوا
للزواية خداما ؛ يندرون لها من اموالهم ؛ كما صنعوا لزواية الشيخ سيدى
محمد بن يعقوب التالتي ؛ فعزف عن ذلك على عادته في مثل ذلك معاخذهم
به فسلط الباهم ومن زهدت فيما بين يديه استحوذت على ما بين جنبه *

فلا ترج الود ممن يرى
انك محتاج الى فلسه

وكان الزاهد سيدى محمد الزكرى يحدث عن هذه السياحة ؛ لانها هي
كاتبه صعب انقطاعه الى الشيخ وكان واعية ضابطا ؛ قال بينما نحن
في قرية في قرية اذ تواترت علينا الاخبار من كل جهة بان رجلا عظيما ظهر
في هذه القرية ؛ فقام في الناس بالارشاد والتعليم والنهي والامر ؛ والتبشير والالذار
وانه ظهر بظهور جليل ؛ يستحوذ على قلب كل من جلس اليه ؛ اوسمع من مواعظه
وانه ما دخل قرية الا اجتمع عليه من فيها ؛ فيسال كل واحد على حدة عن ربه
وهي قرية وعن نبيه وعن امور دينه كلها ؛ وهل يعرف من الحلال والحرام ؟
كان ذلك شغله الوحيد ؛ ثم يقول الناس ان العجيب منه انه لا يمل ولا يفسح
والانحجب من وراء ذلك كله انه لا يقبل من احد شيئا ؛ قال هكذا تدلفت احاديث
الركبان ؛ فشغلت بظرافتها وبالتمجب مما تنطوي عليه من لم يصلهم الشيخ

بعد بطائفته ! ولم يرحف اليهم بعد بأسئلة ! قال وقد كانت الطوائف الناصرية
اذذاك كثيرة ! ولكن عرف الناس كلهم ان العطاء لا بد منه ! كزيارة تقدمها كل
قرية الى السيد الناصري ! عادة ورثها الاحفاد عن الاجداد ! فيستقل الناس
ذلك العطاء الا من كان حسن النية ! وقليل ما هم ! قال ثم لما ولج قبيلتنا
وشرع يتتبع قراها ! انقاد اليه كل الرؤساء ! فتعود كل قرية نزل بها موسما
حافلا يحضر الرئيس الاكبر الحاج محمد الاومريي فمن دونه ! والناس اتباع
رؤسائهم ثم راح الشيخ الى قريتنا فمجرد ما القيت عليه بصرى خلبني نور
وجهه وملكت مشاعري انوار تتالق من اسرته على حسب تعبيره فنقضت
يدى من تلك الساعة من كل ما عندي فالقيته ظهريا ! فطلقت مالي وداري وكنت
بعد عزبا فانساني ما رايت كل ما كنت فيه قبل تلك الساعة ! فلم ارجع بعد الى
الدار ! بل بقيت في سطح المسجد شاخص البصر الى وجه الشيخ وهو يعظ
ويلقن الاذكار ! ثم حكي غريبة وقعت له مع الشيخ اذذاك ملخصها انه كان بعيدا
من مجلس الشيخ ! ثم لم يشعر بنفسه حتى وجد انه ازاء ركبته ثم قال انه رد
على بعض الناس ما لاقدمه له ! فقال له بلطف رده الى جيبك ليكون فيه انشاء
الله بركة ! قال ثم خرجنا من قبيلتنا مع الشيخ ! وقد اصطحب اناس من تلك
الجهة مع الشيخ كنت انا احدهم ! والحاج محمد ازبابو الايلاني الذي كان له
شان عظيم بعد هذا الحين في قبيلة ايلان ! ثم نزلنا مع راس الوادي حتى
هللنا بزاوية سيدي الحسن التيملي بايرازان ! ثم استدرنا الى هشتوكة فالمعذر
قال ومما سمعته من الشيخ في تلك السياحة انه قال لرجل واحد نلتقى معه من
كانوا يشنقون الى من يدلهم على الله ثم ثم يجدوه افضل عندنا من ملء الارض
ذهبا ! ولا قصد عندنا في كل هذه الجولات الا ان نصادف من يتعالى الى معرفة
ربه ! لتهديه الصراط اليها ! فهذه هي مهمتنا ومبدؤنا وغايتنا التي لها خلقنا
وفيها نمضي حياتنا (وقد ذكرت ما حدثني به هذا الحاكى في جزء خاص من كتاب
(من افواه الرجال) ثم بعد ان رجع من هذه السياحة الكبيرة ساح ايضا الى
ايفران قاداي فايي او كادير وقد صادف قبولا عظيما في فايي او كادير كان هو
السبب حتى اسس هناك زاويته وصار اهل القرية كلهم من اتباع طريقته الى
الآن ! وقد وقعت له في هذه السياحة امور مع فقهاء وغيرهم اختصرنا من ذكرها
لأنها مكتوبة بتفاصيلها في كتاب (من افواه الرجال) كما كلن ساح ايضا في اول
عام ١٣٠٥ هـ الى هشتوكة فادواتانان وقد مر على مشهدين السحاب فاخذ عنه
اذ ذاك سيدي علي التتاني المقرئ المشهور ثم مر بمدرسة ايسقال حيث اخذ عنه
سيدي سعيد التتاني الذي كان فيما بعد احد عمد طريقته ! ثم مضى قديما في
طائفة كبيرة الى ان وصل السورة ثم رجع ادراجه ! وقد كتبت ايضا تفاصيل
ذلك في ذلك الكتاب والحمد لله مما روته عن سيدي محمد الزكري وغيره من
قدماء اصحابه .

هكذا كان مفتوح اوليات الشيخ ! كان كله عجباً في همته وفي انقياد

الناس له ؛ ولم يظن كل قبيله الا قليل حتى النثر اصحابه في القبائل التي
كان زارها ؛ والمتجردون بين يديه يترايعون حتى ان بعض الالفين من جهراة
يتناجون سرا بانه ساحر ؛ لما يرويه من القباد الناس له ووطنهم غلبه وهم
كثيرون ؛ والحقيقة انه ساحر ولكن سحره سحر الصوفية الافذاذ الذين
يستحوذون على الافئدة بأذوالهم العجيبة ؛ لم يقدون السحود يبرئه فربما
لما في صرته .

ان الاسود اسود الغاب همها يوم الكريهة في المسلوب لالسلب

وكان خروجه لهذه السياحة السورية بعد عيد المولد سنة ١٣٠٥ هـ
ورجوعه في اوائل رجب او في اواسطه ؛ وقد صادف حين رجوعه عقبة اول
مولودة له ؛ فتابعته الطوائف الى الخ من التمليين والصوابيين وغيرهم ؛ وفي
كل طائفة عشرات ؛ فكان ذلك اعظم دليل لدى الالفين على ان الرجل غير من
يعرفونهم من بين ظهرانهم من فقهاء كتاب الرقى والتمايم؛ وانه من صنف ساحر
ولكنهم لم يهتدوا الى صنفه ؛ لانهم بعيدون عن احوال الصوفية الذين يمثل
الشيخ دورهم احسن تمثيل .

تجاوزت اكناف السماء تساميا فكيف يرى من يبصرون مكانيا ؟

يؤدي فريضة الحج

كان سما للشيخ عزم الى ان يؤدي فريضة الحج وكان ربما ذكر ذلك
في سياحته السورية التي رجع منها وشيكا ؛ ويذكر عنه في ذلك مرة لهوية
ولكن كيف يحج ؟ وليس في يده مال ؛ وهل يطير البازي بغير جناح ؟ او يطير
الحرب بغير سلاح

كان لرجل غني من امانوز يسمى ابراهيم ؛ ولد يسمى محمدا ابراهيم
لقب بذلك ؛ فعزم على بعث ولده هذا لاداء فريضة الحج ؛ ولكن لكالة حسب
الابناء من الآباء ثم يطق ان يرسله الا مع ثقة يثق به امانة ودينا وكاله سمع
بان الشيخ يهتم بالحج فجاء اليه وعرض عليه ان يصحب ولده وان لا يهتم وراء
ذلك بشيء ؛ فقال له الشيخ ان كان هذا منك عزيزة ؛ فلا أحب انا الا ان تطلقني
والوقوف عليه ؛ ثم يرد عليك كما هو ؛ فاتفقا على ذلك فتيسر الصعب امام
الشيخ ورأى عناية الله به عظيمة فبادر الى التهيء من يومه ؛ وقد نهضت همم
الخرين فقاموا لوجهته ؛ وقد اراد الله ان تبلى تلك الرحلة خالدة فوق الشيخ
فكسبها نظما من يوم خروجه من الخ الى ان دخله راجعا ؛ فبقيت في مبيعتها
واخذت منها نسخة وهي على ما هي عليه من عدم التنقيح فخرجتها ونقحتها
ونشرت لبعض معانيها الفاظا ملائمة بحسب الطائفة مع المحافظة التامة على
مقاصدها الاصلية وهل غالب الفاظها الاصلية ؛ وربما زدت بينا اوبتسن او

اكثر لالمام معنى ما ذكر ! او يبحث لعرضه فجان بذلك كله رحلة الفية حسنة مفيدة؛ وهي تهازل ثمان عشرة مائة بيت او اكثر وقد سلك فيها الشيخ مسلك الاسهاب ؛ فيصنف كل مائة وصفا تاما ؛ فلنذكر منها بحسب منازلها ما تيسر ملاحظين للاختصار ؛ وقد كنا سميناها «اصفى الوارد فى تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد»

يقول فى اوائلها :

ولبقاع المصطفى ارشدنا
والصيف رحلة بها المن اتى
بخير خلق الله والقرآن
مصرحا بها بلا اشارة

الحمد لله الذى سددنا
وآلف القرشيين فى الشتا
اكرمنا بنعمة الايمان
وارسل الرسول بالبشارة

ويقول بعد ابيات كثيرة :

يز (٢) شعبان لقيت يمى
والبين قد ابدى الاسى واوضعا
وانما يسلى رجلا التلاقى
بل كله عند ذوى الاحباب
كاس المرارة لدى التوديع
ومسبل الجمان والسكران
فليس عن ودائعى بساهى
كانه منتشر الجواهر
اخو العلا السميع الثيبه

فى عام «شسه» (١) وبيوم اثنين
خرجت من بلدنا وقت الضحى
وفى القلوب حرقه الفراق
ان الفراق قطعة العذاب
قد جرع الاخوان بالتشيع
فمنهم الحائر والولهان
لكننى ودعتهم لله
ورجعوا والدمع فى المحاجر
وبعدهم لم يزل الفقيه

الى آخر الفصل الذى ستجده فى ترجمة الاستاذ سيدى على بن عبد الله الالغى الذى هو المقصود هنا ؛ وبعده الابيات المتقدمة فى ترجمة صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ ثم بعد ذلك كله نجد ما ذكر فيه الحاج ابراهيم الايفشانى ؛ وستراه بحول الله فى ترجمته ايضا ؛ ثم ما ذكر فيه الاستاذ احمد الزيمامى ؛ وستراه فى ترجمته ايضا ؛ ثم قال وقد نزل فى ذلك اليوم الاول فى تازروالت عند سيدى ابراهيم ابن صالح الشريف

ثم تقبل النفس له الرجوعا
بنا فودعت القرى وقومى
زاوية الشيخ طفاوة العلا

وكل واحد نوى التشيعا
ثم جدا الحادى بذاك اليوم
فارتحل الركب بنا سيرا الى

(١) ١٣٠٥

(٢) ١٧

اخفى احباب لديه للايبين
 وعلمه وعقله ولطفه
 وانه الموسوم بالولاية
 وعلمه وسنة ورشده
 والشبل في المخبر ذاك الاسد
 ولم يخالف قط غير ناصح
 نزلته فيل خير نائل
 تناله اليد بلا تناول
 في ذكر اهل الخير والصلاح
 والحب في الله دوام الاتصال
 لكن يزار قبر سيد قصي
 ازرته فيها فجا لرئيسه

سيد احمد بن موسى قاعدتين
 من الهبات اخلاقه ووصفه
 بانه المحفوف بالعناية
 دولتك وورع وزهدك
 ليجل لذلك الشيخ نعم الولد
 اسمه ابراهيم لجل صالح
 وكان هذا اول المراحل
 فكل ما اشتتهه نفس النازل
 وفي الصباح كنت في صباح
 فاهتز رب الدار بالحب ومال
 وارسلت امه خالما السبي
 وهد ما اوصلته لقبته

ثم قال وقد نزلوا في اسكا عند الابلاغيين

بنا وفي ثاني المبيت رغبوا بطلب اصغوا له اذا لهم تيران فتنة بكم تنظفوا فهبت الريح لهم فنصروا	لسم جللنا اسكا فرحبوا فسكرت السننا احسانهم قلنا لهم احسانكم ان تطفوا فقلوا ثم وفوا فقدروا
--	--

ثم قال وقد نزل في المعدر مسكن شيخه سيدي سعيد

وجنة تلالا في دهرنسيا وزهرة الدنيا بهلى الازمنة شيخ المشايخ الامام الاوحد	لم الي منبع عين سرنا وهركن السر وخير الامكنة فوطن شيطاننا السعيد الاسعد
---	---

ثم اطال النفس في احوال شيخه ؛ وسترى مذكره فيه حين تقرا ترجمته
 في هذا هذا في (القسم الثالث) ان شاء الله ؛ وقد تقدم فصل عن هذا المكان
 عند ذكرنا ما وقع له يوم ملاقاته شيخه ثم قال بعد ما اطال

من المراحل الي خير الانام فانتعش القلب لديه جهرا	الذي العنان للذي فيه الكلام فانتعش القلب لديه جهرا
---	---

الى ان قال فله الرحيل من المعدر الى ماسة وكانت ماسة احب بلاد الله اليه
 في صحاباته لما يناله فيها هو واصحابه من التفتت والفاقة ؛ والفاقات اعلم
 المرادين (كما يقول الصوفية)

وبعد ما زلنا فربح الشيخ
منه لماسة بعصن السالبة
ماسة موضع الكمال طسرا
من كان من اهل القلوب يدري
رايت مرة بها اذ سحنا
وتلك لي الاولى بذاك حنا
فكم بها من جملة الاحباب

حصل بالوداع مثل النفع
نزل ركبنا بعصن الوالدية
منبع اهل الله حقا جهرا
ما قاله من كان خلف خبير
سرا من الاسرار منه بعنا
قلبي لها وحبها قد سنا
كلهم ذوو صفا الالباب

الى ان ذكر ان من هناك كان رجوع من شيعوه من اهله

منها انشئ الفقيه سيدي علي
قد حصل الفراق والجمان
فرجعوا مع الزمامي احمد

كذا ابو سالم الحب العلي
يتشر اذ توادع الاخوان
خير نصوح للفتى المسترشد

ثم ذكر نزوله في المزار بقبيلة كسيمة ازاء اكادير

منها ارتحلنا الى المزار
جيران وادي سوس اهل الخير
ثم حللنا دار سيدي الحسين
وكلهم لم يدري ماذا يفعل ؟
لحظ ما بهم من الحب لنا
واكرموا ثلاثة الايام
وعندهم رايت في المنام
سلطاننا سيدنا المولى العلي
في غاية الفرح في منزله
فقال ما خرجتم فرحتم
وقام في خدمتنا بنفسه
فاولت بملك الملوك
ومن هنا رجع عنى الشبقيق
وهو باهل الله ذو اعتناء
ومعه بعض من الاخوان
فرجعوا بصركب البغال
ثم الى السويرة الكراء
ثم ثلاثا صد وادي سوس
اياك ان يسئل فلا تعبر به
ولم يكن يهلك في الوديان

لدى احبة عزيزي الجاري
اهل المحبة لنا والغير
مقلم لديهم بكل زين
عند نزولنا وما ذا يعمل ؟
فزال ما بنا لديهم من عنا
غاية ما يكون من اكرام
بشري رايت ملك الاسلام
ابا علي نجل سيدي علي
مرحبا بنا بوسط اهله
وكل ما اشتهيتم ابحت
مفضلا بقلبه وحسه
لحبه سلوك ذا السلوك
الصنو ابراهيم افضل رفيق
ولطريق القوم ذو اقتفاء
فرجع الكل الى البلدان
كانت لنا حاملة الاثقال
حمارة وناقاة حمراء
تبا له من معر ذي بوس
كيلا تكون راسبا في قلبه
الا المحربون بالطغيان

ثلاثة مما منهم امان
ومعنا في قطعه احباب
انا على البقلة وهي تقطيف
والصنو عهد الله كان راكبا
لانه وبسعة من فقرا
فتب الكل بهذا القطع
وفعل واد ليس فعل النحسو
يعمل في معموله بسيلسه
وكل ذي عقل وخذن حزم
فليقطع البر لراس الوادي
فهو يرى جميع ما كان يشا
من ملابس ومفرش ومشرب
لان ما في ذلك من عمارة
ومن رداة لفق سبرى
الا الامان انه مكفون
ولا يجوز نبسه من قيسر
ولم يظف وارثا فاشتفلسوا
هواهم اهوى بهم في الهوى
والحكم للغالب لا للنادد
اما الصلاة فمن الرجال
وادبهم يذهب بالابدان
فارتكب الاخف من فريسن
وبعد فطمنا شكرنا شكرا
وكلنا زار فريج سبرى

البحر والسيطان والزمكان
لولا هم تقطعت اسباب
وكل من همى اليها يعطف
فرب بعضهم فكان السبا
قد اذموا ان يقصدوا ام القرى
وبعضهم اظنى به للنسزع
ان كنت ذا عقل وحلف صخو
الخفض فالنصب برفج رجله
فلا يطالب قطعه بعموم
معاذى الصراف في الهواى
من فجرة الى حنادس المشا
وماكل وكل خير يجتبيسى
اضفت على السكان حسن الشارة
كل الامانى لديه في القسرى
بسبعة لديهم مدفون (١)
معروفهم هو عظيم النكر
بنقض عهد الله فيما عملوا
اسرع بهلك من اليهم اهوى
بلادهم تعمر بالسبناور
قليلة فكيف بالعيال
وجهلهم يذهب بالاديسان
والويل اهون من الويليسن
في حصن منكب وصلنا القهرا
ابى القنادل بشوق الزيد

ثم ذكر نزولهم ذلك في اوربر ثم في ايتامر : واثنى عليهم وذكر اليهم
شيار الهاجين : ثم في ثمار حيث دار القائد المحجوب اذذاك : ويقول في ذلك
ويذكر ما وقع له معه :

حاجة وهو من ذوى الافصال
عل ينقده نلم شملنسا
وعندهم ليد توجد الاموال
لكن من الدخول قد منقنا

ثم الى المحجوب من عمال
مرانا البيع لبقلة لنسنا
ومثها يحبها العممال
ليل طلوع الشمس قد ظلمنا

(١) ضمن هناك القصير العامى الذى يعنى بمسجدة اركان الجباله لسي

بوزارة الميمه وتسميه من الانظار

وشددت حجابها علينا
 فابوا التقريب والترحيبا
 طال بنا الوقوف ثم ملنا
 نقبل كل ذلك بالافراح
 وكان عنده الكثير الفقهاء
 لم يدر ما يفعل وهو ضيف
 نحن ذوو زاد وهذا الصيف
 لموضع في خارج قد ملنا
 شيئا من الوعظ لهم فاذا
 بعد الصلاة نظروا ما يعمل
 لكي نبيت احسن البيات
 فقيل لي سلم عليه حينما
 لانه من خارج بمعزل
 فقام للدخول بعد المفرب
 وليس يجترى عليه احد
 حاجبه يقوم ليس يجلس
 يرعى له بطرفه الخواطر
 وكل من كان بتلك الحضرة
 فجعل ادا بهم الظواهر
 فقامت امشى فتلاقت معه
 فدخل الدار بغير رد
 فدخل الكل ونحن كنا
 الى ورا العشا وقد نسينا
 جاء الينا حاجب محبوبه
 اتفق اللفظ مع المعنى كما
 فقال قم فسيدي يدعو كما
 وذلك انه جرى في النادى
 ان قال بعض الفقهاء ها هنا
 بالعلم والصلاح والخيرات
 فاستسمنوا بظنهم ذا ورم
 فحسن الوصف باذن العامل
 فقال للحاجب قم فات به
 فقامت في الحين بقصد الوعظ
 وجدتهم في قبة مصنوعة
 واذا راني زال عن منصته

وسددوا رماهم اليها
 والبروا الالصاء والتانيبا
 الى الجدار تمت احتلتنا
 من ربنا الفاعل بانسراح
 عرفنى من بعضهم ذوو النهى
 رجاء شئ من لدنه حيف
 نبيت حيث لا يكن سقوف
 مع جميع الفقهاء ؛ وقلنا
 اذ ان مغرب فقالوا انما
 من حيلة يجنى بها المؤمن
 مع جميع الفقهاء السادات
 يريد ان يدخل كما يعلمنا
 عنا لدى الصلاة قرب المنزل
 والناس منه في هوى ومرهب
 كانما يخطر منه اسد
 يلازم العبوس ليس ينبس
 وكيف ان اشار بالظواهر
 فلبه انتشى بتلك الخمرة
 وفي بواطنهم المناكر
 مسلما فلم يرد ان يسمعه
 سلام من سلم ؛ بل بالصد
 تحت الجدار وبه انسا
 تحت الجدار ما راينا الكنا
 وافق حقا اسمه محبوبه
 ترى وسبحان الذي قد قسما
 لا كان من ياسيدي يجفوكا
 وهم يجولون بكل واد
 فلان من فضله الهنا
 ووعظه يطير بالمهجات
 ونفخوا وهما بغير ضم
 فاشتاق ان ينال خير نائل
 لتستفيد من سنا مطلبه
 له بحالى اولا واللفظ
 بريئة وفرش مرفوعة
 يشير بالجلوس في اريكته

مرحبا بقلبه وقال **الله**
 فهو كالقلب وهم كالجسد
 فقلت إذ رأيتك قد **السلامة**
 ليس سبيل للكلام غير أن
 فقال لي أهلا بنصح الله
 فقلت للحاضر من رعيته
 هل أنتم تالمرون طسرا
 فقال كلهم أ نحن نهمل
 فقلت إن امر بالخمس لكم
 فابتدورا بقولهم لوامرا
 فقلت للقائد هل أنت ترى
 فكل من ترك في حكومتك
 في سائر البلدان إذ حكمتنا
 ضيعت دين الله في احكامنا
 إن الفريضة عمود الدين
 فقد رأيت من يعول داركا
 احسن كونك عاملا ولا
 بالوظيفة والضرب وقتل الحد
 ابن خليفة الامام الاكبر
 فارتحل الرسول للمؤذن
 فقال من لا يبرد الصلاة
 من ضربنا وجبننا وكل ما
 فقلت تبلى مسجدا في الداخل
 فقد قد وعدت بالبناء
 فخرج المجلس والاسماع

وقال كل مرحبا إذ قال به
 فيتدرون أن اشر باليه
 وكان للنصح له مستظلا
 رأيت نفسك بنصحتنا الحسن
 جازاك عن نصحك لي الهسي
 ومن بناديه من اهل طائفة
 نهيها اذا نهاكم او امرا ؟
 منه الاوامر اذا ما تقبل ؟
 انتركون في الوقت شطركم ؟
 بالشر اديت بوقت امرا
 من الذنوب ما عليك في الورى
 اي صلاة فهي في رقتك
 عليهم جهلت او علمنا
 وهي عظيم ذاك في اسلامنا
 كما رووا عن النبي الامين
 تركها بله بني جواركنا
 تجعل في الصلاة ذاك العملا ؟
 وذلك في الدين تمام الجهد
 فانت بالتنكيل في ذاك حري
 فجاه في الحين فورا لم يسي
 اعلم به فلن يرى النجاة
 يرد لها الى ان ينعمنا
 تجمع فيه مع كل داخل
 له بدا العام بلا مسرا
 وفي الصباح حصل الوداع

ثم ذكر انهم بالوا عند انسان آخر : ثم الى دار القائد الحسن النكفاني
 وكان له معرفة بالشيخ وقد كان الم بداره في السياحة السورية المتقدمة
 وعن ذلك يقول فيه :

في صحبة صحت ولن تبنا
 ومفضلا بنم وطيب
 عادة اهل المعجد اهل الفضل
 فالبشر منه الخلق والطائفة
 لانت به اصوله والفرع
 له به بالاخوان حين سعنا

هذا لآخر اخينا
 مرحبا فاية ما ترحيب
 ونصحتك شمسك للكل
 اني هل قائد النكفانية
 حنة وطيب
 قد كنت قبل ذا بشهر رحنا

مسجده في الدار باعنته
فكان ان صليت عليه اولا (١)
وهو كما رووه الفضل زمان
هو ومن معه وكل الاهل
اولا فهم على الورى وبال

فكان ان وصيت عن بنائه
فالآن قد وجدته مكمل
في اليوم الاول لنا برمضان
فكان دائما به يصلي
وهكذا فلتكن العمال

ثم ذكر بعد ذلك سيدى عبد الله النجار من اصحاب الشيخ المعمرى
وما جرى له مع شيخه ؛ ثم الى السويرة ويقول في ذلك :

ونحن في الصوم وفي الهجرة
احبة اعزة اهله
تملاه اذكارهم الواننا
ان كنت ناجيت به الرحمانا
يجنون ما يراد من مرام
من فكره دوما على انتباه
محب اهل الخير حيث بانوا
ومنه نور مهج الاسباب
ووليت منه المكارم ولا
حتى ارتمى بالشوق منه الشبح
مدتنا هناك والمعونة
بزادنا اشتغلن مذ ايام
امه ؛ مشهور بذاك كالقمر
الطيب السمعة والسريرة

ثم ارتحلنا بعد للسويرة
نزولنا فيها لدى اجلسة
رباطهم احسن به مكانا
ينسى بحسنه لك الاوطانا
مع الدين فيه من كرام
وكان قطب جمعهم للسه
خديم اهل الله حيث كانوا
سواد عين مقلة الاحباب
اخلاقه علت به ذرى الملا
الطفي به عند اللقاء الفرح
يتابع الانعام والمثونة
واهل داره على اللوام
اعنى اخا الكمال سيدى عمر
وهو الموقت على السويرة

ثم اطال الكلام حول السويريين ؛ وفي ذلك مناظرة بينه وبين فقيهه هناك
يغمز الصوفية ؛ ثم ذكر كيف اکتروا في الباخرة ومقدار الكراء فقال :

لدى السويرة بطيب عشرة
منتظري سفينة التجارة
في الدين والدنيا بلا معرفة
تضيق حتى يكثر اللجاج
وكيلها مرغبا ان يقبلا
تركبها انت بلا الثمان
لطنجة وذا بلا مقال

ثم لبثنا خمسة وعشرة
ولم نزل مدتنا المختارة
تاتى لقصد سعة المبرة
لان ما يركبها الحجاج
ثم اتت فسار سيد الى
فقال لي وكيلها النصرانى
غيرك بالخمسة من ريبال

(١) كذلك بنى المسجد فى دار القائد المحبوب المتقدم فى الحين ؛
فالمسجدان عامران الى الآن ١٣٨٠ هـ

لقسم هاترك كالأهباب
مع سدس لوأحد في العدة
لله بل الهنا قد عملته

فقلت للخمسة من اصحابي
فرجعت بدا الي اربسة
لم يفعل الوكيل ما قد فعله

ثم استورد ان العمل لوجه الله الكريم بالاخلاص لا يصدر الا من سوجه
عرف الله ؛ وجمال في ذلك حتى ذكر الديانات ؛ ثم ذكر حالة المسلمين اليوم
من لزوم اداء الصلوات فقال في اهل سوس ومن اليهم

جد علوا في الدين منه فاربه
من ضمهم سهلهم والجهيل
طرا؛ وابن الرجل من رؤوسه
والزهدي في الاكثار والتزين
ورثه فروعهم عن الاصول
وهمة كهمة الصولية
وكثرة الخوف من الدينان
(ولتيت) في كل ال شعبها
في كل ما يل من القطين
بوصفهم وبهم قد شرفوا
اذ ادركوا من يمتهم ادراكا
والصبح لا يحتاج ان يينسا
افضل في الاركان والاسوس
جيرانهم ايضا فحقق ما هناك
فاقوا جميع الغرب بالشهوه
فقد غدا الفرق كصبح ظاهرا
كل الذي بدارها لم يتصل
ان كان عن ذي قنوة منصوبا
في الدين بين غيرهم تقدموا
بهم يقال بيس بيس بيسا
من بدوهم للحفظ للقران
في كل مجلس تراه يولم
ثم اختبرت امره الزمانا
في الشرق والمغرب من غير الحرا
في المدن امي وبعض في القرى

ولبي سوس من المغاربة
واهل (ولتيت) عليه جبلوا
فاقوا بذلك اهل سوس
فاقوا برغبة لدى التدين
وبحياء في النساء لايزول
وعفة ورافة ونية
وقلة من العظام الفاني
فهذه الخصال قد فازت بها
ثم بهم يمتد ظل الدين
جميع من بحوزهم قد وصفوا
يقر جيرانهم بذاكا
وذاك ظاهر وقد تبيننا
ذاك ومن كانوا جوار سوس
فاقوا كذاك غيرهم ثم كذاك
جيران اهل سوس في الحدود
فجل تر الاسواق والمداشرا
من كان في مخدع امه جهل
وذاك جهل منكر خصوصا
ثمت اهل المغرب الاقصى هم
جميع اهل الشرق اما لينا
فيدونا اعرف بالادبان
وذاك كله شهير يذكر
وقد رايت ذلكم عيانا
وذاك كله بنسبة القسري
اما المدائن فقد كفى الوري

(١) ينسبهم احد بنا راجسي بطنه يمت

ثم قال حين يودعهم السويريون :

تمت ودعنا هناك الصحبا
وكل من نلقاه في السبيل
تبركا بالنية المستصحبة
والدين مهما خالط القلوبا
وكل قلب لايلين بالوداع
فليس بالممكن بعد ان يلين
حد التبرك بنا ومثل ما
ومن تشوق ومن عويل
سيف السويرة فمن هنا
ثم اتى دور المحاسبات
وليس بعد لك من مصحوب
فكل من تلقاه فهو طامع
فانت من يزور بالدراهم

كلهم مستصحبين الربا
يزور منا زائري الرسول
والكل قد اعل بشوق منجبه
فجر من شعابها السيوبا
حتى يهم في الضلوع بانصداع
بل هو كالصفحة في الطود الرصين
ذكرته من الغليل والظما
عند مرور زائري الرسول
غادرت ذلك الصيد والشباكا
وقول هاك في العطا وهات
الا الذي خبات في الجيوب
مك اذا ساهلت او منازع
لكي ترى خير فتى مساهم

ثم حث على كثرة مد اليد ؛ وعلى كثرة النفقة في هذا السبيل خصوصا في سكان الحرم حيث الضعف البادى واكياس الحجاج من منتجات الحاضر فيه والبادى ؛ وذكر ان التكف من كل من رءاهم في الطريق وفي الحجاز متصل لم ينقطع ؛ فلا بد من مد اليد بما امكن

وليس في جميعها انيس
لكنما الانفاق بالاجمال
لانه يجعلهم في الراحة
الا دراهم حواها الكيس
للسفر من محاسن الاحوال
وهكذا الراحة بنت الراحة

ثم ذكر كيف ركبوا الباخرة ؛ وقد اشتغل كل واحد بنفسه

ثم ركبنا في ضحاء الجمعة
فقلت باسم ربنا مجراها
سفينة طويلة موسعة
في بحرها وباسمه مرساها

ثم وصف السفينة وهي اول مرة رءاها في عمره

وحيث اجريت العيون حولها
وشمت مالها من الكيفية
وجدتها اكبر ما بطنى
ان يب من اوصافها لسانى
فدرعها كانه في الطول
وعرضها حقا بخمس عشرة
ولوحها وطولها وطولها
وحركات سيرها الخفية
حيث استبنت سرها بعيني
فليست الاخبار كالعيان
ذرع الثلاثين على المنقول
من اذرع ان لم تلقها كثرة

الفين او الريد بل لا تسبح
 بلا اهتزاز السفن الجوارى
 كأنما تجلس في السرير
 أكثر ما الكون بين الصلن
 وجوها وأكلها وماؤها
 شهوة قد وافقت ما في العشا
 والسير في اليم كمر العفيف
 مع القيام ان تحبل الساعة
 من فضل ربنا الذي نفى الاذى
 حفظ الديانات لتبيل الفليس
 احب كل سفر متعبا

فيها ثلاث طبقات تسبح
 سارت بنا في وسط النهار
 وغير دوخة ولا فتور
 وجدت فيها صحة في البدن
 لاننى وافقى هواؤها
 فصرت اكل جميع ما اشأ
 وكان هذا الوقت وقت الصيف
 ونجمع الصلاة في الجماعة
 مع الوضوء دائما وكل ذا
 لان همى كله في السفر
 فجاء ذا والحمد لله كما

ثم ذكر مرورهم باسفى ؛ ثم حمد السفر في البحر واثنى على السفن
 التي تريح المسافرين براحتها ثم تبلغهم ما يريدونه بسرعة ثم ذكر مرورهم
 بالجديدة ؛ فلذكر طرفا من تاريخها ؛ ثم ذكر ايضا البيضاء فوصفها ايضا
 ثم ذكر مرورهم بالرباط وسلا فقال :

كدرتين في جبين يجلسي
 يسع ما يلج من سفين
 على اشتغال اهله علامه
 وبعضها نزه من في المدن
 تملو وتسفل كمن في الصخر
 من موجها ان جاشت المياه

ثم بدا الرباط في جنب سلا
 بينهما نهر كما التنين
 وكثرة الزوارق العوامه
 فبعضها يفرغ ما في السفن
 لكنها ان ولجت في البحر
 وذاك من شدة ما تراه

ثم ذكر ان الرباط مبتدا ما يطلق عليه القرب كما انه حد ما يطلق عليه
 الحوز المبتدى من الحمراء ؛ ثم ذكر اناسا ركبوا من هنالك فوصفهم وصفاشيئا
 واثنى على همة بعضهم حين استصحب معه ولديه للحج ؛ كما ذكر منهم آخر
 استصحب حليلته فلذكر ان الشوق هكذا يكون وان الصباة الى زيارة المشاهير
 الدينية وقبر النبي صلى الله عليه وسلم هكذا يسطع اخلاصها فتنهض بالمال
 والاهل وتنسى كل شيء دونها

ثم يخوض في العدا الشفارا
 كيما يواصل الال هنالك
 جالس من حبه في القلب اللد
 ان كان من حب النبي في ظما

ايلى المقيم الاخطارا
 ويعرض الحوينا للمهالك
 ويتمتع بلمحة ولد
 ثم يكسل السدى قد زعمنا

ثم ذكر ان الحج اليوم من اسهل ما يكون ، فالبواخر المريحة السريعة
الأمينة تفرك بها الأغراض ، وابن هذا مما كان من قديم حين تجاب الفيافي المخوفة
ويكون الحاج في برقة على مشقة هائلة ؛ غير ان السلف مع تلك المشقة اكثر من
اهل هذا الجيل حجا ؛ وماذا الا من كثرة ايمانهم واخلاص طواياهم ؛ ثم ذكر
مرسى العرائس ثم طنجة ثم وصف برالاندلس - اسبانيا - وارسل زفرة على فقدان
فردوسه العجيب ؛ فلذكر القرن الذي سد فيه دونه الباب عن الدين الحنيف
ثم استنورد الى امتداد الاجانب الى هذا البر ايضا ؛ فأتى على اللذين نافحوا
ما نافحوا دونه ؛ كالسعديين والترك ؛ ثم ذكر بني السين الفرنسيين اللذين
امتدوا اواسط القرن الماضي الى الجزائر فوصفهم بالقوة والسياسة والحيلة
والتنظيم دولتهم ؛ فعمل ذلك بسرعة تمكنهم في البلاد ثم قال : ماديينا الا من
استنامة حكوماتنا الى الراحة وتركها الجهاد ؛ ثم اشار للحديث الذي يلهم بان
كل امة تركت الجهاد ؛ ولازمت اذئاب البقر فانها اهل للصغار والذل ؛ ثم ذكر
ان تونس وقع بها ما وقع باختها الجزائر ؛ فلم يبق الآن الا طرابلس الغرب
والعرب الاقصى في هذه الجهات ؛ ثم قال :

رجع بنا الى الذي تركنا فلتحديث طرق يسلكنا

ثم ذكر ان بعض اهله نزل من هناك ليمتطوا سفينة اخرى وبقي هو لان
له المروء بنونس ليصل رحم احد قرابته انقطع هنالك ؛ ثم ذكر سبتة وذرف
عليها دمعة ؛ ثم ذكر وصوله لجبل طارق فاجرى بعض ذكريات عنه ؛ ثم ذكر
قدر المال الذي نزلوا به من الباخرة على الزورق ؛ ثم قال بعدما ذكر دخولهم
للمرسى في جبل طارق :

دير بنا حتى غدونا في نطاق
وظرف كل شاخص الينا
ومن يشم زيا غريبا يعجب
قبل غروب الشمس بالقليل
ومن نومه ؛ ومن نسترشد
كيف يرى الغريب وسط قطر
سكنى ولا مسلم فيه ندى
من الازقة ؛ لذا لا يوجدون
والله يعلم من اللصوص
اذا بصائح بنا ان اقبلوا
فناول الاوراق كل الواقفين
من لم يحز منها فماله دخول
نهد حتى دخل الرفاق

لما نزلنا ودخلنا في الزقاق
قد حلقوا جميعهم علينا
كاننا قردة في الملعب
ثم النزول كان في الاصيل
فحرت في المنزل كيف يوجد
ومن يلدق قبل اغترابا يندى
وليس في الجبل غير الكفر
ليل جميع المسلمين يطردون
قد زعموا انهم لصوص
سرنا وكل ما بهم المنزل
فرجع الكل اليه واقفين
فكانت الاوراق اوراق الدخول
لمت جزنا الباب والاوراق

فظلت اسأل عن القصص الذي
 فهو يسمى عند كل سعيد
 قد كان رفاً للذي كان هناك
 فخلف السيد في المقام
 جئنا اليه غرباً معلمين
 فقام سرعاً يفتش كما
 وذاك ما يدل ان كان له
 كنا «يح» (١) اصاحباً اخواناً
 ولم نرد تفرقاً فوجدنا
 خمس ليال قد عزمنا المكثا
 ويجب الربع لكل ليلة
 ثم هناك ما يكون اغلى
 وقيل ليس موضع فيه الغلا
 وذاك كله من اجل الثروة
 ديارهم جميعها قصور
 كذلك الاسواق جمعا بنيت
 فيدهش البصر مما ابصرا
 تقول زهرة الدنيا باسرها
 ازقة قد فرشت بالعود
 كأنها فرشت احسن القصور
 اما نظافة الظواهر فلا
 لو رزقوا نظافة البواطن
 لكنما الدنيا لهم جنات
 ولاغترارهم بها اجتبوها
 فاقبلت عليهم اقبالا
 لكن من دخل هاتيك القصور
 فليس يرتاح الي العشاء
 فعربات الخيل والبقال
 ولست تسمع كلام صاحبك
 وكل بنت من بنات الكفر
 وكل من يريد الانتفالا
 كذلك من يريد نقل الامتعة
 وكل ذبل بالمدينة وما

ياخذ امر الناس خبير ماخذ
 خليفة السلطان مولانا السعيد
 قبل فاعتق فسرح الشبان
 فكان من الماخذ الاسلام
 بما اردناه من النزل الامين
 يفعل له سيد من خدمنا
 مع ربه اخلاص ما عمله
 ونبتغى جميعنا مكانا
 نزل به «يه» (٢) من ربال عدنا
 هناك في جبلهم واللبنا
 وذا غلاء ما سمعنا مثله
 من ذا الذي كنا ذكرنا قبلا
 نظير من قد سكنوا ذا الجبال
 وما لهم من جاههم والقوة
 كجنة لو كان فيها الحور
 مثل عروس يوم عرس جلوت
 مما يفر كل من قد غرورا
 واتتهم بسرها وجهرها
 والكنس من طبعهم المعهود
 للوافدين يوم انس وخبور
 تسل فثانها لديهم قد غلا
 بالدين كانوا خير كل ساكن
 لهم بها النعم والنيكات
 ثم حبوا في العزم ما حبوها
 ولم يروا من وصلها مطلا
 وكان من فراشها له الصرود
 لما يصمه من الضوضاء
 ترتج في الانهر والليالي
 من كثرة الهز الذي بجانبك
 تركب فوق عربات تجرى
 ينقله ذو العربات حالا
 فانها تنقله وما معه
 يده يرى بها نقلهما

مد فريت اليهم غسل الامل
كان كلا منهم ابن ما السما
لو كانت الدنيا لهم تدوم
قد اهلكوا انفسهم واهلهم
والرشد والخلق معا والصدق
من يهده الله يسدد رايه

هكذا كفوا ملونة العمل
لذا تراهم والرؤوس في السما
حفا لهم مقامه فخيم
لكنهم وما اشد جهلهم
اذ حرموا الباع دين الحق
لكنها الاديان بالهداية

ثم ذكر انه ركب سفينة اخرى الى مالطة ليمن له المرور بتونس فتبع
ايضا وصف السفينة وكم فيها من اذرع ؛ وقال انها اكبر من اختها وقال انها
مدينة جارية على البحر :

ان هذه مدينة في البحر
فيعلم العلام ان ليس الغلو
فلاتكذب ما وعت منه الاذن
ولا الذي يجهل مثل من وعى

فجملة القول لمن سيدري
لا تحسبن الوصف ان فيه غلو
فكسل ما سمعه عن السفن
فليس راء مثل من قد سمعا

هكذا يقول لاهل بيئته الذين يعجبون مما يسمعون من امثال تلك الاوصاف
وفي هذا الوصف ذكر ايطالية واسبانية وفرنسية وانكلترة ؛ ووصف كل واحدة
بها وعمله علمه ؛ ثم ذكر ان العيد ادركه في نواحي مالطة واليوم يوم الثلاثاء
قال والعجب ان التونسيين عيدوا يوم الاحد ؛ مع اني راقبت انا بتفسي الهلال
ليلة الاثنين فلم يظهر مع صفاء الجو فكيف يمكن لهم ان يعيدوا برؤية الهلال
ليلة الاحد ؛ والمحل الذي راقبت فيه الهلال يعاذى سواحل تونس ؛ ثم قال
بعد ما ذكر كل هذا :

من قلة اعتنائهم بالسنن
روقب صحوا يوم سبت واحد
ان تبعوا الحساب دوما باستوا
فاستيقنوا الهلال في السبت بدا

فانظر الى اختلاف اهل الزمن
لم يبق حتى الوهم في ذاك وقد
وما جرى للتونسيين سوى
صاموا بيوم جمعة في الابتدا

ثم ذكر مالطة فوصفها على عادته وصفا مسهبا ؛ كأنما القارىء يراها ؛
وقد الم بالغلاء فيها فقال :

وليس في اسواقهم مرتخص
بعشرة ومن شرى ادعى الضياع
فانها اشريفة لاتستطاع

دجاجة بربعين ترخص
وعندهم صنف من المعزيباع
عشر ريبالات ويدعى الضياع ؟

يتعجب كما يتعجب اهل المغرب كلهم من هذا الغلاء ولكن ابتداء اليوم واخر
١٣٥٨ هـ يشاهدون اعظم من هذا الغلاء في المغرب نفسه ؛ بل في قرية صاحب

الرحلة لفتحها ، فالسجادة اليوم بريالة ونصف وبريالتين (١) والمزل بنحور
خمس وعشرين بريالة في نسخة بله الخراج التي بلغت خمسين في بعض النواهي
فحس رجبيا تر رجبيا

ثم وصف بيانهم فيها فقال :

في قبر عود كلوى الممات
فهل نهد (ربعا) كرا ؟
امتد كلنا به لجنبه
ان الفضول خلق اهل الفسى
صبرا ان اضطجعت او ولقت

بتنا بها بالبحر البيات
لأننا لم نرد السفلاء
وذلك القبر على ضيق به
وذلك كل ما يحب المعبي
وانسى في البدو قد الفت

ويقول في وصف ضبط المالطين :

في كل ما يفعل للتمام
فانتظمت لهم على الوقت
بقدر فعله وما ان يفتن
او مات جيفة كجيفة الحمر
ملف مزوق مخفف
يظهر كثيرا وهو قل في العدد
فصوتها الناهى لهم والامر
حاطته فيما قدروا مفاخر
وانها في جريها مثل السيول
قد استنارت في الدجى انوارها

فلهم الحزم على الدوام
قد نظموا الامور بالتوقيت
فكل من فعل شيئا يسجن
ففيهم المسجون مدة العمر
مع عسكر مشمر مصفف
كانه في لبسه الدبى (٢) وقد
يقف او يمشى على المزامر
ولهم خان فخيم فاخر
وعرباتهم تقاد بالخيل
فتلك مالطة وذى اخبارها

ثم وصف بعض حدود البحر الابيض الجنوبية والشرقية : ثم قال :

ليل طويل ضيق الجعر خشن
ارخى ليمطر علينا وبله
بنا الى تونس انس من يرى

ثمت لم نبت بها اكثر من
كانه موج علينا سدله
وفي النهار سار فلك قهقرى

ثم وصف المركب ومن فيه فيقول في الراكبين وفي اهل المركب :

بالفصل والتجفيف غير ناهين
اذاؤه سبب كل نجح
حسنة بالطبع اى حسنة

ترى الجميع في الصباح قائمين
كان ذلك هو فرض الصبح
وتلك عادة لهم مستحسنة

(١) ثم في ١٢٨٠ هـ باكثر من مائة وعشرين بريالا ومثل هذا يقال في العثم وفي غير

(٢) الدبى بفتح الغال : ولد الجراد

مجتَمعين ثم لاضراراً
عادل كيف كنت يبدى العدل
في ملبس وشرب ومطعم
كانوا على الاطلاق ليس شيا
حال شريفة وحسن مطلع
اقبح مايكون عند الناس
في كثرة وسرعة مختصرة
بينهم فذاك مما ارتضيا
فالقصد ان يمتل المعاء

كلنا مع اليهود والنصارى
كل له دين وعادة فلا
لكن خير عادة للمسلم
البيع بعادة النصارى ايا
ليس لهم في منظر ومسمع
صورتهم في حالة اللباس
وحال اكلهم كاكل البقرة
ليس لمن يجهر بالاكل حيا
عزلة وخلطة سواء

ثم وصف انسانا من هؤلاء رماه يلتهم ما بين يديه وصفا عجيبا تعجب
نهن حين يصدر مثله من الشيخ الصوفي الوقور قال :

يلتهم الخص التهام الذهب
وهم بلحظهم لديه غائصون
يقرض منهما بموسى قطعاً
مقدار شبر فيه او هو الطويل
يلقم فاه فنقذا ملصقا
يحصل منه قبل زرد ما يراد
في لحظة ثم انشئ لغيره
او خاف ان تنسد للطعم السبل
ان فتح الشدق لاخذ اللقم
متى اجيلت في وجوه من حضر
من صنعه والوجه منه اعجب
بعد صلاة وقراءة «السم»
يسمعها اذ لم يمتع طرفه
وتمتع المسامع الاخبار

وقد رايت واحدا في المركب
والحفل كلهم اليه شاخصون
وفي يديه الخص والخبز معا
ورق الخص غليظ وطويل
يلطعه والخبز قطعة كما
فقلت ان المضغ واف بالمراد
اذا به يبلعه باسه
وهكذا كانا جن الرجل
وهو ينفخ كاحتدام الضرم
هذا ومقلته ترمي بشرر
كنت امامه فصرت اعجب
فلمت في الحين فامسكت القلم
ابيت للسامع هلئى الطرفة
فربما حرمت الابصار

ثم كتب في اخلاق القوم من لباسهم وحلق لحاهم واعفاء شواربهم فصلا
وذكر ان هناك من يتشبه بهم من المسلمين ؛ فقال :

من مسلم بالزى قد شابههم (١)
له وفي الصحيح حقا قد كتب
وذا مشاهد فلا نزاعا
اقبح من طبع جهول ما صلح

وربما تجد من جابههم
ومن تشبه بغيره نسب
«ان الطباع تشرق الطباعا»
ما الكلب ما القرد وان كل قبح

(١) كلما رايت اولادنا اليوم في هذه الهياة المحدثه اقول يالبيست جدهم
براهم فاعلمه يكف عما قاله

ثم اطل على تونس ! فلات تونس من رحالتنا ما لالايه دالها من الرحالين
 كما يدرى وامثاله الذين خلدوها بشاء عطر وجللوا اهلها وشيأ مذهبها من الذكر الجميل
 قال :

عند الضحى بعد البيات ليلا	في البحر بانث تونس كليل
تلات في البر مثل الدرّة	في نحر حسنا كعاب حرة
كل غريب عندها خيب	وكل من سكنها اديب
مدينة السر مع الصلاح	والرشد والارشاد والصلاح
مدينة الاخيار والافاضل	سكانها من فاضل لفاضل
والحسن والبهاء والجمال	اوصافها التي لها الكمال
مدينة الفنون والعلوم	والحفظ والتدريس والفهوم

ثم وصف ابن عرفة في ستة عشر بيتا : ثم وصف جامع الزيتون في فصل
 طويل ؛ وذكر سواريه وان في بعضها ما يظهر كانه حروف لكلمات محمد وابي
 بكر وعمر وعلي ؛ وذكر نظافته وفرشه ومصايحه الكثيرة ؛ فقد كان يتبعها
 حسابا حتى ضاع عليه الحساب ؛ وذكر ان المسجد حافل بالعلم والعلماء الاذكياء
 وان من رآهم فيها بلغوا الدروة في الذكاء ووصفهم بالتواضع وحسن القاء
 الدروس ؛ وان الاستاذ يلين الجنب للتلاميذ وانه ياخذ الكتاب حين التدريس :

وربما يراجع المشكوكا	اولا فيبقى عنده متروكا
فكل من يسأله يجيب	بسرعة كالبرق اذ يجوب
حتى يتم الدرس مثل ما ابتدى	بالفهم في المدرس كالزهر الندى
هذا ولا ترى سوى تواضع	من سائل او باحث او سامع
وذاك طبع اهل تونس على	ما قد رايته لدى كل ملا
تواضع في ضمنه تسامح	تلاين يزينه التصافح

ثم ذكر درسا حضره هناك برخصة اخذها ؛ وما جرى له مع المدرس :

حضرت في صبيحة مدرسا	برخصة قدمها من انسا
في جامع الزيتون يوم اثنين	فكان لي اسعد يوم زين
والقصد ان احوز فضل العلاما	وان انال خير من تعلمنا
والفضل بالاجماع عند العقلاء	لاهل علم الدين لا للجهلاء
فكان يدرس ابا الضياء	درس الجهابذ بلا امتراء
وهو لمن بجامع الزيتون	قدوتهم في الفهم والفنون
وهو كبيرهم على الاطلاق	حسا ومعنى ذلك بالفاق
كان يقرر لدى باب السلم	فكان في تقريره فردا علم
اجدر به لذلك ان يكونا	قلبا لمن سواه مكينا
فكل وصف كان يوصف به	فقد احدا ارفع من منصبه

ذو قلم ان كنت معه كره
جميع من معه دللت للسلام
جالت بنا في الدرس افراس الكلام
تقريرها عكسا كما قد اخذ
الا الذي اخذت خير ماخذ
قابلني بطبع كل منصف
اذ ادرك الصورة بالانصاف
ينظر ان يعينه لسنه
وخير عمدة لشيخ ولد
من اسرة حسبها سني

وكل ما يمكن ان يزيه
وبعد ما الم درسه وقام
بعد ان تمت نوايع السلام
فقلت قد كان بصورة كذا
فجلت معه وانا لا احتلى
فاذ راي الفجر بدا في السدف
فمال لي مستجمع الاطراف
والناس كلهم مضوا سوى ابنة
وهو كبير السن قد يعتمد
ووسمه محمد النفرى

ثم ذكر ان هذا الاستاذ كان قد قبل هذا الوقت مفتيا رسميا ثم اعفى من
تلك الرتبة ؛ ثم ذكر كيف يكون المفتى عندهم ؛ وان محمدا هذا يعتنق الطريقة
التيجانية ؛ وان هذه الطريقة لها انتشار كثير هناك ؛ ولها زوايا كثيرة ثم قال :

وفتح التساؤل الرحيبا
وعن تعلقى وعن مرتبطى
كيما ارى بالحج ممن فاذا
يصحبه ببره المشكور
فسترى الرجوع منى انكا
وهل ترى مثل الكتاب مونساً؟
ثم ذهبنا نحو دارهم معا
ارى من النعيم صنفا صنفا
هل مكرم ذا غربة الا اللبيب؟

بى رحب الشيخ السنى ترحيبا
فكان ان اخبرته بمسقطى
وانى ممن نحا الحجازا
فقام مع ولده المذكور
فقال لي ولده مكانكا
ومد لي كتابه كى يونساً
فحين اوصل اباه رجعا
فكنت ليلا ونهارا ضيفا
تطوعا منهم واكرام غريب

ثم ذكر الجامع الزيتونى ؛ وانه من اعظم مساجد الاسلام ؛ وان فيه من
خزانات الكتب فى نواحيه ثمانيا وعشرين ؛ تستعد منها الكتب ؛ زيادة على
دار كتب كبرى كقصر فخم مفعمة بالكتب ؛ وفيها قاعة للمطالعة ؛ ثم ذكر ان
مثل هذه الخزانات المحبسة موجودة فى كل المدارس هناك ؛ وقد افاض فى
وصف دار الكتب هذه وصفا حسنا ؛ وقد اعجب بالصمت الذى يسود
المطالعين فيها ؛ ثم رجع لذكر الجامع الزيتونى ؛ فذكر ان من جملة مآثره كون
ابى الحسن الشاذلى درس فيه بمحل معهود ؛ ثم استطرد شيئا مما يتعلق
بهذا الشيخ وتنقلاته ؛ ثم ذكر ان للشاذلى مقاما سنيا فى تونس ؛ وان له فى
تلك المدينة مقاما منسوباً له يقصد كثيرا ؛ خصوصا يوم السبت يوم يحضر
الفقراء فيذكرون ويتواجدون ؛ ثم ذكر الوجد واستدل له ؛ ثم ذكر انه زار هذا
المقام فحدث هناك المقدم واثنى عليه ؛ وسلسل له كيفية التواجد الى الشاذلى ؛
فحمل صاحب الرحلة على من ينكر ذلك ؛ وان الواجب هو التسليم للاشيخ ؛

قد ندين ما شاء الله حول هذا الموضوع ! لم ذكر الله لقي هناك الناصب الذي عليهم
من بينهم عالم صالح ومن بينهم صوفي كبير القدر الذي عليه كثيرا ! قال :

ومركز العلوم والطوائف
في حضرة شريفة صمدية
وقام بالوتر حبال الشفيع
رسوخ من كرع في العطارق
من بحر وادي عطفه ووجه
فازت به تونس غير مصر
ذوالشرف الاثيل والخلق السعيد
وفي المعاني والمداني اصغرا
على منارة العلا علي
يعجب بالحدس او الالهام
فهو به في الكر والالهام
لترتب العليا وفي ارباب
مرتديا مشحج الجراءة
منتجع الفلاح والنتجاح
وكل همة لهم نالت
عنى مع الاب له المكرم
يتج في الحين بلا شهود
رؤيا فقصها غسل لبيبا
ذكر كذا فخذ يدي الى يدك
في عالم الارواح فالقلب وعسى
تذوق ما قد ذيق في الارواح
في الحسن والمعنى على التوالي
وفي المعاني خمرة الكرام
في روضة العشق براح الفكر
وزهرها لقاطفيها فان
قد غردت من فوقها الاطياف
والحب قد حلت له الازرار
في جنة الاذواق والمعاني
من اهل محبوب ومن منى
كل غريب عند اهلها رسا
فكل من يصلهم سعيي

كذا لقيت جبل المعارف
شارب كأس الخمرة اللدنية
من عام في مقام جمع الجمع
له من الفهوم والرفائق
ولو رايت صفوه لشربه
لقلت ذا الجنيد في ذا العصر
السيد المبجل الشيخ السعيد
له اخ في السن كان اكبرا
ولاخيه ولد علي
لله دره لدى الافهام
يجلو بفكره صدى الاوهام
ولم يزل في حالة ازدياد
لكونه ملازم القراءة
فتمها بسمة الصلاح
هتفه نحو الدرى تعالت
فكان اخذا لاسم الاعظم
يوصفه المعلوم والمشهور
صحبها ذا ان اباه قد راى
قال رايتني القن لديك
فقلت بكلمة الذي قد وقعا
فقال لايبد من الاشباح
فيحصل السر على الكمال
فقلت معهم على المدام
اجلي لمار الوصل بعد الهجر
قد اصبحت المارها للجاني
واللون كله لنا اشجار
والنهر كله لنا اسجار
وان من بين العصور والولدان
فلا تسبل غمنا جنت اكلنا
فونسي عادتها ان تونس
ترياهم الرحمان لم يبا

ثم ذكر حسن بناء تونس العاصمة اتساعا وارتفاعا وزخرفة ؛ ثم البع ذلك العجزة على احتلالها فلذكر كيف احتلها الاجانب ؛ وكيف احتلوا حتى وقعت الحماية بيد اميرها ؛ ثم لم يجد بعد ذلك دفاع المدافعين ؛ ثم افاض في ذلك سجلا ثم ذكر انسانا جلس اليه في مجلس «الخرطوم» بتونس ؛ فكان بينهما مكالمة من ناوهمات وزفرات على ما كان مقدرًا على الاسلام واهله ؛ وكان امر الله قدرا مقدرًا ثم ذكر بعض اشياء من جغرافية تلك النواحي وما يصاحبها ؛ ثم قال :

فبعد ان مضت لنا ايام بتونس كانها احلام
«يه» (١) تكون ثم كنت في الخميس

كريت بـ «الغاء» (٢) بمركب نفيس
لجدة من بعد عصر اليوم سيرنا نجوب موج اليم
ثم وصف المركب ورئيسه ؛ ثم ذكر طرابلس فقال فيها :

احسن بها مدينة للخير ما مسها توسيخ اهل الكفر
والها مملوءة بعسكر به يخيف الترك من قد يجترى
عسى وعشرون من الالف يمسون في مرصوة الصوف

ثم مر في وصف هذا الجند ؛ وكيف يمثلون قوة واعظم شكيمة الى ان قال :
امثال بهم جميع الطرق فلا ترى فيها سوى ذى الدرق
كذا المساجد الى الابواب (ما احسن المحراب في المحراب)

الى ان قال بعدما وصف بوارج عثمانية بالمرسى ؛ يذكر ما شاهد في المدينة:
صرت اجول في الازقة وفي وسط المساجد التي للسلف
اشاهد الهمم كيف تفعل والبذل للاموال كيف يعمل
فمر في وصف المدينة الى ان قال :

صليت فيها الظهر والعصر معا وزرت اهل الخير فيها اجمعا
جالست فيها عالما مفضلا يظهر انه من اصل ذى علا
طويل باع العلم والاخلاق مع تواضع لدى التلافي
قد كان في زاوية الرباني المدني العالم الصمداني

فمر في ذكر الشيخ المدني ناصر الدقاوية في المشرق من اصحاب الشيخ
مولاي العربي ؛ فلذكر ترجمته وثنائاته ؛ ثم استطرده ذكر ولده الذي لا يزال

في هذا الاستثناء لم في نفس اليوم راجع مركبه ؛ ثم ذكر شدة عظيمة
وقال على ظهر البحر بين طرابلس ومصر ؛ يقول ؛

هذا ولم أقطع غيابة البحر حتى رأينا كيف ولح الدهر
والقصر والعيد قبل الحركات تسلطاً بالسلم والاعقاب
سواي مع ناس قليلين همس بهم بين السورى وسلما

ثم ارجع يوم المركب في موسى الصعيد ؛ ثم ذكر بعض الجغرافية لتلك
البلاد مع ذكر البحر بين الأبيض والاحمر ولقاء السويس ؛ ثم وصف مصر
وعلاقتها ثم قال بصف قطع المركب للقناة

فبعد مطرب منى برفق بنا بقنديل بذاك الفسق
للسون ذا المصيق مثل الوادى مسيح الاطراف بالاولاد
لتدفع الرمل فلم يزالوا توسعة تزحزح الرمال

ثم ذكر انه بلى في البحر الاحمر ثلاثا ؛ ثم بدت لهم اعلام الحجاز ثم
ارادوا بجدة فوصف القبر المنسوب لعلما الى حواء ثم امتطى المطية الى مكة والشوق يفعل
لهم ما يفعل ثم ذكر نزولهم بعدة موضع الحديدية الذي وقعت فيه بيعة الرضوان
ثم ذكر استقبالهم بلدى طوى ؛ فدخلوهم الى مكة ؛ فتوافهم بالبيت الشريف وقد
تألف في هذا المقام بما افاض به من تباريح الشوق ؛ ولواعج الوجد

واخرج ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

ثم ذكر كيف كان يجتمع مع صوفية في زاوية شاذلية هناك ؛ فيفعلون
على ما كان يفعله صوفية المغرب من التواجد ؛ وفي أثناء الاجتماع قال له احد
الغافرين ؛ اننى ارى ما ارى وانت قبل علينا ثم اذا وليت ولي عنا ؛ ثم الترح
فأردان ياخذ الله وان يتخذ شيعا

قال هذا كانت عندي النسخة الاولى من الرحلة ؛ ثم لم االف على نسخة
اخرى كنت فيها الرحلة الا بعد ذلك بازمان ؛ ولذلك الف هنا فيما كنت اظنه
من الرحلة (١) فانقل منذ الآن عما وصل الى مما حدث به الشيخ او من القوم
القول ؛

ثم لما وقف الناس في عرفة وقتهم حصل شك في صحتها ؛ فاعادها
الترجم مع لثة ؛ ثم ثار حول ذلك ما ثار بعد رجوعه فافتى ملتون بصحة الاعادة
وتأخروني بعدم الصحة ؛ ثم توجهوا الى المدينة فتوفي اخوه الذى صاحبه الى
الحج فيما بين مكة والمدينة ؛ ولما وقف بين يدي القبر الشريف في المسجد

(١) خرجنا الرحلة نامة بالالة الكاتبة مع رحلتى ابني الشيخ سيدى محمد وسيدى
عبد فالجميع في مجلة

النبوى توجه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ؛ قال : وكنت ارى ان ذلك خير ما يدعى به فى ذلك المقام ؛ فاذا بهاتف من جهة القبر ينادى : « ان افضل ما يطلب فى هذا المقام هو رضا الله الاكبر » وكان الشيخ يحكى هذا الذى وقع له هناك مرارا ؛ ثم رجعوا الى المغرب فى سفينتهم فوصلوا السويسة فى الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك ؛ ثم فى دارالقائد عدى بنكتافة فقال لهم اننا لم نسرى واحد من اخواننا هناك فى كل عالم نرى فيه انفسنا فى الحضرة الربانية ؛ فقد وجدنا انفسنا هناك فى الحضرة الربانية كما كنا نجدنا فى الحضرة الربانية هنا ، فان الله لا تختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثم وصل البلد سالفا فسالت اليه الطرق للتهنئة بالرجوع

محور حياته

ان حياة الشيخ منذ عام ١٢٠٣ هـ الى مختتم ١٣٢٨ هـ كانت كلها على وتيرة واحدة لا تغير فيها ؛ جولان فى البلدان لا ينقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاه من الخاصة والعامة ؛ فيقتصر للعامة على ما يتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام ؛ ومراقبة الله فى كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه ؛ واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط الصوفية التى توجد فى راية الشريشى والمباحث الاصلية ؛ وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة القشبرى وكتب الشعرانى خصوصا العهد ؛ زيادة على تعهدهم بتفسير القرآن وبالتحديث النبوى ؛ وبنهاهم عن (المن) للشعرانى لئلا يالفوا الاهتيال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابرين) فى اخبار سيدى عبد العزيز الدباغ لئلا يتعلقوا بعالم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لئلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس ؛ وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مما عسى ان يفتروا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله ؛ فيعطيهم من الاقوال بمقدار الملح ؛ فى الوقت الذى يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمل الجوارح فيعطيهم بها بمقدار الطعام ؛ من غير ان يرهقهم باعمال الطاعات والتوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم والليلة تنظيما سهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تتنوع بحسب الناس ؛ فتربيته للخاصة من اصحابه ؛ غير تربيته للعامة من غير اصحابه ؛ فيعطى لكل ذى حق حقه فتيسر لكل الجهات التى يطرقها بسوس ؛ ولكل الذين يطرفونه فى زاوية الالفية ان ينتفعوا به انتفاعا تاما ؛ ادى به الواجب عليه نحو الامة ومن لا يعرف امزجة المرضى فانى يحصل التداوى على يديه ؛ ومن جعل الناس سواء فليس لحمقه من دواء - كما يقولون -

ان اكثر ايام الشيخ يمضيها في السياحات وكان من عادته التي التمسها من عادة شيخه سيدى سعيد بن همو المعلى ؛ ان يتبع القرى مستعجلا فلا يكاد يبيت في قرية ليلتين الا نادرا جدا ؛ ومتى طلب منه اهل قرية ان يبيت عندهم الكثر من ليلة يجيبهم بان الحق الذي عليه لكل الناس يحلزه الى عضم القرية في مكان خاص ؛ وكان دائما يسبح في طائفة المريدين المتجردين من اصحابه ويصلون غالبا مائة او ازيد ؛ سوى من يلتحق بهم من الفقراء واصحاب القرى فاذا اقبلوا على قرية يدخلونها بذكر خاص يتناولونه فرقتين جهرا ^(١) والسر (الله الله لا اله الا الله) (١) بقنة مؤثرة تستفز كل اهل القرية فيستقروا الشيخ واصحابه ثم ينزلون في المسجد ولا يدخلون القرى غالبا الا بعد العصر ثم يتوضئون ويصطفون ذاكرين الى ان تصل المغرب ؛ ثم يقرأ الحزب فيستقروا سوية يذكرون فيها اذكارا خاصة فرادى ؛ ثم يفتح مجلس الذكر قليلا لئلا يتوجه الشيخ الى التحديث الذي يراعى فيه العامة ان حضروا والا فهدىست الخاصة ؛ ثم اذا صلو العشاء وتناولوا ما تاتي به اهل القرية من العشاء توجهه الشيخ الى اهل القرية خاصة يعظهم ويذكرهم بلسانه او بلسان وعاظ يحفظون له صائد الوعظ بالشلحة ؛ وكثيرا ما يامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد فيعمل صوته بالوعظ ؛ فسمعه النساء من سطوح الديار من القرية ؛ ويتحين الشيخ ذلك في ايام الصيف وكثيرا ما يمضي غالب الليل هكذا فيما ينفع المجموع نساء ورجالا ؛ حتى اذا راي النساء اللاتي الفن منه سماع الوعظ اقبلن الى المسجد يامرهن فيعتزلن ويبتعدن عن الرجال ؛ فيتوجه اليهن بصوته وبوعاظه واما في الصباح فانه يامر باجتماع كل رجال القرية امامه ؛ فيسال كل واحد عن التوحيد . وعما يصل به وعن مطعمه من اين يستمده امن الحلال ام من الحرام ويستتيبهم واحدا واحدا ؛ وذلك يقع بعد طلوع الشمس ؛ لان اصحابه يستيقظون دائما في وقت خاص في السحر ولولم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهرا الى ان يصلوا ويقرأوا الحزب ؛ ثم يذكرون جماعة حتى تصل الضحى عادة لا يقرؤها ابدا ، وبعد ان يمتع النهار يميل كل واحد منهم الى ما يقرؤه في لوحة خاصة لان لكل واحد منهم ما يقرؤه ، فكل امي دخل معهم لا بد ان يفتح الحروف

(١) كان المعتاد في الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقد كان معهودا لطوائف سيدى محمد بن يعقوب ان تقول ؛ يا عظيم الجود يا مولانا بلغ المقصود يا مولانا ؛ وليعلم ان لطلق الناس اناشيد دينية عند مزاوله اعمالهم خصوصا ودراسا وتدرية للمدرسين ؛ وهناك تقديم الدبائح الى مشايخ الصالحين

والهجرة ؛ كما انه لابد ان يقضى ما عليه من الصلاة ؛ امر لازم ولا بد ان يؤدي التبعات جهده ثم يقبلون الى الزوال فبعد الظهر يسافرون الى قرية اخرى ان كانت قريبة ؛ والا فيخرجون في النهار قبل الزوال ؛ وكان الشيخ لا يترك اية قرية امامه ؛ وقد كان يلقى في اول امره العنت من اهل القرى قبل ان يعرفوا مقصوده ؛ فكم ليال قضوها سبيا تعمدنا من اهل القرى ؛ مع ان العادة السائدة في سوس اكرام ضيوف المسجد ولكن الناس سرعان ما عرفوا مغزى الشيخ فيتلقي من بعيد ؛ وتتسابق الى ضيافته القرى ؛ وخصوصا حيث يكثر من يتسبون اليه كمردين ؛ وهي قبائل كثيرة في نواحي سوس اثبتت فيها زوايا اصحابه التي وصل عندها عندي ٨٩ عدا

بهذه السياحات ملا الشيخ حياته وفيها ادى واجبه كداع الى الله باخلاص وذلك في الوقت الذي كان اخرون يدورون مثله في القرى ؛ ولكن غالبهم يدورون لجمع حطام الدنيا الذي يظهر هو دائما الشتم والزهد التام اذاه ؛ حتى عرف بذلك عند كل الناس ؛ وقد كان يجتهد في ان يهتدى الناس الى الصراط السوي ؛ فلا يوقر احدا ايا كان ؛ وقد اشتهرت له مواقف غريبة في ذلك وتولا حفظ الله اياه لكان في بعضها من الهالكين .

صلته في زاويته

كان يخرج من داره متوضئا قبل الفجر بساعتين ؛ ولا يهمل المؤذن في السحر حتى يخرج فاذا ذاك يتوجه الى دكن في وصل الزاوية يستغل ويذكر ما يذكر في السحر ؛ على حين ان اصحابه يستيقظون اذ ذاك فقط فيتوضئون ثم يذكرون جهرا الى الفجر ثم يقرأ الحزب ثم يذكرون جماعة ؛ والشيخ في محله ولا يمكن ان يفارق الا في الضحى ثم يصل الضحى ؛ ثم ان كان عنده اضياف قام اليهم ؛ والا انزل في مكان ؛ الا في اوقات الحرث والحصاد فانه يكون احد الفقراء فيكون معهم في محل العمل ؛ ثم يبكر بصلاة الظهر في اول الوقت بلا عجلة ؛ ثم يجتمع باصحابه في المذاكرة الى العصر ان لم يكونوا في شغل من اشغال الزاوية ثم يعتزل في مكان خاص ؛ اما لملاقاة اضياف واما للمطالعة واذا قربت المغرب وقد توضحا اصحابه صلى بهم وقرأ الحزب ؛ ثم يذكرون اورادهم ثم يجلس ايضا الى درس قرآن او حديث او سيرة نبوية ، وبعد صلاة العشاء يذكر اصحابه ايضا جماعة ؛ فان لم يكن عنده ضيوف يذهب الى دار الفقيه سيدي علي بن عبد الله حيث يبقى الى ان يبهار الليل ؛ ولا يشتغل هناك معهم الا في المسائل العلمية مذاكرة او مراجعة ؛ حتى ان علامة الخ اليوم سيدي عبد الله ابن محمد يقول اني ما استغفرت الا في المجلس التي كان خالي الشيخ يحضرها بعد العشاء في دار الفقيه ؛ لانه يملأها علما ومذاكرة ومراجعة ؛ واكون انا هو آخر من يقوم ممن كانوا جالسين ثم اذا نزل الشيخ من دار الفقيه دخل داره وصلى وردة القرطاني ؛ وهو على ما اشتهر عند اهله وعند اصحابه خصه من

الأحزاب ! ما كان يترك هذه الخمسة حضرا ولا سفرا ! ثم يفتش الأمانة لسم
بعضاً في السحر ثم يخرج الى أصحابه هذا هو عمله في زاوية غالباً .

أدب من أخلاقه

وقع الإجماع التام على أن الشيخ عمرى زمانه ! بذلك كان يعرف ذلك أن
المرج بين أقرانه في عهد شيخه ؛ ثم زاد فيه هذا الجهد الغريب حين توجه بقلبه
الى إرشاد العباد الى الله واستنابتهم وزجهم فى العبودية الخالصة وقد أذهبت
أخباره بذلك فى الحواضر ؛ حتى أن بعض كبار عسكراء فاس كان يخطب
بخطبته ممن ذاقوا من مذاقاته الصوفية يحكمون بأنه آخر رجال الجهد فى
الطريقة ؛ فقد بلغهم ما فيه من الحزم والعزم والاكباب الذى لا يهل فيما هو
بمسدده ؛ فرزقه الله أصحاباً كانوا خلقوا لهمة العليا ؛ وصلهم الفقيه سيدى
محمد بن على التادلى دفين الجديدة بانهم عفاريت سليمان ؛ لا يضجرون ولا يكلون
ولا يسامون ومن رءاهم بين يديه رأى شاباً فولاذياً مخلصاً لى نفسه وأهله
وكونه فى الوجود ؛ والشيخ يقبلهم بهمة كيف يشاء وهم مطاوعون طاعة عمياء
مع عدم ادعاء اية مرتبة بأذكارهم وتصحياتهم وتعالمهم فى الإنابة الى الله ان
إنابة ؛ فبهؤلاء يغوض الشيخ قبائل سوس كلها فى شهور كثيرة فى السنة ؛
وكثيراً ما تكون لهم سياحتان فى الشتاء والصيف ؛ وان لم يكن معهم الشيخ
يقومون هم وحدهم بدوره الذى يقوم به فى الإرشاد والدلالة على الله ؛ وقد كان
سيدى سعيد التنانى وسيدى الحسين بن مبارك المصطفى وأمثالهما من كبار
أصحابه يحسنون تمثيل دور الشيخ فى الهمة واستتارة القلوب الى الله فيتركون
القرى التى يخرجون منها كما كان الشيخ تتركها هياماً بالله وجزاراً بذكر الله
وقد كان الفقهاء والمتفقهون ومقدموا الطرق الأخرى يرون هذه الهمة فيفترون
أزاءها فرقتين فمن مسلم بان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن قائل ما قال السحاب

رام عنقوداً فلما ان رأى العنقود طاله

قال هذا حامض لى — — — رأى ان لا يناله

ومن أخلاق الشيخ عزوفه ان يتبع بالهدايا ان خرج من عند ريس ؛ فقد
خرج يوماً فى السويرة من عند الباشا عياد المتأهب فالبه بغنشىريال مغزنية
ويكون على العادة فيها مائتان ؛ فامر أصحابه بردها له ؛ فتعيل بعضهم ليدعها
فى متاع الشيخ ووقع له مثل هذا مع القائد الطيب الكنتا فى حين خرج من داره
مع أصحابه يوماً . ولكن الشيخ العمرى حتى فى الشبابة حين لا يندفع ؛ امر
بردها امراً جازماً ؛ قائلاً بلسان حاله : اننا نريد أصحاب الهدايا لنهديهم الى
الله ؛ لا هداياهم والشيخ الذى ينفق ما عنده على الناس ليردهم الى الله ؛ كيف
يقبل منهم مالا او يتطلبه منهم

لم ينفق الذهب المرعى بكثرتة على الحسا وبه فقر الى الذهب

ومن اخلاقه التي يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقاتهم لاسيما فى الفرائض الموقوتة ؛ فيؤنب بل يضرب بل قد يفرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقد ضرب مرة فى تاكوكة من الاطلس كل الفقراء من طائفته الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقلولة فى احدى سياحاته فى جبل درن (١) ومضى صلى فى زاويته يدخل الى الدار فيسال عن فاتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى فى مصلاهن الخاص بهن ؛ فيقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه فى دار القائد عبد السلام الجرارى وهؤلاء الجرارىون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فتاخر القائد عن صلاة الصبح فانبه فى الجماعة على ذلك تائيبا ؛ ثم امره ان ياتى بعشريات فلما اتى بها امره ان يشتري بها حمارا ياتى بالحطب الى المسجد وعلفه على القائد ؛ وجعل الحمار امانة تحت يد موذن المسجد ؛ وبقي الحمار سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلولى بحاجة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجد فى داره ليصلى فيه مع اصحابه ؛ وكذلك فعل فى دار القائد الحسن النكنافى وقد مر هذان الخبران فى طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله فى جميع النواحي التي يطرفها الدين حتى رفرفت اعلامه ؛ ثم يربى اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب فى ملازمة الصف ؛ وفى المحافظة على اول الوقت حتى استهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم اهتباله بالتعصب لطريقته ؛ فيخالط كل اصحاب الطرق الاخرى كالناصريين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمز لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اى هذه الطرق الصوفية افضل ؟ فقال : المزية فى الرجال الذين يلتقى بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدى على بن عبد الله الالفى عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناء مناقبه ؛ لمار مثل الشيخ فانه قال لى لما ذهبنا لمراكش عام ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان بزواية مراكش التيجانية ؛ لناخذ من عنده ورد اخيك وايبك التيجانى ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوى ومن اخلاقه الزهد التام فى لذائذ الحياة كيفما كانت ؛ فلايطبخ فى زاويته الاطعام واحد وهو الكسكو الساذج الغليظ الذى يكلل فى القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التي تجعل الحريرة فى وسطها يؤتمم بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امرأة من اهله ان تخصص له فى بعض الايام طعاما لينا فنهرها على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات فى الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربى

(١) ومثل هذا التشديد فى حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقتلون عن ترك الصلاة كما فى كتاب (التشوف)

اولاده وكان قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما تيسر او نوما
 اضطجع في اى مكان وعلى اى فراش ؛ وكان آية الايات في نظام نفسه عسى
 الشهوات التى تعرض عليه ان نزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه ممن
 الفقراء كان دائما يرصد له بعض الاطعمة الساذجة كالمصيدة ؛ بعد ان يراه لا
 يتناول مما يمر به من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لا يلزم حالة واحدة
 دائما لانه قد يواكل مجالسيه كانه أحدهم ايناسا لهم كما هي السنة
 وقد يريد ادخال السرور على بعض المريدات من صواحيبه الآخذات عنه فيتناول
 من طعامهن ؛ وهذا الخلق كما اخذ به نفسه اخذ به كذلك اصحابه المتجردين
 سراهم فترة بعد فترة يعطون بينهم فى بعض السياحات تقليل الطعام الا
 لقيمات معدودات ؛ تعد على كل واحد منهم بحيث تقيم طبه لا غير ؛ ثم تحصل
 النقصان وهي لاتزال طافحة بالطعمة ؛ وقد ياتى من لا يتحرون الحلال بالطعام
 الى الشيخ فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر
 بعدم الامعان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا دين الشيخ فى نفسه وديده مسخ
 اصحابه ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون مما يريدون
 بلاشره ويحسنون الصبر الجميل ان فقدوا مضموغا ؛ وما اكثر ماتتواى عليهم
 ليال بين قرى لاترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سغيا ثم لايتأثرون بذلك وكثيرا ما
 يقول لهم الشيخ لايجل للفقير ان ياكل من طعام من لايتحرون الا اذا حلت له
 الميتة ؛ يعنى حتى يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد الذى
 ذكرناه من شمائل الشيخ يحيط به من كل جانب حتى فى مسكنه ؛ فان بنايات
 زاويته ساذجة ؛ بناها الفقراء بنايات متعرجة لاتزال تتداعى بادنى سبب ؛ لانه
 متى احتاج الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبناوا سواء من عرف كيف يبني
 ومن لم يعرف ويقول ؛ «يتعلم من ليس بمعلم» وقد مر به الرجل الصالح سيدى
 الحاج عبد الله بن صالح وهو مع اصحابه فى مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ
 ما هكذا يكون البناء الذى يراد تاييده ؛ فاجابه ؛ «اننا سنقضى فيه اعمارنا على
 ما هو عليه ومن سيأتى بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق ما يريد فقد كفيناه مثونة
 جمع التراب والاحجار» ثم اتبع ذلك قوله ؛ «افنحن ناركون مانيط بنا من ارشاد
 العباد حتى نمضى اعمارنا ونفائس اوقاتنا فى جدران تقوم وسقوف تصحح» ؟
 ان اعمارنا اقصر من ذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد امر الفقراء
 ان يحرقوا ما سيحترق فى مبدأ ابان الحرث او قبله قائلا ؛ «ان حرقنا نحن فى
 ارشاد العباد لافى شق التراب» وهكذا كل احوال الشيخ لايبالي الا بما نصب
 له نفسه وجعله محور حياته ومما يعنى به الشيخ عناية زائدة نشر التعليم ولذلك
 ياخذ كل اصحابه الذين يلازمونه بالتعليم الابتدائى المجدى المفيد ؛ من التوحيد
 وصحة العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وما هو حلال وما هو حرام كما انه يرسل
 من فيه اهلية لتتبع الدراسة فى الفنون الى المدارس ؛ فيعينهم ويمدهم بالكتب
 فهؤلاء الاساتذة ؛ سيدى احمد بن محمد الزيلدى والعلامة سيدى الحاج سعوى

الوفائي وسيدى محمد بن عبد الله الزينى والقاضى سيدى مسعود الشياطينى وسيدى الحسين الشيمولائى الافرانى وسيدى بريك بن عمر الجاطى وعشرات امثالهم هو الذى دفع بهم الى المدارس ؛ زيادة على زمرة من اهله كسيدى عبد الله ابن ابراهيم ؛ وسيدى موسى بن الطيب واخيه اليسير وسيدى عبد الله بن محمد ويفعل مثل هذا فى العلماء والقراء الذين يتفنون فى المدارس ؛ فيحشهم على عمارتها ويردهم عن صحبة الفقراء فى السياحات ؛ كالعلامة سيدى محمد بن مسعود ؛ واخيه سيدى احمد وسيدى عبد الله ابن القاضى وسيدى عبد الله خرباش وسيدى مبارك الميلى وسيدى عبد الله الكراكى وسيدى محمد بن العربى القارىء الاوصالى وسيدى على التنانى وسيدى الطاهر السماهرى وسيدى عبد القادر السباعى ؛ وامثالهم من العلماء الذين استهوتهم نفحات ما يرونه بين اصحابه فيحبون ان يتجردوا وان يلقوا وراءهم ظهريا ما هم فيه من التعليم فيكبح عزائمهم ويريهما ما هم فيه هو عين ما يطلبه التصوف منهم حتى ان سيدى عبد الله بن محمد يقول : انى ما استفدت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها القواد والرؤساء الذين انقادوا له ؛ كثيرا ما يهمون ان يطلقوا ما هم فيه فيلمرهم ان يبقوا قائمين فيه بالقسطاس ؛ فاذا هم فى اعلى مجالات التصوف الحقيقى وقد اثنى يوما الاستاذ سيدى محمد بن مسعود على الشيخ بهذا واطال .

هكذا الشيخ يربى كل واحد فى بيئته ويرقيه فى محيطه ؛ ويراعى كل لون من ألوان الحياة ؛ فيخالط اهله فيستمدون منه ما كتب لكل واحد ؛ وقد يما يقول الصوفية : «ان الشيخ الكامل هو الذى ليس لتربيته لون واحد» كما قال بعضهم فى حال العارف : «لون الماء لون انائه» وفى (الاخلاق المتبوية) للشعرانى ما معناه : ومن اخلاقهم - يعنى الصوفية - انهم يبقون من اتباعهم من كانوا يتفنون العباد من علماء الدين على ما هم عليه من الافتاء والتعليم ؛ ولا يرفعونهم من ذلك المقام ؛ لانه مقام محمود مطلوب ان يقوم به امثالهم ؛ وانما الواجب ان يقوموا فيه بنية حسنة او كما قال ؛ الى آخر ما فى كلامه .

هذه قبضة صغيرة من اخلاق الشيخ فى تربيته وفى احواله وفى اجتماعاته ويكفى من القلادة ما احاط بالعنق ؛ وقد بسطت اخباره هذه فى كتاب (الترياق المداوى)

الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم

كان المعروف من الطرق الصوفية فى سوس الطريقة الناصرية وحدها ولا ريب ان هذه الطريقة قد اسست على السنة فى كل مظاهرها؛ لامت فيها ولا عوج ؛ ولا يجد فيها اى قائل ما يقول؛ وماذا يقال فى طريقة هادئة ناصحة مرشدة معلمة ؛ لا يعرف منها الا اذكار افراد يذكرها من تلقاها ، ثم لا اغراق فيها فى اجلال المشايخ الا لماما ؛ وقد يجتمع اصحابها على الصلاة على النبى

صل الله عليه وسلم ؛ ثم ما عرفت سوس هذه الطريقة الا بواسطة العلماء الذين
تخرجوا من تلمذتهم فرجعوا يؤسسون المدارس اذا كانوا علماء او بواسطة
فقهاء أميين ابوا فيعلمون الدين الصحيح في الاسواق وفي المواسم وفي المجتمعات
وهم كلهم معروفون بالاهتداء ونصح العباد والاخلاص فيما هم فيه ؛ ولهذا
صارت سوس كلها قاطبة بلا استثناء ناصرية ؛ ياتى اولاد الشيخ الناصري
فيلقونهم قبيلة قبيلة باجلال عظيم واهتبال كبير ؛ فينفعون في اصلاح ذات البين
وفي فتح العيون العمى والاذان الصم والقلوب الغلف ، حتى الف الناس هذه
الطريقة ونشأ فيها جيل بعد جيل من اوائل القرن الثاني عشر الى ان كاد يختم
القرن الثالث عشر

ثم فيما بعد عام ١٢٦٠ هـ اتصل بعض فقهاء سوسيين بالشيخ الاديب الكبير
اكنسوس فتلقوا منه الطريقة التيجانية كسيدي الحسن بن الطيفور الساموكي
نزيل تزيت المتوفى نحو عام ١٢٧٤ هـ وسيدي عبد الله بن محمد بن احمد
الادوزي نزيل العويثة المتوفى نحو عام ١٢٨٢ هـ وسيدي سعيد الدراري نزيل كسيه
المتوفى نحو عام ١٢٨٦ هـ وسيدي احمد بن محمد من آل حساين الططائسي
المتوفى في نيف وتسعين من القرن الثالث عشر وسيدي الحاج الحسين الافرائي
نزيل تزيت المتوفى عام ١٣٢٨ هـ وسيدي الزبير البعمراني المتوفى نحو عام
١٣٥٠ هـ الاخذ عن السائح الرباطي وبهؤلاء الاساطين الكبار ابتدأت الطريقة التيجانية
بسوس ولكنها في مبتدأ أمرها لم تنتشر الا عند افراد قليلين جدا ، وقد كان أهلها
الاولون يعتزون بها ولا يعرضونها عرضا ، كما كن الدرقاويون يفعلون

وفي الوقت الذي دبت فيه التيجانية الى سوس دبت ايضا الطريقة
الدرقاوية فكما كان لاكنسوس المراكشي يد في نشر الاولى ؛ كان الشيخ الحصري
مراكشي يد في نشر الاخرى وهو الشيخ سيدي احمد بن عبد الله بن امحمد
الشيخ مولاي العربي ، ورد عليه من سوس اولاد الحاج مبارك الحزازي
الكلوشي ؛ وبوتكلاي الذي اسمه الحقيقي هو الحاج محمد الططائسي ؛ ثم استوطن
بعد حين سيدي سعيد بن هو المعنري الثاني منهما الى ان كان السوسيون
الذين يترددون الى الشيخ بمراكشي سبعة ؛ لم يظهر منهم الا الشيخان سيدي
الحاج مبارك العالم الجليل الذي له مؤلفات رائعا بعضها وقد خلفه بعد موته
سيدي عبد القادر البعاري ؛ وقد كان للزاوية المباركية اتباع لم يكثروا ولكن
الشيخ سيدي سعيد بن هو المعنري الامي طفت ساحتها بكثيرين ؛ فيهم علماء
خنازيد كالعلامة سيدي محمد بن ابراهيم التامانرتي والد شيخ العصر سيدي
الطاهر بن محمد الشهير ؛ والعلامة الاديب سيدي الحبيب البوس سليمانسي
الجراري ؛ وجنيد زمنه سيدي الحاج الحسن التاموديزتي والعلامة المدرس
سيدي محمد بن المحفوظ الادوزي وكثيرين يعلون نحو اربعين عالما كلهم
تلمذوا لهذا الشيخ الامي وبالشيخ الامي سيدي سعيد بن هو هذا ظهرت الطريقة
الدرقاوية باحوالها الخاصة التي لم تولى في الناصرية ؛ كما لازمة المرافعة عند

المتجردين فقط وخرق العادة في الاسواق ؛ متى اريد ازالة الكبر من فيه الكبر
وبالمجاهدات الدائمة ؛ وبعلق الاذكار بالمداولة بين الاشعار وبين الهيلة على
نعمة خاصة ؛ وبما يقومون فيه حلقة واحدة مستديرة وهو المسمى عندهم ذكر
العمارة وبالجهر بالاذكار في الطرقات وفي الاسواق .

بهذه الاخلاق ظهرت هذه الطريقة فقامت الناصرية واهلها ضدها تعلن
ان ذلك بدعة ؛ ولكن نشاط اهل الطريقة الجديدة وحسن نية معتقيا ؛ وما
كان عليه شيخها من روحانية قوية عجيبة ؛ وما تؤثره في كل من اليها كل ذلك
فتح الطريق امام شيوخها ؛ فكان الشيخ يسبح باصحابه ؛ ويدل الناس على الله
في ضمن طريقته وقد استطاع بعض من اعتنق هذه الطريقة ؛ وقد حج ومر
بمصر ؛ ان ياتي من هناك من عند كبار العلماء بان هذه الطريقة التي تجعل مثل
هذه الاحوال تعرف كذلك في الشرق من قديم ؛ وقد قرأت انا بنفسى هذه
الفتاوى التي اتى بها سيدى محمد بن ابراهيم التمانارتى لما حج علم ١٢٩٣ هـ
هكذا ابتدأت المعركة بين الطريقتين الناصرية والدرقاوية الاولى تدل بمظاهرها
السليمة ؛ والثانية تدل باسرار روحانيتها ؛ ولانس ماكان قلله سيدى على
الجمل لمولاي العربى لماخذ عنه وعلمه القدر المعلوم من لاله الا الله والاستفطار
والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال له : «ان هذه الاذكار اخذناها عن
اهل الظاهر اهل تامكروت ؛ واما ذكر السر وهو الله فقد اخذناه عن اهل
المخفية» يعنى سيدى العربى بن احمد بن عبد الله الذى اخذ شيخه عن الابى
المحاسن جدود الاسرة الفاسية المجيدة المنجبة ليوم للمفكرين والزعماء والوزراء
والخطباء وبذلك يعلم القارىء ان الدرقاويين يقولون انهم لايعتنون بالمظاهر في
الطريقة ؛ على اية حالة كانت ؛ فالسر فيما فى القلوب لاما فى القوالب ويقولون
ان هذه المظاهر لاتقدم ولا تؤخر الفقير الا قليلا ، ولكن المدار على مافى النيات
والقلوب ؛ ويقولون ماقاله المتنبى فى الفرس :

وما الخيل الا كالصديق قليلة وان كثرت فى عين من لايجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها واعضائها فالحسن عنك مفيب

وقد كان الشيخ سيدى سعيد لاميته لايدافع الا بالسنة العلماء الذين
لايفارقونه ؛ فمتى جالس من يجاوله فى تلك الاحوال التي ينكرها الفقهاء
السوسيون ؛ اجلس فى جنبه من يحضر من اصحابه العلماء ؛ وقد استطاع سيدى
سعيد ان يتغلب بقوة حاله على كثيرين حتى ان سيدى الحسن بن احمد
التمكشتى اتقاد له يوم صالح بينه وبين قرينه سيدى الحسن التمل الايرازانى
وبناثره بحال سيدى سعيد اخذ عن مولاي المهدي الدرقاوى بمراكش من
اصحاب سيدى محمد العربى المصغرى او اخذ عنه قبل ذلك ؛ وسترى ذلك فى
ترجمته ان شاء الله ؛ وهكذا يقبل ويدبر ابطال الدين فى ذلك العصر تحت

رايات الطرق ؛ كما يقبل ويدبر اليوم ابطال ، اخرون تحت رايات الاحزاب
 وكل يفمر بيئته ؛ فان كانت الطرق اليوم لا يراها الناس بمثل النظرة التي
 يراها بها من كانوا امس ؛ فكدلك سيقع لهذه الاحزاب نفسها غدا ؛ والعالم من
 المؤرخين هو الذي يزن كل واحد بميزان بيئته وحده ثم لما تصدر الشيخ الالفي
 المترجم بعد شيخه ، وقد اوتى قوة روحانية وعلما واسعا وسعة اخلاق ومخالفة
 لكل الناس وحضور الاجوبة ؛ دفع بالطريقة الى الامام حتى صارت اصلاحها
 تغرق في كل نواحي سوس ؛ لكونه يتبع القرى ويجعل السياحات ديدنه وقد
 توجه الى منفعة العامة ؛ والى منفعة الخاصة والى مخالطة العلماء ؛ والى طريق
 الرؤساء ولكون كلامه المؤثر الذي يكتسى لونا خاصا مع كل هذه الفرق التي
 يتكون منها الشعب ؛ فتح له ميادين متعددة في نفع العباد فمتى جلس النبي
 مطلق العامة فانه لا يحدثهم الا في التوحيد والحلال والحرام والتوبة والصلاح
 ذات البين ؛ واقامة شعائر الدين ولا يتجاوز ذلك في مجامعهم الا ذكر النصوص
 ومتى جالس الفقهاء والطلبة يتلوه بلون اخر يستمد من العلم مع دعوته الى الله
 والى التوبة والى عدم الغرور بالهدر العلمي ؛ مع كثرة تعظيمه للعلم واهله واجلال
 مقامهم مادام في حدود النزاهة ، ومتى جلس الى الرؤساء يعظم وعظا بكسر شرة
 ما هم فيه من العنجهية والطفيان والادلال بالسلطة ونفوذ الكلمة ؛ وكل ذلك
 بتأن وتؤدة ؛ مع تسهيل طرق الانابة وفتح باب القرب الى الله امامهم حتى
 يدركوا ان ما هم فيه ان احسنوا ماملة رعاياهم ميدان من ميادين العمل الصالح
 واما اذا كان مع اصحابه وهم الخاصة عنده فانه يخوض معهم في كل ما يرقىهم
 في مقامات الصوفية الكبار ؛ ويهلب اخلاقهم ويفنيهم في ربهم ؛ كما هو المعهود
 بين الاشياخ ومريديهم ؛ هذا حال الشيخ ؛ فانسح نطاق شهرته وذاع له صيته
 يدوى في كل الجنوب واذا هذه الشهرة انفرج في عصره بما لم يتيسر لغيره
 فنشأ ازاء اتباعه الذين تزخر بهم الطرق الى زاويته الالغية واذا السديس
 يكبرون شأنه من غير اتباعه الاخصاء ؛ مالا بد ان ينشأ من اقوال تصدر حيا
 من بعض رؤساء الطرق غير الطريقة الدرقاوية حوله ؛ وذلك طبيعي ما دام البشر
 لا يخلو من ان ينفس بعضه على بعض ، ومن حسدة يتقولون ويصطادون ما يدعمون
 به كل ما يقولون ؛ وغالبهم من الطلبة اصحاب الاهواء الغافلين الساذجين في
 غلواتهم ؛ ولا سيما ان تلقوا الاكرا يثابرون عليها تلاوة فقط ؛ فحسبوا انفسهم
 بذلك من الصوفية الذين يحق لهم ان يزنوا بموازينهم كل ما يعن لهم فتراهم
 يقولون ما يقولون ؛ لاعن تثبت ولاعن علم ؛ بل ولاعن عقيدة صحيحة عند
 بعضهم ثم يخالط اقوال هؤلاء الطريقيين والطلبة الاغمار اقوال فقهاء يتكلمون
 عن عقيدة وحسن نية ؛ وما مقصدهم الا ان يعلنوا للناس ما يعرفون انه السنة
 او انه البدعة فمن المجموع تكون ناعسي ان يجده المطالع في كتب تاريخية معاصرة
 سوسية حين تترجم للشيخ الالفي الذي كان يسمع كل ذلك وتصله حليته
 وضواؤه من بعيد ؛ ولكن لم يكن يبالي ؛ ولا عرف منه انه دافع لفظ ولا اجاب

ولا تظن ولا استنار من ينافح عنه بل ذهب قديما الى ما كرس له حياته ولسان
حاله يمشد ما قاله بعضهم :

لنا عند ربك العامرة مقصد اليها قصدنا لا لدعد ولاليل

فلم يزل شأنه يعلو وصيته ينتشر ؛ وصوت اضداده القديما كالعلامة
سيدي محمد بن العربي الادوي يخطف شيئا فشيئا حتى كان مالا بد ان يكون
من شغوف العاملين

هذا فان كان لهذه الطائفة الحسنة النية ماتواخذ به الشيخ من بعض
مظاهر في طريقته ؛ فليس لهم ما يقولون في ارشاده العام وفي تعليمه لدهماء
الامة وذوده عنها بغيرة وطنية كان فيها فريدا في عصره ، فان هذه المواقف جعلت
له مقاما خاصا لا ينكره عليه احد وهو لب حياته ؛ فهانحن اولاء الان وقد ذهب
ذلك الجيل وانطوى سجله وصوت الشيخ لا يزال يدوى ؛ وما كان يقوم به هو
الباقي الوحيد ؛ واما ما يتقوله فيه المتقولون ويظنه فيه الخراصون ويرميه به
الجاهلون لحقيقة ما هو عليه او المتجاهلون فكل ذلك طار اليوم ادراج الرياح
(واما الزيد فيذهب جفا، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

بعض اقوال المثين عليه

قبل يوما في حضرة الشيخ سيدي الحاج الحسين الافراني رحمه الله في
الشيخ الالفى شىء من بعض ما يقول من لا يتقون الله فيما يقولون ؛ فثار في
وجه سيدي الحاج الحسين قائلا : «ان لم يكن الشيخ سيدي الحاج على رجلا
اليوم في ميدان الدعوة الى الله فارنى رجلا آخر غيره»

وقال سيدي الحاج احمد الجشتيمي وقد جرى ذكر الشيخ «ان الشيخ
سيدي الحاج على في مقام آخر غير مانحن فيه ؛ فقد فتحت له ابواب شتى في
نفع العباد ؛ ولم يفتح لنا نحن الا واحد او اثنان»

وقال الشيخ سيدي المدني الناصري : «ما كنت ارى من سيدي على بن
احمد الا انه سيكون ذا شأن فما هو ذا ابتدا فيما كنا نظنه فيه ؛ قال ذلك سنة
١٣٠٦ هـ والشيخ سيدي الحاج على اذ ذلك كما ظهر امره ؛ وطلع فجره وقد كان
يلزم مجلس سيدي المدني في تانكرت حين كان وهو ياخذ عن سيدي محمد بن
ابراهيم اعوام ١٢٨٦ = ١٢٨٩ هـ لا يتخلف عن مجلس الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم ؛ ثم ساح الى تانكرت في طائفة كبرى اهتز بها ذلك الوادى
حوالى عام ١٣٠٦ هـ فقيل لسيدي المدني في الشيخ فاجاب بذلك، وقال الشيخ
ماء العييين : «لو كشف الحجاب عن همة الشيخ سيدي الحاج على ماتبعنا احد»
قال ذلك اثر مازاره الشيخ في تزيت بعد نزوله فيها ذهب اليه بطائفة كبرى
فاستقبله الشيخ ماء العييين في بساط كبير انتظم فيه مئات من اصحابه ؛ فلما

خرج من عنده الفضي بذلك القولة الى بعض اخصائه ؛ فاخبرني هذا بها

وقال الفقيه الصالح سيدي الحسين بن يحيى التملي المتوكي : «اشهدوا
يا من حضر هذا المجمع اشهد ايها القائد ، وانتم باخلفاءه وجميعكم يارؤساء
قبيلة متوكة انه ما أدى الحق الواجب على العلماء في عباد الله الا الشيخ سيدي
الحاج علي وحده» قال ذلك في مشور دار القائد عبدالملك في بوا بوض ، وقد
بات هناك الشيخ ثم خرج ؛ وخرج كل الذين في دار القائد وخرج القائد
وخلفاؤه فاصطف الجميع صفوفا صفوفا ؛ واقفين مطرفين ؛ فيصول فيهم
الشيخ بمواظفه الموثرة حتى تائر كل من حضر ؛ وعلا نحيبهم ؛ وقد كان الفقيه
من حضر فلم يملك نفسه ان قال ما تقدم

وسمعت سيدي الحاج علي بن الطيب ابن مولاي العربي الدرقاوي بداره
بفاس يقول : «رحم الله الشيخ سيدي الحاج علي السوسي فقد احيا الله به
البلاد والعباد وقد كان يعرفه قديما يوم زار دارهم سنة ١٢٩٩ هـ فاخذ عنه نبذة
من مختصر خليل ثم صار يتتبع اخباره ؛ فيعجب بتربيته التي تبلفه اخبارها»

وقال سيدي احمد بن الخياط شيخ الجماعة بفاس : «ان التربية الاصطلاحية
التي كان عليها مولاي العربي الدرقاوي قد انقطعت بعده حتى احياها الشيخ
سيدي الحاج علي السوسي في سوس ؛ وهو آخر الشيوخ الكمل في هذا الشأن
قال ذلك مع انه لم يلاقه ؛ وانما سارت اليه باخباره احاديث الركبن

وقال سيدي الحسين الزرهوني دفين احواز الجديدة «رايت من رايت من
مشايخ العصر ؛ ولكن لم ترعيني مثل الشيخ سيدي الحاج علي السوسي فانه
يربي اصحابه حتى ليحسبهم من يراهم ملائكة ؛ وقد رايتهم شيابا ولكنهم في
وقار الشيوخ ؛ وقد اقتطفوا ثمر التصوف ؛ واجتني غيرهم اوراقه» قال ذلك
بعد رجوعه من زيارته عام ١٣١٦ هـ

وقال ابو الاسعاد الفاسي في الشيخ : «انه آخر اصحاب الجد في هذا
العصر» .

وقال الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح : «ما وضعت يدي في يد الشيخ
سيدي الحاج علي حتى تيقنت ان مقامه اعلى من مقام جدي سيدي احمد بن موسى»

وحدث الفقير احمد بن الطيب الزكري ؛ انه سمع من سيدي الهاشمي
الشمكيدشتي انه قال له وهم يذكرون المشايخ ؛ «اتريد ان اقول لك ما تقول عليه
وتدع عنك الترهات ان الشيخ الدرقاوي بالغ قد وضع اليوم رجله على كل رقبة
كما علت طريقته وحاله على كل الطرق والاحوال»

وقال الشيخ سيدي محمد العربي المطرفي لبعض من ذكر له احوال الشيخ
الالفى عام ١٣٠٨ هـ ؛ «ان هذه الاحوال التي ذكرتها لا يتصف بها الا العارفون

الأفلاذ ! ولن طال العمر بهذا الشيخ الجديد لتكسفن شمسك كل نجوم تلك
الجهة»

وقال الشيخ سيدي محمد التظفي : « هكذا يكون الفحول لا يخافون من
أحد ؛ فأنسى التجنب دائما مخالطة أصحاب الأحوال لئلا تفيض عيني ببحارهم
وأما العفريت سيدي الحاج علي فإنه لا يهاب أحدا ؛ فقد جاء إلي ليلقاني فهربت
منه خوفا أن يشربني لقوة روحانيته ولغلبة حاله ومن هو مثيله في هذا العصر؟ »

تلك الأثرة مما أمكن لي جمعه من أقوال بعض معاصريه من غير أصحابه
وأما أصحابه فأنهم يرون له مقاما أعلى من كل المقامات ؛ والعجيب أنني كلما
جلست إلى واحد من أصحابه لاكتب عنه مائة من الشيخ اسمع منه عجائب
وغرائب عنه ، فما شئت من توجيهي إلى الله وحده بحيث لا يلتفت إلى غيره إلا
بمقدار المأمور به من الأسباب المشروعة ؛ ومن مكاشفات وكرامات وخوارق
وروحانيات ؛ وهذا شيء طال منه عجبى أنا قبل أن يطول به عجب من سيقرا
هذا بعد الفد ؛ وقد رايت كثيرا من أتباع المشايخ ؛ فماريت مثل أصحابه في
اسقاط الدعوى وتعظيمهم له تعظيما لا يصل إلى حد القلو إلا في قليلين جدا
ولا «إلالهم» ل مقامه ؛ ولتمرنهم على سقوط الدعوى قل فيهم البارزون بعده التي
الشيعة حتى أن من برز منهم لا يرى لنفسه مقاما ؛ وهذا شيء رايت وخبرته
وكنت به من المومنين وما راء كمن سمع ؛ اكتب هذا لأعن تحيز لعلمي أن الله
أبرأهني ويكتب عني ما أقول

قول المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

هناك اثنان ممن أرخ لمعاصري الشيخ من السوسيين أحدهما سيدي
علي بن الحبيب التيجاني الطريقة ؛ وقد حاول أن ينصف الشيخ ؛ ولذلك ذكر
كثيرا من أحواله العجيبة والم بنواح كثيرة من حياته وثانيهما الفقيه سيدي محمد
ابن أحمد الأكراري وهو ناصري الطريقة ، وحين كان القاري ملما فيما تقدم
بما بين الطرق في ذلك الوقت من تنازع السيادة ؛ وحين كانت الناصرية
هي الطريقة القديمة التي شاخ عليها الكبار ؛ وشب فيها الصفار ؛ كان تعصب
أهلها أعظم وأكبر من غيرها ؛ ولذلك ترى مما قاله الفقيه الأكراري تحاملا
ظاهرًا في جناب الشيخ وقد ورث ذلك عن استاذة سيدي محمد بن العربي
الأدوي الذي كان ينادي في موسم سيدي أحمد بن موسى علي رؤس الأثهاديان
الدرقاويين مبتدعون ؛ ولكنه أخيرا غلب على حاله لما رأى غالب من أخذوا عنه
خرجوا عن طريقته الناصرية إلى الدراقوية لم سقط في يده يوم يرى نفسه
مصاهرا للشيخ الأكبر في الطريقة الدراقوية على بنته حوانا ابن بنت سيدي
محمد بن العربي اكتب هذا ؛ ولذلك أرسل تلك الصيحة التي ضمنها تلك
القصيدة التي تافف فيها من مصاهرة الدراقاويين ؛ وسترى بعض هذه القصيدة

في محل الخبر

وهناك ما قاله الأديب علي بن الحبيب السكراني :

ومنهم الفقيه العالم الرباني الشيخ الصمداني المربي الصوفي
السالك ؛ سيدي الحاج علي بن احمد الدرقاوي من (تحت الحصن) السملالي
الشيخ المشهور ؛ كان هذا السيد رحمه الله حاملا لواء الطريقة الدرقاوية في هذا
القطر السوسى ؛ وله فيه تلاميذ لا يحصون عددا ؛ وزوايا كثيرة معمرة وكان
في اول بدايته تعتريه احوال جذبية؛ يمسى في حال ويصبح في حال آخر ؛
وكان يلبس المرقعة ويحمل العصا ويذكر في الاسواق بالجهر في الطرقات
ويأخذ الفتوحات ولايبالي ؛ وكان له كيس مثقوب كلما طرح فيه شيء سقط
الى الارض ؛ ويسأل الناس ويقول على عادة الفقراء «متاع الله» وهو في هذه
الحال في بعض الاسواق اذوقف على الشيخ سيدي الحسن بن مبارك التاموديزتى
مع الفقيه سيدي محمد بن العربي الادوزى يتحادثان في ظل جدار ؛ فقال لهما :
«متاع الله ؛ متاع الله» فضحك الشيخان ثم قبضا على جلايبه وقالاه : «ياشيخ
هذا الذى انت فيه من دسائس النفس ؛ ما زلت لم تخرج عن هواها لانها لاتحب
الا الاخذ ؛ ولكن ربها وعلمها هاك متاع الله هاك متاع الله؛ فهل كانت تقبل
منك ام لا) فاعرض عنهما ولم يبال بكلامهما وذهب ، (اقول ان الشيخ التاموديزتى
سبق المترجم الى هذه الطريقة ولا بد ان هناك غلطا فيمن كان اذ ذاك واقفا مع
سيدي محمد بن العربي الادوزى) وعلى كل حال فهو شيخ الطريقة وعالم الشريعة
والحقيقة ؛ ومثله لا تنقرع له العصا ؛ وكان في غاية من الكشف تظهر على يده
الخوارق لقيته مرة بالركادة ؛ وانا حينئذ متقيد بالطريقة الدرقاوية اعلم الله
منارها ؛ وحانت صلاة العصر ؛ فقمنا للصلاة معه وهو امام وفي القوم الفقيه
سيدي محمد بن مسعود المعدرى وسيدي سعيد التنانى ؛ فلما فرغنا من الصلاة
توجه الينا بوجهه المنور ؛ فقال لى يافلان ؛ قلت لبيك يا سيدي قال لى اعطاك
كتاب الذهب الابريز قلت له نعم قال لى هل رايت فيه حكاية الشيخ عبد
العزیز الدباغ مع تلميذه سيدي احمد بن مبارك المراكشى (هكذا مع انه
سجل ماسى لامراكشى) حيث قال له الشيخ اتريد ان نزور سيدي موسى براس
الدرب ؛ فقال له نعم ؛ وما نكره فى زيارة سيدي موسى الخ القصة وقد كان
فى اول امره ترد عليه كثرة الفقراء ببلده وضاق به الحال ؛ قال ثم نويت ان
ارحل منها الى المعدر ؛ فاستخرت الله فى ذلك قال رحمه الله فلما عزمتم على
الرحيل وقف على النبي صلى الله عليه وسلم وانا ببحيرة قرب دارى ؛ فقال لى
اتريد ان ترحل الى المعدر خوفا من الجوع ؟ قلت له نعم ؛ قال لى : «لاترحل من
بلدك وقال لى كل شيء يصلك الى هنا» وضرب بقدمه الشريفة الارض ؛ قال رحمه
الله فطابت نفسى من يومئذ بالسكنى فى بلدى فصارت الدنيا من يومئذ تزيد
ونجى من كل جهة الى ان بلغ بنا الامر الى ماترون والحمد لله (قلت) قد اقبلت

الدنيا على الشيخ ببركته صل الله عليه وسلم من كل جهة ؛ وكان لا يستقر
بداره غالبا ؛ افضى جل عمره في الاسفار والسيارات مع طوائف الفقراء وكثرة
سياحاته الى جهة الشرق ؛ درعة وحوز مراکش وحاحة وادواتانان ؛ حدثني
بعض فقرائه ان زواياه نافت على مائتين وكان معظمها عند الامراء والسلاطين
والقبائل ؛ لا يكادون يصون له امرا ؛ وقد مرة على فقراء مراکش وبها يومئذ
السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن ؛ فلقبه واحتفل به احتفالا كبيرا الا ان
الناس قد اكثروا فيه القيل والقال ؛ ومعلوم في الفاضل قول الحسنة ؛ وهو في
الحقيقة كمال للمحسود ؛

واذا انتك ملمتي من ناقص فهي الشهادة لي بانى كامل
فقد كتب له العلامة سيدي محمد بن العربي الادوزي بعد مصاهرته له في
شأنها قوله :

بعثت اليك بعض كل فان راعيتك كنت كل راعيا ياخي حكما الخ
(ثم ذكر القصيدة وجوابها التي مطلعها : (جزاك اله العرش خير جزائه)
(ثم ذكر ان صاحب الترجمة رحمه الله لما لم يف بعهد الشيخ قال فيه ثانيا :
(لاتصاهر في سوس درقاويا الخ) (ثم ذكر القطعة الاخرى التي قالها ابن العربي
لاودع بنته ومطلعها : (فراق بنتي صعب الخ)

(ثم قال) : اخذ صاحب الترجمة علمه عن شيخه هذا سيدي محمد بن العربي
الادوزي واخذ الطريقة الدرقاوية على شيخه سيدي سعيد المردى وبيتهم بيت
علم وصلاح ؛ كان جدهم سيدي عبد الله بن صالح - بل هو عبد الله بن سعيد
في غاية من التقوى والولاية ؛ ثم حكى المؤلف حكاية استطرادية ثم اشد بعدها :

وما مات من ابقى ثناء مخلدا
وما عاش من قد عاش عيشا مدمما

وله اشعار ونظم ؛ وقد نظم حكم ابن عطاء الله ؛ حكى ابن الجوزي في
بعض مجالسه قال : «والله ما اجتمع لاحد امله الاوسى في تفريقه اجله» (ثم
ذكر وفاة المترجم وغلط فيه اولا ؛ ثم اصلى الغلظ في طرة الكتاب) ثم قال :
وعهد الى ولده الكبير سيدي محمد بالخلافة بعده واوصاه ؛ (ثم ذكر وصية الشيخ
المشهورة وهي شائعة ذائعة عند اصحابه) ثم قال : وترك اولادا اصلحهم الله
اكبرهم سنا سيدي محمد وبقى الاولاد كلهم نجباء مقبلون على شئونهم وفيما
يرضى الله ؛ نشأوا في حجر العلم والادب والتربية على شاكلة ايهم من التيقظ
والتشمير عن ساق الجد في الدين وتحصيل العلوم الشريفة ثم ذكر كلاما عن
الغزالي في الذين يخالفون «اباءهم الامجاد اتكالا على شرفهم»

انتهى ما كتبه المؤرخ الذي حاول ان يخالف القول الاتي للمؤرخ الاكراري
في بعض ما قاله عن الشيخ ؛ فرحم الله الجميع وبقى الايات المتقدمة توجد
في ترجمة الوالدة (رقية) في القسم الثاني ان شاء الله

قوة المؤرخ الأكثر اري فيه :

وهم شيخ المريين ومحراب المتجردين وسلوة المتقشفين ووزر المطرودين
مربي الانام ؛ ومدير كاس الهيام ومدلل الانوف ومعدل الصفوف قاصع الشهوات
والجمل عن القلوب الظلمات ؛ قاهر النفس ودافع اللبس ابو الحسن سيدى
الحاج عل الدرقاوى طريقة العبالوى نسبة ؛ تحت الجبل دارا ومنشأ - يعنى
الصحن الحصنى - قرا العلم على العلامة الادوزى واخذ الطريقة على الفطرسيدى
صعيد المعدى وعل منواله حاك وبمسواكه استاك افنى عمره فى العبد والاجتهاد
وجال بطوانفه فى البلاد ؛ يقيم اودهم بالذرة ويفطم بعضهم بالذرة ؛ يسوس
كلا باللاقبه ويكون لدا قلبه متنبه - كذا - فكثر لذلك متبعوه وازدحم عل ورده
فمنعوه ؛ اخذ فى نفسه اولا بالتقشف وازدان وقته بالعنف ؛ فلما امتلات
اهوائه بالاناس واطمانت معافله بالاناس ؛ قلب لهم ظهر المعن ومد شباك
الزوايا لما اتى وعن ؛ وقرا (القها ياموسى فالقها فاذا هى حية تسعى قال
هذا ولا تغف) فانتبه الدنيا ونال منها المنى ؛ فجمع وعدد وبني وشيد ونكح
وشاد واكثر السواد ؛ فخطب ابنة شيخه الادوزى ؛ فجاء ولم يقل مكنوزى
وهين كمل النكاح وبرز الزفاف من غير كفاح كتب له الشيخ مانصه وذكر
الايات التى اولها : «بعث اليك بعض كل الخ» فاجابه الصهر سيدى الحاج عل
فقال ناسجا على ذلك المتوال ، الا انه ليس التكحل كالكحل - هكذا الكلمة
بخطه فانلا ان الالف للسجع - (ثم ذكر الايات التى اولها : «جزاك انه الخلق
خير جزائه» الخ) (ثم ذكر ما انتقده فى الايات) ثم قال : «هذا شعر الفقراء»
فليه قال فى الجواب ؛ لياتى بالصواب ويترك لفظه الظهر الذى فيه ارتياب
لم ذكر ابياتا له هو مطلعها : فسمعا ابا الدلفاء الخ) ثم قال الشيخ - يعنى
ابن العربى - متشكيا وللقضاء مسلما وراضيا - (ثم ذكر ابياتا اولها : فراق
بفتى صعب الخ) ثم ان الصهر لم يف بالمهود ولادى الموعود بل اهان المهرة وعصى
للشيخ امره فجعلها من جملة العيال ؛ تطعن ودمعها سيال ؛ وعتها من الزبارة
وراد فى القحة بالنفس الامارة ؛ فتململ الشيخ لدا وتمنى ان يقدبها لوامكن
الغدا ؛ فلما اعوزه الحال ولم تراع الحرمة الرجال ؛ قال رحمه الله (ثم ذكر
ابياتا فيها النهى عن مصاهرة الدرقاويين بسوس ؛ مطلعها : لاتصاهر بسوس
درقاويا الخ) وانصرف عن الكر العنان طالبا من الله المنان ان يمدنا برضا
الاشياخ والفران ويقيل عثرات اللسان ؛ وما زبره فى ذلك البنان وخواء
الجنان ؛ وبرزقنا معهم المجاورة فى الجنان بجاه سيد ولد عدنان وعليه فى كل
هين التكلان ؛ مادام الملوان ودام النيران ؛ فصاحب الترجمة حج وصام وجال
وهام وعزر والام وخصم فى الله وخام وصارم من استحق الصرام الى ان ادركه
العمام فادى الامانة ورشى باختتام وذلك فى ١٠٤٠ - طلوع الشمس يوم

السبت عام ١٣٢٨ هـ فقال سيدي الحاج ابراهيم ايربلي «ايطاس (اي نام) الشيخ
رحمه الله ورعى عنه «امين»

ذلك ما قاله المؤرخ وقد وجب التنبه اولا الى ان الغلط وقع له في وقت وفاة
الشيخ ؛ فانه توفي عصر السبت ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٢٨ هـ ومن هذا الغلط
الذي لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الغلط يكون اليه اسهل فسي
مجريات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ما هو الواقع في احوال الشيخ ثم
لما رأى اتساع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان
يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاويته
في التقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم واوقن بالمشاهدة ان اكل اللحوم وشرب
الاتاي اللذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما في دار الشيخ الا لماما
وفينة بعد فينة؛ ولكن الذي حفز المؤرخ الى مقال كونه سلف الشيخ فانه
تزوج اخت زوجته ؛ فاصاح الى تناجي النساء في مضاجعهن وقد بينا كل ما بين
الشيخ واستاذه العلامة ابن العربي في ترجمة والدتي في هذا القسم كما بينا
ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد في كتابي «الترياق المداوي» و«طاقة
ريحان» واما الابيات التي اختصرناها فانها توجد في ترجمة الوالدة في القسم
الثاني على انني اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجنة
الفردوس على سرر متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهي من البواطن

بعض الامداح في الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدي محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ
وممن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ في اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد
والوداد بما للطريقة الالقية من استى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوي كريم
يخاطب الجناب النبوي :

مالي سواك وسيلة لله ثم	م سليل روحك غوثنا الصمداني
شيخ الحقيقة والطريقة من غدا	نور العيون وعين نور الآن
صبح الغلام وحل نحر عاطل	ملك المعارف فارس الميدان
شيخ الجلالة شاذل زمانه	فرد الاوان وسيد الاقران
شيخي ابو الحسن ابن احمد من بدا	في العصر شمس الائمة الاعيان
اعلى من الدين المنار واحييت	ناره بعهاده الهتان
ذوهمة فعالة وعزيمة	صوالة كالسيف يوم طعان
وله الكرامات البواهر والتقى	والعلم ليس الخبر مثل عيان
اما الفراسة والكلام على خوا	طر حاضريه فثاية الرحمان
وله من التصريف امر واضح	لداخليه بدا على الاعلان
هذا على ادب يحيل به الامو	ر على مشيئته ربه المنان

يانجل احمد يا علي علت بكم
 انت الهمام الشهم يا ذا الهمة الـ
 انت الجواد متى بعد الجود ما
 ان كان يخرج منهما المرجان والـ
 فلکم ندى الارواح بالعرفان بلـ
 اوما جلوت صدا القلوب بحكمة
 وغسلت من ادراها وحبوتها
 فسقيتها من خمرة نبوية
 من ذا يبارى البدر في مجلاه او
 بعد الكرائم وانتفاع الناس بالا
 احببت رسم الدين بعد دروسه
 ونصبت مرفوع الدعائم من هدى
 وبسرك انصلحت عصائب صفعنا الـ
 وبك المعارف والحقائق تجتلي
 قلدت اعناق الرجال اولى النهى
 ماذا وراء النفع يطلب شاهدا
 هذا الامام العارف الفاسى ابو
 قد قال ان شهود نفع الناس من
 بصميم ما منحوا من السر الذى
 ولقد سمعت بشارة من شيخكم
 قد قال انك فى مقام الشيخ غو
 هذا الى ما جاء عن اهل البصا
 يامن عليه الباب مسدود انخ
 خيم بباب الفضل والكرم الذى
 فى حضرة قدسية نبوية
 فاذا الخطوب عدت عليك وارجف الـ
 فاعطف لمن اقلت مقاليد الوجود
 هذا العماد وذا السناد وذا الغيا
 هذا الذى ما امه ثوعسرة
 هذا الذى تعنو وجوه العارفيـ
 فاذا افاد العلم فهو الشاذل
 اخاذ افئدة الرجال بهمة
 يصطاد ارباب القلوب لحضرة الـ
 شرفا وفخرا بلذخا للغرب مسن
 بزغت به فى «الغ» ما ادراك ما

رتب سمت قدرا على كيوان
 قعساء ياغوث الكسير العائى
 كعب وما هرم وما البحران ؟
 بدر النضيد فذا نفيس فان
 به الجود للاشباح بالالوان
 صمدية من سرك الصمدائى
 علقا نفيسا غالى الالمان
 ازرت بما اروت بغمر حنان
 يرتاب فى شمس سوى العميان ؟
 مداد فى الاسرار والاعمالان
 وخبو نور الحق بالطفيان
 خفضوه بالدعوى مدى ازمان
 سوسى من قاصيهم والدانى
 صرفا على رغم الحسود الثانى
 منها عقود الدر والعقيان
 بجلالة التخصيص للاعيان
 زيد من الفر الكبار الشان
 اهل الولاية واضح البرهان
 خص الاله به ذوى العرفان
 العارف الاسنى ابى عثمان
 ث زمانه الجمل الرضى العمرانى
 ثر غيره فيما لكم من شان
 واحفظ رحالك فى هنا وامان
 من حل فيه ثوى اعز مكان
 هذا على بابها الرحمانى
 سعادى واشمكت انقلاب زمان
 د وملكته سائر الاكوان
 ث وذا حمى المستضعف الولهان
 الا وباء يحفه اليسران
 من لنور طلعتة كما السلطان
 او فاض بالاحوال فالجيلانى
 من هم فيه غدا مقود عنان
 محبوب معنى الروح والريحان
 شمس المعارف والهدى الربانى
 (الخ) لقد اربت على البلدان

عظرت بطيبك بعد عترتك الالى ورثوا الي المجد عن اعيان
سلف لهم نالوا العلا بولادة الـ سطيبار جعفر اكرم الفتيان (١)
ربي بحرته المنى المبني من فيض جود الواهب المنان

وبمناسبة ما ذكره العلامة ابن مسعود في هذه القصيدة ، وبمناسبة ما
نقدم عن المؤرخين المذكورين ؛ اثبت هنا بعض ما قيده ابن مسعود مما يتعلق
بروحانية الشيخ ؛ ومن هناك يعرف القارىء كيف الشيخ عند اصحابه ؛ وقد
ظفرت بهذه المقيدة وشيكا حين وصلت هذا الموضوع من الترجمة ؛ انقلها من
خط ابن مسعود نفسه ومن هذا يعرف القارىء المكانة التي للشيخ عند علامة
سوس ابن مسعود ؛ بله غيره ؛ قال مانصه :

«اخبرني بعض الفقراء الاخوان انه كان في مرض شديد من علة القرحة
المعروفة بقرحة النار ؛ فلزم الفراش وعالج القرحة بالنار الا انه مازال ملازما
للغراش بعد المعالجة فرأى شيخنا رضى الله عنه جاءه وهو يقظان غير نائم ؛
فكففت الشوب عن وجه المريض بيده وتفل على يده ومسح بها موضع القرحة
فهل ذلك مرتين وخرج عنه ولم يكلمه ؛ فنادى المريض امراته وقال لها ان
الشيخ رضى الله عنه خرج من عندي فانظروا اين هو وانزلوه في محل الضيوف
فقالت له ما راينا ولا راء احد فخرجت وفتشت فلم تجد احدا ولا راء احد من
الجيران فلظهر الشفاء عليه من ذلك الوقت ؛ ولله الحمد مع ان بلدة الشيخ بعيدة
من بلدة الاخ المذكور ؛ بينهما مسافة قريبة من يومين

متى كان حكم الروح للجسم لم يكن	ليثقل من كثافة البشرية
اذا ازدوجا وزالت الحجب التي	تعوق من تنافر الثانوية
اقاضت عليه الروح ما كان مودعا	بها فارتدى بالخلعة الملكية
بامدادها يسير فى الجو ماشيا	على الماء والدنيا لديه كخطوة

وسمعت الاخ المذكور وغيره يقول : سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول :
مامن فقير ينتسب الينا (الاوهمتنا) معه فى اى موضع كان فى جميع حركاته
(او كما قال)

ووقفت على رسالة ارسلها الشيخ رضى الله عنه الى بعض الفقراء فيها
من جملة كلام له مانصه ؛ وقد اشتقنا للملاقة اكثر من اشتياق الوالدة لولدها
المرضع ولكن الحمد لله قد بلغنا مرتبه فى ملاقة الارواح ، تفنى عن ملاقة
الاشباح ؛ ولذلك يسرى المدد من الاشياخ الى المريدين ؛ ولولا ذلك لم يمكن
احد ان يربى احدا ولم يعرف ذلك الا من ذاقه . وكيف يكون ذلك عند من يجد

(١) انظر فى ترجمة سيدي عبد الله بن سعيد ما يتعلق بهذه النسبة الجعفرية

ذاته تتمثل بذات مردييه ؛ او بذات شيخه ؛ وانما ذلك من غلبة الروح على الشبح وبذلك تقع المشاهدة النبوية عند جولان فكر اهل ذلك المقام بقلعة ؛ وذكر الشئ بترك سواه هو الذى يفنى» انتهى الغرض منها

واخبرنى بعض الاخوان انه وقف على رسالة للشيخ رضى الله عنه بخط يده الكريمة ؛ فيها من جملة كلام له مانصه : ولا تهملوا ارشاد عباد الله الى الله ؛ فذلك الذى وصيناك عليه (لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس من حمر النعم) فلا خير اكثر من ذلك ؛ (ومن احسن لولا ممن دعا الى الله)؟ الى ان قال: وسلم منا على جميع الاحباب اينما كانوا (فهاهنا) معهم اينما كانوا والاحوال كلها بخير

واخبرنى بعض افاضل الاخوان ؛ من المتجردين ان بعض من ينتسب لطريقة الشيخ رضى الله عنه ممن تلقن منه ؛ لقي فى بعض الامصار بعض الامراء ممن كان بينه وبينه صداقة ومع الامير المذكور بعض من جاء من قبل السلطان رسولا اليه يدعو الى حضرته ؛ فذهب الفقير المذكور معهم صحبة الامير المذكور ؛ فلما دخلوا اغلقت عليهم الابواب ؛ وظهر للفقير انهم يريد بهم الحبس والنكال فاستغاث بشيخنا رضى الله عنه ؛ قال فجاءنى الشيخ بنفسه رضى الله عنه واخذ بعضدى وقال : مالكم وللدخول فيما لا يناسبكم او ما يقرب من هذا ، ودفعه الى خارج الابواب ؛ والحرس على الابواب كالعادة فى مثل ذلك ونجاه الله تعالى قال المخبر بهذه الحكاية ؛ قد حضرت الشيخ رضى الله عنه يوما وقد فرقت المتجردين رضى الله عنهم لجمع الناس الى موسم على العادة ؛ وكان فى الوقت خوف وفتنة ؛ فقال لهم ما حاصله : لا يخطر ببال فقيرنا خوف اللصوص ولا السباع ولا الحيات ولا العقارب يشير الى انه لا ينبغي ان يظن توحده عن شيخه لانه معه سره وهمته دائما نحو ما تقدم عنه رضى الله عنه

واخبرنى الفقير المذكور ان رجلا كان من رؤساء قبيلته قال له : انه ورد علينا الشيخ مع الفقراء ؛ ولم يكن فى الموضع من يهتبل بهم فطلبوا علف دابته فلم يجدوه فاتيتهم بمخللة مملوءة شعيرا ففرح الشيخ رضى الله عنه بذلك، قال ومضت مدة عن ذلك ؛ ثم لحقتى مرض لزمته منه الفراش ولحقتنى منه شدة فظهر لى الشيخ وقد خرج الى من جدار البيت الذى انافيه ويده المخللة التى ملاتها له بالعلف ؛ قال فرفعتى من ضجعتى ؛ واستندنى الى الحائط وجعل بينى وبين الجدار تلك المخللة وهى مملوءة شعيرا ؛ ثم دخل فى الجدار فى الموضع الذى منه خرج ؛ وجاءنى بحمد الله الشفاء فى الحال

واخبرنى بعض الاخوان من الفقراء ان بعض رؤساء قبيلته لقنه الشيخ رضى الله عنه الذكر ؛ فنهاه عن مخالطة رؤساء القبيلة وامره بالاجتناب والانكفاف عما هو شأنه قبل الانتساب الى الشيخ وبعدما فارقه جاءه فى بعض

الأيام رسول الرؤساء المذكورين يستدعونه الى مجتمعهم كالمادة فجاء اليهم ؛ فلما كان في الطريق احس ببطئه تحرك عليه كأنه يريد الاستفراغ ؛ فذهب الى محل قضاء الحاجة فلم يمكن له الاستفراغ فذهب اليهم فلما جلس اليهم لحقه مرض البطن ؛ فقام عنهم الى داره وبقي كذلك الى مضي سبعة ايام وهو بحال المرض المذكور محصور عن قضاء حاجة الانسان وفي اليوم السابع بقرب الزوال أخذته نفوة من المنام ؛ فرأى الشيخ رضى الله عنه قد خرج من بعض بيوت دارالرجل المذكور ؛ وجاء اليه ومسح بيده الكريمة على بدنه فانتبه ؛ ونظر في جوانب البيت الذي هو فيه كأنه بحال فزرع فسألته زوجته ما بالك فحصل له الشفاء في الحال ؛ وقام من فوره وذهب الى الكنيف لقضاء الحاجة انتهى ما نقلته (مع بعض اختصار) من خط الاستاذ، سقته كتمة لما هو في القصيدة الثونية؛ ولعرفة ناحية اخرى عن الشيخ مما يتداوله عنه اصحابه وتتكب نحن الاكثار منه . لان ذلك يناهى بعضه سن الكون التي لا يومن الا بها عند غالب أهل هذا العصر . وان كان المومن يوقن بان الله قادر على كل شيء مما يخرق عادة تلك السن

ومن امداح ابن مسعود في الشيخ قوله :

بالر بها	لمرابع الزهراء	تلق المنى	بالقاعة الوعاء
واهل بصرها	الفسيح الطرفوا	رح ناعما	بتواصل السراء
الطالسي	كلنا بغزلان النقى	او وصل كل	خريدة غيداء
حسبي هوى	فئة تظن وجوههم	زهر النجوم	تضي في الظلماء
نور السرائر	في الاسرة لائح	متبلجا فيهم	لفرط صفاء
جل مرايا القوم	صيقل حكمة	وهداية من	عارف الغبراء
الشيخ قطب العصر	سيدنا ابى ال	حسن بن احمد	فارس الهيجاء
ياكبة ياوى	لساحة برها	اهل القلوب	وجلة العظماء
ياروضة من جنة	بل حضرة	تسى نعيم	الخلد بالالاء
يانجمة المرتاد	يانور البلا	د وملجأ	المهوف في الحوباء
طال التقاعد	والتكاسل بالفتى	فسعى لبايك	سيد الكرماء
قصدي من الكرم	العريض اغائة	بتخلص من	كربة اللاواء
برحيل هذا القلب	عن كدر العوا	ند والحظوظ	وغفلة القرناء
وتعلق بالله	في الاحوال وال	جمع الزيل	لمعضل الادواء
انت الملاذ ومن	يلوذ بك احتمى	في دهره	من فادح الاسواء
انت المعز لمن	هواه هوى به	لهزيمة	الارجاس والارجاء
انت الطبيب لكل	من جنحت به	نفس تبوء	به الى الرضاء
انت الممد بنظرة	يرقى بها	قلب الحضيض	لهمة قعاء
انت المنفس	كربة المكروب يلى	سهب قلبه	بشماتة الاعداء
انت المسود	والمتوج تاج اهم	ل الله	باب مصادر الاشياء

تهواه ينفذ دون ما ابطاه
 بالسقى حفظ صنيعه وذمناه
 يزرى بفيض البحر والانواء
 مضطر من منن لكم بيضاء
 والعبد عبدك رافع الحوجاء
 عود تموه قواضل الآلاء
 ما الحق العرجاء بالوجناء
 تسخ الظلام بفرة وضياء
 ففدا بتاجرها رباح زكاء
 احسان والعرفان ربح كباء
 سامي يصحبكم كما الحكماء
 ل الخمر ملتبسا بحسن بهاء
 عى الحب للتفريد والانشاء
 حلل الحياء تيمس كالحسناء
 مقروحة تبغى جزيل حباء
 سب سنائها بصفاتك العليا
 عجا ولا تكليف بعد فناء
 سعافين بالالطاف والنعماء

انت الخليفة عن رسول الله ما
 انا غرس نعمة سادتي فليدركوا
 حاشاكم ياسادتي ونداكم
 حاشاكم حاشاكم ان يحرم الـ
 والجاه اعظم والعوارف جمه
 لولاكم ما كان يطمع فى النداء
 او لم تفيضوا من جدا نجاتكم
 حيث ينورك شرعة التوحيد وان
 واقمت سوق العشق بعد كسادها
 وعمرتها حلالا يفوح بها من الـ
 وريح الجهول اما كفاء تبحر الـ
 وتهذب الجلف الغليظ كما استعا
 هاذى عجالة راقض ناداه دا
 واليكها شيخ المشايخ ترتدى
 بنت السبيل على كلال فريضة
 فان ازدهت مماحوت من شر طيب
 فمن اطباء جمال بركم فلا
 لازال جودك وابلا ينهل للـ

وحيث اطلع على القصيدة شيخنا الاديب سيدى محمد بن الطاهر
 الافرانى قال فى تقريرها :

شمس الدكا باشعة وسناء
 والزهر يمحق نورها بذكاء
 نفع الزهور مطيرة وكباء
 ازرى بما يهوى من الانداء
 ل تبلى الانوار فى الظلماء
 اعطافها بالعجب والخيلاء
 حاكت مديح معطر الانباء
 حسن ابن احمد قدوة العلماء
 اغنى عن الانشاد والانشاء
 صيت سرى بشواسع الارحاء
 شمس المكارم دون طول عناء
 سعالى عن النسرين والجوزاء
 من معدر قد حل بدر سماء
 غرر الدهور وكاشفوا الحوباء
 فيض ومن سر ومن نعماء

لاحت فاعشت اعين البصراء
 اخفت نجوم قرائح لما بدت
 وسرت روائجها معطرة فما
 وهمت بودق بلاغة وفصاحة
 وتبلجت بلوائح الاسرار مشـ
 وزهت بطلعتها على خود ننت
 سرت قلوب العارفين لانها
 مدح الكريم الشيخ سيدنا ابى الـ
 شيخ الهدى بحر الجدا من فضله
 العارف الهم المحاسن من له
 وابائها الشيخ الذى دانت له
 الثاقب الذهن الرفيع المجد والـ
 ذاك ابن مسعود الامام محمد
 ورث المكارم عن جنود كلهم
 بشاركك انك نلت ماتبغيه من

وحببت بالأنوار والأسرار والـ
 آية أبا عبد الله فقد منحـ
 لها نزلت بها أذهبت وترحبت
 فاهنا بها أوليت من مولاك من
 اجلال والاعظام والالاء
 ست عوارفا من حضرة غراء
 بك يا حليف سيادة وعلاء
 فضل عظيم جل عن احصاء

وله فيه ايضا :

فما بالظي في اراكة نعمان
 واما بها صوب الحبيب مرابعا
 بها نشر التسييم من كل نفحة
 منازل من اهوى منازل للصفاء
 اذا ماصبا نجد سرت نسمااتها
 وان غرد القمري في غصن ايكاة
 انام شان الوجد ثم يشه
 وروى احاديث الهوى ورعيه
 وانى لاسنحل اذكارهم وما
 ولو ان ما الاضلاع منى تكنه
 وما شافنى وصل الفوانى ولاهمت
 نجهت الاهواء في حب من غدت
 وذلك امام الدين من شهدت له
 ابو الحسن ابن احمد الفوت من بد
 ابان دقائق الحقائق فاهتدت
 وجل بما حل به كل مسمع
 افاد وهذب القلوب فاصبحت
 مجالسه رياض جنة ازلفت
 وينفع من انهارها كل غلة
 وفيها شفاء كل قلب مكد
 نتيجة خلوة مع الله جلوت
 فما شئت من معنى لطيف وحكمة
 ومن مدد يسرى بنور محبة
 ويرتلى به من سفلى فرق مشتت
 ومن كلمات يفلق الصم وعظها
 فيصبح من بعد الفواية واضح الـ
 هل قدم التجريد للحق سالكا
 وعلم وايشار بمال ومهجة
 هل سنن العلم القويم لحجة

وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان
 سقتها غواذى المزن من سح هتان
 يغار لها تضر زهر وريحان
 نسيت بها فردوس حور وولدان
 تمل بها لبي وروحي وجثمانى
 اثار بلابلى بتغريد العنان
 من الدمع غرب ذوسكوب وتهتان
 فتحتاج لوعتى بجيران غسان
 ازيد به الاصابة هيمان
 برضوى لذاب من حرارة اشجان
 دموع محاجرى لفرقة خلان
 محاسنه فى العصر زينة اكوان
 معالى الهوى ان ماله فيه من ثان
 تفضائله كالشمس فى سطح برهان
 اليها النهى من حسن لفظ وتبيان
 من الدر ما انسى جواهر تيجان
 كزهر النجوم زانها حسن ايقان
 تدار بها مدام حب وعرفان
 بها سلسيل لاحميم ولا ان
 ضليل عن الخيرات فى الارض حيران
 طرائفها لكل غرثان صديان
 منضدة تزهو على عقد مرجان
 كما سرت الصها فى عقل نشوان
 لاوج فناء الجمع منزل احسان
 ينيب بها لله كم من فتى جان
 سزهادة موسوما ببهجة ايمان
 بعزم وصلق فى تبلى رهبان
 وحزم وجد عن بصيرة يقظان
 بها سلك الهداة من كل ربانى

فزهرهم تر التوحيد في شخص انسان
 اما في انبلاج الصبح احسن عنوان؟
 هم السادة الابرار من غير اعيان
 عطرن بذكر الله من بعد اثنان
 فيوضهم يحظى بما فوق حساب
 وللشيل شبه من غضنفر خفان
 ساما جد يافرد الندى طود القران
 كما خلف الصديق مفخر عدنان
 وشيدتها صرحا باوثق اركان
 غدت كعبة للفضل من بين اوطان
 وهل شرف الاوطان الا بقطان؟
 بها فلها فخار فضل ورجحان
 وهل برمال عالج طوق حساب
 على نفس النسيم امداح حسان
 عن القصد والمجدود من ليس بالوانى
 وقدحيل بين العبر والغرض الدانى
 بنور من السر المويد صمدانى
 عليك به ينهل وابل رضوان

اناس من التوحيد صيغت نفوسهم
 هم الانجم الزهر السواطع للعلا
 هم القادة الاخيار شم ججاج
 لهم في السهول والنجود مواطن
 هم القوم لايشقى جليسهم ومن
 هناك الهلال موذن بتمامه
 اشمس الهدى بدر الفتوة مقتدى ال
 خلفت الامام الساللي بهديه
 واحيت من رسم الطريقة ما عفا
 وشرفت من تلك البقاع معاقلا
 طلعت بها سعد السعود وزهرة
 ليها بلاد الغرب انك ناشىء
 تطلعت بالقريض ابى امتداحكم
 ولو مدلى في الباع سيرت نحوكم
 ولكنها الاقدار تعدل بالفتى
 «اهم بامر العزم لو استطيعه
 بقيت لاهل الدين روحا تمدهم
 وازكى سلام طيب النشر فانسج

وله فيه ايضا :

بسمت مطلعته من الافراح
 بجينها الاعلام كالاصباح
 ويروح تحمله صبا الارواح
 صرفا بلا مزج رحيق الراح
 ومواهبها من ربك الفتاح
 مجد خصصت به من الملاح
 نجوم قلاندا لنفائس الاملاح
 سفر التي استغنت عن الايضاح
 فيما يروم بضاعة الافصاح
 ست الكتب من عجل عن استفتاح
 تحيي به الارواح كالاشباح

ياسيدا من نوره الوضاح
 زانت بك الايام غرة اهتدت
 الف التحايا من الهك يفتدى
 تسقى نديم الروح فى نادى الندى
 تزداد منه معارفا ولطائفنا
 ماذا يعد الشعر من شرف ومن
 هبنى بسطت القول اوصفت الن
 من لى بعشر العشر من اوصافك ال
 فاعذر ضعيفا مفعما قصرت به
 ضاقت به سبل الكلام وضاق وق
 لا زلت شمس الدين صيب رحمة

وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ:

ابى الحسن الالفى ياسلوة القلب
 بهم دارهم فالجمع فى وحدة الحب

اسادتنا صحب الامام الرضا القطب
 سلام عليكم من محبين ان نات

ويهلون اليهم لفرط تشوق
فمنوا للفضلا عليهم بزورة
بقيتم نجوما للهدى بسنائكم
الكم كما الفلمان للبارد العذب
تزيد بها صباية الهائم الصب
نزاح غشاوة الخطوب عن اللب
وله فيه ايضا :

ليهنكم يا ال الخ مفاخر
سموتم بلورا بل شموسابنوركم
فابقاكم للعلم والفضل والهدى
فخرتم بها من بين غرب الى شرق
تفتق زهر الفضل من بعد مارتق
اله حياكم في العلا قصب السبق
وله فيه ايضا :

نسمات الرضا وروح سلام
شيطنا الاوحد الهمام امام ال
شادل الزمان روح الكمالا
تهندى دائما لمفخر الخ
مصر قماع كل غى وزيف
ت ومعنى الهدى وطارد نزع
وله فيه ايضا :

سلي الله الحمى من تحت حصن
هناك من الاماجد كل ندب
هناك احبة يسلو فؤادى
وهم روى وريحانى وانسى
فلا برحت مراتبهم رياضا
غزير الوبل من هطال مزن
وركن فى النوائب اى ركن
بذكرهم فيجلى الكرب عنى
وجنة بهجتى وجلاء حزنى
بساحتها ثمار الوصل نجنى
وله فيه ايضا :

تلك شمس القلوب بانث فتاهو
علانى فالاسم عين المسمى
وتلاشى بنوره كل شىء
ياغريبا هم الكرام اصيخوا
بلسان عن حضرة القدس ينشى
ارحموا العبد منة واقبلوه
ياعل بن احمد من به قد
وتعطر غربنا بشدها
يااماما قوت القلوب واحي
له در السعيد شيخكم قد
عارف الر عارف وشموس
ان فى القول لاتساعا ولكن
فعلبيكم تحية وسلام
ام سبى اللب سمع قول الفتى «هو»
بحديث من طاح عنه سواء
صار عينى اذا انا اياه
لعييد يهدى اليكم ثناه
منكم واليكم منتهاه
فهو ضيف لكم وفكوا عنه
طاب سوس وذكره وسناه
وبانواره استنار دجاه
ساء المعارف من مفاض نداءه
طاب فرعا وطاب اصل جناه
نخبة الشاذلى طاب لراه
لات حين استقصائنا ادناه
يعبق الكون دائما من شداه

وله فيه ايضا :

اقول لمن قد شفه الوجد ماتبقى
انخها بنال احمد فعليهم
فلا بحماه واحتفظ بجنابه
محل مهذب الخلاق بالتقى
وتصبح في روض المعارف نائرا
فاجابه الشيخ بقوله :

ايا طالبا سر المعارف في الخ
وداوم على ذكر الاله تر الذي
وجاهد وراقب ثم شاهد جماله
وله فيه ايضا :

ياسيدا اطلعت بالسوس طلعته
حيثك عنى صبا نسيما ارج
يستوهب العبد ان يرعاه خاطرهم
وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ من المتجردين :

ياسادتي الغر العظام الشان
اصحاب عارف عصرنا الالفى ابى الـ
هبت على اشباحكم وقلوبكم
منوا بدعوة صادق متوجه
للعبد بالتوب الصحيح مع المفا
فالعبد محسوب على ابوابكم
وله فيه ايضا :

حي ربع الرباب من تحت حصن
وبوادي العقيق فيه فخرج
واقرا عنى تحية من مشوق
وتمل من الجمال ونب عن
عاقه ان يزورهم سوء حظ
وله فيه ايضا :

ان فائك القطب ذاك الشاذل فلذ
فقر من الله بالرضوان واقتعدن
بدا خليفته الالفى ابى الحسن
للدوة العز نائيا من المعن

وترى الهوى وسط المنى متلافا
روح الهداية للذى قد سافا ؟
يحيا فؤادك تنتعش وتلافي
فى الخ تكشف فى القلوب سجاها
يزلن طول حياته مهيافا
بين الآوان قراحها وسلافا
كف تعير لغيرهم اطرافا
عندى وما اعتده اطرافا
من لايراهم غير ما قد عافا
نال العلوم وعاشر الاشرافا
الصاد ثم الدال ثم القافا
لدا ابى الحسن الذى قد صافى
ها منية القلب الذى قد زافا
لقى القبول لديه والالطافا
لايغدى قولى لديه غرافا
متطلب من فضله اتحافا
ل الله من قد مولوا من سافا
رفع اللواء وارشد الاطرافا
فاشى اذا ما حكته افوافا
لقى كلامى فى المديح جزافا
م ومن هم قد البسوا الانصافا
الخ الهدى وعلى سناه اشافا
امواجها ان تغمر الاسيافا
بالقيث حتى الفهم الاكنافا
بضياتها من كونها الاعطافا
س سوى القصور لمن غداوصافا؟
سوهاج من انوارها اوصافا ؟
فيمن شأى الاخلاف والاسلاف
فتح القلوب وزحزح الاصدافا
متلا لا بيريقه خطافا
عرضا ولو فى ساعة اسدافا
نحى الظلام عن النهى فتجافى
فيه قصر مجحف اجحافا
ض شماتلا ومناظرا ولطافا

ذل من كؤوس ودادهم فتصافى
كيف الحياة بلا شعور القلب من
فاجعلك من اتباعهم ان شئت ان
ان الطريقة قد تبلج بدرها
من لم يرد من عند منبعها فلا
مد ذقت من رشقاتهم انسييت من
قد تيمونى من جمالهم فلا
فهم فؤادى واللسان وكل ما
فهم جمال الكون اجمع لايرى
ليس النجاة بكف غيرهم وان
فهم الدواء لغيرهم حتى غلوا
لاسيما مثل الامام القطب سيب
قاله كل محامدى جمعا في
وببابهلقى الرحال لعلنى
وانا على لسن القريض اريخ ان
فانا له حسان مدح دائم
فليعلم الثقلان انى عبد اهد
اصحاب قطب الكون من فى الخ قد
فيه القريض اذا اقول يلد لى
لايحسب الشعراء انى مثلهم
قاله يعلم والملائكة الكرا
وجميع من قد ابصروا ماكان فى
انى كمن يشى على الدأماء فى
وكمن يطيل المدح فى غيم همى
وكمن يشيد بنور شمس الحفت
هل فى البعار وفى الغيوث وفى الشمو
انى يحيط بمائها الشجاج والـ
فاذا يكون المدح حقا صادقا
مثل الامام امام هذا الجيل من
وابان هذا الدين صعدوا مشرقا
وازاح عن الباب من يلقى ولو
وارى العيون من الخ نورا ساطعا
فالمدح فيمن كان هذا بعض ما
وان استعار المادهون من الريا

يعلو الوغى ويعانق الاسيافا
 ك سوى مخايل تكتسى اليافا
 صوتا لما يجتابها مخطافا
 بفؤاد من ورد الحمى مستافا
 لم يفد عند بنى اللوا عراقا
 له لمن يشاء فيكتسى الالطافا
 ب يفتح الاسماع والانصافا
 ملها لكل اللغو ممن عافا
 ان تبغ من خلاقك الاتعافا

او من عزيمة باسل متدريج
 ماذا اجمع ما يؤدي ما هنا
 تحكى كما يحكى الصدا من شعبة
 لكن ما قد كان حقا يجتلى
 مازال مكتتما وليس يراه من
 سر من الاسرار يلقيه الالـ
 واذا يمس كلام صاحبه القلو
 فينيرها نور الهدى فيكون حا
 لاسعد الا ان تكون نظيرهم

* * *

من بعد ان ذاق الجسو وعافا
 نحتت عن قلب العبيد غلافا
 زما طويلا سمت فيه تلالا
 واريتنى كيف الهدى اشرافا
 جرف القواية والضلال تلافى
 وان ارتقى العلماء والاشرافا
 وان ادعوا وتنكبوا الانصافا
 ما لم يلاقوا واعظا لطافا
 كانت لكل مضرة اهدافا
 وعظ الورى فيعلق الاشنافا
 ل هواجر فى عمره الاافا
 ن وهزه بعظاته الاكتافا
 جعل الهوى فى جانبه سلافا
 ضخم الكرادس لايميد ؛ معافى
 شيخ المشايخ حاملا الطافا
 والطب يفوق تارة عنافا
 يبصر طبيب عيائه كتابا
 ما قط عاشر همدا اجلافا
 من هؤلاء تحولوا اشرافا
 من بعد ان كانوا هم الاطلافا
 الاقوام تهدى منهم اصنافا
 ول من ثمار نظيره اقطافا
 ك يرى له من دونه الاعرافا
 ما ان ترى فى الممرعات عجافا
 ن لسر شيخهم الهنى الاخلافا

يامن به عاد الفؤاد لا منه
 لك مايفوق حقوق من نجلا وقد
 انقلت من سنة تلمدى سجعها
 واملت من رسنى الى جهة الهدى
 فباى شكر يلتقى من كان من
 من لم يفق لم يدبر ما غفلاته
 ما اغفل المستدمنين هواهم
 لكنه هيات ان يستيقظوا
 يضع الهناء مواضع النقب التى
 مثل الامام اما هنا من دابه
 خواض كل تنوفة ركاب كـ
 ماقصده الا انتشال الغافلـ
 كم من جهول غافل فى اهله
 لم يدبر كيف الرشيد او كيف الهدى
 سبقت سعادته فقيد لذاته
 فيسيمه رغما دواء شافيا
 من ياب تطيب العياء بعنجه
 فاذا بذاك الغفل عاد كانه
 ادر العيون تر الالوف وكلهم
 عادوا رؤوس الدين بين هداته
 هدى يد الفية تسدى الى
 كل ينزل فى منازلنا
 هذا يرى الفردوس منزله وذا
 والكل راض والمقاصد واحـ
 فتراهم زمرا اذا ما يرضعوا

يتوارثون عليه هيبا ثم يصعد
الله اكبر هكذا كنا سمعنا
كالمسائل ونسجله المرسي ان
لكن يفوقهم الامام الشيخ قطب
بمزيمه فعالة قوالة
يلج البيوت على بنى القفلان رغد
فيربهم نهجا الى خلاقهم
هدى المفاخر لا مفاخر قصعة

* * *

يا ايها الشيخ الذي فخرت به
دم للطريقة قائدا في رتبة
وعليك منى يمام تحية
وارع العبيد القدم من بعد لكى

لأبن مسعود في هذه القصيدة نفس يريد ان يحلق به ؛ لو انه نقح القصيدة
وراجع بعض الفاظها ؛ لكن الخطب في ذلك سهل من امثاله الذين يلقون ما يلقون
هل فوائده وهي من فصائده التي خاطب بها الشيخ بعد رجوعه من السياحة
الاشيرة ؛ اعطاها له في المعبر ثم بقيت في مبيضتها الى ان ظفنا بها ؛ وكذلك هذه
التي يليها فقد ارسلها الى الشيخ في مرضته التي توفي فيها ؛ وقد سمع بانه ابل
من مرضته ؛ وهي :

ليهنا الورى طرا بابلانك السعد
ولاح لها من نور وجهك نورها
لقد ضجعت الآفاق وانهد من قوى
بشكواك يافرد الوجود وزعزعت
مرضت فمرضت القلوب وحل في
وخلنا قوام الدين قد حان حينه
فعمدا لمن بالبرء رد حياته
واض الى افراجه كل مشهد
غدوت معافى يا امام فعوفيت
وعاد ابتسام منتطاب مؤثر
ففي اليوم عاد الجو ابيض مشرقا
وعاد القرار بعد طول تسهد
فهذى عيون الناس يغمرها الكرى
واصبح في تلك العالم نافع
فماشئت من قوت القلوب تجيش من

فقد عاد منه للعلا البخت والجد
وزال بها من برئك البؤس والجهد
مكارمها ما لا يظن له هد
حلوم فروم دونها الشامخ الطود
سويدائها ما نشق من حملة الصلد
غداة راينا قطبه هزة الميد
فتبليج البشرى وينكشف النكد
من الخير واحلولى لراشفه الشهد
مكارم قد اشفت وساومها الفقد
الى فئة الايمان فالشكر والحمد
وزال ظلام النحس وانبلج السعد
الى نظرات طالما مضها السهد
وقد امننت وارتاح بالراقد المههد
من الانس طال عن نوافحه العهد
ينابيعه الامداد ما ان لها حد

بها انتعشت من بعد ادوائها وزا
 وما شئت من حب النبي وصحبه
 وما شئت من روح يروح عن قوا
 وما شئت من ريحان نور يرف في
 وما شئت من معنى شهود يريك في
 كذا فلتطلب اعمار زهر تارجت
 بهم يختمى من سامه الدهر خسه
 حمى الله لاجوار جار ابي دوا
 بهم في دجنات النوائب يلتجى
 بهم تنجلي الحوباء والغزى والردى
 لهم هم تفرى الطباقي وترتقى
 هم اسرتى ونصرتى وبعزهم
 وهم مقبى وفيلقى ومقاولى
 وهم كرشى وعيبتى وبعبهم
 فيعاذلى كن عاذرى فى تولهى
 اخالك مختل المزاج وكيف لا
 فرد سلسيلا واغتنم فرصة من الـ
 ولا تغترر بالدهر يوسعك الجدى
 فما قر قارون على كنزه ولا ابـ
 وغال نديم الفرقدى من اغترا
 فقبجا وشقعا للمفتن تطيبيـ
 وراقب على مدى الزمان الاله واحـ
 تهاونت بالانفاس وهى نفيسة
 فلا تحقرن فى الشر نزا فداحس
 وحاذر وان اركبت عزا ممنعا
 فكم كان من جرا تهور ناطق
 فذا عروة الرحال عارضه البرا
 اراد اجازة اللطيمة ذمة
 وماخاله بالخفر يجسر ضلة
 الم بافداع فاوغر صدره
 ومن يعتصم بلبه لا يخاف من
 وكن نابدا من لم يعنك على الهدى
 وسر فى محجات الصواب منكبا
 فهذا امام لا تكدر بحره الـ
 يجود على الالباب من نوره كما

نها الحب والتوفيق والشكر والزهد
 وشرعته حبا يضوع به الند
 د صب به اشفى على لعله الوجد
 ملابى بهجات تغار لها هند
 مجال الكمال الحق ما دونه بهد
 بطيب شداهم التهائم والتجهد
 فيورك عزا دونه الا بلى الفرد
 د لا يستبيح جاره الدهر من يعدو
 ضعيف على الغد لان اعوزه الايد
 بهم تبلغ المنى؛ بهم يقتضى الرشيد
 الى العرش تحت بطشها الملك والجند
 اصول على دهر به تهضم الاسد
 وفخرى اذا الناس المفاخر قدعدوا
 غنيت؛ وكنز النطف يفنى له العد
 بسر جمال من اشعتهم يبدو
 يهيجك نور الحق ما دونه صد
 زمان ففوت العمر ليس له رد
 هنيئا فان السم يودعه الشهد
 من جدعان بل اودى بجفنته الاد
 ره الراى لم تلبس له الا درع السرد
 به زهرة فان وجد رقرقه فقد
 تفظ بالتقى؛ والعلم ما فوجه مجد
 وفي غفلة عما يراد له العبد
 بتنفيه يوم الرهان التظى الوقد
 مصارع بقى هزلها فى الورى جد
 هلاك امرى يتماع من بطشه الفهد
 ض بالفتك دون ان يتم له الوعد
 على الشيع والقيصوم فاغتاله الكيد
 عليه؛ ومن يحقر فلا بد ان يعدو
 عليه وقد يستهون الفاتك الجلد
 مزلة اقوال يضيق بها القصد
 فهم بهرج يبدو اذا سبر النقد
 عن الفى لاتحفل وان عدلت دعد
 دلاء ولم يخب لرائده قصد
 يدود من الاكدار ما ان له حد

يعلم بأذن الله ما أبرم الشد
نعم لظرة من سيبه دونها الجود
والاحنف حيث الفيض في جمره وقد
بها سالك اليباء جد به الجد
من الرنق التنقيص؛ يا حبذا الورد
حمره لم يستمه ناب ولاحد
الى غيها الهطال ينتج الوقد
ولكنها كالدرد ضمنه العقد
بتعدادها من طيب انفاسه المد
بتوصيفه والعقل يحجزه الحد

متى حلت الاحزان واشتد عقدها
يشي ابن سعد جوده وابن مامة
يشابهه في العلم ليس بن عاصم
هي الشمس ما من دونها السحب يهتدى
هو المورد العذب الذي لا يشوبه
هو الجنة التي متى ما اوى لهاال
هو الكعبة التي على كل ضامر
يلوت القريض حصر عليا صفاته
تطيب به اوقاتنا ويمدنا
ومن نعته من نعت مولاه كيف لي

* * *

تراجعت الآمال وانتش المجد
فمنك له المحيا يراوح او يغدو
نهى به الاسلام حق له الحمد
بها بهجة العرفان تم لها العود
لكم عمرا ينمو به للورى الرقد
وغرب بها الورد يغمرهم ورد
عبارات من امداحه حولكم تشدو
يسيح له من فوق ممدوحه مد
بليغ فما من جزر تقصيره بد
صريح الغواني واللهي رشحها الحمد
ابو الطيب الجعفي يقتاده الحد
مرصع تاج ليس يصدأ والعقد
تطيب به في روضة اللسن الملد
لها التماس والياقوت والسلك والنقد
يخوك ابن اوس حين فصحه الرقد
فلى مدحك الطول الذي ما له حد
كما هي عند من هو الصمد الفرد
مثممة ارقامها العزم والجد
مدارك فوق خالص ما له ند
تفجره فيها مواظك المد
بنور الهدى والشح يكئسه الزهد
يديك ، وتوفيق الاله لها يحدو
يربون يعلوهم من العصمة البند
على النفس الغالي فيكنفه السعد

فياها الشيخ الذي بشفائه
كانك روح الكون بل انت روحه
فما نحن هنا الامام وانما
عل ان بقيت في جود بمتمعة
فهد الاله عن افاضة نعمة
وتبع منه كل عين بمشرق
فما انت الا الفرد تقصر دونه
لئن سوغوا في المدح قول مبالغ
فانت سموت المدح من كل قائل
لعمرى لئن اطرى يزيد بن مزيد
واغرب بل اربي على كل شاعر
فجاء بني حمدان من نغثاته
واسدى لكافور ثناء مخلقا
فانت احق بالقصائد ينتقى
احق لعمرى بالمدايح فوق ما
لئن كسبوا في مدحهم كل طائل
فما انت الا الروح والروح علمها
كسوت جميع العصر حلة همة
فكل الالى قد ابصروك تليلهم
فكم قرية ماتت فاحييتها بما
تزلزل فيها الجهل بالعلم والدجا
فتنقاد نحو السعد يقتاد هاجدى
كذلك يكون الفخر بالرشد عندهم
وما عصمة الصوفي الا احتفاظه

ففي كل قطر كان مشرق سعده (والخ) لنا في عصرنا اشرق السعد

بقيت لهذا الدين تحمي ذمارة بسطوة شهيم دونه الاسد الورد
وازكى سلام يعبق الكون عاطرا به دائما يفار من نشره الورد
على الحضرة الغراء لازال مجدها تظل الندى والعز الفناء الملمد

ثم كتب ابن مسعود تحتها :

تم تبييضها في آخر يوم من ذى الحجة الحرام عام ١٣٢٨ هـ عرفنا الله خير
الدهور؛ ووقانا جميع الآفات والشورور على يد الضعيف محمد بن مسعود الطالب
كان الله له وليا آمين

اقول : ان القصيدة اذن بيضها قائلها في اليوم التالي ليوم وفاة الشيخ
التي كانت في ٢٨ من ذى الحجة المذكور وفي آخر اليوم نفسه وصله خبر وفاة
الشيخ

وقال فيه ايضا :

سلام كما ازدانت بصوب مرابع بها همعت للعاشقين مدايح
يوم الامام الاوحد المرتضى الذي به روتق الهدى لمعيه راجع
ابالحسن ابن احمد الاحمدى الرضا ومن نوره في الكون روح وساطع
فله قطر زانه منك طلعة تضي بها الدجا كما البدر طالع
ولم لا وسر الله فيك وراثة عن الزهر من اهل الفضائل ناصع
يخاطبكم عبد ذليل تقاعست به النفس عن مطلويه فهو شامع
يرجى حياة القلب من فيض مالكم من السر والعرفان فالفضل واسع
فمنوا بنفحة تهب ولمحة تسر وتغنى من له العمر ضائع
وعدرا من الحقوق فالعبد عاجز وما لقضاء الله رد ودائع
بقيتم لاهل الدين روحا وملجا وكهفا به نجاة من هو فاذبح
وازكى سلام طيب وتحية عليكم كما العبيق في الجو ضائع

وله فيه ايضا :

واقف لوصل الهائم الخيران من سفح مربعا الشلى النوراني
فزمت بصراها البسيطة وازدهت وترنعت طربا من الاظعان
وتعطرت ارجاؤها بعير ما نشر النسيم بها كتفح البان
وانارت الاحلاك اذ بزغت بها شمسا يفار لنورها القمران
فكانها وبها حياة الكون مو لانا الامام العارف الصمداني

الى آخرها وقد ادبها الشاعر في النونية الاولى المتقدم ذكرها *

والفقيه الاجل سيدى محمد بن على السويرى المنشأ ! الاكاديرى الاصل
من اصحاب الشيخ لقائد فيه لرجتها الى ترجمته القى مطلع قصيدة (فيها ٣٣ بيتا)

لصديت حمى ذى الحياء المديد كريم تسامى بغير نديد
ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر ياوى الذى يخشى خطوب الاعصر
ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

امولاي يا على ناداك ضارع بيا بك قد ضاقت عليه المذاهب
ومطلع اخرى نونية قالها فى مجلس حضر فيه الشيخ بالسويرة (فيها ٢٢ بيتا)

احبة خير الخلق امته التى توالى لها البشرى وقرت به عينا
ومطلع اخرى

الفنى الجنى بالواحد الاحد الصمد فليس سواه فى المهمات يعتمد
ومطلع اخرى

ايا شيخنا الاعلى ايا ملجا الورى ويا غوث اهل الجود والمجد والفخر

والاديب سيدى الحسن بن محمد الركنى من اصحاب الشيخ حين وفد
عليه اول يوم :

ابو حسن نجم به السارى يهتدى ولكنه فلك النجاة لمقتدى
حوى البر والتوفيق والعلم صدره وقلبه بالانوار والسر مرتد
حماء من الدنيا الدنية زهده ومن كان ذا تقى عن الفانى يزهد
رهنى اليه غربتى فقصدته فيانهم مقصودى ويا حسن مقصدى
وكتب اليه ايضا :

الا بلغ الشيخ المربى بورده حديثى بانى مستديم لعهد
واوصه بالصفح الجميل عن الخطا وذكرى عند ذكره اهل وده

وللعامة سيدى الحاج عبد الحميد الايلانى نزيل مدرسة سيدى يعقوب
وهو من الآخذين عن الشيخ :

الا ابلغ الشيخ الامام ابا الحسن بالغ تحايا من هداه الى السنن
تحايا شكور شكر ترب اذا همى عليها الحيا فافتر زهر على الفن

نصحت امام الدين نصحا جزالمن يخص ذوى النصح المعتم باليمن
فانى منظوم بعقد صحابكم لعل تحت الظل اظفر بالجنن

والمفقيه سيدى محمد بن المحفوظ السملالى نزيل اقران ممن ينتسبون
الى الشيخ سبلى سعيد المعدرى ؛ فهو صنو المترجم فى الانتماء الى هذا الشيخ
هذه القطعة فى المترجم ؛ مع هذه الرسالة :

«الاخ فى الله الذى اقامه الله فى هذا العهد شيخ الطريقة والينبوع الجامع
لشريعة والحقيقة والباذل نفسه ونفيسه فى هداية العباد ؛ وفى رفع راية النصح
والارشاد ؛ سيدى الحاج على الدرقاوى ؛ فالسلام على الاخ فى الله ممن يعرفون
قدر ما انتصبتهم له احتسابا ومقدار ما تلاقونه من الفوغاء كلما طرقتهم بليل بليل
فبصبركم وحسن نيتكم وجميل قصدكم نصركم الله فى هذا الصقع نصرا موزرا
على الجهلة المبطلين كما هى عادة الله فى نصر المحققين ؛ فاعانكم الله ووفقكم
على ما انتم فيه ؛ فاننا نقر بالعجز فى هذا الميدان ونرفع عقيرتنا بان ليس لنا
فى الجرى فيه والعمل فيه صباح مساء مثلكم يدان ؛ وهاك ياسيدى ابياتنا
حضرت لى فى جنابكم اقدمها على حياء الى اعتباركم وان لم اكن اهلا لهذا الشأن
ولا تريض لى فى ميدانه لسان :

انت خير الشيوخ فى الاقران وفريد للنصح فى الازمان
كل يوم تظل فيه فتغدو ثم تمسى تقناد من عيمان
فجميع القرى ذرت منك جدا واجتهادا تهدى بنى البلدان
كم جهول علمته الدين فالتا ح اماما والخير كالبعمران
صدقت فيك قولة الشيخ اذا ل مقاللا قد مر فى الاذان
سوف يغدو للناس فى ضوئه جهرا كما ضاء فيهم القمران
رضى الله عنك ياسيدى فالشعر ما ان يصوغ منه لسانى
وسلاما من ابن محفوظ يغشاك من الله سابغ الرضوان

والمقصود بالشيخ فى البيت الخامس هو سيدى سعيد المعدرى رضى الله عنه
اقول اننى هنا لا اتحيز فائنا نكتب للتاريخ لا للادباء اصحاب الاذواق ووجدتهم
فليسوا محونى فى سوقنا لامثال هذه الابيات ؛ وما اكثر امثالها فى الكتاب .
وللشريف الركائبى الفقيه العدل محمد الوالى بن البهالى نزيل مراکش ممن
اخذوا عن الشيخ قصيدة فيه مطلعها :

ابدر بكل الافق لاحت شمائله وعم سناء العالمين وثائله

ويوجد ما وقفنا عليه منها فى ترجمة المذكور فيما سيأتى ان شاء الله فى القسم
الرابع

وللعامة سيدى محمد بن عبد الله الالفى مؤسس المدرسة يخاطب المترجم
وقدورد الى الخ من بعض سياحاته قطعة مطلعها :

بسلام كما المسك والعنبر هل من من اذعان وصف برى
وتوجد كلها في غير هذا المكان
وله اليه ايضا استدعيه :

ايا حسن منى سلام عليكم على رحمة تترى لدار سلام
وبعد فلى دار العبيد جماعة من اخوان صدق طاهرين كرام
وانك سر الجمع فاحضر اذا تشا فاتيانكم والله قصد نظامى
وان نالك الاعياء او عن عارض فانت برىء من عتاب ملامى
وتم عليك حيثما كنت دائما سلام ببدء امركم وختام
وكتب اليه العلامة سيدى على بن عبد الله صنو المتقدم يستدعيه ايضا:

ايا حسن انهى لحضرتك التى زهت بشدى العرفان ازهى سلام
لشيعة منى الصباة فأتحبا فيزرى بزهر الروض فوق كمام
وبعد فاعلام المحب بحبه اتى مستدا الى شفيح انام
وقلدى لكم فى الحب اوفر منصب ينادى الا زوروا وذاك مرامى
واما عرتنى وحشة من فراقكم بعثت نيابة كتاب نظامى
اجب دعوة المشتاق لازلت داعيا الى كل ما يطفى لدار سلام

وفى يوم من الايام كان الشيخ استدعى العلامة المذكور بقوله :

ايا حسن زرنا على عجل ومن تعب من الاخوان طرا بلا فرق
اجب دعوة المحب من كان قلبه لاجر شوقكم مدى الدهر فى غرق
فاجابه بقوله :

اجيب بجثمانى وقلبي لديكم رهين فما احل اجتماعا على فرق
فلازلت بعر الجمع والفرق من يغضه به يحظ بنيل الدر منه بلا غرق
وانهى الى علياء قدرك انسى اطير اذا ما كنت فى الغرب من شرق
ومن لى بان ابقى اذا ما دعوتنى وقلبي الى لقياك فى شدة الحرق

وكتب هذا العلامة الى الشيخ ايضا يستدعيه يوم عيد :

ايا حسن تمم مسرة عيدنا باقدامكم فالعيد وجه ودينا
فعيد ولم تحضره مازال ناقصا فحق علينا جبر نقص لعيدنا

سلام على النسيب الحبيب والداعى الجيب والواعظ النجيب والنطاسى
الطيب الصهر الكريم والاخ المشيع الحرير سيدى على بن احمد وبعد فصل
خاطرك عن مراد هذا القرطاس وامثله قبل تكدر الخاطر بالاياس ازاح الله
عندك كل باس

فاجابه الشيخ بقوله :

وفيت بما نهوى جزيت جزاء من يرى في الوصال للاهبة قرته
وليس يجازى مثل هذا اذا ثوى لدى ربه الا بمشواه جته
واستدعى الشيخ ايضا المذكور مع وفد من العلماء الافرانيين بهذا
البيت :

ابا حسن هذا غدا جميعكم لدينا فجيئونا لدى ساعة الضحى
فاجابه :

عليك سلام يا كريم معبر يتوج منك الذكر ما دمت تذكر
فليبك من اخوان صدق تراهم كبستان زهر الورد حيث ينور
الا فانتظرنا حينما يمتع الضحى لان بهذا الجمع من لا يكر

وذيل عليها بعض العلماء ولعله شيخنا سيدى الطاهر وان لم يكن من نفه
واحسب انه لم يحضر في هذا الوفد والالكان هو المجيب :

على اننا لانبتغى غير نظرة تكون بها الاذيال منا تجرر
فلولاكم حددتم الوقت لانتحى لحضرتكم يا شيخنا من يكر

وللعلمة على بن عبد الله المذكور قطعة في زاوية الشيخ الالقية يوم اسست
في شوال عام ١٣٠٢ هـ مطلعها :

بيت اتبع الخير من وجهاته فاتبع ما ينكا الحسود القالى
وقد تقدمت حين ذكر تاسيس الزاوية في اواسط هذه الترجمة

ولشيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى يخاطب الشيخ مهثا بولده سيدى
محمد ما مطلعها :

اتى نبا دال به دولة الانس واضحت به العلياء طيبة النفس

وتوجد كلها في ترجمة سيدى محمد المذكور في (الفصل الثانى) من هذا
القسم نفسه

وله ايضا ترحيبا بالشيخ ورفيقه سيدى على بن عبد الله ؛ وسيدى بلقاسم
التاجارمونتى وقد وفدوا عليه الى افران :

هنيئا لقلبي والهنا على مثل يحق وقد جادت موالى بالوصل
راى الدهر ذلى واشتعال صبايتى فرق واولى الفضل منه على بغل
فانشدت قول ابن الحسين واننى لاولى به والشكل يذكر بالشكل
(وليس الذى يطلب الوبل رائدا كمن جاءه فى داره رائد الوبل)

وولد مرة الولد الافرائى الى الخ . وفيه العلامة سيدى الطاهر بن محمد والاديب
سيدى البشير الناصرى ، فصادفا الفقيه سيدى محمد بن الطيب الانزاضى فرحب
بهم الالفيون على عادتهم بالقصائد ، يقول كل اديب من الالفين فيجيبه احد
الافرائيين ، والغالب ان يكون سيدى الطاهر

فقال الشيخ المترجم فى الترحيب بالوفد مسائرا وان لم يكن فى مسالغ الادباء

بشير وظاهر ونجل لطيب ثلاثة اقمار بيض طوالع
فضات ونارت ارضا بطلوعهم فابتدت نهارها البدور السواطع
وان شئت قلت فارة المسك فتقت فطابت وفاحت النواحي الشواسع

فاجابه سيدى الطاهر بن محمد :

انفج نسيم الروض والروض ناصع ام انشق معروف من الفجر ساطع
ام ايسمت هدى الثلاث كأنها (ثلاثة اقمار بيض طوالع)
بلى انها من بحر شيخ تلاطمت معارفه او علمه المتتابع
امام الضات من سنا نور سره قلوب عدت من قبل وهى بلاقع
وهطرت الارحاء من نفح طيبه فطابت وفاحت النواحي الشواسع
هو البدر اشراقا هو البحر نائلا هو السيف تائرا؛ فهل من ينارع؟
امام الهدى الشيخ ابن احمد من علا على البدر مقدارا فاقصر طامع
فلالزت العليا تزهر بنوره ويجرى كما يبغى القضا ويظاوع

كان الشيخ المترجم بنى ثويا (١) زاهى السقف . تلونت فيه الالوان . مما
يعد كالبديع بين القصور اذا قويس بيوت الاضياف التى يعتنى بتبييضها
وتلوين خشب سقوفها عند الثرىاء الخ . فقد وقف سيدى سعيد التانى على
ساج السقوف فى السويرة حتى تم تلوينه وتزويقه على يد امهر النجارين المزوفين
ثم حمل مفرقا الواحا الواحا على البهائم الى الخ . حيث وضعه صانع ماهر فى
سماء الثوى بعد ماسقف مافوقه بجوائز عادية ؛ وقد ذيل مستدار مافى السقف
الى ما تحته من الجدار بذلك الساج على الجهات الاربع ؛ ليستتم البصر بهجته
ثم فرش الثوى وهو فسيح بفرش حضرية من الزرابى المزركشة والمساند
وبعض الحشيات ورائها حائطى رقيق . وفى ربيع من ارباع المكان صف من
الساعات الكبرى ذوات القامات نحو ثمانية تدق كلها على راس كل ساعة وهذا
كله غير معروف فى الخ فكان اضياف الشيخ يستأثرون بالجلوس هناك وحدهم
فوجد بعض المتدئين من شباب الخ مسرحا جديدا لقرائعهم ؛ فقد رايت من ذلك
قطعا لا يستحق ان يعتنى بها ؛ فاخترت ماياتى وقد كان الالفيون يسمون ذلك
الثوى (الكايزة) وغيرهم القبة . قال العلامة سيدى الطاهر بن محمد الافرائى .

(١) الثوى كغنى : البيت المعد للاضياف

ويا واحد العلياء من دون مائان
 بما ضمنت من كل حسن واحسان
 وقد سمرت تزهو بحلية القان
 على روضة اكمام ورد وريحان
 كما لاح نجم الاق في الشفق القاني
 تبنت به شهب المطالع للرائي
 ترن بما يزرى برنات الحان
 يتنبيه ساه او بايقاظ وسنان
 فاربت معاليه على كل بيان
 من المفخم الباقي الى الزخرف الغاني
 سد رب الوري فيها لا برار عبدان

اياتاج هام الفضل ياملجا العاني
 بنيت لاهل الله دابا ترفعت
 تجلت عروسا للعيون فاصبحت
 سماء كما حل التسيم اذا سرى
 فمن ناصع في ناصر حول احمر
 محاسن تعشو العين منها كانما
 لقد علقت فيها (مواكين) لم تزل
 تذاكر وقت الدين في كل ساعة
 مكان رسا بالدين والعلم والتقى
 لك الله من بيت رفيع بما حوى
 يذكرنا جنات عدن وما اعـ

ومن ذلك مقاله ايضا بعضهم واخاله ابن مسعود او لاحد الازاغاريين

بزراب منوعات انيقة
 كزهور تنوعت في حديقة
 وتعاريج ضخمة ورقيقة
 باي عين كدرة في عقيقة
 حجب لها زهرة الرياض الفتيقة
 ت بعينيك باهرا عن حقيقة
 معجبات قاماتها مشوالة
 ست برناتها لكل دقيقة
 لة نفا بربها صديقة
 ستاج نحو الفردوس اي مشوقة
 من بناها لعلية دون سوقة
 سخ نهج الهدى وانلق سوقه
 لكسول معاول ان يفوقه
 من سناه صبوحه وغبوقه
 مصدر عن شريعة وحقيقة
 يدرك الزائرون الخ شروقه
 دانيات الجنى بخير طريقة

هذه (كيزة) الضيوف الرشيقة
 فوفت بالالوان حتى تراها
 تتراى الوانها في خطوط
 تلك بيضاء حشو حمراء تبدو
 افقها زهرة وفي ارضها فاعـ
 واذا ما نظرت جنبيك ابصر
 (ماكنات) بطولها قائمات
 تذاكر الله في كل وقت اذا دفـ
 بهجة فلة تشوق الى الجنـ
 كل من زارها يرى نفسه تهـ
 رضى الله عن امام البرايا
 من ابان الدين الحنيف به في الـ
 خير شيخ قد فاق بالجد فاعجب
 كان لله مخلصا فحبا
 حيهل ايها الظماء لشيخ
 فهو غوث في العصر هذا وبدر
 فاته يامريد تجن قطوفا

ومن ذلك قطعة للفقير سيدى موسى بن الطيب يقول فيها :

الا تره العينين في خير ماقبة
 لخير امام حائر خير ما زبنة
 ففي سقنها او ارضها وجه روضة
 ازايرها شتى واكوابها عذبة
 تشوق من يعبو امام الهه
 لجنته ترضى عبادته ربه

فمن مثل هذا الشيخ جمع حوله من الدين المدنيا قضي بهما نجسه
ومن ذلك قطعة الامام سيدى محمد بن مسعود ، وهي اكثر من هذا ، ولكن
لم استحضر الا ما ياتى :

لله سيدنا الشيخ الامام وما ابداه فى الحسن مما يخلب البصرا
بني بناء لمن لا يبصرون سوى ما يبصرون كان لم يرزقوا الفكرا
للعارفين شهود فى مقاصدهم ويستوى عندهم ما سر اوجهرها
للجهر والسر اسرار وعندهم فى السر معنى جلي عند من بصرا

ومن ذلك قطعة للاديب الشاب المعتبط سيدى الطاهر بن المدنى الناصرى
وهو اذذاك فى المدرسة الالغية :

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد
فبيت الضيوف عندهم خير مبتنى
لرى العين فيه مثل روض تفتحت
لله مشوى الشيخ سيدنا اذا
عليك سلام ما تقوم على الهدى
فتهدى بما اوتيته من سنا الرشد

والخرى له ايضا :

لله بيت شيد للدين والتقى وذكر لاهل الله فى كل ما شان
يذكرنا جنات عدن وما احتوت عليه ، وما ابداه ملك سليمان
فلازال محفوقا بالطاف ربنا فيطرد عن اطرافه كل شيطان

وبعد ما بنى هذا الثوى بسنين بنى العلامة على بن عبد الله ايضا مثله ،
فهناك زخرت قصائد الادباء فى وصفه وصفا شعريا حقيقيا ، لامثل هذا الذى
لا يرى فيه القارىء الا محاولات ضعيفة لاتسمن ولا تغنى من جوع ، ثم ان هذا الثوى
تهدم سريعا بعد الشيخ حوالى عام ١٣٤٠ هـ خر على من فيه ليلة فكاذاوا يهلكون
وبعد فقد خوطب الشيخ من اخرين بقواف يجدها القارىء فى تراجمهم
مثل الذى جرى بينه وبين صهره العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى ،
فانه يوجد فى ترجمة والدتى رقية فى (القسم الثانى) من هذا الكتاب ، كما ان
هناك ايضا قصيدة «هز الراية الجعفرية» لابن مسعود فاننا نختصر فى حذفها هنا
لانها ذكرت فى مؤلف مستقل (الترياق الداوى) ومطلعها :

يا صاح اصغ لسيرة الصمدانى قطب اثورى الالغى قطب الان

كما ان هناك ايضا قصيدة اخرى له ثوية مطلعها :

صدحت مطبولة بائل البيان ام نفعة وردت بريح البان

فهي التي تسمى «الحاف اهل الاعتقاد والوداد ، بما للطريقة الالقية مسن
اسنى الاسناد» فانها مؤلف على حدة ، شرح كثيرا منها مؤلفها في مجلد ضخيم
وهي التي ذكرنا بعضها قريبا في اول هذه القوافي
وحين رجعت الشيخ من حجته كتب اليه العلامة سيدى الطاهر بن محمد
من تارودانت يهنئه

تأرقت لما شمت برقا حجازيا
وذكرنى اعلام طيبة فأنشئ
وغادر جسما لوبقى الفوز لامتنى
وساد مع الركب الكرام يقوده
فيقضى لبانات الهوى كيف يشتهى
فيافوز من امسى بطيبة نازلا
يروح ويقفدو فى مسارج حنة
يقلد جيدا عاطلا عقد مفخر
ويغسل قلبا سودته ذنوبه
فيا ليتنى قد نلت لثم ترايبها
وياليتنى اذ فاتنى نلت نظرة
محيا الكريم الفاضل النديم من غدا
ابى حسن بدر الهداية من دعى
ولكنه لبي النداء مسارعا
ووالى السرى حتى اذا ما بدت له
وعفر فى مشوى النبي جبينه
هنيئا له نال التنى واحق من
فيا سيدى ابشر بذخر شفاعت
قدمت قضاء الغرب واهتز عرشه
يباهى بك الغرب البلاد ومن تكن
وانى ممن كان ودك عقده
وكنت ارجى لثم كفك شاكرا
فارسلتها تمشى اليك وتستضى
واغض وان قصرت فى الحق فالنوى
وجد بدعاء يعتق النفس من ردى
عليك سلام كالنسيم اذا سرى
وقال ايضا يخاطبه وقد ذهب لزيارته يستغيت به فى امر عناه
اتيتك حبوا للزيارة عندما
ولم الف احصى منك فانصر فانه

بدا اذ غدا للجو ثوب الدجازيا
بقلب لنا والوجد مازال صاليا
مطى الهوى اوصار بالبحفن ساريا
زمام الهوى حتى ينال الامانيا (١)
ويحظى بوصول لم يخف منه واشيد
بخير رسول كان للضيف حافيا
ويجنى بها تمر المكارم دانيا
ويلبس ثوب العز اسبح ضافيا
ويشرب ماء المجد اغزر صافيا
واحدثت لى فيه بعيدا لظماريا
بوجه سعيد زار تلك المساعيا
على هامة النسرين بالجد ساميا
الى الفوز فى جمع فلم يك وانيا
وصار على متن الصباية ساعيا
اباطح سلح جدد العزم راميا
فاصبح فى ليل القواية هاديا
يهنا من زار الطيب المداويا
واجر كبير لم يزل متواليا
سرورا وما ان زال ملذغت حاجيا
اماما له لا ريب فى ان يباهيا
فباح به دعى والفظ لسانيا
قد ومك لكن حيل دون رجائيا
بنورك ان ضلت تبث التهانيا
رمانى بهم وقع غال باليا
تملكها مازال يملأها عيا
يحدث عن اعلام طيبة راويا
لزيارته يستغيت به فى امر عناه
غزاصرف هذا الدهر فكري فاحجما
تجمع واستعدى الحياء والجمما

(١) الباء فى الزى وفى الرى مشددة فى الاصل وكذلك الامانى المذكورات فى القصيدة

فادرك فان المرء ينصر جاره فكم اطلعت رؤياك للسعد انهما
وكان الشيخ بسعت الى سيدى الطاهر هذا اللغز في اسمه

فما اسم رباعى الحروف ترى الذى
وثان وثالث بجمع من ماخر
وثانيه خمس ثالث تسع اول
الا فبالغير سر وفتش على الذى
ولاسيما ان طاهرا او عرابيا
جواب سيدى الطاهر

انتنى فحلت من عقال الردى عقلى
ووافيت فؤادا قارب الحتف بعدما
فصلت على فرط الصباية والجوى
فهشت بها ارض القريحة مثل ما
فحق لها اوفى النصيب بقوله
هللت بمن اعطى الخلائق خلقها
وهضك منهم بالمعارف والحجا
للذ كدت اذنا جيتها فرحا بها
ولكنها من بعد ان سر وصلها
فقلت لها ناديت والله ميتا
ولما ابت الا الوفاء وليس لى
اجبت ولكن الفهاة اخرست
اشرت الى اسم لامسمى وراءه
فاوله تسع وثانيه واحد
فمجموعها عشر وخمس وعزوها
فهاكه نظاما وفق ما كنت تبغى
فمعدرة متى الى عفو سيدى
وما كنت لولا ما كلفت بحبه
ودم سيدى للمشكلات تحلها
وجد الضعاف العزم يرجون دعوة
عليك سلام ما تلذذ عارف

والغز له الشيخ ايضا فى اللوز بقوله

وما اسم ثلاثى الى العز ينسب
بخمسة اسداس له اول جلا
وثانيه خمس اول وهو يضرب
علا ثالث ثان بسبع تطلبوا

(١) تلميح الى قوله تعالى : ومن احيانا فكانما احيانا جميعا

(٢) المسقط كفلس : ولد العاقلة والبارز : الكبير من الابل

الجواب :

تأملت لغزا اتعب القلب حله وعاناه حتى بان لي انه اللؤلؤ
ثم الغز سيدى الطاهر للشيخ فى القلم بقوله :

وما اسم تراه كلما سار يركب ويمشى يجد سيره وهو يلعب
ومفهومه مهما قلبت حروفه يدل على شوق يمر ويطلب
ومهما طرحت ثالثا جاء لفظه بامر كلام نلت ما كنت تطلب
ومهما ضمنت ثالثا للذى تلا فقلب فعنه الميل ما كان يذهب
الجواب من الاستاذ سيدى على بن عبد الله عن الشيخ :

قلم البليغ يبين لغزا منبئا عن غور فهمكم السلام الالهي
يمشى ويركب وهو امر مشكل والعطف مفهوم لفظه المستعجب
قل يبق بعد ذهاب حرف ثالث والميل مفهوم غيره المستعجب
والغز ايضا سيدى الطاهر للشيخ فى النخل

خليلى دلانى على شاحد الدهن يبين لفظا فكرتى منه فى رهن
هو اسم اذا نسبت اول لفظه لثانيه كان نصف سدس بلايين
ثلاثة اعشار لسدس يعنى ان نسبت لثان ثالثا دمت فى امن
ومقلوبه ان كنت صحت لفظه يدل بحكم النحو فاعلم على شين
وتصحيفه من غير محن يفيد ما صنيعة فى غاية الصون والحسن
الا فابحثا واستنقذا الفكر دمتما ولا زلتما مستهلى كل ما فى

الجواب

تأملت هذا اللغز يا ايها النخل فبان كشمس فى الضحى انه النخل

بعض منظومات نثرت بها الشيخ

لم يكن الشيخ ممن تربوا تربية ادبية حين كان يدرس فى مدارس تازروالت
وتانكرت وادوز ، لانك رايت من حاله اذذاك ، انه لايعنى الا بالعلوم الرئيسية
فى بيته وما يبقى له من الوقت لايمضيه فى مطالعة كتب الادب التى تكون
الدوق الادبى ، وانما يمضيه فى مطالعة كتب القوم ، او فى مناجاة ربه اثناء
الليل واطراف النهار ولكنه مع ذلك ربما ينفث ببعض ابيات لاينكرها ارباب
الدوق غالبا ، وفى مجموعة صغيرة عندنا كل ما صدر عنه وذلك قليل ، وهالك
الآن بعض ما اخترته من ذلك مما لايفمض فيه اديب :

سعد الفقير وساعدت اوقاته ما دام من اذكاره الواله
بالله يفرح كل قلب ما له غير الاله اذا سمت نظراته
ان المرید مراده فى ربه فبه تتم لقلبه شهواته
من لايرى فى الكون اجمع ربه بوجوده فهل انجلت مرآته ؟

ومن ذلك في موضوع مخالفة النفس وهواها :

بعد سيوف الذكور فالطع رقابها
فان عقاب النفس مهر عرائس الـ
فتجنى ثمار الحسن من نور وجهها
عليك شرب الكاس من راحة لها
ولازم بخلف ما اشتتهه عقابها
سمعارف ان انجزت تجل نقابها
وتجنى على الوصل الشهي رخابها
فلم يحى الا من يلوق شرابها

ومن ذلك ايضا يخاطب من اسمه موسى وربما كان الفقيه سيدي موسى الكريفي :

اموسى اجتمعن في الله همتك العليا
تفرغ بقلب لن يزال مولها
وان حياة القلب بالذكر وحده
واعرض عن الدنيا ومن كان في الدنيا
بذكر كثير كى تكون به حيا
وهل بسوى ماء نبات الثرى يحيا؟

ومن ذلك ما قاله يخاطب به من اسمه مبارك ، ولعله سيدي مبارك الميلى الشهير :

ادخل مبارك حضرة الرحمان
وانس السوى حتى يكون مشعشعا
فالسر كل السر فى ان تقتدى
ان العبودية التى يابى الهوى
فهيئ ربك كن ولازم منهاجا
بعزيمة المستوفز الربانى
منك الفؤاد بساطع نورانى
فى حضرة قد كنت فيها فانى
فى النفس منها اس من هو بان
قد مهدته شريعة الرحمان

ومن ذلك ما نسب اليه العلامة سيدي محمد بن مسعود المهدرى :

ولى مذهب فى العشق منفردا به
قد امتزجت دوحى بروح احبى
فمن شاء فليفصل ومن شاء فليصل
فعالى لم تحل عن الود والعهد
فلست ملونا بوجود ولا فقد
فلا وصل فى قرب ولا فصل فى بعد

ومن ذلك ما اجاب به ابياتا ارسلها اليه شيخه سيدي محمد بن العربي الادوزى
حين زف اليه بنته التى هى والدتى ، رحم الله الجميع :

جزاك اله العرش خير جزائه ايا شيخنا اوليت فوق المنى جزما
زففت لنا البنتين بنتا لفكركم وبنتا لصلبكم فلدى نعمة عظمى
جمعت لنا اختين والعقد واحد وما كان ذاك فى قضيتنا اثما

كان الشيخ قال فى الشطر الاول من البيت الاخير هكذا : زففت لنا البنتين
فى عقد واحد ، باضافة عقد الى واحد من اضافة الموصوف الى الصفة ، كما ورد فى
الحديث : الكعبة اليمانية باضافة الكعبة الى اليمانية ، على ما فى بعض الروايات
ثم ان الاستاذ سيدي محمدا الرفاكي اصلح الشطر بما رأته

ومن ذلك يخاطب جماعة من ارباب القلوب :

لله دركم يامن لهم دول
 انتم فؤادى وما مولى وملتجئى
 وبابكم هو باب الله من غلقت
 ومعشرى كل اهل الله قاطبة
 فنظم جوهركم يسرى به المثل
 ومن بهم نحو ربى الدهر مرتحل
 ابوابكم دونه ما ان له حيل
 والله قصدى ومالى فى السور اهل
 ويكفى هذا القدر

غيرته الدينية أمام الاحتلال

لا يزال الى الآن يطن فى اذان من كانوا يعيشون فى سوس سنوات ١٣٢٥ هـ
 ١٣٢٨ هـ ، من تلك الصرخات الصاخة ، التى كان الشيخ يرسلها فى الجامع
 وفى الاسواق وفى المواسم ، وفى كل مجلس ، حين يستنهض الناس للقائمة
 المحتلين الذين نزلوا اذذاك فى الدار البيضاء ، فكادوا يقمرون بدساتهم ويحيلهم
 وبمكايدهم على ايدى العيون السريين كل نواحي المغرب من ادنا الى اقماه وهذه القصة
 الهائجة الثائرة كانت معروفة عن الشيخ يابرها عنه اصحابه قبل هذا العين
 وكثيرا ما كان يفاها من سنة ١٣١١ هـ عام موت الملك مولاي الحسن ، فسى
 مجالسه الخاصة اذذاك ، بل كانت له فى رحلته الحجازية جنوة متاججة فى هذا
 الموضوع فاسمع لما يقوله فى هذه الرحلة يوم يفارق تونس وذلك سنة ١٣٠٥ هـ
 اثر ما قص كيف احتلت تونس بعد الجزائر :

وقد جرى فى اءخر الايام
 ان كنت من بعد صلاة العصر
 اعنى به ذاك الذى سطرته
 مستندا الى عمود الشاذلى
 ذاكرنى فى العقد للمحبة
 فقال بلفن الى الرسول
 فقال قولا الهب القلوبا
 وحرك الاشباح والارواحا
 قال اذا وصلت قبره الشريف
 وفازت النفس هناك بالمنى
 فقل له يا ايها الرسول
 وانها لامة مستضعفة
 حتى غدت كاللحم فوق وضم
 رموا وراء كل ما خلفنا
 ونبلوا الدين سوى اطلال
 والبلسوا كلهم للشهوات
 هناك مع فد من الاعلام
 فى جامع الزيتون عند العبير
 وبريق القلب قد ذكرته
 وهو مكانه لدى الاصل
 لله كالعادة فى الاحبة
 متى حظيت منه بالثول
 حتى تكاد منه ان تدوبا
 وحرك الجبال والبطاحا
 وكنت اثناء مقامه المنيف
 واكتحلت عيناك منه بالسنا
 غر بنى ملتك الدهول
 احتوشتها امم مستضعفة
 من يفتح الشدق اليها يلهم
 ونسبعوا فى الدين ما اسلفنا
 تبرد لما اسست كالظلال
 كأنهم قد خلغوا من شهوات

لياهم بينهم شديد
 بيناهم في غفلة ووسن
 اذ دهمت بين الديار الجبل
 قد زعزعت بلادهم كفار
 فاستحوذوا على بلاد امتك
 حتى غدا كل بني الايمان
 ودينهم ممتن عيانا
 قد مزقوا وشتوا واحتقروا
 فهاهم في صقعهم لاحولا
 وما لهم وجه به يستشفون
 سواك يا خير البرايا عنده
 فليس للمستضعفين غير
 فانت باب للدعا فيستجاب
 بلغ الي نينا هذا الكلام
 يقول ذاك والدموع في العيون
 والصوت بالنحيب عال وانا
 حتى عراني الجذب في الحين كما
 لم جرى ما بيننا صموت
 فلم يكن مني ولا منه كلام
 اذ قرب المغرب فافترقنا
 من ليس ذا حزن لضعف الدين
 وكيف يرضى مومن ان يحكما

وقد كان الشيخ لما التقت حلقتا البطان على المغرب ، لا يدع مجتمعا الا نادى
 فيه بالبراج (١) : ان الزمان قد استدار ، وان الكفر قد وغل عليكم وسيحتل عقر
 الدار ، وهو في اثناء ذلك يشتري السلاح ، فقد عندما تركه بعد موته بست عشر
 بندقية رومية زيادة على البنادق الاهلية ، وهذا القدر من اسرة واحدة كثير فوق
 جهد الطاقة ، وقد كان معلوما ان مثله كان يعاب عليه ان يلتفت الى التسليح لانه
 صاحب زاوية وقدايت من اهله المرابطين مارايت من انهم لا يكادون يتسلعون
 وان تسلحوا يكاد السلاح لا يجدى في ايديهم بين جيرانهم المغاوير كالمجاطين
 والحرييليين ، ولسان حالهم ينشد :

على م تقول الرمح يثقل عاتقي اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت
 هذا في ذلك المقام بين الاهالي ، واما في الاستعداد للدفاع عن الوطن فان
 ذلك مقام آخر ، ويرحم الله من أظهر من ضعفه قوة وانما الاعمال بالنيات .
 ثم ان الشيخ كان يحمل معه في السياحات بندقية بين يديه وهو راكب

(١) البراج كشداد : المنادى في الاسواق عادة

ف هكذا ورد الى موسم تزاروالت حيث امر بالنداء فوق المراكع (١) : ان يتهيأ الناس وان يستعدوا للجهاد ، فان الكفار قد دهموا البلاد * وكذلك كان يوما «آخر» في سوق الخميس بايت بعمران وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثهم على ترك المخاصمات بينهم ، وان الوقت قدحان ليتكفل الناس كلهم امام العدو يجب على جميع الرؤساء ان يامروا المرابطين والعلماء والطلبة ان يتكفوا في السلاح * فهم اولى من يقود الناس الى الشهادة في سبيل الله فينما يقول ذلك ، الا الاشكر - الرئيس هناك - يتخذ كلامه سخرية اذ قال له : «لن نقوم بهذا الذي تقول حتى يموت جميع اصحابك هؤلاء امامنا ويستشهدوا واذ ذاك تقوم بعدكم بدورنا» فالتفت اليه الشيخ محمر العينين وقال : «او قد استتكتفت ان تسمع الحق وابيت ان تنقاد للنصيحة ، فما انتلدا تاني ان تدافع الكفار بعيدا ويوشك ان يدهموا عليك دارك حتى يخربوها» ثم اعرض عنه الشيخ كعادته متى خاطبه الجهال ، فسبق القضاء ان خربت داره بعد نحو ست سنين بيد الجيش الفرنسي الذي هاجم تلك الجهة سنة ١٣٣٥ هـ فكان عبرة لمن اعتبر ، ولا يزال الحاضرون الذين هم احياء الآن يروونها من فراسات الشيخ

وكذلك ذهب الشيخ عام ١٣٢٨ هـ الى جيوش تجمعت في هشتوكه للقتال بينها ، فنادى في رؤسائها : يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم ، فقد توجه اليكم من الاعداء - ان لم تدافعوه - من لا يكتفى منكم بمال ولا بارض ولا بدين حتى يستبعدكم انتم وابناءكم ، في كلام طويل مثل هذا يتداوله الناس متى تذكروا بعد الاحتلال التذراتي يسمعونها من الشيخ ثم لا يابهنون بها فلم يعرفوا حتى خرجت البصرة

وكذلك وقع للشيخ ايضا مع رؤساء اهل المدر فبعد صلاة الجمعة في مسجد القرية ، خرج الناس الى خارج المسجد ، فوقف الشيخ يحثهم على جمع الكلمة وعلى تعيين حراسة على فرضة اكلوا ، فقال له قائل ان العدو لا يزال بعيدا عنا فهو في الدار البيضاء ، ولا يصلنا الا بعد عشرين سنة ان لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون ، فحرك الشيخ راسه فقال : يا عجب ان المسلمين كالجسد الواحد وهذا الامر يجب ان يكون فيه الناس كلهم لنا واحدة فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين فلا بد ان يغلبوا ان لم يعنهم السوسيون وامثال السوسيين ، على انك يا هذا - يخاطب ذلك القائل - تستبعد ان يصل العدو هنا ان لم يقاوم بالجد ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال : واسفا ايها الناس فوالله ان لم يقم الناس في هذا الامر قومة واحدة لترون الكفار هنا ، هنا ، هنا و اشار الى ذلك المكان ثم غلب الحلال على الشيخ

(١) محلل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للنداء * بجوار مشهد الشيخ سيدي احمد بن موسى

فقلبه الاستعمار فالتل عن القوم ، قال الحاكى : ثم لم يمض الا سنوات قليلة
فاننا بنى شاهدت المراتب الفرنسى فى تزيت واقفا فى ذلك المكان بعينه فظهر
مصدق قول الشيخ ، ولكن بعد ان ازهقت ارواح

وكذلك كان الشيخ يلم باكادير ، ويوصى تلميذه الحاج الحسن
الكلولى رئيس اكادير ان يتعهد المدافع الموجهة الى البحر فعل ذلك مرارا

هذا وقد اشترى الشيخ فرسا اذذاك فصار يركب عليها ، ويده البندقية
وذلك كله لاستنهاض الهمم ، ولكن اين الهمم ؟ واين العزائم ؟ واين من يعرف
ماهو الاستعمار اذا ألقى على امة كلاكه ؟ وقد قال الشيخ مرة لبعض مجالسيه :
ان قلبى ليمزق على هذا القطر ، فائسى اخاف ان يلتحق بالجزائر وتونس ، فقد
اجلت بصيرتى فى هؤلاء الناس ، فلم ار من يمكن ان يقاوم لامن الحكومة ولا من
الناس فلامال ولارجال ولايمان وانما انا وحلى الذى افلض الله على هذا
العيشان ولكن ، ولكن ، ولكن واشار الى قرب انتقاله عن هذا العالم - كما
قال الحاكى -

حضرت يوما فى نزهة من اخلاط الناس فى عرصة اليباز فى باب دكالة
وكالت معللا للنزه ومجتمع الاصدقاء فيظنون هناك تحت الاشجار المختلفة وبين
الحقول المخضرة وبين الجداول المتدفقة الى العشى ، فجرى ذكرايام الاحتلال
الاول وصار الحاضرون يخوضون فى عدم الدفاع ، فقال قائل : ان الناس كانوا
معدورين ، لان غالبهم ماكان يدري ماهو الاحتلال ، ولاكيف يعرك عركاته متى
امتد الى شعب من الشعوب على ان علماءنا ورؤساءنا وحكومتنا هم المسؤولون
حقا ، لانهم لم يستنهضوا الامة ، ولاادوا الحق الواجب عليهم فى هذا الموضوع
فالتفت اليه انسان من غمار الناس ساقته الاعداد الى مراکش فصاحبه بعض اهل
الحومة الى النزهة ، فقال : اننا فى تلك الجهة من حاجة الى سوس لم نؤخذ على
غرة ، فقد كان الشيخ سيدى الحاج على الاقضى ينادى فينا صباح مساء انذارا
واستنهاضا لتدافع عن البلاد ، فانه ماكان يترك من الجهات التى يسبح اليها
مجتمعا ولاسوقا ولا موسما الا نادى فيه بالتهيب التام من جميع الناس للجهاد
فلايعذر فقيها ولامرابطا ولا اى انسان قادرا ، ثم قال وقد شهدت الشيخ يوما
عند قائدنا فى تامانار وقد اجتمع كل كبار الحاجيين وعلماءهم فى حضرة القائد
فقام فى الناس موقفا لاينساه له الناس ، فلم يزل يلهب القلوب بمواعظه
ويستنهض الناس بانذاراته ، ويبين للحاضرين ماينتظرهم من العدو متى
استولى على البلاد من حيف وجور ومكر وانتهاك الحرم ، واذلال الاعزة وبسث
الاخلاق الفاسدة ، ثم التفت الى القائد فقال له : ان جل هذا الواجب يقع على
عنقك انت وعلى اعناق امثالك ، فقال له القائد : اننا يا سيدنا - معشر القواد -
نتبع ما ترسمه لنا الحكومة وملكننا المعظم ، فلايمكن لنا ان نخرج عن خطتها

وملكتنا اليوم يميل الى مسألة العدو ، حتى انه ليرسل الينا ان نحافظ على
النصارى اكثر مما نحافظ على المسلمين، وان نراعى خواطر الذين احتموا بالدول
اكثر مما نراعى من يتسلطون عليهم بدعاو زائفة ، فما عسى ان نعمله نحن ؟
والافهاك يا شيخنا يلى على ان اكون اول من يموت فى سبيل الله مستي كان
الجهاد قائما قال الحاكي : فاعرض الشيخ عملا جذبه فيه القائد ، فقال : « اما
انا وكل من يتبعنى من الفقراء فقد هبنا انفسنا للموت فى سبيل الله ، لو فتح
لنا الميدان، وساعف السلطان فان امثالنا ليس لهم فى مخالفة السلطان ايضا
مصلحة» ثم بعد ان اتم الحاكي حكايته ، قال : اننى اوقن ان الشيخ لو لم يصر
له ان يحضر فى ميدان الجهاد لمات هو وكل الآلاف الذين معه شهداء فقال قائل
للحاكي : اتعرف احدا من ابناء شيخك هذا ؟ فقال لا ، فقال هذا احدهم وقد سئلت
اليه فلم اكن اعرفه قبل ، ولا عرفنى فاحفى فى السلام ، وترحم كثيرا على الشيخ
وكانت هذه الجلسة حوالى ١٣٤٠ هـ حين كنت لا ازال تلميذا مغمورا لدى
الجامع اليمسقى .

ارابت كيف يتحدث الحاحيون عن الشيخ حول هذا الموضوع ؟ فكيف اذن
يتحدث عنه السوسيون فيه ، وهم الذين كان يماسيهم بذلك ويصاحبهم نحو
ثلاث سنين ؟ فقد كان ما يقوله اذذاك حديث المجالس حتى ان الذين لا يتقنون
الا ولا ذمعة فى اهل الخيراتخذوا ما يقوله الشيخ سخرية وهزءا ، فمنهم من يقول
انما يريد بذلك الذى يعلنه ان يقتدى به كل الناس ، فيجدد له مكانة اخرى
اعظم من مكانته التى كانت له ، حتى ان الشيخ قبل يوما فى الطريق عند قرية
عين ابراهيم بن صالح من ارباض تزنت ، فلاحظته جماعة كثيرة وهم مستنونون
على شىء ، فقال منهم قائل : هذا الشيخ قد اقبل وهو الذى يتادى بالجهاد فهل
تقدرون ان لا تقوموا له اذ امر بكم ، لتروه باعراضكم انكم لا تبالون به ولا بما يقوله
فتعاهدوا كلهم على ذلك ، ولكن ما كاد الشيخ يقبل عليهم حتى بادروا جميعهم
الى مقابله والسلام عليه بكل اجلال واحترام ، قال من حكى ذلك وهو من تلك
الجماعة لما رابت ذلك تبت الى الله ، فعرفت ان الشيخ مؤيد من عند الله .

كان الشيخ عام ١٣٢٧ هـ فى السويدية وقد احدثت فيها اذذاك محطة البرق
باذن من السلطان مولاي حفيظ ، فذهب الى المحطة فاكثر السؤال والبحث حتى
ادرك الذى يؤديه التلغراف ، فلما رجع صار يحكى لمثل الفقيه سيدى على بن
عبد الله مارابى وقد قال لغيره : ان المسلمين اخاف ان لا يجدوا شيئا فى المقاومة
لان عند العدو من السلاح ومن الات الهجوم والدفاع والمعدات ما ليس عند
المسلمين ، ولكننا مع كل هذا لانياس ، «كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
واللهمم الصابرين»

وكانت عادة الشيخ انه كلما جال فى مجالاته الخاصة والعامة حول هذه
المقاومة لا يملك حسيبه ، بل خلاف ما يعهد منه اصحابه من التجدد ومغالبة حاله

عند ما يخوض في كل شيء مؤثر ، ولكنه في هذا الموضوع يغلب على حاله ، لعمق
الفكرة في نفسه بغمرة الايمان ، فلا يحس ان تجيش دموعه وغما عن تجلده
المعروف .

هكى لي من لائهمه ان الشيخ زار مرة مشهد الشيخ سيدى عبد الرحمان
من مقبرة تزيت مع اصحابه ، ثم تخلف عنهم ، قال الحاكى : فوقفت ازاء باب
الضريح فاذا بى اسمع نسيج بكاء الشيخ ، فتحينته حتى خرج بعد حين ، فسلمت
عليه ثانياً وكان ممن لا يستحي كثيرا من الشيخ - قال : فسألته عن سبب بكائه
الكثير فقال : هجم على ان رايت تزيت هذه مفعومة بالنصارى يقبلون ويدبرون
كما شاءوا فامتعضت لهذا الهوان ، فلم املك نفسي حتى كان ما كان ثم تنهد تنهدا
طويلا ، فقال : «وا اسفاه على هذه الامة التى استولى عليها ما استولى ، حتى لا
مطمع فيها الطامع متى جد الجد ، وحان الجهاد» فقلت له : «ان الله سيدفع بكم
فيها» فقال : اجل بصرك ، وامعن بعقلك فهل تحس من يشعر بواجبه في هذا
الوقت ؟ قال : ثم والى الشيخ تنهدات وآهات ثم قطع كلامه وكان لسان حاله ينشد :

ان دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك هيت ولم يفرح بهولود

قال قائل يوما للشيخ : لماذا لا تقوم فتقود انت بنفسك الناس الى الجهاد
فاننا لانرى الا ان الناس كلهم يتبعونك ؟ فقال له : ان تصدر امثالي في ذلك
الما يجر الى ميادين اخرى غير محمودة ، فان الجهاد خطة عظيمة لا يتصدرها الا
الامام الاعظم ، وامامنا اليوم هو مولاي حفيظ ، فانه لم يعد بعد قيامه على اخيه
مولاي عبدالعزیز بالجهاد ، ان دخل فاسا فسكن هناك ، فوقع فيما وقع فيه اخوه
بل صار يامر الناس بالهدوء ، فهذا الشيخ ما العينين قد امره ان يتترك هو
واصحابه الجهاد في الصحراء ، وكذلك يقع لكل من يتصدر لذلك ومتى حرق
سياج ما امر به السلطان تاتي وراء ذلك فتن اعظم واعظم ونحن الآن ان اردنا
ان نذهب الى الشاوية لتكون هناك مع المجاهدين فاننا لا يد ان نذهب نحن والفقراء
وهم الاف ، فاين الزاد واين النظام المطلوب ، وهذا الامر لا يستقيم الا بالسلطان
وكل من تصدر له دونه - خصوصا ان كان ذا شهرة - فانه لا بد ان يظن منه انه
يخالف السلطان ، ومخالفة السلطان لا تؤدى الى خير كيما كانت

هكذا يرى القارىء الشيخ جائسا متلطيا متشوقا الى ان يكون في صفوف
المقاومة الا انه تترأى له من بعيد موانع عظيمة ، هذا مع ما يغلب عليه احيانا فيفلت
منه - على جهة الالعية والفراسة - من ان الاحتلال واقع ولا بد لعدم المقاومة المجدية
ولقوة العدو وضعف المغاربة ولكون الناس لم يدركوا بعد كيفية الاحتلال ولا
مسلكه في الناس ، وقد جمعت من اقوال الشيخ في هذه الناحية كثيرا واودعتها
في جزء من اجزاء «من افواه الرجال»

كان اصحاب الشيخ المنخرطون في طريقته ممتدين الى درعة فتايلالت

فما وراء تاملات الى قبائل ذوى منيع ، فكان بعض ذوى منيع يكتبون الشيخ ويسألونه فى المقاومة فى الحدود التى كانت بينهم وبين الجزائر ، سوقبائل ذوى منيع اذذاك لاتزال مغربية لم تلتهمها الجزائر بعد فكان الشيخ يجيبهم بالتحرير على الجهاد ، وهاك رسالة من الرسائل التى يكتبها اليهم :

«وبعد فقد وصلت الرسائل واطلعنا على جميع ما فيها من المسائل وهاتين نجيبها بكل صامت وناطق سائل ، وقد اخبرتم واشتكيتم بجرء عدو الله ورسوله على بلادكم وحرىمكم واموالكم وايمانكم ، ونعمة الايمان والاسلام اكبر النعم فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، فلتعلموا ان باب الجنة قدفتح لكم فى بلادكم وهو الجهاد والهجرة الى الله ورسوله ، فادخلوا فى باب الجنة بان تسلموا اموائكم وانفسكم لله فى سبيله ، فقد قال الله تبارك وتعالى : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم : «الجنة تحت ظلال السيوف» وقال : كلكم تدخلون الجنة الا من ابي انصروا دين الله تعالى» (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وقد استندتم الى اخوانكم المسلمين فى هذه الجهة تنحازون اليهم ، وتشنون الغارات والاغزبة على عدو الله ورسوله الى ان يطلب منكم الهناء وقد اخبرنا بان ذوى منيع يغيرون بالاغزبة على وادى نون مسيرة شهر فى اخوانهم المسلمين ويتركون التصارى وراءهم فى بلادهم ، فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، ولا تقولوا تقوى علينا بجيوشه (فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقولوا : «ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» هل تحبون وتظنون فى الله غير نصركم ؟ (وما النصر الا من عند الله) (ولله العزقور رسوله وللمؤمنين) والدنيا منفعتها الايمان والاسلام ، من لم يقض فى سوقها تجارة الايمان والاسلام لم تنفعه حياته ، فالاولى له ان لا يكون ، واى حياة واى ايمان واى اسلام كان عند من اذل نفسه لعدو الله ورسوله لتلايخرج من داره واهله فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وقد قال الله عزوجل : (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترقتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فترضوا حتى ياتى الله بامرء ، والله لا يهدى القوم الفاسقين ، لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) ، (ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلمكم تشكرون) وهذا الزمان بمثابة زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجوب الجهاد بل اكثر واكثر واكثر ، لان جهاد زماننا هذا لدفع الكفر وحفظ الايمان الذى هو موجود من غير زيادة ، واما جهاد السلف فلزيادة الايمان وحفظ الشىء الذى هو موجود من الايمان اوجب من طلب زيادته ، تفكروا وتذكروا واعتبروا وانظروا بعقولكم ، اى صلاة واى صيام واى حج واى زكاة لمن راي عدو الله ورسوله اجتمرا على الاسلام لم لا يجهاد فيه بامواله ونفسه ، وقد قال تعالى

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) ولم يكن شيء يؤكد الله عز وجل اكثر من الجهاد ، لان السيف هو الذي قام به الدين ، وقد كان المسلمون يشتبهون الجهاد في قديم الزمان ، فهاهو اليوم في بلادهم وناموا ، ويطلبون المهادنة معه في بلادهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، جاء الى بلادهم فصاروا يخافون منه ولو قمتم بالحق الذي وجب عليكم في الشرع من الغارات عليه والاغزيصة وتجاوزون الى اخوانكم المسلمين لرددتموه وتجدون من المسلمين الذين استولى عليهم بالظلم والعدوان المعاونة والنصرة ، فيفقدونه وتتبعونه شيئا فشيئا، وما هو الا ابن ادم مثلكم ، يضره ما يضركم كما قال الله عز وجل (ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما) وان قربتم من مكانه فابعدوا منه بقدر منع انفسكم منه (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة) (وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما) ولا تقولوا ان تركنا تركه ، فلا يجوز لكم ذلك في الشرع لانه ان وصلكم فلاعذر لكم فانه جلس عليكم وعلى بلدكم ، ان لم تدفعوه فلا بد ان يدخلكم بالحيلة او بالقهر ولا تقولوا هانحن معه في الهدنة فلو انكم قمتم في هذه السنين التي كان لم لكسرتموه بحول الله وقوته ولا تقولوا نحن قليلون، بل انتم كثيرون عنده فقد خاف منكم غاية ، ولكن اظهرتم له اللد لاكنتم تعاملونه في الاسباب ، وتطلبون هدنته وها بلاد المسلمين تكفيكم في الاسباب والسكنى ، وهو لم يحط بكم انما هو لكم في جهة واحدة وجهة المسلمين تخرجون اليها بالاسباب وبالهجرة ، ولا تجوز لكم المهادنة معه ، بل وجب عليكم ان تشمروا عن ساق الجذ ، واجمعوا رأيكم في اهل الخير ، وتجاهدون في سبيل الله ، فهنيئا لكم فقد فزتم بخير الدنيا والاخرة ، واشركونا في اجركم والله لقد اشتهينا الحضور معكم ولا حرمنا الله من ذلك الاجر بجاه النبي وواله والبخاري ورجاله ، وهذه الساعة الخير كله في الجهاد لا غير ، وان احتجنا اليها في شيء فاكتبوا مع الحامل ، ويرحم الله الذي صار الى رحمته سيدي الحاج الحسن الذي عرفتموه وحامل الكتاب الذي هو خليفتي في كل شيء استمعوا منه واتبعوه والسلام»

ثم ان الشيخ الذي خاضته هذه الفكرة فاستولت عليه يقظة وناما، بينما هو في قرية (اورير) ازاء اكادير بزواوية اصحابه هناك ، في عام ١٣٢٧ هـ اذ رأى ناما حكاة لي الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح ، فامالى اذنى ، فقد قال : «ان الشيخ اخبرني مشافهة انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة في اورير فقال له : اننى اراك كثيرا لاهتمام بامر النصارى ، فاجبته : نعم ياسيدي ، فقال «ان هذا الذي وقعت فيه من الهم والغم والقلق وقعت في مثله يوم الخندق ، فرجعت الى الله بالكلية فصرت اقول : حسينا الله ونعم الوكيل ، فتوكلت عليه وفوضت امرى اليه ، فاذا بنصر الله جاء بفضل الله فلك الله عنا الاحزاب ، فانهزموا بلا حرب

ومر كذلك انت اصحابك الآن بان يزيدوا في وردهم مائة من حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانهم سيجنون بركة ذلك في حفظ قلوبهم ، كما سيجد المغرب كله بركة ذلك فيجعل الله في امر النصارى فرجا ومخرجا بخرق العادة»
 بسبب هذه الرؤيا صار اصحاب الشيخ يذكرون ذلك في وردهم ، وهالة من رسالة للشيخ في ذلك ، ونص المقصود منها :

«نوصيكم بالتواضع والصبر وترك التدبير والاختيار لله تعالى فهو المدير في ملكه وفي ملكوته في المسلمين وفي اليهود وفي النصارى ، فالامر لله الواحد القهار ، واخدموا (حسبنا الله ونعم الوكيل) مائة في الصباح ومائة في العشي فقد امرنا به لجميع الاحباب ان يخدموه على تعدي النصارى وظلمهم (فسيكفيهم الله وهو السميع العليم) ولا يمكن ان يخدم على امر فيبقى على حاله ، بل لابد ان يكشفه الله حتى امر النصارى ان خدتموه فلا بد ان يزولوا ان شاء الله ، حتى ان قدرتم ان تبرحوا به في اسواقكم ان يخدمه الناس جميعا كبيرا وصغيرا ذكورا واناثا في الجوامع وغيرها ادبار الصلاة وغيرها ، فذلك افضل واكمل وليس النواء الا في الاضطرار اليه لان قوة الله هي الغالبة لقوتهم بلاشك ولاخلاف فمتى رجع الناس اليه حقا فلا بد ان يرد كيدهم في نحورهم (وهو القاهر فوق عباده) ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»

ومن رسالة اخرى :

«..... متى اراد الله ان يرد النصارى عن المسلمين فلا يصعب عليه ، اما بسر ظاهر على يدولي (١) من اوليائه واما بسر باطن من غير واسطة اصلا ، وهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده ، ولا ملجأ ولا مهرب من الله الا اليه فقد ظهر تعدي النصارى ولم يبق الا قوله تعالى : «حسبنا الله ونعم الوكيل» فهو السيف القاطع ، فاخدموه اينما كنتم على نية رد الله كيدهم في نحورهم ، تصديقا لقول الله «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا» (وما ذلك على الله بعزيز) وقد امرنا في العام الاول في ثالث عاشوراء بخدمته في الصباح والمساء مائة لكل وقت لجميع الفقراء يزيدونه في الورد، على نية هزيمة النصارى من بلاد المسلمين ان شاء الله» الخ

اقول : ان الشيخ مع اخذه بالاسباب التي رايتها من الاستنهاض ودتبيه الناس لما يهددهم ، صاريث في اصحابه - كما رايت - ما يستنهض ايضا القوة المعنوية في كل اتباعه الذين تشبعوا بروحه ، فان الجهاد المنظم المجدي لا يفيد مادام ملك العصر فاترا ازاءه فصار يقوم بما في طوقه فيملأ به مجالسه وقد تواتر عنه انه يقول اخيرا بعدما رأى أن المقاومة المجدية اعرض الناس عنها «ان

(١) الله اكبر ، اننا من رعايا ملكنا الهمام محمد بن يوسف هذا الولي الذي على يده خرج النصارى فاستنقذت البلاد .

النصارى سيدخلون بخرق العادة وسيخرجون بخرق العادة» فأما دخولهم بخرق العادة حين لم يقاومهم الناس مقاومة فعالة ، فقدوا بناها وليت شعري متى تكون الثانية (١) فرحمه الله فقد قام بما في طاقته .

بعض دعواته وأذكاره الخاصة

هذا باب من أبواب تحنث الشيخ ، وغالب ذلك يدور متى اختل بنفسه على التجهد ليلا بالقرآن ، وهذا مما واطب عليه طوال حياته ، لا يتركه وإن احتوشته الأشغال وكثرة الأضياف ، وكان ورده من ذلك - كما قال ملازموه كسيدي سعيد الثماني وسيدى أحمد الفقيه الركنى وسيدى مولود وآخرون - خمسة من القرآن بلا النوافل المعتادة كالضحى وما قبل الظهر والعصر وما بعد الظهر والمغرب ومائة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة عصر الجمعة ، وجل أصحابه المتواضعين في كل ذلك وأما الصيام فإنه اقتنى فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما رونه عائشة ، فإنه يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم إلا أنه في المساجد لا يصوم النوافل غالبا إلا في الإمكانة التي لا يحتاج فيها إلى مخالطة الناس وتبليغهم ما واجب على نفسه أن يبلغه لهم

هذه نبذة يسيرة مما يتعلق بهذه الناحية لخصناها تلخيصا ، لأن هذا الكتاب لم يجعل مثل ذلك ، فهناك كتب خاصة الفتى في الشيخ المتكثير من هذه النواحي ، وإن لم تستوف ذلك ، وقديم بنا في هذه الترجمة وفي تراجم أصحابه أشياء أخرى لم نذكرها هنا

وأما الدعوات التي يدعو بها كثيرا فقد حدثني بها كثير من أصحابه ، كهذا الدعاء : «اللهم اجمعنا على محبتك ، اللهم اعنا على طاعتك وخدمتك ، اللهم طهرنا تطهيرا تصلح به لحضرتك ، ولقينا بك ، اللهم زدنا فيك تحيرا وبك افتتانا وغيبنا بك عن كل شيء سواك حتى لا نكون إلا بك ولك ، اللهم احفظنا فيك سائر عمرنا حتى نتوفانا وانت عنا راض ، ونحن بك غير مفتونين ، بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وقلما يقوم من مجلس عام الادعاء بهذا الدعاء أثناء الادعية المألوفة التقليدية ويقول أيضا كثيرا :

«اعطانا الله سرا من اسراره ، واعطانا نورا من انواره ، وجعل ربحنا فوق الرياح وجعلنا من خدامه ، وجعلنا من خدام بيته ، وجعلنا من خدام سنة سيدنا

(١) كنت افكر يوم محاولة الاستقلال وسهولة امره . فادركت ان ذلك هو بخرق العادة التي كان الشيخ يذكره دائما

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا من اهل الخير وجعل حياتنا مع اهل الخير في هذه الدار ، وتلك الدار وجعلنا من المقبولين ومن المغفور لهم ، ومن المرحومين ، الى غير هذه ، ولم نسقها الا لتري كيف نفسية الشيخ من هذه الناحية ايضا فان المعروف منه انه فان في عبودية الله ، ولا يلتفت الى غير الله في الازمان فما يستفيث بالاشياخ ولا هو يقبل من اصحابه ان يستغيثوا به في الازمان ، وله في ذلك حكايات .

مؤلفاته

للشيخ ولوع بكل ما يمت الى الافادة والاستفادة ، وحين كان يخالط الفقهاء والفقراء . كان يعمل في كلا الميدانين باقواله وبقاماته ، فاما افعاله فقد رايت منها ما رايت في الذي تقدم من هذه الترجمة ، واما اقواله فاما كان منها مراسلا كالتى يطلقها في مجالس تذكيره او مواقف حثه على الالتجاء الى الله فقد جمعت منها عن اصحابه كثيرا وان لم يكن ما جمعت الا كنقطة من بحر وهو في باب من ابواب كتابي الذي جمعته في الشيخ خاصة وسميته «الترياق المداوي» ومما يتعلق باقواله ما يكتبه الى اصحابه في رسائله ، فانها مجموعة على ثلاث نسخ واحدة جمعها تلميذه الكبير سيدى سعيد التتاني وقد نسخت منها نسخ متعددة ، والثانية جمعها تلميذه سيدى محمد الشيخ الدرعى ، وقد رايت منها كذلك نسخا على قلتها ، والثالثة جمعها تلميذه الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح التازروالتى ، وتوجد ايضا ولكنها اقل من القليل ، ورسائل الشيخ عليها نسخة من حاله العام ، فلا كلفة ولا تزويق كلام ، ومن اقواله ما ضمنه مؤلفات في موضوعات شتى وهذه قائمة مؤلفاته :

١ - مترجم الربع الاول من مجموع الشيخ الامير المصرى ، فقد اودعه كل ما يتعلق بربع العبادات ، ولم يكد يترك مسألة من الزرقانى والرهونى يمكن ان يتوقف عليها الاحشرها هناك ، فجاء مجلدا ضخما بلسان الشلحة ونسخه كثيرة عند اصحابه ، وبه يتفقهون

٢ - (عقد الجمان) رسالة كبيرة بالنسبة لرسائله وضع بها لاصحابه اداب الطريق في فجر صدره للتربية ، ومنها نسخ كثيرة جدا ، وهي جزء صغير .

٣ - (ترجمة الحكم العظائية) نظما مشلحا ، يقرؤه اصحابه كل صباح بعد مجلس الذكر ، ولكنه لم يستوف كل الحكم .

٤ - (المبدئى المعيد في اخبار الشيخ سيدى سعيد) وهو شيخه العدرى لم ارمته الا خطبته ، وقد ادخلتها في ترجمته الآتية على ما كتبه في الشيخ العدرى العلامة سيدى محمد بن مسعود .

٥ - (كتاب في الطب) ذكر لي ولم اراه .

٦ - (رحلته الى الحج) عام ١٣٠٥ هـ وجدتها في مبيعتها فخرجتها
وحررت قواها فجات في نحو الفى بيت من الرجز ، وقد ذكرت بعضها فيما
تقدم .

هذه هي آثار الشيخ في التأليف ، فرطت منه وان لم يكن متصدرا لمثل
ذلك .

وفاته الشيخ

مضت حياة الشيخ كلها - كما رأيت فيما تقدم في الجولان بين قري
سوس الى الحوز الى اسفى ، فالسوية لارشاد الناس وتعليمهم امور دينهم
ولتضيئهم على ترميم مساجدهم واصلاح ذات بينهم ، واستتابتهم مما يقترفونه
فهدى الله به من سبقت له الهداية ، وعمى عن معاوماته من قضت عليه القواية
وكان من اواخر سياحاته سياحة الى مراكش ، فقد وصل الى قبيلة اولاد ابي
السباع حيث احتفلت به المدارس السباعية وعلماؤها سيدى الحسن بن احمد
الرصوكى فى بوعنقىر ، والفقير سيدى العربى فى الساعات وسيدى الحنفى
فى مزوغة وقد كان كل واحد يخرج بطلبة مدرسته فيلاقون الشيخ من بعيد
الطلبة بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والفقراء بذكرهم المعتاد فيختلط
الجمعان حتى يدخلوا الى المدرسة ، كما مر بتزكين من قبيلة كدمية حيث زاوينة
ثم بات فى قرية القائد عمر السكتانى ثم فى مسفيوة ، فمر الى الرحامنة حيث
القبل عليه كل الرحمانيين عامة وخاصة ، فرأى على عادته كلما دخل قبيلة -
وكانت له فى ذلك نية حسنة - القواد الرحمانيين اذذاك كالقائد عبد السلام
والقائد العيادى ، وغيرهما ، وقد كانت الطريقة الالفية انتشرت فى هذه القبيلة
على يد سيدى ابراهيم البصير الركايبى فلم يكف الشيخ يظهر حتى تطارح عليه
الناس وهو يرشد ويهدب ، ومعلوم ما للعرب من النية الحسنة ، ثم لم يدخل الشيخ
الى مراكش حتى بنيت زاوينة فى الرملة ، وقد كان ينتظر ان تتم على يد اصحابه
الدين منهم سيدى الحاج محمد البوطيبى الهشتوكى ، وحين حل بمراكش اهتزت
المدينة وطفحت الرملة باصحاب الشيخ الذين يعدون بالمئات فاجتمع اهل
الحومة على ضيافتهم فضيفوهم فى مسجد باب دكالة الذى يتسع لاولئك الجماء
الغفير ، وقد اخبرنى مقدم الحومة بعد ذلك ان الموائد التى اتى بها اهل الحومة
بلغت خمسمائة ، وقد التف كل الدرقاويين المراكشيين على الشيخ فى هذه
الضيافة ، ثم داروا معه على السبعة الرجال صبيحة يوم ، وهم يعلنون بلسان
واحد (حسبنا الله ونعم الوكيل) فكان يوما مشهودا بمراكش ، وقد قيل للشيخ
اما تغاف ان يقع لك ما وقع للشيخ ماء العينين وقد كان اذذاك ذهب الى فاس
فرد فى الطريق وراء تادلة بقوة الاحتلال الذى تم اذذاك فى البيضاء واحوازها
فقال: اننا لم ندخل مراكش الا باذن خاص ، ولن نهتبل الا بالله ، فذكر له

ما يخافه الناس من النصارى المحتلين فظهر لهم قوة من نفسه ، ثم وقعت منه كلمات يدل بعضها على ان الواجب هو مدافعة الاجانب لو كان في الناس ايمان قوی ، وامر منتظم وشمل مجتمع ، وبعضها على ان المحتلين لابد ان يخرجوا اخيرا من هذه البلاد الا ان الذين سيخرجونهم لا يزالون الى الآن صفارا او لا يزالون في اصلاب ابااتهم ، وهناك كلمات اخرى تفرط من الشيخ من غير ان يحتل بها تدل كلها على غيرته وعلى اهتمامه العجيب بالوطن العزيز ، وقد مر بك فيما تقدم بعض ما يتعلق بهذا الموضوع .

ثم خرج من مراکش ، فرجع الى سوس على طريق حاحة ، فبات في اذكيلول فأودير حيث زاوية اصحابه ، ثم الى كسيمة حيث الاهالي كلهم يكدون يكونون من اصحابه لان رؤساء القبيلة من قرية الدشيرة منهم ، وهناك في قرية انزكان فرق الشيخ المتجردين ثلة ثلة ، وهو يوصيهم كتوصية مودع ثم الى هشتوكة فمرينا ونحن نقرأ القرآن في قرية ايفريان ، فبتنا معه في حمى الصوابي بماسة ، ولازال استحضر ان الحزب في العشية يقرأ بغير الوقف ثم الى المدرحيث اجتمع فقراء كل ازاغاد وفي رئاستهم سيدي محمد بن مسعود وذلك في مفتتح رمضان ، فخرج صبيحة اليوم الثاني فاصطف الحاضرون امام زاوية سيدي سعيد ، فكان مما قال : (هنا ابتداناها ، وهنا اختتمناها) كلمة سمعها الجميع ، ولكن لم يفهموا من الكلمة الا هذه السياحة الخاصة ، ثم ظهر مقصوده بعد ذلك ، ثم طلعا الى الخ ، فدخلنا في اصيل اليوم فمر العيد فسافر الشيخ الى تامانارت فرجع موعوكا ، وقد كانت السنة شهبه فتوارده جيران الزاوية على الشيخ ، ليمدهم بما عنده ، ففتح المغازن فامر ان يباع الشعير والتمر بثمان السوق مع زيادة حفنة حفنة فوق كل صاع ، فثارت نائرة بعض الاكرباء هناك ، لانهم يبيعون الى اجل باضعاف اضعاف ذلك ، فكان الشيخ يقبل املاك الناس رهنا لا يباعا قاطعا تسهلا عليهم ، وهو يقول لهم : «دعوا رجاء اولادكم ليتمد الى فك المرهونات» فجعل الله البركة في مغازن الزاوية حتى تعجب الناس ، هذا والشيخ يزداد مرضه ، وقد كان كتب وصيته في اول مره فارسلها الى سيدي محمد بن مسعود حيث سترت الى ما بعد وفاته ، وفي صبيحة السبت ٢٨ من ذي الحجة عام ١٣٢٨ هازداد المرض وعند صلاة العصر فاطت روحه فالتحق بالرفيق الاعلى ، وفي الليل تولى غسله الفقيه سيدي علي بن عبد الله ومؤذن الزاوية سيدي محمد بن بلعيد التناني ، وقد كان الناس علموا بوفاته العنية بطلقتين من البنادق على العادة اذذاك ، وفي الصباح اجتمع كل الجيران فصلى الفقيه على الشيخ ثم دفن وراء الدار في مشهده الآن

هكذا طويت تلك الصحيفة وتلك الهمة ، وتلك العزيمة وتلك الفرة الدينية الفريفة العجيبة ، ولكل مبتدأ منتهى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)

مراثي الشيخ والتعزيات فيه

قلت لاهي احمد يوما : لماذا لا اري مراثي كثيرة في الشيخ الوالد بعد وفاته ؟ ولماذا لم ترعف القلام الادباء بما يستحقه من عويل طويل بين قواف متخيرة ورسائل محبرة ؟ فقال : لاخال الا ان السبب في ذلك هو كونه لم يدر وراءه عقبا يراعى ويفهم عن الادباء ما يقولون ، فيتقرب اليهم المتقربون ، ويجد في متنداهم من هم لآدابهم يرجون ، فيدركون مغزى توجع الشعراء حين يتوجعون ومقدار مالبينات قوافيهم التي يصوغون ، لان كثيرا من المراثي انما هي تحية لوجه الاحياء لا اثار لما خلفه الموتى والغائب غائب دائما ، وقلما يراعى من هم غائبون عن المجلس ، فضلا عن الغريباء عن الحياة ، ذلك معنى مقاله وهي قولة لها حظ من النظر والا فاين ما يستحقه الشيخ الجليل الطائر الصيت وما تستحقه اعماله الكثرة التي شرقت احاديث الركبان بها وغربت واشامت الاسمار عنها واعرقت من زهرات ادبية على قدرها ، وهل يطيل الثياب الاطول لابسها «ان الرداء على العملاق عملاق» هذا مع اننا نجد من بنات السن الادباء السوسيين عشرات في موائف هي من موقف الشيخ بمزلة الارض من السماء ، او بمزلة الشسع من الاكليل

وبعد فقد اطلت البحث عما يتعلق بهذا الموضوع ، فلم اقع الاعلى بعض فصائدوا الاعلى رسائل مختلفة النسخ في التعزية ، وغالبها لا يستحق جرة قلم ، وهانذا ساجتهد لالتقط من تلك الرسائل ما ينبغي ان يعتنى به ، فاما ان اسوق الرسالة كلها او بعضها وعلى الله الاتكال ، وبه المعونة

من ذلك رسالة الفقيه سيدى محمد بن عبد السلام الورزازى المراكشى :

اخواننا في الله الفقراء المتجردين والتسبيين في زاوية الشيخ الهمام صاحب الفيوضات الربانية ، والنظرات الصمدانية ، السلام عليكم ورحمة الله عموما وخصوصا الفقيه ذا الهمة العلية سيدى سعيدا الثانى وسيدى احمد الركنى وسيدى محمد بن مسعود وغيرهم ممن نسمع بهم *

اما بعد فقد وصل نعي الشيخ رضى الله عنه فبلغ فينا الحزن مبلغا عظيما نحن وكل اهالينا ، فرحم الله تلك الهمة العالية والعزيمة الطائرة فلم نبك لموت الشيخ فان الموت مكتوب على كل انسان ، ولكن نبكى على مثل تلك الهمة التي يربى بها الشيخ المرادين وما اقلها حتى في كثير من العارفين ، فقد راينا كثيرين من مشايخ هذه الطريقة الدرقاوية ، وشاهدنا لكثيرين منهم اسرارا واستنهاضا الى الله ، ولكن لم يكن منهم مثل هذا الشيخ الذي رزئت به الطريقة فلاحول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون ، فإله يزيد مقامه على مقام في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والسلام من اخيكم في الله الضعيف محمد بن عبد السلام الورزازى لطف الله به كتبه في ربيع الثانى عام ١٣٢٩ هـ

ومن ذلك ما كتبه الفقيه سيدي محمد التادلي ثم الرباطي ثم الجديدي وهو من اصحاب الشيخ: «حيال الله تلك الوجوه النيرة منكم يا اخواننا اصحاب شيخنا سيدي الحاج علي بن احمد الالفي السوسي ، وانبت الله نباتا حسنا من خلفه من الاولاد الذين نتمنى ان يسلكوا طريقة الشيخ التي يعز نظيرها اليوم ، فاعلم يا سيدي سعيد التتاني اننا سمعنا بالخبر الصحيح في وفاة الشيخ رضي الله عنه ، فتألمنا مشاعرنا لله والى الله وفي الله لاننا نوقن ان ارواح العارفين لا يلحقها الموت كارواح الشهداء ، وانما تنتقل الى عالم اوسع وافصح ، حيث تستمتع بالقرب من الله اكثر مما لها في هذه الدار ، فأحوال العارفين خاصة سواء معيهم ومعاييرهم ومشهدهم ومغيبهم ، لالدة لهم الا في المشاهدة ، وهم يرون من الاخوان هين المكون بلا حلول ، وهذا مقام لا يتكلم فيه مثل الا معك يا سيدي سعيد لان صدور الاحرار قبور الاسرار ، والفقير يجب عليه ان يملك الاحوال لا ان تملكه

يقولون خبرنا فانت امينها وما انا ان خبرتهم بامين

هذا وقد كنت ذكرت من احوال سيدنا الشيخ للعلامة الجليل سيدي احمد بن الخياط وللمدرس النفاة ، سيدي احمد بن الجيلاني ، فتأسفا اليوم حين لم يلاقياه ، ونحن يا اخواننا على العهد والسلام على سيدنا محمد الذي جعله الشيخ خليفته فيجب عليك يا سيدي سعيد ان تهديه وان تسلك به الطريقة في مسالكها المعلومة ، حتى يستحق ان يكون خليفة الشيخ عن حق والسلام من مجلسكم الفقير محمد بن علي التادلي عفا الله عنه .

ومن ذلك ما كتبه الفقيه سيدي الزبير البعمراني من رسالة :

« . . . ونعزيكم في الفقيه شيخكم ، فان على امثاله تسهيل الجفون وما وما كان الا فريدا في حرصه على نفع العباد ، واحياء القلوب ، والاختصاص بالدين العامة في اصلاح ذات بيننا ، والخاصة في تربيتها على الطريقة التي تسلكها فرحم الله الشيخ وقوى الله الفقراء وكل ابناؤه على الصبر ، وانما الصبر عند الصلوة الاولى . . . »

ومن ذلك ما كتب به الرجل الصالح سيدي الحسين صاحب الزاوية ازا الجديدة ، وقد كان زار سوس فنزل على الشيخ عام ١٣١٦ هـ :

«الاخوان الذين لا تجتمع قلوبهم الا على محبة الله ومحبة نبيه ، اصحاب الشيخ سيدي الحاج علي بن احمد السوسي ، رضي الله عنكم جميعا ، وافاض علينا وعليكم من سحائب رضوانه ، وكذلك اولاد الشيخ الصغار واخوانه وكل اهل داره ، فالسلام والرحمة والبركة على الجميع

اما بعد فان الله الله في الاجتماع على الله ، والعرض بالتواجد على هذه الطريقة التي من بدوي من اسرارها لا يبعد لها شبيها ، فتعزني ونعزيكم ونعزي

النسنا ونعزى كل اهل الله في طيب الطريقة ، وامام الشريعة والحقيقة ، هذا الشيخ الذي بلغنا انه اتقل من عالم عين اليقين الى عالم حق اليقين، فهو والله فريد بين كل من ذرئهم من المشايخ وهم كثيرون لا يكادون يحصون عددا ، فقد كنت عندهم جميعا وجالستهم ، وفي الكل خير ، الا اننى للمزرت زاوية هذا الشيخ رايت كل ما كان يذكر لنا عن اصحاب الشيخ مولاي العربي من تجريد ومحافظة على الاوقات ، والحرص على الانفاس ان لا يضيع واحد منها فى غير مشاهدة مكون الاكوان ، فقد تعجبت حين رايت استطاع ان يجد له اصحابا يقومون مثل قيامه فى همة الصوفى الذى يعرف ما طلب ، فقد مضت لنا معه ملاكرات استفدنا منها الشئ الكثير ، ولولم ارتبط بشيخ باخر حتى لسلمت له زمامى ، وجعلته فى الطريقة امامى ولكن الزوجة لا يكون لها الا زوج واحد على ان الاشياخ كلهم على طريقة واحدة ، كما قال الله : (تسقى بما واحدون فضل بعضها على بعض فى الاكل) والآن يا اخواننا نحن وانتم ذات واحدة ، فلا تنسونا كما لانساكم وان لم يمكن الاتصال كثيرا بعد المقرين ونوصيكم على الطريقة بالمحافظة على شروطها من اوكاد الواجبات على الفقير والسلام عليكم جميعا من سيد ضعيف خديم لاهل الله الحسين لطف الله به»

ظفرت بهذه الرسالة ممن حافظ عليها ، ويظهر انها لم تصل الى الغ، والا سمعت بها من عند امثال سيدى سعيد التتاني

ومن ذلك رسالة كتب بها الفقيه العلامة سيدى على بن عبد الله الى ابي فارس الادوزى

«الفقيه الدراكة الذى ما بيننا وبينه الا الاتصال التام ، والذى كل ما يهجه فى جهتنا فهو عندنا من المهام ، سيدى عبد العزيز الادوزى ، وعليكم السلام ورحمة الله، وبعد فقد وصلت رسالتك ، فقضيت فى الحين حاجتك على ان رسولكم وجدنا فى حزن عظيم ، واسى لا يكيف مقعد مقيم ، حتى اننى اتكلف الصبر فلا اجد اليه سيلا ، بعد ما فقدت ازائى من لا اجد له فى النصيحة والاخوة والمعاونة مثيلا ، فقد صرت غريبا فى بلدتنا هذه بعدما صار سيدى الحاج على الى مالا بد ان نصير اليه جميعا ، فقد غادرنى مفردا لا ائيس ولا مشتكى اليه متى كنت وجيعا ، على انه صار الى جوار ، وانا بقيت فى جوار كما يقول التهامى فى رثاء ولده :

جاورت اعدائى وجاور ربه شتان بين جواره وجوارى

فما امر الحياة التى لاخوان فيها ولا معينين ، ولا جيران فيها مخلصين محتسبين فان الله يرحمه ، ويجعل لنا فى امثالكم البركة فى السكون والحركة ، والسلام وكتب الفقيه ايضا الى بعضهم اثر وفاة الشيخ متمثلا اثناء رسالته :

«لعمرك ما المصيبة فقد مياها ولاشاة تموت ولا يعبر

ولكن المصيبة موت حر

يموت لولته خلق كثير

وأما المرأى فقد قال العلامة عميد المدرسة الإلغية سيدى على بن عبد الله

رفيق الشيخ الدائم :

هنا ملكنا المال عفوا ما الذى
او قد جمعت جموع كسرى ما الذى
او قد حيت حياة نوح فى غنى
او سالتك صروف دهرك حقبة
تبا لدهر لايراعى برهة
وتراه يسفل بالكرام ويعتلى
ويهم بالتنقيص والتشتيت فى
لايخذ عنك اذا استلان فانه
ما راغى والدهر حبل مقرب
والشمل مجتمع بمن احبته
الا النعى بموت شيخ ان تقل
شيخ الشيوخ سليل احمد من بدا
ماشتت من علم ومن عمل ومن
وديانة تنسى اذا عاينتها
ونصيحة قد زانها اخلاصها
لمناقب يعنى المفوه عدها
ما على تلك المحاسن انها

وقال الشاعر المفوه شيخ الاسلام شيخنا سيدى الطاهر بن محمد

الافرانى :

امن حادث بكر الم فاجزعا
لفقد امام الدين شيخ الرسوخ من
مربى مريدى الرشيد بالسيرة التي
محط رحال القصد مطمح همة ال
زال صفا ذوقا وبدر تضالمت
ابى الحسن البرابن احمد من غدا
وجد الى ان بد كل منازع
فقال منالا دونه السر وانتهى
اقام يشيد الدين دهره مجددا
طمت ليج العرفان من بحر صدره
الى ان التوت من سماء جوانبه الى

جزعت وحق ان تنوح وتجزعا
غدا للعلا والدين عينا وممعا
حوت كل اداب السياسة اجمعا
— مريدين مرعى للفضائل امرعا
له الزهر لما ان تبدى واطلعا
ه ثدى العلا والعلم طفلا وارضا
بهمة طماح العزازم اروعا
الى رتبة تنأى منالا ومطمعا
لركن الهدى لما وهى وتضعضا
وفنت مسك العلم ثم تضرعا
سبلاد وزال الجهل عنها واللما

فلما استوى بدرا والهر ناضرا
فهبط جناح المجد والفض نجهه
وغاص ممين الفضل وانجاب ماطر
وحار ذوو الحاجات لم يهتدوا الى
ومن ذا يرجى سائح متجرد
واى طبيب للقلوب يلدها
مضى يجتنى ثمر الرضا متبوءا
وخلف وجدا لايريم ووحشة
فقل لادى يبقى العلا متطلبا
امن بعد ما اعتدت الجواد تريدان
«فليست عشيائ الحمى برواجع
عل قبره سحب التحية والرضا
ولكن ما ابقى لنا الله شيخنا الـ
ففى مجده .. والحمد لله .. غنية
نلوذ من الدهر المخيف بظله
فلازالت العلياء تخدم بابه

وقال ابنه الاديب الكبير سيدى محمد بن الطاهر :

قالوا قضي العلم الامام السيد
ذاك الامام المرتضى المولى ابو الـ
فعمت ربوع المكرمات وقد زهت
وتعملت درج المناير واكتست
قالوا ارثه باللذ علمت وانه
فاجبتهم كيف الرثاء لمن غدا
ماذا يفيد لمجده قولى وقد
واذا اختفت عنك الفضائل فاسالن
واسال مساجده التى قد طالما
فلقد غدت مثل النجوم لكل ما
لايجحد الفضل المبين سوى الذى
واحسرة الدين الخفيف لفقده
رحم المهيمن روحه وانا له
بالمصطفى صل عليه الله ما

وقال الاستاذ الكبير شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ابن اخت الشيخ:

قد انقضى الخير وحاد الكمال واستحكم الجهل وعم الضلال

وصار رسم المجد من بعد ما
واعلى الدين الشتات بما
قلت احتسب يادين لا احد
لما قضى الشيخ على بن احـ
اودى فئاد بعده صبره
قالوا وما اودى به قلت ما
ياليته يبقى ونعطي به
وقل لو امكن فى حقه
لانه الموت فلا يرتشى
ما الموت الا الدين مهما اتى
اولا فمثل تاجر يشتري
لذا يحوم عن بحور التقى
الدهر قدما هكذا دابه
لم يغن عن كسرى ولا قيصر
ولا الخورنق نعمانه
ولا حمى الابيض اربابه
ولا نجا منادما ابرش
سعى الى ان نال فى المجد ما
والبدر ان تمت منازلها
قلت وقد عاينته علما
وازدحم الناس على نعشه
العين لا يرقا لها دمعا
لا تعقوا السير فقالوا اتئد
فيا له مشهود يوم بما
يا هائل الترب عليه فان
اقام فى القبر واثاره
وكيف لا وهو امام الورى
مقصد اهل الله يهديهم
واكرم الناس ولكنه
مجدد دين الهدى بعد ما
قد اوتى المشور وهو التقى
وعلمه بحر زلال غدا
وحكمه يشيك هرمس مع
اما اصطباره فتحو اول الـ
ما شئت من هزم وهزم ومن

كان متينا عرضة للزوال
اصابه من ضر داء عضال
يشكيك من داء الضنى واعتلال
مد امام الوقت اكرم خال
فؤاد من رأى كمال الجمال
اودى به غير عيون الكمال
ماعز من نفس وولد ومال
وانما (ليت) دليل الضياع
كالحكيم العدل الرفيع المثال
صعبه يقضى بدون مطال
نفائس الدر ورطب اللؤلؤ
ياخذ منها من خياد الرجال
تشتيت اخوان الصفا واغتيال
معاقل شيدت ولا ذخر مال
ولا اخو الحضرة نجا باحتفال
ريب المنون بعد طول احتلال
معه بحسن عشرة واحتيال
يثاله عن ارث اصل ووال
لا يد من سراره وانتقال
يرفع من فوق رقاب الرجال
حتى تقطعت شسوع النعال
اما الشهيق فهو باد وعال
فانه يوم تسير الجبال
حوى من الكرب وعظم النكال
تدفنه لم تدفن حسان الخلال
سيارة تتلى بكل مجال
وهو المهدب الغياث الشمال
معالم الذكر الورى الظلال
يبدأ عفاة بابه بالنوال
يكاد تعفوه عوادى اختلال
وهو الذى حاز سنى الخصال
يقذف بالدر لاهل السؤال
بقراط فى غابر عصر وخال
عزم من الرسل بفرط المثال
رصانة العقل وصدق المقال

وهمة النفس فيما واجهت
وفى فراسة يظن كان
ومن رئاسة حياه بها
وفى سياسة يقال لمن
ومن شمائل حكى لطفها
ان قام فى الناس بوعظ ترى
او باغت المجلس اطرق من
لغير هذا من صفات لوى
من ذا يحل بعده مشكلا
او يورد البحث على وجهه
مضى ولا يمضى بنا ذكره
صب عليه الله فى قبره
صبرا جميلا يا بنى احمد
فرزؤكم عم جميع الورى
وفى ابنه محمد غنية
هما لافلاك العلا توام
يسعى لادراك العلا سعيه
وبارك اللهم فيه وفى
واغفر لعبد الله من بعده
ارخ وفاته بلى حجة

وقال الفقيه سيدى موسى بن الطيب السليمانى صهر الشيخ وابن اخته
واحد مردييه :

مضى الاخيار وانقضت الدهور
مضى الصهر الوفى اخو المعالى
فوا أسفا على قطب الزايا
ووا أسفا على وجه تقضى
ووا أسفا على وعظ اذا ما
ووا أسفا لكل الناس طرا
ووا أسفا لهذا القطر غابت
مصاب عم مفضلته وهادا
مضى من كان فينا خير وال
وخير وسيلة فى كل خير
مضى من هو فى الاحداث طود
لان شئت العلوم تراه يدي

وتم الخير واتصل الشرور
وخالى شيخنا الليث الهصور
رحى الخيرات حوله تدور
يسر به غنى والفقير
يسجره تلوب به الصغور
سواء منجد وفتى مقير
به شمس على الجوزا تنير
وسهلا والجبال كذا البحور
اذا ما جانا امر عسير
اتناه يحق لنا البرور
رسوخ فى الشدائد والصبور
مسائل قد تضيق بها السطور

او الجود العميم تراه يعطى
او العزم اعترف بوضوح عجز
ليس بمنكر ذا الفضل الا ذليل او جهول او حفيظ

* * *

ايا من جد فى نيل المعالي
رثيتك عن مجامر فى فؤادى
فيا بدر التمام ويا مناطا
انت سكرات موتك لاتفدى
يحق لجفنا ابدا دموع
فيا تربا حوى اشلاء شيخ
راياه عيانا ذا وضوح
وبعض من مرديه رماه
فصبرا يابنى شيخى جميلا
فبارك فيكم ربي كثيرا
فيا شيخى نزلت جنان عدن
فلا يحصى رثاءك دو فريض
سقى الرحمان قبرك مزن رحى
ولاقتك الملائك باحتفال
عليك سلام ربك كل حين

وقال الاديب الكبير سيدى احمد بن محمد اليزيدى :

الدين يجزع والصدور توجع
وتلهب النيران بين جوانحي
الدمع قد خد الخلود وفتها
اين الذين مضوا عنوا لملمة
واذا رمت اصمت سواء عندها الـ
لم انس حين وقفت فى ربع فما
حظ لى ملك الدنيا كلها
ان الصائب جملة لكنه
اودى فاودى العلم وانجاب الندى
لم تشنها عنه المعارف والعوا
انت الكريم ابن الكريم ابن الكر
ضاللت بموتك الفجاج عن الورى
ماكنت اسى يوم مولك الـ عدا
فقديك هل نفسى لى مثلها

والعين تدمع والقلوب تصدع
ابدا يزيد ، هلكت لولا الادمع
مثل الاصابع فت فيها البرمع
نزلت فصاروا كل حى بلقع ؟
سبازى الاشهب والغراب الايقع
اجدى الوقوف ولا اجاب المربع
حظ الخيال مضى وذلك اسرع
ما مثل رزة على بن احمد مفعج
ان السهام لى النية شرع
رف والحجافل والبناء الارفع
يسم ابن الكريم الالمنى الاطوع
كل بكالا ولا بكاولا ينفع
جسم غير خلف نمشك شيعوا
ان النية بالهدا لا لفتح

من الشهامة والصرامة بعدكم
 الشمس والبدر المثير ودوحة الـ
 للشمس نور والمثير الفولسه
 ما فيها للفير بعدك مطمع
 سمجد الاصيل ثلاثة لا تربع
 وبقيت فردا في دهورك تلمع

ما البحر عندك في النداء ما الليث به
 غاضت بحور العلم بعد ترحل الـ
 نرضى الرضى بالشيب فرقة سيد
 ان الذي ملا القلوب جلالة
 عجا لبدر كان منزله الثرى
 قسما بحب الاريحي محمد
 وله بشم قد مضوا كالجشتمى
 لفتت سعائب رحمة ديماس من
 صل الاله على النبي محمد
 وعليهم ابدا لدى محبة
 سدك في الشجاعة ما الشجاع الاقرع؟
 بحر المحيط وما تفيض الادمع
 ولكل شخص بعد شخص مصرع
 وهدى الانام له مقام ارفع
 ولبحر اعظم في الركبة يجمع
 لله على قلب الاحبة موقع
 واليفرنى اسوة تستتبع
 يهدى ويهدى بالمواعظ يقرع
 ما الورق في اغضان ايك تسجع
 ما الدين يجزع والصدور توجع

يعني الشاعر بمحمد الاريحي كبير اولاد الشيخ اذناك ، وبالجشتمى ابا
 العباس احمد بن عبد الرحمان وباليفرنى الحاج الحسين اليفرنى دفين تزنيث
 بان الجشتمى عام ١٣٢٧ هـ ومات اليفرنى عام ١٣٢٨ هـ
 وقال ايضا :

قد استوى الله على عرشه
 والملك والبقاء والجبرو
 يا ايها الباكي على فقد من
 ايه فقد اودى المتون بمن
 ابك او اعول ذاكرا وعظه
 وقل لدى وعظ وذى ادب
 والوعظ والمجد الاصيل كذا
 هدى الجهول واستفاد العمى
 (ليس على الله بمستنكر
 الدهر قد نذر ان يفدر الـ
 فالرزء كل الرزء موت ابي
 لكنه هون ذاك بقا
 مجدد الملة شيخ الشيو
 محيي الهدى مهدى الندى والجدى
 لازال ملحوظا بعين الرضا
 والموت فرض يعنسى كاسه
 والله غالب على امره
 ت والعللا لله لا غيره
 علا على الشموس في قدره
 كان امام الناس في عصره
 وجدد الحزن لدى ذكره
 الوعظ والآداب في قبره
 الذكر الجميل غرن في غوره
 من بعد ما غرق في بحره
 ان يجمع الاسرار في سره
 كرام بر الدهر في نذره
 حسن السامى على غيره
 الشيخ مجد الدين في مصره
 خ من غذا كاليدر في دهره
 مردى العدا الشهير في قطره
 ممتعا بالسؤل في عمره
 نظير ذاك الشيخ في قصره

فالشَّيْخُ هُوَ بِرَّحَالِهِ مَصَابِيحُ الدَّهْرِ الَّتِي لَسَرَتْ

وَكَتَبَ العَلَامَةُ سَيِّدِي عَمِيدُ العَزِيزِ الِادُووِي فِي التَّعْزِيَةِ بِالشَّيْخِ :

اِخْوَانِنَا فِي اللّٰهِ وَالاِخْوَةَ فِي اللّٰهِ اعْظَمَ رَحْمٍ يَجِبُ وَصَلُهَا ، وَالتَّطَرُّقُ اَدَابٌ
وَكُلٌّ مِّنْ يَّفْعُومُ بِهَا فَانَّهُ اَهْلُهَا ، يَا سَادَتِنَا اصْحَابُ العُرْفِ بِاللّٰهِ الشَّيْخُ الْاَكْبَرُ
سَيِّدِي العَلَامَةُ عَلِ الْاَلْفِي المَرْحُومُ ، لَيْسَ هَذَا الخُطْبُ العَظِيمُ خُطْبُكُمْ وَحَدِّثُكُمْ ، وَلَا
الرُّؤْيُ بِهِ هُوَ التَّائِرُ الَّذِي عِنْدَكُمْ ، بَلْ اِنْ مَوْتَ الشَّيْخُ مَوْتُ رُكْنٍ عَظِيمٍ مِّنْ اَرْكَانِ
الْاِسْلَامِ ، فَمَنْ لَنْصِيحَةِ العِبَادِ بَعْدَ هَذَا الشَّيْخِ الْاِمَامِ فَشَهَادَتِنَا اَنَّهُ لَامٌ بِمَا يَجِبُ
اَنْ يَّفْعُومُ بِهِ كُلُّ العُلَمَاءِ ، فِي نَصِيحَةِ الدَّهْمَاءِ بَلْ تَرْبِيَةِ الخَاصَّةِ مِنَ الْفُقَرَاءِ هِيَ
حَلَاءٌ مَّقْلَةٌ عَمِيَاءٌ اَوْ دَوَاءٌ اَذُنُ صَمَاءِ

فَمَا كَانَ قَبِيْسٌ هَلَكَهُ هَلَكٌ وَّاحِدٌ وَلَكِنَّهُ بَنِيَانٌ لِّقَوْمٍ تَهْدِيَانِ

فَقَدْ كَانَ المَرْحُومُ يَقِيْمُ القُلُوْبَ وَيَقْعِدُهَا ، وَيَقُومُ العِزَائِمَ نَحْوَ الوُجْهِةِ الرَّبَّانِيَّةِ
وَيَسُدُّهَا فَكَمْ مَعُوجٌ قَوْمٌ ، وَمَتَاخِرٌ قَدَمٌ ، وَغَافِلٌ اَيْقُظُ مِنْ وِسْنٍ وَسَادِرٌ غَضٌّ مِمَّالِهِ
مَنْ رَسَنٌ فَعِزَاؤُنَا فِيهِ وَّاحِدٌ ، وَاللّٰهُ عَلٰى مَا نَقُولُ شَآهِدٌ وَالسَّلَامُ

وَقَالَ الْاَدِيْبُ الصُّوْفِيُّ سَيِّدِي الحَبِيْبُ البُوسَلِيْمَانِي بَعْدَ تَشْرِئِ وَنَصْرِ الْجَمِيْعِ :
اَوْلَادُ الشَّيْخِ الْاِمَامِ كَبِيْرُ العَارِفِيْنَ ، وَقُدُوَّةُ المَتَطَلِّعِيْنَ اِلَى وَصُوْلِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ
المَرْحُومِ الَّذِي رَزَى بِهِ الْاِسْلَامُ ، عِلْمُ الْاَعْلَامِ الشَّيْخِ سَيِّدِي العَلَامَةُ عَلِيُّ بْنُ اَحْمَدَ
الْاَلْفِي مَرْبِي المُرِيْدِيْنَ ، وَمُرْشِدُ الضَّالِّيْنَ مَن كَانَ عَمْرِي الْهَمَّةُ وَالْبَدْرُ المَشْرِقُ
فِي اللَّيْلَةِ الْمُدْلَهَمَةِ فَكَمْ كَشَفَ عَن قَلْبِ غَمَّةٍ ، وَلَمْ اَنْفَاسُ المُرِيْدِيْنَ اِلَى اللّٰهِ لَهْمَةٌ
فَعَلِيْكُمْ يَا اَوْلَادَهُ وَجَمِيْعَ الْفُقَرَاءِ المُنْتَسِبِيْنَ اِلَى الطَّرِيْقَةِ الْاَلْفِيَّةِ ، مَن المُرِيْدِيْنَ الرَّكْبِي
سَلَامٌ وَاذْكِي تَحِيَّةً ، مَا اَبْدَرَ قَمْرٌ وَازْهَرَ شَجْرٌ وَحَلَا ثَمْرٌ

اَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَقَعَتْ السَّمَاءُ عَلٰى الْاَرْضِ ، وَعَنِيَتْ البَحَارُ المَحِيْطَةُ بِالْقُرْبِيِّ
وَكَسَفَتْ الشَّمْسُ وَالْقَمْرُ وَغَطَى عَلٰى السَّمْعِ وَالْبَصْرِ ، حِيْنَ نَعَى الْيَتَا شَيْخَ الْاِمْلَامِ
وَاِمَامَ الْاِئِمَّةِ الْاَعْلَامِ قُطْبِ الطَّرِيْقَةِ ، وَالجَامِعِ بَيْنَ الشَّرِيْعَةِ وَالْحَقِيْقَةِ ، فَيَا لِهَ مِنْ
مَصَابِيحِ ذِكْرِ العِزَائِمِ وَنُتْفِ الخَوَافِي وَالقَوَادِمِ ، وَكَأَدَ لَوْلَا الرَّجَاءُ فِي اللّٰهِ اَنْ يُّؤَيِّسَ
فِي الخَلْفِ ، لَخَيْرٌ مِّنْ سَلْفٍ وَمَا هِيَ اِلَّا مَصِيْبَةٌ جَلِي هَاضَتْ الْاَعْضَادَ ، وَانْتِ
الْاِجْدَادَ وَالْاِحْفَادَ فَمَنْ مِثْلُ الشَّيْخِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فِي هِمَّتِهِ العَمْرِيَّةِ وَعِزِيْمَتِهِ
المُخَالِدِيَّةِ ، فَكَيْفَ الصَّبْرُ بَعْدَهُ اَمْ كَيْفَ يَرْجُو اَنْ يَجِدَ المُرِيْدَ نَدَاهُ ، وَلَكِنْ عَلٰى قَدْرِ
المَصِيْبَةِ يَنْبَغِي اَنْ يَكُوْنَ الصَّبْرُ ، فَصَبْرٌ جَمِيْلٌ وَاَنْ اَتَقَدَّ فِي كُلِّ القُلُوْبِ الجَمْرُ
فَاَحْسِنِ اللّٰهُ عِزَانَا وَعِزَانَكُمْ يَا اَوْلَادَهُ وَفُقَرَاءَهُ وَهَآكُمُ اَيَّانَا تَكَلَّفْتَهَا فِي رَثَلَانِهِ
وَإِنْ كُنْتُمْ لَا اَدْرِكُنَا كَمَا اَهْوَى رَثَلَانَهُ :

قَضَى اِمَامُ الدِّيْنِ مِّنْ لَا يَسْرِي لَهْ نَظَرِي فِي جَمِيْعِ السُّوْرِي
مَا كَانَ هِيَ اِفَاتِنَا هَذِهِ اِلَّا كَمِثْلِ الْبَدْرِ اِنْ اَبْدَرَ

كم ملة اسالها ادمعا بوعظه المشهور ان ذكرا
وكم سفيه رده سيدا فلما متى هديه اكبرا
يارب العف بالرضا قبره ومن يزور ذلك المقبرا

أولاده

ترك الشيخ من الذكور ومن الاناث خمسة عشر ، محمد وعبد الحميد
وحبيبة ومريم اشقاء من السيدة فاطمة الالفية ، واحمد وعبدالله وعبدالرحمان
وعائشة وصفية وائمة اشقاء من السيدة خديجة التملية، ومحمد المختار والحبيب
وابالقاسم وابراهيم وفاطمة من السيدة رقية الادوزية ، وقد بينا بعض احوال
اولاده في كتاب (الترياق المداوى) وسترى امامك تراجم من يستحقون الترجمة
من اولاد الشيخ واحفاده

الكتب المؤلفة في الشيخ

- ١ - «الامول المبغى في مناقب الشيخ سيدى الحاج على السوسى الالفى»
للفقيه سيدى محمد التادلى
- ٢ - «الفتح الوهوب في مناقب الشيخ المحبوب» للفقيه سيدى الطاهر السماهرى
- ٣ - «هز الراية الجعفرية» للعلامة محمد بن مسعود
- ٤ - «السر الجلى في مناقب الشيخ سيدى الحاج على» لسيدى بريك بن
عمر المجاطى
- ٥ - «حياة الشيخ سيدى الحاج على» كتبها لبعض الاجانب بطلب منه
- ٦ - «من افواه الرجال» جمعت فيه بلا ترتيب ماكنت اخذه عن اصحاب
الشيخ فى كل مايتعلق به ، كما اضفت الى ذلك اخبار كثيرة من غير اخبار
الشيخ فيه عشرة اجزاء واتمنى لوامكن لى ان اميز من الكتاب اخبار الشيخ من
غيرها على ناحية
- ٧ - «الترياق المداوى فى احوال الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى» لبيت
فيه رغبة من طلبه منى ، وهو فى جزء وسط

العلامة على بن عبد الله الالفي

= ١٢٧٥ هـ = ١٣٤٧-٤٦ هـ =

نسبه :

على بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد .

ليس كل من وصفه المترجمون الذين يخبط بعضهم خبط عشواء بكونه
علامة ، كان علامة حقا ، ولاكل من قيل فيه انه استاذ هو استاذ بلفظه ومعناه
كما تقصده به العرب العرباء فقد صارت الاوصاف تنثر يمينا ويسرة ، حتى صار
من يريد ان يضع الاشياء في مواضعها ، والاصناف ازاء مستحقيها يستحسى
ان يصف باحدى تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف ان يظن انه اللفي
أيضا ذلك الوصف بغير تبصر وأنه ممن يخبط خبط عشواء ككثيرين غيره ولكن بالآثار
تظهر الرجال ، وبالاصحاب والاعمال يعرف العاملون الذين بدلوا جهود حياتهم
في التثقيف والتهديب ، فمن اعوزك ان تعرفه ، وان تبصر هل ما وصف به
يستحقه حقيقة فانظر الى اصحابه واعماله واثاره ، قيل ان تستهويك بشيء
اللسنة ، فهناك تلمس حياة الرجل ويكتنه قدره كيف هو

العلامة على بن عبد الله ، هو ذلك الرجل العظيم الذي خلف صنوه الاستاذ
المتقدم محمد بن عبد الله في تسيير دفة الدراسة في المدرسة الالفية ، فكان خير
خليفة تم على يده ما افتتحه الاول ، واستتم في درسه من كان شدا في درسي
اخيه وسار على خطته في رفع شأن العلم واهله ، وفي تمكين اسسه في الخ ،
وفي ترشيح اهله الى ان يكونوا به قادة معاصريهم ، وفي تلقي كل من وفد للورود
في مناهل المدرسة ، بكلتا اليدين ، فكانت المعارف الالفية تزخر بالواردين
والصادرين وقد التحم ما بعد عام ١٣٠٣ هـ الى ما قبله ، فكان الخ لم تزد بذلك
الاستاذ ، حين صار هذا الاستاذ الجديد على خطته :

اذا مات منا سيد قام سيد قئول لما قال الكرام فعول

الاستاذ على بن عبد الله ، هو ذلك الاديب الحى الاربعى الذى وصل بالادب
الالفي الى هذه الغاية التي يشاهدها الغرب اليوم ، كما سيشاهدها العالم غدا
في التاريخ ، فقد قام على اللغة العربية ، والعلوم التي تدرس بها خير قيام

من حين ان تولي المدرسة ، الى ان التحق بربه عام ١٣٤٧ هـ فقد كانت الخمس والاربعون كلها اديبا وابعانا ، ودراسات ومخاورات ومكاتبت ، وفتلوى رائعات وقصائد ومقطعات ورسائل محبرات تتسم بسجع يخف على السمع ، فقامت به في الخ سوق حافلة رائجة طارت بذكرها الركبان ، وتعظرت باحاديثها الاندية :

فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب

خطوته الاولى

كان والده رحمه الله قد اعتنى باخيه الاستاذ محمد بن عبد الله كما ذكرنا ثم التحق بعد اخذه للقرآن بالمدرسة التانكرتية ، وحين بلغ الاستاذ على سنوه هذا مبلغ التعلم ، صاحبه معه الى تانكرت وقد كان تخطى الحروف الهجائية وبعض احزاب عند اساتذة القرية ولم نهتد الى معرفة من هو - فالحقه سنوه باستاذ مسجد تابا حنيقت - من قرى تانكرت ، وهو سيدي محمد بن علي التاغولسي ، وبه وحده تخرج في القران حتى اتقن حفظه ، ثم التحق بمدرسة سيدي هو بن الحسن عند الاستاذ الكبير سيدي محمد بن الحسن الهامسي القاري ، الشهر لتعلم القراءات المختلفة ، فبقي هناك الى عام ١٣٩١ هـ

في دراسة العلم

تهيا للاستاذ سنوه ان يؤسس في اول يوم ، في مسجد قرية الزاوية مدرسة صفري ، انضاف اليه فيها بضعة تلاميذ اولا ، فذهب هو وصاحبه سيدي سعيد بن علي الاعضيبي الى صاحب الترجمة بالاخصاص ، فالحقاه باولئك التلاميذ ، فصار يتدرج ثم لما انتقل سنوه الى المدرسة البومروانية وقد بلغ حصلت منه فترة ، فسمنت به همته الى التكسب ، فجال في المقايضة وكادت تكون قاضية عليه لولا ان لاحظته عين السعادة ، فاتصل به الشيخ الوالد كما يقول العم اذ خلفه الاستاذ محمد بن عبد الله بتلك المدرسة ، فعرف كيف يحول فكرة الاستاذ على الى الدراسة ، وكان رحمه الله من البق الناس في مثل ذلك واسعدهم حظا فيه ، فما شاء في المطالعة والمراجعة والتلاوة ، فما مضت سبعة اشهر حتى تفتحت قريحته وشدا وصار في العلم من النهمين :

اذقه واطلقه فمن ذاق شربة من الكاس هدى كيف بعد يفيق؟

ثم لم يزل في التحصيل سهرا واكبابا باذلا كل جهده في ذلك ، حتى انه في بعض العواشر ارتحل الى الاستاذ سيدي علي بوضاض الاخصاصي ، فاخذ عنه الفرائض والحساب ثم لم يفته درس من دروس سنوه ، ولا من دروس الاستاذ

الحاج محمد اليزيدي ، حين كان في المدرسة الالغية عام ١٣٠١ هـ ولم يزل على هذه الحالة ، الى ان توفي صنوه باحواز مراكش ، ونقله مع الشيخ الوالد الخ ثم استتم الوالد تلك السنة ، على ما خلفه عليه الاستاذ المرحوم في المدرسة الالغية ، فغادره الى ما خلق لاجله ، كما رايت ذلك في ترجمته *

في الاستعداد لقيادة المدرسة

في المدرسة الالغية حين توفي مؤسسها ، نبغ اصحابه المتفوقون غاية التفوق وهم بلاشك تدرّبوا على مجاذبة الابحاث مع من يتصدر امامهم ، فعين حق لصاحب الترجمة ان يقود القافلة ، وان يتصدر في مركز الادارة ، وذل نفسه بميزانه الدقيق الذي نعرفه عنه في طول حياته ، فلاشك انه رأى في بعض نواح من معارفه نقصا ، فأراد ان يستدرّكه قبل ان يبرز في الميدان ، ويتقضى عليه واشق المدرسة بابحاثهم من كل جانب، فاستدعى الاستاذ اليزيدي فشاركه في المدرسة من جديد ، فأكب بمعاونته في مخض الوطاب ، وسن الطبا وكان يتعاون هو واليزيدي والوالد الذي كان يقب في كل مساء الى منتصف الليل ، في استفتاح المغلفات واستيضاح المشاكل ، فما توسط عام ١٣٠٤ هـ حتى احس من قوادمه وخوافيه بقوة يقندر بها على مطايرة اقرانه في المدرسة بل ييدهم بدا ، حتى يصلح ان يكون استاذهم بالاستحقاق وان يسموا تلاميذه بكل جدارة *

وقد حكى لي انه كان في هذا الطور قد طلق كل اشغاله الخاصة وولّى في ايدي العبيد ، مع انه يدرك ان السرقة من ابناء حام عادة مستمرة ان رايهم فكيف ان جعلتهم بانفسهم رعاة ، يعرف ذلك حق المعرفة ، ولكنه يقدم الالههم فالاهم وهو الفقيه الذي يعرف قاعدة : اذا اجتمع ضرران ارتكب اخطهما هذا مع انه تزوج اذذاك ، وقد خلف صنوه على السيدة مريم بنت احمد بن والدنا ، بعد ان تقضت عدتها

استاذ المدرسة

صدق الذين قالوا ما افسد الطب الا انصاف الاطباء ، ولا افسد العلوم الا انصاف المعلمين ، صدقوا والله ، لان من تصدر لتعليم علم قبل ان يتمكن فيه وقبل ان تحصل له فيه ملكة ، وقبل ان يكون على ذكر من جل مسائله على الاقل فانما هو كمثل الاعرج الذي يريد ان يعلم غيره المسابقة بالارجل ، وكيف الوثبات التي يمكن للمسابق ان يديها صاحبه عند الحضر في المضمار *

راينا الاستاذ علي بن عبد الله ، وما اثره تعليمه بعد ان تمكن كل التمكن في المعلومات التي يدرّسها ، وفي العلوم المختلفة التي يلقيها في المدرسة منذ

تصدر ، فرائضا ماخليا وما بهر عقولنا ، وتركنا نولن ان ذلك من اثر تمكنه
ومعرفته ما يعلمه حق المعرفة .

كثيرا ما يوازن طلبة المدرسة الالغية في اسماهم بين ما يتلقونه عن الاستاذ
ومقدار رسوخه في قلوبهم ، كانه نقش على حجر وبين ما يتلقونه عن غيره ممن
يستنيبهم الاستاذ في المدرسة ، فيتعجبون من ان درس غيره يطير عن ذاكرتهم
قبل ان يفتل المدرس عن مجلسه ، بخلاف ما يتلقونه عن الاستاذ ، ولكنه كلما
ينظرون الى هذا السبب الذي ذكرناه .

قال بعض الفقيه الالغيين : لدرس واحد اخذه عن الاستاذ اكثر فائدة
من عشرة اخدها عن فلان ، سمعت ذلك باذني ، وهذا الفتى من البق النشء
الالغيين .

وقال اخر ممن كان رضى بين يدي الاستاذ ماشاء الله ، ثم التحق باستاذ
اخر ، في مدرسة اخرى وهو من مشاهير المدرسين في اول نصف هذا القرن
الذي اليوم عن ذلك الاستاذ وكانني بليد موصد القلب ، متعجز الذاكرة على حين
العهد من نفسي انني استحضر كل ما اخذته عن الاستاذ على بن عبد الله بعد سنة
وكانني اخذته عنه الساعة او كما قال ، وما السبب في ذلك الا ما ذكرناه .

ثم ان تحقيقه رحمه الله ومباحثته في الدروس وارشاءه العنان للمباحثين
وان عرف باديء بدء ان سهام الباحث طائفة حتى يفهم مباحثه غلظه بالتي
هي احسن ، امر مشهور عنه ، يعلمه عن كل من حضر عنده ولو درسا واحدا
او جالسه في محفل واحد لان محافله العامة ان كان فيها الطلبة تمضي كدرس من
مجالس المدرسة ، فلاتخلو من مباحثات ومراجعات وانتقادات وتحرير مسائل
من مختلف الفنون فالاستاذ يدرس دائما متى التقى مع الطلبة سواء في
الطريق على البقال او حول الصينية والكتوس تدار ، اوفى اى مكان ماخر صادفهم
فيه ، فهذا هو الاستاذ الذي بنفسه تولى الدراسة في المدرسة الالغية من اواسط
عام ١٣٠٤ هـ الى نحو ١٣١٣ هـ حين سلم المدرسة لثائبه وتلميذه الاستاذ ابي
القاسم التاجارمونتى ثم صار يلقي بعض الدروس فينة بعد فينة ، متى وجد
فراغا مما طوق به من منصب القضاء الذي تولاه رسميا كما سيأتي

قولت الشيخ الوالد فيما

اسمع مقال الوالد في هذا الاستاذ في شعبان عام ١٣٠٥ هـ في رحلته
الحجازية ، حين صاحبه للتوديع في لمة من المشيعين ، بعد ان رجع من رجع
وبعدهم لم يزل الفقيه اخو العلا السמידع النبيه
يطوى الطريق معنا في السير ومن يشيع حاز كل خير

الاخ والصهر من انتمت له محاسن الخلق فداع فضله
 علامة الدهر ونخبة الزمان وفخر ذا العصر على كل اوان
 وراية العلم عليه خافقة وشمسه وسط سماء شارقة
 اليه مرجع الصلاح والادب وفكره قطب القريض والادب
 مدرس العلم على الدوام بالبحث مثل معلم مصمم
 لم تله الدنيا عن التدريس ولا عن الذكر لدى التقليديين
 وكلنا من نسب متصل وهو ابو الحسن سيدي گل

يولي القضاء من حضر آ السلطان

في عام ١٣٠٣ ٤ عاد السلطان مولاي الحسن الى سوس ، فعاد العلماء
 ووجهاء جزولة وما اليها الى اداء حق التحية الواجبة ، فكان من بينهم صاحب
 الترجمة اقتداء باخيه الذي له اختلافات متعددة الى حضرته حتى عرف فيها وكان
 نزول السلطان اولا بتيزنيت خارجها ، فهناك التحق به الاستاذ ثم صاحب كتابه
 باذنه الى وادي نول ، ثم الى تيزنيت ثانيا ، وقد كان القائد احمد الابلاغني
 الاساكي البعقيل من المقربين حين ذلك الى السلطان لايفارق تلك الايام مجلسه
 والناس كلهم ينتظرون نكايه بالشريف الحسين الايليغي الذي يتخلف عن
 حضرة السلطان ، وكان الابلاغني من اعدائه الالاء فيتقرب بذلك فقال للسلطان
 حين قدم اليه الاستاذ : ان الحاج عبد الله والد هداشيخنا وصالحنا والمتبرك
 به عندنا ، فزاد ذلك الاستاذ تقربا ثم ان السلطان وصله وولاه قضاء مجاط
 وما اليها وهذا نص الظهير بذلك :

«يعلم من هذا الرقيم الكريم المتلقى امره بالاجلال والتعظيم انا بعناية
 الله ومنته ، وحوله وقوته ، ولينا حامله الفقيه السيد علي بن عبد الله الالفسي
 السوسي ، خطة القضاء على خدامنا قبيلة مجاطة وما والاها ، واستندنا اليه النظر
 في الفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم على ان يحكم
 بمشهور مذهب الامام مالك ، وما جرى به عمل من سلك بعينه اوضح المسالك
 وان يسوى بين الخصمين ويسمع منهما سماعا مستوى الطرفين وان يرود
 الفصل بين ذوى الارحام ويشاور اهل العلم فيما اشكل عليه من الاحكام او
 يدعو الى الصلح كما نص عليه الائمة الاعلام ، وان لا يقبل من الشهود الا من
 تحققت عدالته واشتهرت خيارته وديانته وان لا يتعرض لاحكام من تقدمه من
 القضاة فيما يخالفه النفوذ والامضاء ونعهد اليه بالتقوى ومراقبة المولى سبحانه
 في السر والنجوى الهمة الله رشده واعانه وسدده ، والسلام ، في ٢٢ شعبان
 الابرك عام ١٣٠٣هـ»

وفوقه الطابع الكبير في وسطه ، الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله
 وليه ، وفي دائرته : ومن تكن برسول الله الخ ، البيت المشهور
 ثم جدد هذا الظهير بظهور «الحزب عزيزي ، علي يد القائد سعيد الكيلسولي

البحاى والقائد سعيد المجاتى ، ونص الظهير الثانى :
 « يعلم من هذا الخطاب المحكم العرى السامى الدرى ، اننا بحول الله وقوته
 وشامل يمه ومثته ، قررنا الفقيه السيد على بن عبد الله السوسى على تولية
 خطة القضاء بقبيلة مجاطة وما والاها من القبائل واستدنا اليه النظر فى ذلك
 فنامره بالفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعدار وتصفح الرسوم ، وليكن
 فى ذلك متقيدا بمذهب امام دار الهجرة الذى ضرب اليه اكباد الابل من شد
 لالتقاط درره ازره ، وبأن لا يخرج فى الحكم عما جرى به العمل ، والراجع
 والمشهور ، ان لم يكن ثم عمل ، وبأن يسوى بين الخصمين وان يسمع من كليهما
 سماعا مستوى الطرفين وبأن يردد الفصل بين ذوى الارحام ، وان يدعو الى
 الصلح اذا اشكل الامر ، كما تقرر فى كتب الاحكام ، ونعهد اليه ان لاتأخذه
 فى الله لومة لائم وان يشيد للعدل المنار ، ويحكم الدعائم وان لايفتح على المنصب
 ابواب الرشاش ، ويتجافى عن تلويث الخطة بما يقدم فى الظاهر والحشا ، فان
 للخطة ربا يعميها وللخليفة مول يغار عليها فينجيها ، والله تعالى يعصمه من
 الزل ، ويوفقه لصالح القول والعمل والسلام ، ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣١٦ هـ
 وفوقه الطابع الكبير فى وسطه : عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه
 وفى دائرته : ومن تكن الخ البيت

ثم ورد مع هذا الظهير من الحمراء ، جواب القائدين وهو هذا :
 « خديمتنا الارضيين ، القائد سعيد الكيلول والقائد سعيد المجاتى ،
 وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد وصل كتابكم طالبين مساعدة قاضى
 مجاطة على تجديد الظهيرين الذين وجهتم طى كتابكم ، وصار بالبال ، فقد وصلا
 وها تجديدهما مع اصلهما يصلكم والسلام فى ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣١٦ هـ
 وفوقه طابع صغير فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه»
 والظهير الثانى الذى ذكرهنا تجديده هو الظهير الحسنى فى تحرير
 المرابطين ، وقد ذكرناه مع غيره فى ترجمة الجد

فى رئاسة اخوان المرابطين

رايت ان شغل الاستاذ الشاغل هو التدريس ، وادارة شئون المدرسة
 مع قيامه بمنصب القضاء ، زيادة على ما لا بد له منه من مشاركة امور اسرته فى
 الوقوف على حرثه وعلى حصاده ، وعلى كل شاذة وفاذة ، لانه بعد ان استولى على
 الدراسة ومملك زمام نفسه ، ونال ثقافة تامة لأكبوة معها ، اذا جالت الباحث
 فى هيادين الدروس ، واختلفت الانظار فيما بين الطروس ، يميل احدى عينيه
 احيانا ليراقب اسرته التى يفرط ماشاء الله فى شئونها ، فقد يغادرها بين يدي
 بنى حام ، الذين كانوا فى زمن قليل يخبون ويوضعون بغير مراقب ، فرأى ان
 يرتكب الحزم الذى هو شئسنة راسخة فى اهلينا فى كل ما يزاولون - كما

قاله الوالد في إحدى مقالاته يوماً - وإن يكون من اخوان محمد بن ادريس القائل:

ماحك جلدك مثل ظفرك فتول أنت جميع امرك

بهذه الامور كلها ملا الاستاذ ما بين عام ١٣٠٥ هـ الى عام ١٣١٥ هـ ثم لاجأ في تلك السنة امر هائل ، وموجة مخزنية من الحاحيين ، تركت كل من فسي جنوب سوس في مقيم مقعد ، فاذاًك اضطر الاستاذ ان يستتیب الاستاذ اياً انقسام التاجارمونتى ، لثلا يقف دولاب المدرسة ، ولثلا يتسرب الفتور الى من فيها .

كان للوالد معرفة سابقة بهؤلاء الحاحيين كما تقدم ذلك في ترجمته ، فندب الاستاذ الى أن يقوم برياسة المرابطين ، الذين اعلن القائد سعيد الكيلولى تحريرهم ايضاً ، اتباعاً لما في الظواهر الملوكية ، ولكن القائد سعيدا المجاطى والقائد مبارك البشيرانى اللذين يعاودان هؤلاء المرابطين يعرقان عليهم الارم ويتناولان الى الاتصال بهم ، فيعلان بهم مايفعلان بالمجاطيين الذين القياعليهم كلاكلهما فيطحنانهم بالمقارم المتتابعة

تلقى القائد سعيد الكيلولى الاستاذ مع الوالد في تزيت ، فعين الاستاذ رئيساً للمرابطين المحررين وقد مضى تحرير هذا القائد بين ما الحقناه بترجمة الجد عبد الله بن سعيد ونفذ له اعشارهم وزكواتهم ليستعين بها في القيام بالمدرسة ، وليعين بها غرباءها .

وهذا مرسوم القائد بذلك التنفيذ للاعشار :

«فحامله الفقيه الاديب العلامة النجيب والمدرس الاريب ، سيدى على بن عبد الله بن صالح الالفى ، اذناله في قبض اعشار من اشتمل عليهم الظهير المكتوب له على ايدينا ، وصرفها على طلبة العلم المستفيدين بمدرسته المحروسة بالله عمرها الله بدوام ذكره، وصرفها في مصالح زاويته، اعانة على البر والتقوى وعليه ان لاينسانا في صالح دعواته في خلواته وجلواته وانصدر منا الاذن بذلك لعشر بقين من ذى الحجة عام ١٣١٥ هـ» وتحت طابع القائد سعيد الكيلولى

هكذا امكن للمرابطين ان ينجوا من ضغوطات قائدى مجاط ، القائد سعيد والقائد مبارك البشيرانى ، ولكنهما لايزالان يحومان حولهم ، ويمدان ايديهما الى من توصلوا اليه من المرابطين ، فكتب القائد سعيد الكيلولى هذه الرسائل المتوالية اليهما ، ومن معهما من الخلفاء الحاحيين :

منها :

محبتنا الطالب السيد الحسن بورواين الغماوى ، وخدام مولانا القائد مبارك البشيرانى ، سلام عليكما ورحمة الله وبركته ، وبعد فنامر كما بعول الله

وقوله ووجود سيدنا المنصور بالله ان تجاينا كل ما هي امور المرابطين اولاد
سيدي عبد الله بن سعيد حيثما كانوا فيه لا تقربوا من بيادرهم واعشارهم وبهذا
اكدنا كما ، وكونوا منه على بلل ، فانكم لم تكلفوا بهم اصلا فضلا عن الاعتشار
والسلام في صفر عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلوي

واحمد بن محمد هذا هو خليفة القائد وعضده الامين ، وهو القليل في
بعيلة ،

ومنها :

السلام والرحمة والبركة على القائد مبارك بن الحسن المجاطي ، وبعد فلا
تعرضوا للمرابطين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد ، بما يؤذيهم في كل شيء
شيء واعشارهم اعنا بها طلبة العلم بمدرسة الفقيه سيدي علي بن عبد الله بن
صالح ، اعانة على البر والتقوى والسلام ، ٦ من جمادى الاولى عام ١٣١٦ هـ وتحت
طابع القائد سعيد الكيلوي

ومنها :

«خديم الحضرة العلية بالله القائد مبارك بن الحسن البتراني ، السلام
والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فلا باس وقد نبهناك
عن التعرض للمرابطين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد بما يؤذيهم وامرناك
بالتخل عن اعشارهم ، فلم تمتثل ولم تبال على عادتك ، وعليه فان عدت لمثل
ذلك فلا تلومن الانفسك ، والسلام كتبه اليك لست مضت من جمادى الثانية
عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلوي»

ومنها :

خديم الحضرة العلية بالله القائد سعيد بن محمد المجاطي السلام والرحمة
والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فقد نهيتك عن التعرض
للمرابطين اخوان حامله الفقيه السيد علي بن عبد الله ، وخادم زاويته بما
يؤذيهم ، فلم تمتثل عيادا بالله وقد اخبرت انك تنزل عليهم المغازية وذلك
عندي عظيم عجب ، وعليه فلا تعد لمثل ذلك ابدا وخصوصا اهل (تحت الحصن)
لانهم من خدام الزاوية، ولا يبلغنا عنك ما يسوءنا ولا تكلفهم بشيء قل او جل والسلام:
كتبه اليك ب ٢٢ ذي القعدة ١٣١٦ هـ وتحت طابع القائد سعيد

ومنها :

اخانا الخليفة الشيخ احمد بورغا وخادم مولانا القائد سعيد المجاطي سلام
عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فما ابرمناه للفقيه الشريف السيد علي بن عبد

الله الاثني من تنفيذ عشر اخوانه ، ومن ينتمى لخدمة زاويته في الماضي من غيرهم ، لتصرف على زاويته وفيما هو بصدده من نشر العلم ، لاسبيل لاحد الى نقضه وكما تعلمان اننا قد عينا العلامة المذكور مباشرة ماعسى ان يعرض لخوانه ومن ذكر معهم من الخدمة من المطالب المخزنية بحيث ان لامدخل لاحد غيره في مباشرة ما ذكر ، وغيره من العمال والاعيان بمعزل عن ذلك ، فنامرهما ان تشدا عضده وتعيناه على العمل بمقتضاه على انه لاكلفة عليهم اذهم بضعة نبوية والقصد في الشرفاء المذكورين ان يبني امرهم على التخفيف ، فمثلكما لا تفرغ له العصا ، ولا ينبه بطرق الحضا ، وفقنا الله واياكم والسلام في اوائل ربيع الثاني عام ١٣١٧ هـ وتحت طابع القائد سعيد :

وهذه الرسالة بخط الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي الحاحي وهو اذذاك كاتب القائد سعيد ، وما ادعاه من ان المرابطين شرفاء من البضعة النبوية قد تكلمنا حوله في ترجمة سيدي عبد الله بن سعيد ، كما نعرفه، ولسنا من المتكلمين اللابسي توبى زور ، الذين يتعالون الى ما لا يثبت عندهم

من هناك يدرك القارىء ما يلاقيه الاستاذ في اللود عن المرابطين ، من مدافعة القائد سعيد والقائد مبارك البشيراني الضاريين اللذين لاير اقبان ممن توصلوا به الا ولاذمة ، فقد كان رحمه الله يفرع الى القائد سعيد كلما تلوش هذان المرابطين ، فيلاقيه القائد بكل تجلة ، فيرسل الى هذين القائدين باللوم وربما يامرهم ان يكتب هو بيده رسالة لاحدهما ، ثم يوقعها القائد بطابعه كما حدثني به العم ابراهيم حين رأينا بعض هذه الرسائل بخطه فسألته عن سبب ذلك

كتب الله النجاة للمرابطين من الطغاة اهل المخزنية الحاحية العاركة اشد العرك على يد الاستاذ الذي يسانده الوالد ، في ايام القائد سعيد الحاحي ثم لما جاء القائد أنفلوس انقلبت الحالة وكان ما سذكروه :

في كناية الله بين الزعازع

كثرت الشكوى بالقائد سعيد الكيلولي ، من بعض السوسيين وقد تولى كبر ذلك القائد دحمان الوادنونى الشهر ، فصادف ذلك انقلاب الوزارة في البلاط العزيز بموت احمد بن موسى ، اخر رجالات المغرب الافذاذ ، ويتولى الحاج الهدي المناهبي في الصدارة حقيقة ، وان كان لم يعد رسميا الوزارة الحربية ، ودفع بفريط الى الصدارة ، وقد كان للمناهبي مع القائد محمد بن ابراهيم أنفلوس وهما في مطبق فاس صحبة ، تعاهدا بها على ان يتعاونوا ويشد احدهما أزر صاحبه ، ان تسم له السعد ، فكان هذا هو الحامل للمناهبي = كما حكى من له خبرة = على ان يوجهه الى سوس ، ويعتاض به الكيلولي لما بين النفلوسيين والكيلوليين من منافرة الجبران المعتادة

سبق القائد سعيد المجاطي الى القائد النفلوسي ، بعد ما انفلت من الحصار الذي طوقه به المجاطيون منذ انجلاء الكيلوليين في شهر ربيع الاول سنة ١٣١٨ الى اواخر السنة ، وقد اطلت جيوش انفلوس ، فتقرب اليه فطلب منه اول ما لاقاه بسقط يده على المرابطين السعديين ، فمكنه من ذلك فسقط في يد الاستاذ وخاف من بطش المجاطي ، ولكن الله كلاه من ذلك بعنايته ، ومن كلاته عناية الله فليمنم في آجام الاسود ، هل عيشه فالمخاوف كلهن امان

وسوس القائد سعيد المجاطي كثيرا ، والقي في روع القائد محمد انفلوس ما القى : فحين توجه اليه الوالد مع الاستاذ خاطبه الوالد في ترك ما كان على ما كان ، وان لا ينتهك من الحرمات التي كان يحترمها ابن عمه الكيلولي ، فبسر واستكبر ونفخ وحملق ، فالقى اليه الوالد كلمة قاسية في وجهه برباطة الجاش المعلومة عنه ، فالتفت القائد الى من معه ، فقال لهم ان هذا يستحق التأديب حتى يعرف كيف يراعى الادب مع اصحاب الكلمة العليا ، فقال له الوالد ، ان استحققت من الله تاديبا لشيء اجرمته ، فهو الذي يتولاني بنفسه ، ولا تتولاني انت بنفسك وانما كنا نريد ان تدر عنك المرابطين يديرون شئون انفسهم بانفسهم ، واذ ابيت الان تولى عليهم القائد سعيدا فانت وذاك ، ثم انفلت من موضعه رافع الراس كانه لم يكن امام ذلك الرجل الذي لا يبالي بما يفعل ، ثم لم يرجع اليه بعد ، ولا رأى وجهه الى ان مات شرمية ، مع انه كثيرا ما ينتظر رجوعه حين لامه الذين يعرفون من الشيخ ما لا يعرف ، ولكن لسان حال الشيخ ينشد :

اذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد اليه بوجه «اخر الدهر تقبل
وينشد مقاله بعض الالفين :

اذا انسد باب من امير فان لى من ابواب ربي الف باب مفتح
فانى متى اخلص لربي وجهتى انل كل ما ابغى واظفر وانجح
اعرف باب الله ثم يخيب لى رجاء وراجى الله اكبر مفلح ؟

تولى القائد سعيد المجاطي امر المرابطين ، فكان اول مافعله ان اجال يده في بهائمهم بغالا وجمالا ، فاحتوشها وقدمها الى انفلوس ، ثم والى عليهم المقارم الباهظة حبوبا وسمنا ودجاجا وكباشا ، بله الدراهم التي لا ينقطع تطلبها فنال المساكين ما نالهم مما لم يعرفوه لاهم ولا ابواؤهم من قبل

ثم ان القائد سعيدا المجاطي كان يراعى مع ذلك الوالد اتم مراعاة ، لما كان بين اسرتيهما من قديم المؤاخاة ، فلذلك لا يحوم حوله ، ثم لا يحوم ايضا حول الاستاذ صاحب الترجمة واشقائه بالمغارم ، لما يعلم من ان الوالد لا يدره وذلك بما يمكن فربض القائد ينتظر الفرص بالاستاذ . ويهددهما شد تهديد من بعيد ، ويقول للناس لابد ان يؤدى كل تلك الاعشار التي ادخلها في ايام الكيلولي

ولكن يده لم تزل بعناية الله منقبضة عنه ، وكان يقول لاختصاصه : لاخاف والله
الا سيدى الحاج على ، فانه كثيرا ما اهم ان انفذ ارادتي فى الفقيه ، وان لا يرجع
الى داره ان جاء الى هذه الدار ، حتى اذا اراه مصاحبا للشيخ ينخنس عزمى والفتر
فيما انويه ، وقال مرة اخرى : عجبنا من الشيخ فاني لا اكاد على رغم اننى انقطى
مقاصده ، ولولاه لما رأى الفقيه الشمس بعد .

ثم انه عزم مرة عزمنا اكيدا على ان ينفذ ارادته فى الاستاذ ، قال القائل
العربى الضرورى الراسلوادى الاولوزى ، فركبنا معه فى مائة فارس ، وهو
فى حنق عظيم جاعلا بين عينيه ان لا يرجع الا بصاحبه ، فرحنا الى الخ ولكننا
تعجبنا حين صدرنا بخفى حين صبيحة اليوم الثانى .

جنس الاستاذ فى دارنا مع الوالد وهو ثالث ثلاثة ، وقد القى الاصيل
رداءه المذهب فى جو الخ الصقيل ، تحت ذيل التسيم العليل ، والنفوس مطمئة
والبهجات فى المحافل الادبية مرسلات الاعنة ، اذا يعادى عدو الى الجالسين
فقال لهم : ان خيلا كثيرة قد البست بسوادها ماحول دار الفقيه فانقتل الوالد
والفقيه وراءه فصادفوا القائد سعيدا مع اصحابه ، ومع حاجيين وغيرهم ،
فلاقياهم ببشر وسرور كأنهما لا يهجنس فى قلوبهما منهم شىء او كأنهم وقد خبر
ورسل سلام ، ثم اقيمت الضيافة لهم خير قيام فى دار الاستاذ ، وفى دار الوالد
ولكن الاضياف فاجاهم ليلا ما ازعجهم عن طلبتهم التى صمدوا اليها ، فقد
طرفهم ان الوفقاويين والبدراريين (١) الذين كانوا اذذاك فى محاربة مع
الجيوش النفلوسية وما اليها ، قد سروا بسرية تكمن لهم فى (دراووغ) فى
نفس الطريق الذى يسلكه السالكون من مجاط الى الخ

حكى الاستاذ رحمه الله انه كان واقفا فى تلك الليلة امام باب ثويه والقائد
سعيد واصحابه فى داخله ، وعبد جميل نشيط احوذى للاستاذ قائم على رؤوس
الاضياف يمد اليهم ما يحتاجونه ، فالتفت القائد الى جلاسه فقال لهم : لماذا يكون
مثل هذا العبد الاحوذى الجميل لفلان الفلانى سوعبر بعبارة لا تكتسب فلماذا
لانذهب به ؟ فانا اول بمثله ، قال الاستاذ : فقلت له فى نفسى : والله لا تربته
ايها الجبار العنيد ، بفضل الله وعنايته .

فى منبثق الفجر ، اجفل الاضياف وطلعوا من طريق تاكانزا وهم يكثرون
الالتفات يمئة ويسرة ، خوف ان يمتد الكمين ايضا الى تلك الجهة البعيدة عن
(دراووغ) وهم يطرون باجنحة النعام ، اذا رأى احدهم غير شىء ظنه رجلا .

كان فجاج الارض وهى بسيطة على الهارب المطلب كفة حابل
يؤتى اليه ان كل ثنية تيممها ترمى اليه بقاتل

(١) البدراريون : الجندون اهل جبل جزولة الذين يدافعون اذذاك عن جبلهم

هكذا دام حفظ الله على الاستاذ ، وما لخطاه حتى في هذه المرة التي جاء فيها هذا الجبار عازما ، ثمرد الله كيده في نحره وقد اغنت عناية الله عن مضاعفات الدروع وعن عاليات الآطام .

حكى لي حاك ان النفلوسى ذاك القائد مباركا البيراني يوما في الفتك بالاستاذ لما يوسوس به القائد سعيد عند كثيرا فنهاه عن ذلك ، وقال له : ايالك ان تمس هؤلاء المرابطين بظفر ، فان لهم حمة لا تقلت من تمتد اليهم يده قال : وذلك مارده عما يريد به باديء بدء ، ولكن هيهات ان يفلت النفلوسى منها هيهات ، فان الله يدافع عن الدين امنوا ، ومن اجترح ذنبا اومس حصى فلا بد ان يمسه «ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

طاف داء عياء بالقائد محمد النفلوسى اعيا نطس الاطباء ، فلم يمهل كثيرا فالحقه برمسه في تزييت في ١٤ محرم عام ١٣٢١ هـ كما طاف بتازة ايضا ذلك الزرع الهائل الذي اثاره ابو حمارة ، فضمت الحكومة كل جيوشها لمقاومته ومن بينها هذا الجيش الرابض مع القائد احمد انفلوس الذى خلف صنوه في مركز تيزييت ، فثارت القبائل على رؤسائها ، ولافى كل قائد من اخوانه مالا فى فأنجحر القائد سعيد المجاطى فى تاجكجكالت وضرب حوله نطاق الحصار من ذلك العام الى رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان يرسل سرايا من اصحابه الى البيوتات فينهبون ويلصون ومن بين من اصابه شره الاستاذ صاحب الترجمة ، فقد اصبح يوما فوجد بغلة له مفقودة وقد رأى اثر اللصوص ، ففرغ الى الوالد فركبامعا الى ذلك الجبار المحاصر ، وقد عرفا انه هو صاحب الفعلة فربض الاستاذ بعيدا ولم يقدر ان يلج تاجكجكالت فمثل الوالد بين يديه وبمجرد ما انقضى السلام المعتاد ، قال له الشيخ : بغلة الفقيه الاستاذ تجيء الآن فصار يتلوى فى الكلام فقال له : لا كلام ولا ما تقوله الا البغلة الآن وكان للشيخ فى امثال هذه المواقف همة نفاذة تفعل بنفوس مخاطبيها فوق ما يفعله لسانه فى اصمختهم فلم يجد القائد ما يجيب به ، ولم يسعه الا ان ارسل الى البغلة فحضرت ، فصار يعتذر فقيدت البغلة برسن كما قيدت من دار صاحبها ، قال لى امغار ابراهيم اخو القائد وهو يحكى لى القضية : فقال لى الشيخ وقد خرجت معه لاودعه : هذه هى نهاية القائد ، فكثيرا ما اردته عن ان يمسه الفقيه ، واذمسه اليوم فقد انكشفت عنه تلك الغمامة التى يستظل بها منذ صار قائدا ، ثم لم يمض الا اربعون يوما اذا به ينحدر ليلة فى عقبة تاجكجكالت هاربا ، وذلك فى ١٥ رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان ذلك اخر عهده بداره ، و آخر خيط انقطع بينه وبين ابياته

هذه صفحة اخرى من صفحات تاريخ الاستاذ ظهر فيها بمظهر التجرد التام وبمتهى الالفة ، فلم تدره نفسه ان يتطرح على عدوه هذا لعله يتزاح عنه

ما كان في صدره عليه حقنا على حقد ، وقد اكتفى بالالتجاء الى الله الذي لا يضيع احدا ، وكيف يستباح من كان في كلاة الله ؟ وخصوصا من كان مستضعفا لا يتكل على قوة الا على قوة ربه «ليس الله بكاف عبده» ؟

في شبه غربتا بعد دفن رفيقنا الشيخ الالعي

اريد منك ايها القارىء ان تستحضر في ذهنك الآن معملا من المعامل لورثه في حياتك وان تتذكر ان هناك آلات تستدير كلها وان كانت وجهاتها مختلفة واقرب ماتلاحظه ان لم تشاهد قط معملا آلات ساعتك ان فتحتها من ورائها فتدرك ان هذه الآلات المتحركة التي ربما لا تتجه في دورانها الى وجهتها واحدة ينتج عنها وراء ذلك عمل واحد ، هو المقصود بها اولا و«اخرا

مثل ذلك مثل الاستاذ العلامة المدرس سيدى على بن عبد الله الذى افرغ جهوده كلها في التعليم والفتوى والقضاء ، ومثل الشيخ الوالد المربي للمريدين الذى افرغ جهوده كلها في الارشاد والوعظ والتهذيب ، وازالة غيوت النفوس عن المريدين ، حتى تصلح للمقامات العليا ، ذلك عمل الاستاذ المستمر وهذا عمل الشيخ الوالد المستمر ، ثم انهما مع ذلك يكادان يكونان كروح واحدة في جسدين ، لانهما لا يكادان يفرغان من اعمالهما هذه بعض فراغ الا تواملا واستمرا كذلك مالم يدعهما الواجب لمعاودة اعمالهما ، ثم يتواصلان ايضا ، وهكذا دواليك وهل يجمع بين القلوب الا الصفاء ؟ وهل يجدى الجوار الا اذا تاخى الجيران مشهدا ومفيا ؟ :

وليس اخى من ودى بلسانه ولكن اخى من ودى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما ومالى له ان اعوزته التوائب

كانا يفرحان فرحا واحدا ، وكانا يقومان ويقعدان في حين واحد وينظران معا نظرة متحدة الى كل شىء ، حقيقة ان لكل واحد منهما وجهة مستقلة يستقل بها ، فللوالد تصوفه الذى يرفرف عليه علمه الخفاق وملافة الواردين عليه ، المقتبس من ما لديه المنهاين عليه من كل صوب ، وللاستاذ علمه الزاخر وادبه العالى ، وسبحه في امواج المعارف بين طلبة مدرسته الذين انقطعوا اليه من الآفاق ، فلكل وجهة هو موليا كما ترى ولكن الجامع بينهما ما وراء ذلك مما هو غاية لكل هذا ، وهو نفع العباد والسعى فى مصلحة العامة

عرفت ان الوالد اكبر من الاستاذ ، وانه هو الذى له الصدارة بعد الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ولكنه للرأى ان تصوفه هو ، وماطوق به من الطريقة واهلها لم يدع له فراغا للعلم ، والعلم هو القطب الذى يدور عليه نفع العباد الدائم ، ساند صاحب الترجمة وصار يعاونه فى القيام بهذه المهمة الكبيرة التى

ما خلق إلا لها كما أن الوالد ما خلق إلا لتصوفه ، فكان الوالد يرسل إلى المدرسة كل من «أس منه ميلا إلى التعلم من أولاد مريديه ، ويشجع من فيها ويعين ويزود ويعبر الكتب ويقيم الحفلات ، من غير أن يكون منه ذلك كله إلا عانة فقط ، ثم لا يتدخل في ذلك لما يعلم من أن الأستاذ هورب المدرسة الذي ورثها عن صنوه وأنه هو العلامة الذي لا يجارى في ذلك الميدان ، وكذلك لا يسأل عن مسألة فقهية خارج باب العبادات إلا ارشد السائل إلى الأستاذ ، بل ولاتته قبيلة المرابطين بشيء من عند جميعهم إلا أمرهم أن يذهبوا به إلى الأستاذ ، فقد جمعوا مرة في أيام الكيلوليين سمنا كثيرا ففرقوه ، فتوجهوا بنصفه إلى الأستاذ وبالنصف الآخر إليه ، فأمرهم أن يلحقوا هذا النصف بذلك ثم لا يعودون إلى مثلها ، وكان رحمه الله يرى الأستاذ مكانة عالية ومهارة يقتدر بها على الإدارة في مختلف الأمور فيدفعه إليها ، ثم يكون له وراء ذلك خير معين وهو الذي تطلب منه المرابطون أن يرأسهم في أيام العاجيين فقال كلائم كلا ، فهذا مركز الفقيه فهكذا سلم له من الجميع حتى من صنوه الشيخ ، ثم لا يزالان كذلك مجتمعين في العضر والسطر ما لم يشتغل الوالد بمريديه في زاويته ، أو ما لم يسبح إليهم في أسفاره ، وفيما سوى ذلك تراهما معا ، أما في دار الشيخ وأما في دار الأستاذ وضيئفهما واحد ومجلسهما واحد ورأيهما واحد وكذلك كثيرا ما تراهما على بغلتيهما كأنهما فرقدان ، أما في طريق تامانارت وأما في طريق موسم تازروالتا وفي طريقهما إلى إقامة سلم بين المتحاربين ، فقلما يتطلب من أحدهما أمر فيه ظفر ، أو تعرضت له وجهة يتوجه إليها الأمر بصاحبه فراققه ، اشتهدا بذلك حتى كان ترافقهما عند كل الناس معروفا مشهورا .

حكى لي حاك أن الوالد تطلب منه «ال امتضى أن يقف لهم على عين حتى تخرج - وهي التي ذكرنا أنها غارت في ترجمة سيدي احمد بن بلقاسم التيبوتى المتقدم - وكان الوقوف في أمثال ذلك مما يكرهه الوالد ، ولا يجب أن يشتهد به ولأن يقصده الناس من أجله ، ولكنه لا يرد من يتطلبه منه إلا بحيلة كما فعل بهؤلاء فقد مر بصاحبه الأستاذ بن عبد الله فركبها معا فوصلا امتضى ، فقال لمن هناك : لا بد أن تعطوني وأن تعطوا الفقيه سيدي عليا مقدار ما تسقى العين نهارا لكل واحد منا من الحقول ازاء العين ، مع ما نبني فيه ديارنا ثم مال بصاحبه وهما على سفير العين يخطان خطط الديار ، والشيخ يتباله ويتظاهر بأنه ذو حرص شديد في ذلك ، فتراهي لئال امتضى الجشع العظيم من العالمين الالفين فقالوا في أنفسهم ما قالوا ، فردوهما بالتى هي أحسن ثم رجح السيدان وهما يتبسمان ، وقد ادرك الفقيه مقصود الشيخ ، فتمت حيلة الوالد من غير أن يشعر بها أحد ثم لم يعد «ال امتضى إلى الغ بعد ذلك اليوم ولا ذكرا بعد قضيتهما .

سألت يوما سيدي سعيدا التتاني عن كتاب من الكتب ، لماذا لم يشتد الوالد فقال : أن الشيخ إذا كان بمراكش ، لا يهمل إلا أن يأتي إلى الفقيه سيدي

«ل والى الحاج ابراهيم الايفشانى بما يكسوان به كل من فى دورهما ، ولما يفضل له عن ذلك شىء ، آخر اقول : ان دارنا ودار الاستاذ ودار الايفشانى واحدة فى ذلك الوقت والآن ايضا ، لان الامهات منهن متلاحمات الارحام فزوجة الاستاذ اخت الوالد وزوجة والدى بنت اخت الايفشانى وزوجات اولاد الحاج ابراهيم بنات اخت الوالد وربيات الاستاذ ، فلذلك علاوة على اداء حقوق الصعبة والجوار ، ترى الوالد مهتما بشؤون الجميع كما يهتمون هم ايضا بشؤونه فكانوا خير رجال فى خير عصر لا يعرف الحسد ولا ما يكون من تباغض المتعاصرين المتجاورين اليهم من سبيل ، ولا تجد التمايم الى ذات بينهم متفلا ، فقام بهم من اعلم والدين فى الغ مالاتزال السنة المتحدثين به رطبة الى الآن .
ثم لما توفى الوالد وفقد منه الاستاذ من كان له خير معين فى كل ناحية أصبح كفريب فى الغ ، ثم لم ينشب ان بدت له امور تلو امور ، فكان لسان حاله ينشد فيها قول الطغرائى :

هذا جزء امرى اقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الاجل

وكان رحمه الله كثيرا ما يذكر الشيخ فى محادثاته كلما حزبه امر لا يجد فيه معيناً ، اوراى فى بيئته من لا يقدرونه قدره ، ويقول : مامات الشيخ الالى وحدى ، فقد حكى لى الفقير سيدى محمد الزكرى انه التقى معه ليلا عند مصلى العيد غربى المسجد السليمانى وذلك حين قلب الايشتيون ظهر المجن لآل الغ فأرادوا ان يلتهموا املاكهم التى اشتروها فى قريتهم ، قال الزكرى : فقلت له انه يجب عليك ان تدارى الايشتيين كما كان الشيخ يداريهم فى عصره ، فقد كان قام بذلك فى حياته عنك وعن نفسه خير قيام بما كان يصبه عليهم من العطايا صبا ، فانه لامقصود للايشتيين الا ما يتمصصون ولا يشكون اليوم الا من فقدانهم ما كانوا القوه ايام الشيخ ، قال : فاجابنى الفقيه بقوله : ايراد منى ان امثل دور الشيخ فى كرمه ، وفى حسن معاملته مع الناس ؟ فانى اكون كشعرة من شعراته فانه كان وحيدا فى دنياه محظوظا فى حياته ، انهالت عليه الدراهم ومختلف الالبسة من كل ناحية ، حتى اننى لا ازال انقلب فى كساء التى كسانيتها الى الآن وقد انصرفت سنوات كثيرة قال الزكرى : ثم تناول سلهاما كان عليه من الملف وقميصا ، اخر تحته فقال اشهد على بان هذين من بقية ما كسانيه الشيخ رحمه الله ، امثل هذا الرجل العظيم تريدان تسوينى ، وترغب فى ان اقوم مقامه للايشتيين او غيرهم ؟

هذه شهادته رحمه الله وقوله فرحمه الله من متواضع منصف ، وهل يعترف مثل هذا الاعتراف الا الافذاذ الذين يقلون فى كل وقت ؟ فقد تناخبا حياة ومما نأرهمها الله ووفى اولادهما ان يرثوا عنهما ذلك التناخى .

وابعض الالفين :

وان اخاك الحق من كان مشيا عليك وترب الرسم قد هيل فوقك
ويعلن في كل النوادي لسانه من الفضل والمجد المؤئل حقا

بين قضاة تزنيت في عهد الهيبة

دار الزمان دورته ، وتقلبت بالمغرب المنكود فتن وثورات ، فجاء الاحتلال
الناهم بزعاذعه ومعاركه فيتخبط المغاربة كلهم في امواج متلاطمة مهاجمة
ومدافعة فامتد الى سوس حظه من بين ماتتموج به جوانب الغرب فبويح
الشيخ احمد الهيبة في جمادى الثانية عام ١٣٣٠ هـ على ايدي رؤساء القبائل
الجنوبية وفقهاها ، فكان صاحب الترجمة لما له من الشهرة الطائرة والسمعة
المتشرة ممن لا بد ان يكون في طليعة الفقهاء ، لئلا من غير دينية وشهرة بين
اقرانه في كل سوس مدوية ، ثم توجه الهيبة الى الحمراء زاحفا بجيوشه فترك
ثلة من العلماء بتزنيت ، قضاة تحت رئاسة سيدي المحفوظ الادوزي رحمه الله
فكان استاذنا من بين هؤلاء القضاة يل من لهم هناك شرف ورياسة وجولات
اثر جولات ، وقد صدرت عنه اذذاك ادبيات ثرية او شعرية الى الشيخ الهيبة
والى اخيه النعمة فتمشى في فض التوازل على العادة ، والقضاء غير منظم ومتمى
لامثال تلك القبائل اذذاك تنظيم في شئونهم الخاصة ، فينتظر منهم ذلك في
شئونهم العامة فيتوصل القضاة من المحكوم له على العادة بما يتفاوضون
عليه ، فبقى هناك الاستاذ شهرين : شعبان ورمضان عام ١٣٣٠ هـ ثم عيد عند
أهله بالغ ، وقد جاد على كل من زاده يوم رجوعه اوالم بلاده بما عرف عنه رحمه
الله من اكرام القاصدين واتحاف من اليه بعد سفره من الجيران والاقربين .

وقد وقعت له هناك بتزنيت قضية تدل على تسامحه ، وذلك ان بعض
الناس المتفكرين كان تعرف به فاتخذة امينا ، يودع عنده ما ياتي به الله من
قوالب السكر حتى بلغ ذلك سبعين قالبا ، فعين ازمع الرحلة طلب الوديعة
من سيدنا الفقير الصوفي فصاحبه سيدنا الامين الى البيت الذي يضع فيه
السكر ، فاره سيل الماء الذي يكف به السقف وقال : ان السكر ذاب كله من
وكفات السقوف بالمطر ، ولا أدري اظن الاستاذ الكاغد ايضا مما ذاب فلم
يستقص في السؤال ، ام علم ان السكر حقيقة ذائب ولكن بما سخين غال مما
تداوله المقراج والبراد في حضرة سيدنا الفقير الغاني في حضرة ربه :

ان قال قد ضاعت فصدق انها ضاعت ولكن منك يعني لوتني
او قال قد وقعت فصدق انها وقعت ولكن منه احسن موقع

فقد كان القاضي سيدي محمد اعمو - قاضي تزنيت اليوم - يباسط هذا

الفقر ويجاريه حول هذه القضية ، والآخر ييسم ويظهر من بسمائه ان ذلك
المسكر انما ذاب بين حرف الكاس ورشقاته ، ام ان القدر هو الذي اهل ان الذي
ياني ينقط المداد من اليراع بين الاوراق ، فمن ان يذهب مشروبا بين عبيات
المسبحة وبين كاس دهاق .

بن رؤساء قبائل هذا الجبال في الكفاح

اجفل الشيخ احمد الهيبة من مراتش فحل بتارودانت حيث زاره صاحب
الترجمة مع الحاج ابراهيم الايشاني ، وقد مرا في رجوعهما بتزيت بعدما
جلا عنها الشيخ النعمة الذي كان فيها خليفة اخيه الهيبة ، وكان الجلاوة الرجوع
الاضحى من عام ١٣٣٠ هـ فحل الاستاذ ورفيقه هناك فلم ينسب ان والكنهه اذ
من هناك الى مجمع رؤساء تيزيت وكان الاستاذ حكم لها في قضية في تلك
الايام الماضية ، وتوصل منها بما توصل ، على عادة القضاة كما ذكرناه لسم
حفرها الآن بعض فقهاء تيزيت ممن كانوا يتطلبون اذذاك حظهم في تلك القضية
فلم ينالوه ، ثم انقل الاستاذ عن تيزيت كما ذكرنا قبل ان يتوصلوا به فوضعوا
البرغوث الآن في اذن المرأة لعلمهم بذلك يتوصلون بشيء من الاستاذ فحين علم
من أين مثار هذه الموجة تبسم فناول اولئك الفقهاء شيئا يقطع به سنتهم
فسكتوا المرأة وانتهت القضية ، وقد قال الحاج ابراهيم الفيور على مراتشه
الالفين دائما : لو علمت ان في تيزيت مثل هذه القضية لما مرنا بها ولكن كان
امر الله قدرا مقدورا ، على ان صدر الاستاذ الفسيح الذي يعلم من امثال هؤلاء
الفقهاء انهم انما يريدون ان ينالوا من وراثته مضعفة حين اعوزهم ان يشقوا له
غبارا في ميدان القضاء ، لا يمكن ان يضيق ولا ان يتغير ومتى تغير البحر بقلابة
تسقط في عرض عبابه :

افتقدى عرض البحار قلادة ان رمتها في جانبيه الرياح ؟

ثم ان الهيبة ازعج ايضا من تارودانت الى اسرسيف ، ثم الى تيمكر لسم
حط رحله اخيرا بكردوس ، وفي كل هذه الامكنة لا يضب المترجم زيادته ، لسم
دارت بين هذه القبائل الجزولية وما اليها الى ايت بعمران ، وبين الجيوش التي
ترسلها الحكومة تحت ايدى القواد حيدة بن ميس المناهبي والقائد ابن دهان
والباشا الحاج التهامي الكلاوى والقائد الكنتافى وغيرهم من ضباط فرنسا
وجنرالاتها ، حروب ومجاذبات عنيفة ، وكان لصاحب الترجمة يد عليا في
الاستحواذ على القلوب في كل مجمع بمواعظه المبكية ، وفصاحته المؤثرة حتى
لا يتكلم في المجمع العام للقبائل كما حكى لي الاخ احمد سواء ، وسوى القائد
المدني فهما العمدان للشيخ احمد الهيبة ، ولسانه الذي هو يبلغ به الهيبة ماشا لهذه
القبائل ، ثم لما دفن الشيخ احمد الهيبة واليه صوته مريبه ربه مقامه تهادى

الامر هل ذلك ، وقد قطع غالب الفقهاء عن كرفوس الهمو وسيدى الطاهر
الافرائى لانه لا يبقى فى الميدان الا المخلصون

هذا هو شغل الاستاذ الشاغل منذ اجتمعت كلمة هذه القبائل الجبلية
والجنوبية على مناصرة الهبة وخلفه فى الكفاح والمقاومة ، فعلا كعبه فى الرياسة
وكاذ يكون وحده قطبا لا يتخطى فى المهمات امره ، وقد اتخذه القائد المدنى
الاخصاصى الذى كان هو فى الحقيقة كبش الكتيبة والمنتفع بحليب هذا الضرع
الدار شريكا ونجيا ، والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافرائى تلميذه يسانه
ويشد عضده ، ويؤمن على كل دعواته ، فقد حضرا معا فى وقعة وجان يوم زحف
اليه القائد حيدة فكانا ممن تسللوا الى وجان حين حوصرت فى ذلك اليوم المشهود
كما حضرا ايضا حين سقط القائد حيدة هذا قتيلًا ، ولهما فى ذلك نظراء وكانا
عام ١٣٣٥ هـ من بين المقاومين يوم الزحف الاكبر بالجيش الجنرالى - كما
اشتهر به فى هذه الجهات الى الآن - ثم كانا ايضا من الزاحفين الى اداوذكرى
مرات والى ايت ودريم والى غير ذلك مما وقعت فيه حروب ومجاذبات بين هذه
القبائل وبين الحكومة وهو فى كل ذلك بدلاقة لسانه وبلاغة بيانه ، وتدفق
عباراته التى تتدفق كلما قام فى مجمع من مجامع القبائل للوعظ يترقى فى
اعين الناس ترقيا عظيما ، حتى كان يحسب له ولرايه الف حساب مع ثبات
جاش وشجاعة توثر فوطىء رؤساء القبائل عقبه ، ووفدوا زرافات الى داره وهو
فى كل ذلك لامطمع له الاسداء النصيح لآخوانه لاغير ، ولا يقصد اى شىء اخر على
حين ان القائد المدنى الذى كثيرا ما يجعله تكاة ، يسرفى كل ما يفعله من ذلك الحسو
فى الارتقاء فمقصوده الوحيد ان يتقلب ويتمكن من اعناق الضعفاء فيمتص
دماءهم ، حتى لا يذر فيها قطرة واحدة ، وانما يحكم عليه بهذا لان ذلك هو الذى
يظهر منه فى كل القبائل التى تحت كنفه ، فلاشفقة ولارحمة ، ولكن الاستاذ
مع كل هذا كان يحسن فيه الظن ، لطيب سريره وذكاء عنصره ، ولان الفقهاء
ابعد الناس عن متعجات السياسة ومقامزها ، كما قاله ابن خلدون .

ذلك هو الاستاذ الرئيس المعروف بالجهر بالحق ، والاشادة بالصراحة
التامة ، حتى لا يابه بما يناله فى ذلك وكان له فى مواجهة الشيخ احمد الهبة وخلفه
مريبه ربه - وهما ماهما فى اعين الناس بهذه القبائل - كلمات ماثورة يجبهما
بها ، يراها من الواجبات عليه من جهة دينه ومن محبته الدائمة لهم ، فكانا
يتلقيان منه ذلك برضا يدل على انهما يعرفان انه لا يريد بنصيحته الا الخير
حتى انه مرة القى الى الاخير منهما ان الزواج والطلاق اللذين يجعلهما هجرا
كل يوم ، مما يفسد المروءة ويقهر عرض الانسان ورجولته ، ويحكم بان
لشهوته عليه سلطانا لا يقدر ان يقاومه فاجابه مريبه ربه بان المرء فقيه نفسه
قلت ان كثرة الزواج والطلاق فى بلادنا هذه التى لاتعرف الزواج الثانى الا نادرا
ولا يفرط فيها طلاق الا فى بعض ازمنة قليلة جدا ، من بين الرعاع السفلة ، من

العارف والشاعر اللذين لا تبقى معهما مروءة، ولا يحفظ بهما عرض الا ان المحر او بين
 كمال الشيخ ماء العينين يالفونهما الفة معتادة ، فهم معروفون بهذه العلة حتى
 ان الشيخ احمد الهيبة نفسه ما كاد يروح الى قصر القصبه الملوكي بمراكش ،
 حتى كان اول ماجالت فيه فكرته : زوجة جديدة يتمل بها على تلك الارائك التي
 نسنمها جديدا ، فقد اخبرني باشا الحمراء اذذاك صديقي السيد ادريس فلو
 انه فاضه في ذلك بمجرد دخوله ، قال فوجدته قد استقصى اسماء الشريفات
 الابكار الموجودات اذ ذلك في دور القصبه من بنات الشرفاء العلويين ، استلني
 ذلك من بعض العبيد الذين تنازل اليهم من عليائه ، حتى صار يفاضهم في شيء
 هذا ، قال : فكنت اراوغيه عن كل من يريد من هذه الانسات العلويات ، فاجعل
 لكل واحدة منهن حجة خاصة ، واخترت لها متزوجة بفلان ابن عمها ، وانما آخر
 زفافها اليه الى حين ثم املت عنقه عن عمد ، فقلت له اين انت من جمال البارج
 والشرف الباذخ والاصالة المغبوة ؟ فقال واين هذا كله ؟ فقلت له في
 تاملوحت ، فقال : اونسأؤهم هناك ؟ فقلت له : ان الخبر عن ذلك دون الخبر
 فهكذا استطعت ان اقلت الشريفات منه ، فخرجت وانا اتعجب منه ومن همته
 اقول : تامل في هذا السيد الذي اطلت اليه الجيوش من كل جانب وهو
 يريد ان يؤسس ملكا باقيا ، وان ينقل المغرب من الاحتلال ، ثم انظر الى ما
 يملأ فراغ وقته ، كان الايام ساعدته في كل شيء او كانه نال كل متمناه ولا ينقصه
 الا ما هو متطلبه من بنات الوسائد ، واين هذا من المؤسسين الذين ما كانوا ليبالوا
 وهم في مثل هذا الطور بدوات القناع (وان بن باطهار) فهذا ابو مسلم الخراساني
 الخنزير الشهير ، يعد البغال جنونا ويقول يكفي الانسان ان يجن مرة واحدة
 في السنة وهذا عبد الملك بن مروان تعرضت له احدي الفواني في قصره وقد
 استلام واستعد للخروج لناجزة مصعب بن الزبير ، فاجهشت اليه في موقف
 الوداع ، وكانها تقول له لمن تدرني وراءك ؟ فساعدها من في القصر من
 الجوارى على بكائها ، فلم يعد عبد الملك ان ارسل اليهن نظرة قصيرة ثم ولى
 وهو يشد مقاله كثير :

اذا ما اراد الغزو لم يشن همه حصان عليها نظم در يزينا
 نهته فلما لم تر النهى رده بكت فبكي مما شجها قطينا

فمثل هذه الهممة هي التي يريدنا الاستاذ في الشيخ الهيبة ، واخيه بعد
 ان بدل لهما صفقته ، لان الامور العظام لا تتم الا بالاعظم ، وكيف تكون عظمة
 من لم يقدر ان يتملص من مثل ذلك ، فلا يستطيع ان يملك قببه ولا ذبذبه ولا
 كبكبه (١) . ولكن هؤلاء ابناء الشيخ ماء العينين الذي تزوج بمائة وست عشرة
 بالتوالي على نية امتثال الحديث تزوجوا الولود الودود فاني مكاتر بكم الامم يوم
 القيامة . فرضى الله عن الشيخ وابنائهم . وانما الحديث ذو شجون

(١) تفسر الكلمات بالمسار واليهن وءالة الضاسل ، واصل ذلك حديث

الاستاذ ومدرسته اخيرا

عهدنا بالمدرسة الالفية ، ومديرها الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فقام بها خير قيام ، فلم يكن للاستاذ على بن عبد الله فيها معه الا الاشراف عليها من بعيد ، ومشاركة احوالها والقاء بعض دروس عالية خارج دائر الدروس النظامية ، يوم يمكن له ذلك ووجد فراغا من ضيوفه الكثيرين ومن منصبه القضائى الذى شغل كثيرا من وقته ، فقد اصبح يراعه فى حركة دائمة لا يفتقر فى الافتاء والاحكام حتى ان سلات الرسوم فى قبائل تلك النواحي لتعج بها عجيبا ، وقد اخبرت ان ديار الوفاويين لم تكن فيها دار واحدة تخلو من فتوى او حكم مما حرره بقلمه ، واحدا او اثنين او اكثر ، وكل ذلك بعبارة الفصيحة التى استمد بها فقهه من ادبه ، فاذا وجد من الاشغال الشاغلة فراغا فلا يدع القاء بعض دروسه فى المدرسة

وفى عام ١٣٣٥ هـ غادر الاستاذ سيدى بلقاسم المدرسة لنزوة من النزوات التى لا يخلو منها البشر ، بعد ان حضره الاستاذ على ان لا يغادرها ولكن الرزق قد انقضى له هناك ، ثم شارط صاحبها فيها الاستاذين سيدى احمد بن محمد اليزيدى مرتين ، وسيدى على الاوفيرى حينما ، فحملت الاستاذ ذبذبة الدراسة هناك على ان يجعل ايضا من وقته حظا لتمشية الدروس النظامية وخصوصا بعد ان شغرت المدرسة من هؤلاء الاساتذة الذين يعثورونها ، فهذه حاله من عام ١٣٣٥ هـ الى ان التحق بربه فى عام ١٣٤٧ هـ

وكانت عادة الاستاذ ان يرسل اخص تلاميذه ليثقفوا بعض فنون العوشر عند من يتقنها ان لم يكن له الاتيان بذلك الاستاذ ، فهذان الاستاذان سيدى احمد ابن صالح الافرانى وسيدى الطاهر بن المدنى الناصرى ، قد ارسلهما الى المدرسة ابو عبدلية لياخذ المنطق عن استاذها سيدى المحفوظ ، وكان ايضا اتى بالاستاذ شيخه سيدى على بوضاض فى اوائل تصدده فى المدرسة ، فاخذ عنه من فى المدرسة الالفية الحساب والفرائض كما كان ايضا يقدم لذلك الاستاذ محمد بن على ايكىك ، وربما يجلس مع الطلبة فى درسه ويعمل معهم عمل الفرائض ، او اعداد الحساب وذلك من تواضعه ، وليكون خيرا قدوة للطلبة ، وقد اخبرنى ايضا ولده الاستاذ الطاهر بن على انه ارسله فى عوشر الى استاذ مدرسة افلا اوكنس ، سيدى احمد بن سعيد الاكمارى لياخذ عنه الفرائض ، والبخارى سردا فى رمضان ، واين نظير الاستاذ فى مثل هذا الصنيع ، حين لا يستنكف ان ياخذ تلاميذه الاخصاء عن غيره مع مانعه من قالب معاصريه من اعتداد كل واحد منهم بنفسه وبعلمه وبمدرسته الخاصة ، فلا يكاد يسلم للاخرين مكانتهم فى المعارف من بعيد ، فضلا عن ان يتنازل حتى يبعث اليهم اصحابه او يستقدمهم

فيجلس مع تلاميذه بين يديهم ، فيأخذ عنهم هو أيضا كما يأخذون ، فليعرف
التأويل للمترجم هذه المنقبة ، فانها لمنقبة عظمى ، تكفى ان ترفع بها الخ راسها
مفخرا الى عنان السماء وان تسكت من عسى ان يفخر المدرسة الالهية مقمرا باباء
الله والشهم :

أقلوا عليهم لا ابا لايكم من اللوم اوسدوا المكان الذي سدوا

وقد كان اخذ عن سيدى عبد الرحمن السالى فى مبدأ امره ليم صاوي
يستقدمه فيبقى فى المدرسة فى بيت يأخذ عنه فيه طلبتها

نظرة عامة على اخلاقه

ماظنك برجل كان اولا منعزلا فى مدرسة ، مقبلا على موالاة دروسه لايمه
بصره الى اكثر منها ثم بعد ذلك دهمته اعاصير ادارة اعمال اسرته وطلبته
ومزاولة الخصوم الذين يحكمونه فى القضايا وهم الحطب الذى لا يوقده مطبخ الا اذا
أوتى به من بعيد ، وشأن الحرث والحصاد فى الخ ادعى وامر ، والعبيد سوههم
كثيرون عند الاستاذ فيما بين هذا وذاك ينتهبون كل ما وجدوا ، لا يؤتمنون
على حبل فضلا عن غيره ، والوفود المستضيفة تتوارد من كل جهة ، الفترى من
كان بين هذه الموجات الزخارة يهدأ خلقه ام تتابه فينات نوبات عصبية
تقيمه وتعهده ، حقا كان الاستاذ على هذه الاخلاق فكان هو فى نفسه لينا طيبا
متحملا صبورا واسع الصدر ، مراعىا لجبر الخواطر بالغا أقصى جهده ان لا
ينصرف عنه جلسيه الاراضيا ، لاسيما فى اوقات الابحاث العلمية فانه يرضى
العنان كل الارخاء ولا يجبه من يخالف رايه فى مسألة بل يسايره حتى يتجلى
الحق للجانبين فيقف المباحث عن عسفه ان كان هو الذى اعتسف عن الصراط
السوى ، وان كان هو الاستاذ فسرعان ما يرجع ، وربما يلافى رحمه الله فسي
امثال هذه المجالس من امثال الفقيه سيدى محمد بن على ايكىك ما يضيق به نطاق
الحليم ، ولكنه يرى لمقام رئاسته انه لا يستحق ذلك المقام الا اذا كان لا يطرح
عن الاغضاء والقاء كل مامسه فى ذلك دبر اذنيه :

ليس الفبى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغابى

ذلك طبع الاستاذ الجبلى الذى يظهر منه كل الظهور بين القرانه وتلاميذه
وجلسائه ، ولكنه لا يكاد يزاول الشئون الاخرى ويرى بعينه ما يرى ، ممسا
لا يتسع له حتى صدر الاحنف بن قيس وتحمل قيس بن عاصم حتى ترى منه
بعض المرات ثورات ، لا يقف امامها واقف ، وخصوصا حين يشاهد المساء
الحقول ودوس البقول والعبث بالمزارع والنضاب الاغصان المثمرة ، فلازال
اتذكر اننى فى بعض العصبية الربابى ، كنا نتجارى على فرس فى مزارع السنايل

فلم لشعر به حتى هزل الجنا ، وصوله الجمهوري تصتك به «اذنا فرجنا
 باجته النعام ، وهو يتبنا بالرمي باحجار كئالها مستهدفين ، غير ان الله سلم
 قولنا ديارنا بقلوب واجفة ، وفرائص مرعدة فكان لنا ذلك درسا لم يزل نصب
 اعيننا الى الآن ، وقد يضجر ايضا احيانا من المتخاصمين الذين يحكمونه في
 قضاياهم ، ومن كثرة الداهم وشقيهم وعتهم ونزولهم عليه كأنهم لم يطرق
 اذانهم قول القائل :

(ليس على الفقيه من ضيافة)

فينهال عليهم متفجرا بالتانيب والعتاب ماشاء الله ، ثم لا يلبث ان ينهال عليهم
 ثانيا بخيرات حسان ، وجفان كالجوابي وقدر راسيات ، فتبصرى المواقف
 البهجة ماجرحته الصدور الحرجة

وكان يحب نجباء الطلبة ويقوم بضعفتهم بمايمده الى كل انسان منهم بيده
 فيما بينه وبينه ويشجع كل من اانس منه تقدا في فن من الفنون التي يعنى
 بها الالهيون وخصوصا علوم الدين والادب وما اليها ، فكل من رأى له في ذلك
 أمرا مهديا مقالة او رسالة او قصيدة او قطعة ، يعنى به غاية الاعتناء ويجمع
 عليها اهله سوماهله الا علماء نجباء متفوقون- مع من وفدوا على حضرته فيلقى
 عليهم بنفسه ما حدثه التلميذ من قريحته بلسانه الفصيح ، ولهجة العذبة فان
 كانت شعرا وهو الغالب فانه يكر كل بيت على حدة ، ويترنم به فيستحسن بكل
 اعلان ما كان مستحسنا ، ويفض عما رأى من الزلل مع التلويح الى ما في ذلك
 من غير تصريح ، حتى لا يحصل خجل للقائل فينكص على عقبه وتفتره منته والتشجيع
 دائما افضل للتلاميذ ، وهكذا ايضا في الرسائل والفتاوى وسواء صدر هذا
 من تلاميذه الالعيين أم من تلاميذ تلاميذه ، بل يعنى بكل ذلك وان صدر عن
 اجانب عن الغ اريحية منه وحيا للادب العام وللآثار العلمية كيفما كانت وايا
 كان اصحابها .

على ان له وسط تلاميذه مع هذا الخلق الواسع وقفات اخرى اذا شاهد من
 احدهم خروجا عن الاحب او اانس ما يغفل بالمرودة او يهتك سمعة المدرسة
 فكم ذى لحية كثة وهو عملاق يطاول النخيل ، مد أمامه في المدرسة ، فاختلفت
 عليه العبال حتى يكره الغ وما اليها ، وتمنى لو لم يعرف اليها من سبيل ولاورد
 بلا شوك ولا روضة انفا بغير سياج وجزاء سيئة سيئة مثلها وكم زلة لا يمكن
 ان يتلى اذاهها : «فمن عفا واصلح فاجره على الله» ولبعض الالعيين في الموضوع:

اذا انت لم تكبح رفيقك مرة وقد اعتدى شاركته حيث لا تدرى
 وذو الاعتداء ان اعاد غدت له خلاق تبقى لاتزول الى القبر
 ونفس الفتى جماحة لا يرد لها سوى كبجها بالجدب والنهر والقهر
 ومن كان ذا حزم فلا بد ان ترى له ضغطة حينما وان كان ذا صبر

لما كل ذى داء يداوى بسكر فكم نفل لابد فيه من الصبر
 فعل هذه الطريقة التي عليها صاحب الترجمة يسير كل الالفين ولا اعلم
 الآن من حاد عنها حتى الشيخ الوالد الذي هدبه التصوف وكانت تربيته قلبية غير
 تربية الالفين فانه قل ان تجد من اصحابه الذين اكلوا ملازمته من لم يحدثك
 عنه باثارة من هذا الخلق ، وهذا الخلق يسمى عند الاخلاقيين الاسلاميين
 عمريا نسبة الى عمر الذي قل ان تجد من بقية العشرة المبشرين بالجنة فمن دونهم
 من لم يصطلم ودرته ، ولا يوتى هذا الخلق الامن اوتى القوتين الذاتية والروحية
 وقلما يسلك صاحب هذا الخلق فجا الاسلك المفسدون فجا ، اخر فرارا منه
 على ان الناس طبائع والغاية واحدة ، وان تعددت الوسائل وان كان الخلق النبوي
 من الحلم والاناة والمسامحة اعظم الاخلاق وافضل ما يقتدى به ، وفي الحديث
 انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، وقد سرى الى الاخلاق من نحن الالفين هذا
 الخلق من الاسلاف ولكن يجب علينا ان لا نتخذ المثل الاعلى

وهبني قلت هذا الصبح ليل ايعمى العالمون عن الضياء ؟

فانا بنفسى طالما ندمت على مثل هذه المواقف (١) المزرية ولكن الطبع
 وا اسفا يقلب النطبع ، فلنقل الحق ولننصف فان الله يعين على الفرق ما لا
 يعين على الخرق

فهذا الحق ليس به خفاء فدعنى من بنيات الطريق

وكانت له رحمه الله فى رماية اليد قرطسة قلما تخطى ، اشتهر بها ،
 لاسيما ان كان راجلا لذلك كان ان حزبه امر واستحثه ان ينهى مفسدا من
 المفسدين فى المزارع وقت فصل الربيع ينفلت عن ظهر بغلته ان صادفه الحال
 راكبا ، فيقف على رجليه ، ليوجه الحجارة كيف يريد فاذا بالحجر من يده كالسهم
 من يد احد بنى ثعل وكان رحمه الله رجل الدنيا والاخرة ورجل المعارف والمكاسب
 خلق لهما معا

وانما رجل الدنيا وواحدنا من لا يعول فى الدنيا على رجل

فكما انه هو الذى يتولى مراجع مسألة من المسائل وقعت فيها الابحاث
 المختلفة فى مجلسه فلا يكل ذلك الى غيره ولا يكل عن تروده الى مكتبته مرارا الى الكتب
 التى تتوقف عليها المراجعة كذلك يقف بنفسه على جميع شئونه ، ولا يكل ذلك
 الى احد وان اتفق ان يرسل احدا ليقضى غرضا ، فلا يلبث ان يعطى عليه لينظر
 كيف يفعل ، فكثيرا ما يمكث فى قبة الاضياف بداره ، والمحفل بالعلماء لخاص
 وكتاب من كتب الادب او التفسير او الحديث يتلى ، او قصيدة تلقى وربما يكون

(١) كنت حين لبثت لى تيمناجدا معتقلا جيعت مؤلفا فى هذه المواقف التى
 عدتها اذذاك ازيد من عشرين سنة (مواقف مخجلة)

هو التالي للكتاب ، او الملقى للقصيدة ثم لا يشعر به وقد التئب من حضر في
 مبحث هم فيه بين قبول ورد والمراجعة سائرة في طريقها ، فينسل من القبة الى
 دارة الداخلية ، فيخرج مهرولا من بابها الشمالي فيتوجه الى ضيعته بتالات نيت
 عيس ، فيبغت عبيده هنالك لينظر مايفعلون فيما ارسلهم اليه ، ثم يرجع بسرعة
 فيدخل من ذلك الباب فيمثل في المحفل وشيكا ، فيشارك في المبحث الذي ترك
 المجلس منه في قبول ورد ، فيلقى رايه ويسلك طريق المراجعة في الكتب الحاضرة
 ويأتي من الكتب بما احتيج اليه ايضا كانه خالي البال من كل شيء الاما فيه اولئك
 العلماء وكأنه ماضي شغلا اخر خلصة وهم لا يعلمون ثم يشاركون فيما هم فيه
 يتباحثون ، وربما كان ايضا يسرد قصيدة ويترنم بها فيلقبها على السامع
 واريحية الادب التي تنسى كل شيء قد غمرت المحفل ، ولكنه بين ذلك الانشاد
 ينادى احيانا بعض من يوصيه بما يريد ، او يسأله عما لا يريد او يامر به بلطف البقال
 او يامر ادها الماء ، ثم لا يقطع عنه ذلك تلك الموجات التي غمرت وغمرت كل من
 كانوا معه جالسين

وكان رحمه الله يشاور كثيرا في النوازل حتى ان عاداته المعهودة -وقلما يخرج
 عنها - انه لا يبيت في نازلة حتى يشاور الآخرين ، وكان سيدي الحاج احمد بن
 محمد ابيزبي رحمه الله والاسناذ سيدي الطاهر الافراني اطال الله عمره والعلامة
 سيدي الحاج احمد الجشتيمي والفقير سيدي عبد العزيز الادوزي والفقير سيدي
 محمد الجراري الاساكي المجاطي ممن يشاورهم وهم كثير ، زيادة على من وجد
 في حضرته من العلماء الذين لا تخلو منهم ، فلا بد ان يذكرهم في كل نازلة يزاولها
 فتأتي له بذلك ان سار بقدم امانة من العثار ، فلم يعهد انه حرر نازلة فقام من
 معاصريه من يرددها عليه بحق ، لكنه هو كثيرا ما يرد نوازل غيره وينقضاها
 بالنصوص ، ومما وقفت له عليه في ذلك فتاوى مراكشية للاستاذ الحاج العربي
 الرحمانى ، وشيخنا مولاي احمد العلمي ، فمن دونهما نقضاها نقضاتا ما وثقت
 غزلهانكا وقد ذكرناها في (مجموعتنا الفقهية) بنصوصها على انه على عادة
 اهل هذه البلاد لا يتجاوز في الفقهيات هذه الكتب المتداولة غالبا ولذلك نراه
 ونرى الاستاذ سيدي المحفوظ الادوزي رحمه الله يميلان الى انه لا زكاة في
 الاوراق البنكية وماعلة ذلك الا الاقتصاد على بضعة كتب في المراجعة ولا يتوسعون
 في المراجع العليا ، ولا يشاركون في الحياة العامة خارج سوس ، وان كان هناك
 عدد مقبول عنهم فان الكتب الموجودة يستوعبونها ثم لا يطالبون بما ليس في
 استطاعتهم ، ولا يكلف الله نفسا الاوسعها ، وهل الانسان الا ابن بيئته خلقا
 وفهما وتميزا واسعة مدارك ؟

فهذه نظرة اخيرة على العلامة سيدي على بن عبد الله رحمه الله الذي كان
 ثاني اثنين في الخ في عصر واحد فتال الخ بهما ما بلغ ، ولله در بعض الالفيين
 اذ قال في مقام ايجاز :

اكلف من مد البراعة مرغما وان لم الل كل الذي كان واجبا
فمن لي بان بان احصى الرمال بعالج ومن لي بان احصى بعدى الكواكب

آثار قلم الاستاذ من النشر

ليس كل استاذ ينتظر ان تشاهد منه آثار قلمه ، ولا كل اديب علامة
يفتش عن آثاره في التثقيف والتهديب ، عالم يكن كصاحب الترجمة الذي تألت
له وجهتان ، وتيسرت له هجرتان فامكن للسانه الذي يدوس به ويلقى به
مختلف العلوم على تلاميذه الكثيرين ان يترك لنا ذلك الجم الغفير من «الآثار»
تهذيبه وتخريجه ، وامكن ايضا لبراعه الذي لا يهدأ بين الدواة والقرطاس ان
يفيض علينا بثآثار قيمة رائعة ان قيست ببيئتها زخرت بها الكنائس والعمومات
بها الخزائن ، فلذلك يجب علينا لك ايها القارىء ان نعرض امامك من «الآثار»
اولا ، ثم نعرض عليك ثانيا من آثار تهذيبه وتخريجه ما استراه قريبا ، ان قلم
الاستاذ كان سباقا الى الغايات ، ناسجا صنعا في القصائد الاخوانيات ، وفي
الرسائل المحجرات ، فكان يتقلب بين الشعر والنثر وكان الجناس والسجع مما
يقصده الاستاذ ، وينتظم في سلك الادباء الذين يختارونهما ويرون «ان في
الخمر معنى ليس في العنب» تمشيا مع البيئة ، وهل الانسان حتى الاديب الا
ابن بيئته ؟

حدث الاديب سيدى احمد بن محمد الزيدى ان الشيخ احمد الهيبه سآله
مرة وقد زاره بكردوس عن الموازنة بين هذين الاديبين الكبيرين ، صاحب
الترجمة والاستاذ الافرانى ، فآجابته الاستاذ الزيدى :

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

فقال له صدقت ، غير ان الاستاذ الالفى فى النشر ابرع ، ولا يشق له فيه
غبار وليس دون وادى ام الربيع الى شنكيط من يوازيه فى الترسل والاديب
الافرانى شاعر مصقع فرع فى براعته وبلاغته كل من يتعالى الى النزوع فى القوالى
فى الغرب كله

هذا هو حكم هذا الشيخ العلامة الصحراوى الذى لا ينكر نظره السديد
فى الادب لمآله به من ولوع ، لكن شب حتى شابت سود ذوائبه وقد سمعت من
بعض اديبائنا من يعجبهم هذا الحكم ، ويقفون عنده ولا يجيدون عن سبيله فلنكن
معهم فى ذلك ، وأن كان يترأى لى وقد مرت تحت يدى من رسائل الاستاذ
الافرانى نحو خمسين ، انه ايضا حتى فى الترسل قد بلغ فى ادباء طبقتة
مبلغا ربما يقصدونه حتى باع صاحب الترجمة ولكننى وان كان يترأى لى هذا
اخاف اننى لم اتصل الى الآن برسائل كثيرة من رسائل صاحب الترجمة ، على ان
هذا الكتاب لم نضعه لدوس هؤلاء الادباء فلذلك سنتركه لقراءنا ، فى عصر غير هذا
العصر وانما وضعناه لعرض بعض ما نعرفه عن المترجمين ، وسوق بعض «الآثار»
بحسب الامكان

نموذج من رسائله وبعض أشعار منه وإليه

لتعرك ما خلفي من الشوق اوابدى فياليت شعري كيف حالك من بعدى
غدونا كندمانى جديمة حقبية فقيظت ايالينا فاصمين بالبعد

سلام ارقى من نسيمات الرياض والطف من غمرات العيون الصحاح المراض
ولعبه عبقة الريا مشرفة المحيا معتقة الحميا وحبب كئوسها فى ابتسام ، وسناها
يخطاب ابصار الندام ، عل سيدنا الذى علا كعبه على المجرة ، واتاحت له
السعادة التى لاحظته كل مسرة

من لاسميه اجلالا وتكرمة وقدره المعتلى عن ذاك يفئينا

اما بعد ، فلا اخبرك عن قلب انت ادرى الناس بعلقته باودائه حتى ليكون
الناس من احدهم اعضل ادوائه ، فقد كنت ترشفتى بقربك ماتحلولى لى به الحياة
والترشى هو اصلتك ومباحثتك اياما لها بالسرور سمات وشيات ، فلاوربك ما
عهدت مثل استنارة ذلك الزمن الذى انارته غرتك ولامثل تلك الساعات الطيبة
التي قامت بها مقام العداوى البهجة طلعتك

فكان الدهر عنا غافل فاختلسناها سويعات غر
لترامى بسحديث طيب فكانا نترامى بالزهر

ايام كلها غرر وخجول ، يفوز فى ميادينها بالتوصل كل من يجول ، كثيرا ما
الاملها بين ايام اخرى فاتبينها فى اثنائها كثوب فى اثنائه علم ، فابن مثلها يوم
العرجى الذى غاب عداله ولا ماذكره الرضى عن زمنه بلدى سلم ولاعيب فيها
غيراتها الفصر من انملة القطة وانها ولت ففادرتنا فى تكدهشوق اطول من ظل
الفداء ، ولكن عادة ايام السرور ان تكون قصارا ، وان تهب عند اقبالها بريح
رخاء ، ثم تصرصر عند ادبارها اعصارا

فتبا لهذا الدهر لايعرف البذلا سوى ان ادالت كفه بعده البخلا
كشمس تضى الكون لكنها متى تميل تدبيل الظل يستتبع الليلا

هذا وقد جاءتنى رسالتك الكريمة ودرتلك اليتيمة ، فوفعت فيها على كنوز
الجوهر والدر ، وان كان غيرى يسميها النثر والشعر ، فاقبلت بعينى امتعهما
واسيهما ما يروعهما واتمنى لو كنت كل عيوننا بصيرة ، ليكثر استمتاعى بتلك
الرياض الضميرة غيران سيدى قاسنى على نفسه ووطنى من جنسه ، فافاض
هل من حلاه واليسنى من سناه ومن طابت خصاله وخلاله ، وحسنت اقواله
وفعاله ، يخلل الناس كلهم من معدنه وانهم كلهم سائرون فى سننه ، ومن حسن
لعله حسنت ظنونه وصديق ما يعتاده مما تتوهمه عيونه ، على عكس قول ابى

الطيب المتطبي ، الذي اذا قال في معنى يزيد فيه توسعة ويربى :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

جزاك الله يا سيدي على طيب سريرتك وصفاء نيتك ، فقد عبرت عن جوهرك
الخالص خير تعبير ، ونبأتنا عن ذات نفسك ولا ينبئك مثل خير

ثم ان تلك المسائل التي راجعها سيدي فحرزها غاية التحرير (لما يدل
كل الدلالة على انه بين علماء سوس ، علامة تحرير) وقد تتبعتها فظهر لي في
بعضها ايضا بحث آخر ، غير ما جرت فيه المباحثة معكم ، وربما ازيد ذلك تاملًا
فيما بعد فارسله اليكم ، فقد وجدني كتابك في شغل شاغل من الدرس ، وقد
توزعت بما تحتاج اليه النفس ومتى اوعينا في المخازن الجيوب ، (ونفست من
هما الجيوب) تفرغت ايضا الى الابداعات القلوب واطلب منكم صالح الدعوات
فان العبد كثير العثرات واسلم على رفيقك الفقيه البركة ، سيدي عبد الرحمان
وغيره ممن انتظموا معكم في الوفادة ، التي نرجو ان ترى لها عن قريب ثانيا
اعادة ، واما سيدي الحاج علي والحاج ابراهيم فانهما بخير وقانا الله واياكم
كل خير ، والسلام

واقول : ان ما بين القوسين ليس من الاصل وانما كتب في طرة الرسالة

رسالة اخرى كتبها للاستاذ سيدي الحاج مسعود الوفاوي ، بعدما كتب
الوفاوي اليه بما يلاقيه من بعض جبايرة قبيلة كسيمة

« بقيت سليما لا تقابل بالردى ولا مدت الدنيا اليك يد العدا
ولا شاب صفو العيش فيك تكبر ولا بات حفن العين منك مسهدا
ولا زلت مسرور الفؤاد ممتعا بكل الذي تهوى وجانبك الردى
ولا زلت حصنا للافاضل سيديا منيعا وركنا للعلوم مشيدا»

انه من عبد تلعب به ايدي الاشواق وتاخذ بتلابيب رقبتك من الاطواق ،
وتسمه بالخضوع والضراعة بين بني جنسه ، وتحول بينه وبين انسه ، ومادأبه
الا الاطراق كمن استدارت السلاسل منه بليات الاعناق ، العبيد الجهول
المجترى على نفسه الصئول ، على بن عبد الله بن صالح الالقي ، وكيف اعبر
عن حالة ضميرك مني بها اعرف بدلها الله الى ماشهاه وابغى ، الى من لا يزال في
الكلمات ومدارجها راقيا ، ولما يرضى الله عنه واقيا ، عالم العلماء الاتقيه
وحامل علم المرسلين الاصفياء كامل الفتوة ، وضافي الاخوة ، سيدي الحاج
مسعود بن احمد بن ابراهيم الوفاوي ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى
من بكم واليكم من الاخوان والاحبة عموما وخصوصا ولكم خصوصا على ما عاينت
امره وعانيت امره ، والعالية للمتقين الذين من كان منهم لا يضاع ، فهل رايتم
احدا عامل مولاه فصاح ؟ هذا وقد وصل كتابك العزيز وخطابك الوجيز وذهبك

الأبرار فسطانا القربى صرفا فالتقى الندامى وما نطقوا ولو حرفا ووافانا وقد
 تهرمت حضرنا وزينت بعدة من العلماء الاعلام ، هداة الانام ومصايح الغلام
 وخدمة الانام ومعتقل الكلام ، الصدر الاوحد ، والفرد الامجد شافعي وقته علما
 وشعرا سيدي الطاهر بن محمد الافرائي ، والمدرس الاتقى والاروع الارقي
 سيدي بلقاسم التاجارموني ، والبركة المسداة للخلق والرائق للفتق ، ولد
 الاقطاب ، ومن بهم ابتهج الدهر اولا واخرا وطاب ، سيدي البشيرين المدني
 ونير افق السيادة وحائز قصب السبق في ميدان المجد والاجادة ، من لا يلحقه
 شبار ، في مضمار حامل راية التدريس ، حال الغدو والتعريس سيدي احمد
 ابن الحاج محمد اليزيدي ، ومولانا عبد الرحمان بن الحاج محمد الاحبال من
 لا يقيب بشهادة علام الغيوب تعظيمك عن باله وعن بالي ، وقرأ الجميع كتابك
 وهم يديرون الكاس ، فلما عاينوا حلل بلاغته وذاقوا طعم وحلاوة براعته ،
 لكلهم به طاعم وكاس ، وفي ذلك الوقت انشا سيدي الطاهر بن محمد :

يا عجباً كيف يخشى النحس مسعود	وفوقه ظل لطف الله ممدود
وكل من حل حرز السعد ذل له	وان تناوله الآساد والسود
يا لهم اخواننا في الله يا علما	بهديه تهتدى الصيد الاماجيد
كن كيف شئت تنل عزا ومكرمة	فانت لا شك محفوظ ومجدود
وافيت رسالتك الغراء فانشرحت	منا النفوس لها وزال تنكيد
شفت بما كشفت من حسن حالكم	ما غمنا زمتنا فيومها عييد
فالحمد لله اذ ولاك مدرسة	قد فاض فيها عليك الامن والجدود
لازلت مادمت تدنو كل شاسعة	الى يدك وتنقاد المنى القود
ثم سلام كما هب النسيم على	روض مجود به للورق تفريد
عل مقامك يابدر الكمال ويا	من وسمه كرم والاسم مسعود

فهذا ما قاله لله دره ، ولاخض فوه ، فقد ناب عنا جميعا في الذي اذاه مما
 تكنه الضمائر فهكذا والله يكون في قومه من هو الشاعر ، وقد اجابك على وزن
 البيتين اللذين كتبت بهما في رسالتك الفذة ، التي قرأتها بلدة اية لدة

وواتق بالليالي الخادعات له يفتر بالبيض لا يخشى من السود
 فقال سعدى يحميني فقلت له هل يطلب النحس الاكل مسعود

وبعد فلا باس لله الحمد عندنا جميعا ، والحمد لله على نعمة الايمان
 والاسلام امن الله الجميع بمنه وكرمه آمين

هذه رسالة وقفت فيها على نسخ مختلفة وفيها من النقص والزيادة
 والتعريف ما يسمى مسخا لانسغا ، ولكننا انتقينا حسب جهدنا

وكتب الى الاستاذ سيدي المحفوظ الادوزي بعد ان استؤنفت عنده قضية

كان حكم فيها سيدى المحفوظ ، ضد حكم باخر صدر من الاستاذ عبد العزيز
الادوزى شيخ سيدى المحفوظ ، وهذه الرسالة نموذج لرسائله الاخرى فى مثل
هذه الشهادات التى كثيرا ماتق بين الاقران اذذاك

«حامل راية التحقيق والتدقيق ، ومن اقر له بالسبق فى ميدان المناظرة
كل حر ورقيق» :

علامة العلماء والملج الذى لاينقضى ولكل ليج ساحل

سيد السادات والكبير الفوائد والاستفادات ، لولا ما به من الجماح فى
ميدان الافادات، وما جبل عليه من انشاء ما منشؤه المعادة، المحفوظ بن عبدالرحمان
الادوزى ، جعل الله رضوانه الاكبر محوزه ومحوزى والسلام عليه ورحمة الله
وبركاته ، وبعد فاشركنا فى صالح الادعية ، وقد وصل كتابك الراحة فحال
بينى وبين الراحة انبت فيه اخا لا يرى لك الا الوفاء ، ولا يعتقد فيك الا غاية
الكمال والصفاء ، وزنته بما كان منه بريئا براءة الديب من دم ابن يعقوب ،
فانى ما نقضت مبرمك ولا عزمت فيه بشىء من تصحيحه ولا ابطاله وما زلت استخير
الله ان يوفقنى ، ويلهمنى الى ما فيه سلامة الدين والعرض ، وعدم النرك يوم
الحساب والعرض على ان جميع ما رقيمته فى كتابك الى دليل عليك لالك ، وحجة
تشد على عنق تقصيرك اغلالك فقد حكمت وبنيت على اساس واه حين لم تستدع
المحكوم عليه حتى تعلم ما يجيب به عن ذلك ، ولم تعجزه ولم تعدر اليه ولم تنظره
فالحكم منقوض ومنبوذ بذلك كما ذكرت ، ولا يجوز لك ان تستند فيه الى علمك
ولا تجد جوابا فى هذا الا ان اختلقته واقترينه من عندياتك ، وهذا كله على فرض
وتقدير ان لو اجيز لك التعرض والتصدى لذلك شرعا ، والامر بخلاف ذلك فانك
لم تحكم الا فى امر مخصوص ، علمته وادى به كاتب التحكيم ، ودلت عليه قرائن
الاحوال وقد علم وظهر ظهور نار على علم ، ان دائرة المحكم دائرة تقييد ودائرة
القاضى دائرة اطلاق ، ولا ينبغى للمستبرىء لدينه وعرضه ان يتعرض لما اسند
الى نظر العلماء التبصرين ، وابرموا فصله على وجه يحتمل صحته ، بل يتركه
كذلك ، والعهدة عليهم ، والفتنة تائمة لعن الله موقظها الا ان يسأل عنه
بالخصوص واسند تعقيب بالخصوص الى نظره فلا باس ان يتعرض له بما ظهر
له، وهذا الباب الذى فتحته يودى الى ان لا تبقى قضية على فصل ابدا ، كما نص
عليه القرافى فى (فروقه) واما ما ذكرت من مخالفتى فقيما مضى وان الحامل الى على
ذلك جاء المتبوع وهيبته وجبر خاطره ، فالذى اراه لك وارضاه لكمال دينك
ووفور علمك ، ان لا تعرض لسخط الله وغضبه باسخط من رباك وعلمك
ونصحك ، وقدمك على اولاده وهو فى القبر تحت الرجام ، ام الهاكم التكاثر
حتى زرتم المقابر؟ وقد نصوا على ان علامة قبول ولاية الولى، زيادة هيئته وتعظيمه
والتفاق القلوب عليه بعد موته ، وهذا السيد كذلك ، فاتق الله فى حق والدك
واتهم رايك

ولقد لصحتك ان قبلت نصيحتي والنصح الفل مايباع ويوهب

قال تعالى : «ولكن لانهبون الناصحين» القول وحليى عطل، ونطقى خطل؛
مكره اخالك لا بطل ، واما ما ذكرت اخيرا فانى فيه تابع لك ولا مثالك من كبار
العلماء فماظهر فيه انه مصلحة للاسلام فانى مساعد عليه ولا ملام والسلام غبار
نعلك العبيد الجهول على بن عبد الله بن صالح جبر الله كسره ، وحل بفضل
من ايدى الغفلات اسره «امين

وقد كتب الاستاذ المحفوظ على ظهر هذه الرسالة كلاما اوردناه فى
المجموعة ، ولا طلاوة ادبية عليه حتى نسوقه هنا ، حيث لامجال هنا الا للادباء
والادبيات

رسالة اخرى له الى وانا بالحمراء اتلقى فى الجامع الیوسفى حوالى ١٣٤٠ هـ :

«ولدنا الذى نحب له التقدم على الاقران حتى تكون له فى احراز تراشوالده
يدان ، من هو المختار ، خار الله لى وله واختار عليك السلام من والد يجب ان
يراه ميرزا وان تكون لادوات السيادة محرزا ، واعيدك ان تشتغل بمالانتيجة
وراه وان تلقى العلم ظهريا ثم تحاول من المجد سماء ، فوالدك رحمه الله مع
ماهو فيه، لم يفرط فى العلم قط وذويه فاسلك مسلكه ان اردت ان تكون ولده
وهو جعل العلم النافع فى الدنيا والاخرة عضده ، وقد برقت منك بارقة
لعبادة ، ستكون عنك سبحانه ان لم تجتهد منجابه ، فماذا فقد من وجد العلم؟
وماذا وجد من فقد العلم؟ فالبطالة قد يجدها الشاب الفرير ذات حلاوة وطلاوة
ولكنها بعد انقضاء الصبا يجدها كسر اب بقية يحسبه الفلمان ماء حتى اذا
جاءه وجده كما وجد الفرس عند البعثة بحيرة ساوة ، فهذه نصيحتى لك احملها
للفقيه سيدى موسى بن الطيب الذى توجه الى مراکش ، ولا تنسنا من الدعاء
الصالح عند الرجال السبعة والسلام»

وقد كنت اجبته اذذاك فى شعبان عام ١٣٤٢ هـ بقصيدة كانت اذذاك
نالت من الاستحسان مانالت ، لما تشتمل عليه مما كان يستحسن من الادب
اذذاك، وربما ينظر اليها الالفيون امس بغير نظرى اليها اليوم، والناس اذواق
نصها :

اعاطى اكؤس السلوى نديمى	وبى ما بى من الوجد العظيم
وابدى فى منادمتيه انسى	بجنات وقلبي فى جعيم
وادمج فى الحديث انا سليم	وما يندى مرادى بالسليم
واكثر عن نبي الله موسى	لما لى معه فى لفظ الكليم
واجرى ذكر مكة فى حديثى	لما للقلب من معنى العظيم
اربه ان قلبى فى نعيم	وقلبى بالصباة فى اليم
واخبره بانى الخلو صدقا	ولكن من سوى الوجد الصميم

بجانب ملة يعلو رسومي
 تغاليله لانهش بالنسيم
 مرادى لعطف سوداء النسيم
 باخبار الفوارس من نسيم
 وما يعنى سوى ظبي الصريم
 بالطف من نسيم في ونسيم
 واين النجم من مرلى النجوم
 عديم في المجادة للنسيم
 يقى بغيهب العصر البهيم
 فزوه تزر عظيمها في عظيم
 بما يقنى عن الفيث العديم
 ويخلف كثرة برق النجوم
 كمشوب على الطود العظيم
 عظاما وهي في عظم رميم
 تضيف لباقل عبد الرحيم (٢)
 حلال السحر في ذاك التنظيم
 ويبهج بين جنات النعيم
 قويم الظل الا من قويم ؟
 شراك قد من ذاك الاديم
 اذا ما الغير يرضى بالنسيم
 وكم ربح تعالى بالمقيم
 مفلاة العواظل في التنظيم
 مبللة الزهور يد النسيم
 بلحظ الصب في الوجه الوسيم
 باطراف الحواجب غمز رميم

واظهر انسى جلد ، وغمز
 اشامه الدبور لكى الاثى
 واجرى وصف بيض الهند لكن
 احده وقصدي عين نجد
 ويذكر ليث خفان لساني
 ويتحفه عن اخلاق لطاف
 فيحبها لقيس وابن قيس (١)
 وكيف ولا تليق لغير فرد
 خضم العلم يزيد نور هدى
 ابي الحسن العظيم اسما وقبرا
 من اللاتين ان جادوا يجودوا
 تقى ابدأ بروق الوعد منهم
 وهم ما هم ذكاء في وقار
 فكهم احيت فرائحهم علوما
 اذا اقلامهم وشت نظيما
 فيشهد والنواظر شاهدات
 ويمرح سالم الاذواق فيه
 زكوا لما زكوا اصلا ، اينشا
 اذا نعم الاديم كذاك ياتي
 وما يرضون الا بساهتار
 علت بمقامهم رتب المعالي
 تغالى في حلى تلك السجايا
 سجايا بل رياض صافحتها
 فهن ارق من خجل تسارى
 والطف من مسارفة العذارى

* * *

على بعد المدى نصح العديم
 الى وصاة لقمان الحكيم
 لكنت بها على قدم عظيم
 على متن الصراط المستقيم

ابا حسن ومثلك من يوالى
 لقد اهدى الكتاب ، جزيت خيرا ،
 وصاة لو مشيت على سناها
 وصاة كنت لو انى عليها

(١) قيس بن عاصم المنقري الذي تخرج به الاحنف بن قيس في الحلم ،
 والشجم الاول لهت معروف
 (٢) عبد الرحيم : القاضي الفاضل وزير صلاح الدين ، واليه تسمي الطريقة
 الفاضلية في الادب

ولكن كيف - وا اسفا - ونفسى ، كما تدرون ، اشرف من عظيم
ولكن كيف - واعجزاه - دبسخ - وليس بنافع - حلم الاديبي (١)
هل انى - ولم القنط - لارجسو قريبا رحمة الله الرحيم
ايوز - لا ورب البيت - ما ليد اشا؟ والله ذو الفضل العظيم

رسالة اخرى منه الى ولده الاستاذ سيدى محمد بن على وهو ياخذ بالندسة
الادائية :

«من على بن عبد الله الى ولده محمد ، اصلحه الله واعانه ووفقه ، وفتح له
فتح العارفين بالله ، وسلام عليه ورحمة الله وبركته، وبعد فلا بأس والله الحمد
وبيد العامل ما تقضى به الضروريات ، هذا وقد انشأت للاح الاديبي سيدى
محمد بن الطاهر قصيدة عددها ١ بيتا يستلها فيها عظم نعمة الله عليه يشكرها
ومعلمها :

محمد نجل الطاهر بن محمد ووارث اسلاف امائل مجد

واجابنى بقصيدة فى عددها كلها غرر ودرر ، هذا وقد طلبت منه ان يكف
فكمك معشر طلبية اداى ، وان لا يبعث اليكم سرديات القصائد ، علما منى بعجزكم
عن مطالبتها وقد استشفعت اليه بوالده وقد علمتم ان شفاعتى عنده مقبولة
فوعده بذلك بشرط ضرب الاجل ستة اشهر ، حتى تحفظوا المقامات حفظ اتقان
فهينئذ تبعث سرايا ، والسلام

كف معنى ايها القارىء از اهدى الرسالة ، لترى كيف تبعث الهمم ،
وتستبسط القرائح وان هذه الحلبة السوسية ، تنتظر الى المقامات الحريرية بغير
العين التى تنظر اليها بها حلبة من المدرسين الكبار ، الذين ادركناهم فى الجامع
اليوسفى ، فعهدى بعضهم حين افتتحت مع بعض الطلبة المقامات فى هذا الجامع
عام ١٣٤٩ هـ قاموا وقعدوا ، وقالوا لقد اتى فلان شيئا ادا ، واركب امرا امرا
هين اهتبل بالكذب واليهتان الذى حشيت بهما المقامات ، وقد نص فلان فى
العيار للونشريس على انها لا تقرا فى الجوامع ، فاعتبر ايها القارىء وانا معك
من المتبرين

هذا وقد حدثت اخيرا على الاستاذ غربة صريحة ، لان اقرا انه كالوالد قد
توفوا عنه ، ففقد منهم اعضادا قوية ، ومعيشين حاضرين ولان كبار تلاميذه قد
انصل كل واحد منهم بمدرسة او بشغل شاغل من اسرته ، فلا يراهم الا فينة
بعد فينة ، وهو ذلك الاديبي الاربعى الذى نعلم منه انه اجتماعى لا يطيب له

(١) حلم الاديبي كنعب ، افسدته العجلة ، وهى الدودة التى تفسد الجلد قال :

فانك والكتاب الى على كدابة وقد حلم الاديبي

بالانفراد قلب ، وذو همة اعتادت الترفل دائما في كل ناحية ، فكيف يرتاح لسكون في عزلة او انفراد ، وحتى العجبة الاخيرة من تلاميذ الادباء قد تفرقوا شذر مذر ، واخرهم الاديب البوزاكارني الذي ترك بمقادرته الخ مقام الادب خاليا وثقره شاعرا فقدودعه الاستاذ بعدما كان زينة مجلسه في عقد حياته الاخيرة ، وفارس الادب الذي يقبل بالعجبة كما شاء ويدبره وقد اندفع ايضا هذا الاديب الى من لا يعرف قدره فادرسته حرفة الادب من كل جهة ، فلنقف هنا وقفة حتى نقرأ رسالتين تعاطياهما اواسط عام ١٣٤٦ هـ قبل وفاة الاستاذ بقليل فقد نجد لما ذكرناه من الغربة التي ذكرنا ان الاستاذ صار اليها مما يلاقيه ممن لا يعرف قدره من بعض المجاطيين ونظرائهم دليلا ناصعا على ذلك

كتب اليه الاديب البوزاكارني بما نصه :

«شيخنا شيخ الشيوخ ، المضاوى في تحقيقه وتدقيقه ابن فروخ ، رجل الاخيرة والدنيا قصوى كانت او دنيا ، سيدى وامامى ، الذى لا اسرى مسرى الا وانوار ارشاده محيطه بى من ورائى وامامى

نزلك حيثما اتجهت ركابى وتضيفك حيث كنت من البلاد
وما يهمت من يباء الا ومن جدواك راحلتى وزادى
من لاسميه مهابة واجلالا ، ولاحليه اكتفاء بشهرة صفاته فناهيك بها
صفات وخلالا :

فعرض اذا حدثت بالبان والحمى واياك ان تنسى فتذكر زينبا
ستكفيك عن ذاك الجمال اشارة فدعه مصونا بالجلال محجبا
اشر لي بوصف واحد من صفاتها تكن مثل من سمى وكنى ولقبا
سلام الله على تلك الحضرة ، التي لا يعدوها السرور والنصرة ، هذا وقد
وصل كريم كتابك - وجليل خطابك - مؤكدا على وصول كتاب القائدا ساعة القنوم
وقد وصله بحمد الله ، بمجرد وصول الحامل سيدى محمد قبل ان يرانى غير
انه كما قيل :

دخولك من باب الهوى ان اردته يسير ولكن الخروج عسير

ثم ، الله يعظم اجر سيدى فى مصابه ، بسيدى عبد الله بن احمد ويعسن
فيه عزاءه ، فقد علمنا والله ان كان لرجل صدق وامانة وقتوة ومروءة ، وكل
خلق حسن ، فالدلك عجل به - كلكم تموتون وانما يعجل بخياركم - وليتسمر
سيدى عنه بما امر صل الله عليه وسلم بالتعزى به ، اذ قال : «ليعز المؤمنين
فى مصائبهم المصيبة بى»

لكل اخي لكل عزاء واسوة اذا كان من اهل التقى فى محمد

ولولا انى تركت الشعر ترك السقب لغرسه ، والبرال لتريكنه (١) لقلت
فيه فانه لذلك اهل بيدائه لاطافة لنا اليوم الابالترحم عليه ؛ والاستغفار له ؛ فانه
يرحمه ويفر له ، مغفرة عرما فهو الغفور الرحيم
واما عميدكم فلم يزل يوالى الزفرات ، ويتابع العبرات ، على تلك الاوقات ؛
التي كلها مذكرات و منافع ؛

يا ليت شعري والدنيا مفرقة بين الرفاق وايام الورى دول
ابعد بعد تقول الدار جامعة ام هل تعود لنا ايامنا الاول ؟

* * *

ابعد بعد تقول الدار جامعة ؟ شملى بهم ام تقول البعد محتوما ؟
فها انذا ملقى فى زاوية الاهمال ، غير منظور الى لابعين الاجلال ولا بعين
الاذلال ، متبدا عن الناس ، سمير الهم والوسواس ؛ فلاراتب ولا جارى ، ولا انيس
ولا صديق ولا دار ، فالآن صرت غريبا حقا ؛

الفقر فى اوطاننا غربة والمال فى الغربة اوطان
فلا اسمع بطرو اخ اوصديق الا وددت لو لم القه ، لعجزى عن بره ، والله لقد
سئلى من قال :

الذوب حياء من زيارة صاحب اذا لم يساعدنى على بره الوفر
فلقد طرقتى سيدى محمد البعمرانى اذ طرقتى ، فلو مات احد من الحياء لمت
اذ لم يجد عندى الضوء فما فوفه ، والله للموت من بعض الحياء اهون ، فالى الله
وال سيدى المشتكى

شكوت وما الشكوى لمثل عادة ولكن تفيض الكاس عند امتلائها

ثم اعلم سيدى انى عاملت ذلك الرحوم بالله سيدى عبد الله بن احمد
معاملة اظنها مستفيضة هنا لكم ، وهى انى اعطيته خمسين ريبالا قراضا ثم انه
اشترى بها من الشعير خمسا وعشرين اوستا وعشرين بالمكيال الخميسى (٢) فهى
عنده معزولة فى بيت متدشهر قبل انتقالى ، ثم لما ازمعت على الانتقال ، كان اخر
امرى معه حين تفرقنا ان يتركها كذلك معزولة ، ويرصد بها الاسواق فمهما
ظهر من ربح غنمه ، ثم يرسل لى ماهولى والآن لما قضى الله عليه بما اراد احب
من سيدى استطلاع طلع ذلك من اهله ، هل اوصى او امر بشىء ، او علموا بذلك
ويعلم بما اجابوا به ويعمل بمقتضاه وايا ما كان فما عمله سيدى فى ذلك فعلى
الراس والعين ، وحكمك مسمطا ، فانت بصيرتى فى ذلك والحاكم وكيل الغياب
والسلام ، وعلى العهد وازدياد المحبة والدعاء بظهر الغيب

واعيد السلام على جميع الاولاد ، الامثل فالامثل وقد سرنا صنيع سيدى

(١) السقب كفلس : ولد الثناقة ساعة يولد . والغرس بالكسر : ما يخرج مع الولد
كالخطاط . والبرال : ولد النعام . والتريكة كالمسفينة : البيضة ان خرج منها القرخ
(٢) بمكيال سوق الخميس الوفقارية

المدنى أعانه الله على ما هو بصدده ، وأمله بدائم مدده ؛ وارك سيدى فى جميعهم
مايسرك ، واؤكد سيدى الطاهر على قراءة الالامية ايضا ، بتوجيه كل الهمة
فلامندوحة له عنها. فاكتر مايصحفه حالة سرده انما اتاه من عدم اتقانها كما
ينبغى ، فلا بد له من الصبر عليها حتى يتقنها ، فهناك يصح له السرد استللا
وفى اللأ . وعلى سيدى تنبيهه على ذلك بلاتراخ قلما ينتبه الا بتنبهه ولا يتوجه
لوجهة خير الابتوجيهه وفق الله الجميع . اوائل جمادى الأولى عام ١٣٤٦ هـ
ولدكم عبد الرحمان بن محمد الاحبال»

فاجابه الاستاذ :

أخى وصريعى ، ومريعى وسنيحى ، ابقاك الله مصون العرض والعرض ،
مفدى بالانفس والآباء من كل عاهة ومرض ، ومن الم كل حادث عرض ، مؤديا فى
ملة الفتوة والاخوة كل حق مستنون أو مفترض ، مجددا من معالم الدين ما ندرس
ومن رسومه ماعناه الجهل ودرس ، مقبوط الاحوال ، مخدوم الآمال ، قاربال ؛
قارالبال ؛ ذلك السيد السند ؛ والصدر الاوحد ؛ انيسى وجليسى ، وهزبرخيسى ،
وكاف كيسى ، ورئيسى وخندريسى ؛ من اذاغاب عن القالب فهو فى القلب حاضر ؛
لايخلفه فيه سواه ما بين باد وحاضر ؛ الغريب بين أهله ، والحائز خصل سبق
فى الكمالات على تؤدته ومهله ، الشريف العفيف ؛ والاحوذى السرى المنيف ، مولاي
عبد الرحمان ابن مولاي الشريف محمد :

نسب كان عليه من شمس الضحى فلقا ومن نور الصباح عمودا

السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الشدية ، والمكارم الندية
والسجايا المسكية ؛ ومن بها واليها ، وبعد فلا باس نسال الله لنا ولكم التوفيق
لما يرضى ، واللفظ الجميل فيما قضى ، والتيسير ليسرى ؛ والختم بالحنى ،
أمين أمين ، انه على ما يشاء قدير ؛ وبالإجابة جدير ؛ وقد وصل ذلك الكتاب
الحائز من اسرار البلاغة اوفى نصيب ، والرائع من هضاب الفصاحة فى كل مصرع
خصيب فقرح بشكواه ، وفرح بسلامة كاتبه وهذا اعز ما هو ، ووقفت على
تفصيله وجملة ومالم به من المراقمة بالمفارقة وأمله ، فحرك ما سكن . وغيب عن
الاهل والسكن ، واوقد نار الاشواق ؛ لحبوب التلاق ، والله عليم بذات الصدور
وقد تمثلت لما ذكرت فى كتابك انه لا مجالس ولا مجالس ، ولا جارى ولا راتب
ولا ماوى ، بقول من قال :

ارادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم

فليصير كل منا سيدى لسهام دهره ، وعوالى مكره ، فان محاله لا يبقى على حال ؛
ومحاول اوحاله على غارب الارتحال :

الدهر لا يلقى على حالة لكنه يلهل او يدبر
فان تلك بمكروهه فاصبر فان الدهر لا يصبر
ورحم الله البحتري اذ يقول :

تتكر العيش حتى ان اكدره ياتي نظاما وياتي صفوه لمعا
وانست من خطوب الدهر كثرتها فلست ارتاع من خطب اذا طلعا

واحوال المدرسة والاهل داخلا وخارجا بخير ماذا فقد من وجد الله ؟ وماذا وجد
من فقد الله ؟ غير ان رياض الادب تصوحت بعد انقشاع سحابتك المدرار ،
والقول شمس مشكاتك الزهار ، ورعى في مراتعها الهشيم ، واقلعت سحائب
الاجادة فما لمع برقها بعد ولاشيم

دوام حال من قضايا المحال واللفظ موجود على كل حال

وقد بدا من مربى نعمتنا فلان (١) ما يستقر به كل حاضر وباد ، ولا يرضى
به ادنى الاوغاد ، بله افضل العباد ، والعرق دساس :

واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شيء في طباعك ضده
والطبع املك ، قال حازم :

من يسمع الجفوة من خل ولم يقضب لها فانه كمن جفا
* * *

متى تسد معروفا الى غير اهله رجعت ولم تظفر بحمد ولا شكر
وقال حازم ايضا :

من صاحب الانسان في العسر كما صاحبه في يسره فقد وفى
ومن يفارقه اذا ما يسره فارقه فما وفى ولا رعى

وخير ما تمثل به فيما وقع من التباعد بينى وبينك ، واوجب على الرغم منى
بينك ، قول حازم :

يازنا جفا المتى من بعدما قد كان والى البر منه واحتلى
قد بلغ الحزام طبيبه وقد افترط حتى بلغ السيل الزبى
انابت يادهر المتى من بعدما ادنيتها فما عدا مما بدا
ياهل انى ان ابلغ الحظ الذى كم قلت فى تامله : ياهل انى؟

والسلام عليكم ورحمة الله

(١) يعنى الاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى وفى ترجمته تبين ما وقع

وشعر القراض على ما عهدت . وما ظهر للثانة المصلحة فيه فإخبر به ولدنا
محمدا يفتنه به بلا تراخ ، والخلق اذا فهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون ، ظهر الفساد في البر والبحر الآية ، والسلام على من انتهى اليكم او
اخوتكم او قرابتكم ، خصوصا الوالد الاتقى والخال الارقى ، سيدى احمد بن
ابراهيم ، واسال من الجميع صالح الادعية ، على بن عبد الله الاتقى .

تتف من قوافيها

واما شعره فهناك منه قصائد لطيفة، وقطعا منتقاة، مما نراه امامنا متراكما
ككتبان ييرين ، فمن ذلك ما قابل به وفدا افراييا ، فيه الاستاذان سيدى البشير
الناصرى وسيدى محمد بن الظاهر البكرى النسب :

له يوم خميس جادى بلقا	من كنت من بينهم قبل اللقاء لقي
حيوا فاحيوا نفوسا طالما قبرت	فاستاصل البعد من ارواحها الرمقا
وفى لى الدهر مد وافوا وجدد لى	من وشى برد التهانى كل ما خلقا
هم الكرام وابناء الكرام ومن	قاد الاله بهم للرشد من خلقا
قوم يروج بهم للعلم كاسده	والجهل يتزاح من انوارهم فرقا
ان عز قوم بمال جم او عدد	فانهم جمعوا الاوراق والورقا
ماكنت الفضيهم الحق الذى لهم	وان فرشت لهم من جفنى الخدقا
فمن يكافى وان جلت صنائعه	صنع البشير الذى بفضله سبقا
ومن يكافى ندى البكرى غير الاله	قد حياه من الاخلاق ما عبقا
منى عليهم سلام طاب مورده	ما اشتد بالبرق شوق كلما برقا

وقد ثارت اثر هذه المقطعة مقطعات اخرى ، وقصائد بعضها فى رويها ، وبعضها
على روى اخر على عادة الادباء الالفيين اذذاك حين يولعون بان يقول كل واحد
لقصيدته فى امثال هذه المحافل ، التى تحفل بادباء وافدين ، ثم يعجبهم الوافدون
ويكيلون كل صاع بصاع فكم شعور يعجز برذونا فطوفا ، وكم كهام مغلول
تراه فى يد بعض البلداء مسلوفا

وقال يخاطب الاستاذ سيدى الظاهر بن محمد حين زار العلامة سيدى
الحاج احمد الجشتيمى عام ١٣٢٧ هـ ثم مر بالغ :

شئت باخبار من احيا اذا ذكروا	مسامع القلب واعرفهم وان نكروا
واربع على ربهم وقل اذا سالوا	عن عبدهم : هام فيمن قبله اسروا
فاعجب تصب بمن شدوا الوثاق فلا	من لديهم ولا فداءهم ذكروا
كانهم مارعوا حق الوداد له	وحقه اعظم الحقوق لو قدروا
فما لهم مارثوا لحاله فعموا	ان الكرام لهم عفو اذا قدروا
وكلما اعولت نفسى اعلىها	بالوصل والعطف منهم بعدما هجروا

فهداهم من لجانة العصر قد قرروا
فمالهم لزموا باب اشتغالهم
رعاهم الله قد راعوا بينهم
قطرت دمعاً بلا عين فكان دما
جالت جند الهوى جهدى وحاربنى
كانوا منى القلب لكن زاده ولها
لله دهر تقضى كله غرر
وفوا فما شاب فود الوصل فيه ولا
منى عليهم، على متن الصبا، وعلى
وقد اجابه الاستاذ سيدى الطاهر بقوله :

هدى نجوم الدجى ام هذه درر
هدبها طبع مولانا الامام كما
لفظ كما افتر نعر الزهر قلده
في طيها كل معنى كاد يشربه
لا سحر الا الذى ضمت لطافتها
ما كنت احسب قبل ان اشاهدها

وقال مرحباً بالاستاذ سيدى محمد بن الطاهر الاقرانى ، وقد وفد عليه
ثالث شعبان عام ١٣٢٧ هـ :

اهلا بمن رحل العنا بنزوله
اهلا بوفد قل من اكرامه
اهلا بمن احيا القلوب قدومه
اهلا بمن اغنى ضياء علومه
اهلا بمن خرق العوائد فضله
اهلا بشهم جل وقت نضاله
شرفت عبدا بالزيارة لم يزل
ان الكمال جميعه لك منة
والله رب العرش يمنح كل ما
ويشيك السر العميم فتثنى
ياجل خير الخلق صل ربنا
فاجابه الاستاذ الضيف ، وقد غير اُثروى وان التزم البحر :

شعر زرى بالعقد حسن نظامه
فرحابه فلقد ازال الهم عن
ما الروض فى ازهاره ما الدر فى
الى اخر القطعة ، وهى من اوليات هذا الاستاذ الجليل حفظه الله .

وقال ايضا مرحبا بقاضى افا اليوم تلميذه سيدى الهاشمى الفاسى :

ياواردا عمت الدنيا مفاخره
وقاد مالم يزل فى القلب مسكنه
اهلا بمقدمك الزاهى وموردك الـ
لله طلعتك الغرا وسيرتك الـ
قدمت فى طلب العليا وانت لها
مهر الفضائل صبر انت باذله
والحلم ان ضيم يوما انت ناصره
سر هكذا قالعلا تدنى مقادتها
لازلت تنمو وتسمو للعلاء الى
منحك الود منحا لا اعتصار له
منى عليك سلام زان ناصره

وقال ايضا مرحبا بالعلامة الاستاذ محمد بن عبد العزيز ، كاتب آل كردوس
وهو ممن يخاف الله فيما يحكى عنه ، وذلك فى الاربعاء ١٧ رجب ١٣٤٦ هـ :

ياقادما فضله فى العلم والعمل
وسيدا عمت الدنيا صنائعه
وواردا جد مد ان كان شب الى
احييت بالوصل حيا قد نزلت به
ان ساد قوم بجمع المال والغول
لازلت ياخير طب ماهر فطن
يانجل عبد العزيز ياامام هدى
هجرت مالوف اوطان دعتك الى
فقابلتك القلوب بالرضا وبما
اصفينك الودفى الرحمن حين صفت
عليك منى سلام الله ماطلعت

قد كان اسير من طيف ومن مثل
انج فقربك اضحى غاية الامل
ان دب فى حفظ شمل الدين من خلل
نزول قطر بقطر سيم بالخلل
فانت سدت الودى بصالح العمل
تشفى برايك ما بالدين من علل
لم يرض مدشب ان يرعى مع الهمل
ما ليس يرضى به الرحمن من عمل
يعليك من طيبات الذكر عن زحل
منك الخواطر من غش ومن دخل
شمس وما غربت عن غارب الطفل

وقال رحمه الله يخاطبنى فى بعض وفاداتى على الخ من الحمراء اعوام ١٣٤٢ هـ

يحق على للمبشر انكم
يعين ان عاينت شخصك لى المنى
طلعت طلوع البدر فى حنوس الدجا
نزلت نزول الغيث فى وسط مجدب
فاهلا بمن احيا من الدين ما قضى
وسهلا بمن راض العلوم فاصبحت

قدمتم من الاحسان افضل ما خلج
وقلبى حاظ بالذى قبل قد ولع
الا فاعجبوا للبدر فى القرب قدطلع
فازهر روض العلم والفنل قد نبج
وشاد له ركنافضى الجهل ان خضع
اوابدهاما ان يقال لها (هدع) (١)

(١) هدع بكسر الهاء وفتح الدال ، كلمة يهدأ بها صغار الجمال

تليقبت في جمع الكمالات معرفها عن العرض الفاني وما هالك الهلع
فشمرو وجد السير ان الذي تريب سده ستشيم برقه بعد قد لمع
فلا شك أنت الوارث السر فاشكرال ساله الذي يحميك من كل ماقدع
فلا زلت يامختار في كل مايزيب من قدرك مختارا جماع العلاجمع
عليك سلام من قريب يحب ان يراك ونور الله فوقك قد سطع

وقال يعرض على تحسين الخط وشاع انه يخاطب بعض اولاده ، وانها له :

ان لم تكن كابين مقلة في الخط جد بابتن مقلة
وخط فسي الخد خطا اخدوده عين عقله
وارض بخرطة عجز فما لها عنك نقلة

وقال في ذلك ايضا ، وهو ماشاع ايضا انه له :

ان حسن الخط زين للفتى فهو نصف العلم من حيث اتى
جيد من ليس يجيد الخط في عطل هبه ابن ادريس الفتى (١)

وقد خاطبه سيدي محمد بن مسعود المبرى بقوله :

بيدي فخلت البدر في الافق ينجلي اذا هو بدر المجد والشرف الجلي
ابو حسن ماوى المكارم كلها ولا غرو في جمع المكارم في على
فمهما ذكرنا من خصال فضائل فليس لها الا ابو حسن على
فلو اطنب المداح في مدحه فما عسى يبلغ الاطناب من وصفه العلى
فاجابه بقوله :

لله درك من امام عادل ورت المكارم فاضلا عن فاضل
فقت الاوائل والاواخر والذي قرن الفضائل منكم بفواضل
لا تكب في ميدان تدريس وكن وقت اشتداد الجهل خير مناضل

وقال ايضا يجيب الاستاذ شيخنا سيدي محمد بن الطاهر عن قصيدة خاطبه بها :

وصالك هذا ام بدا صبح اسفار ووجهك ام شمس دعت نور ابصار
وعرفك هذا ام صبا قد تصافحت اناملها وهنا بروضة ازهار
وخلقك هذا ام خلوق تعطرت بارواجه لبات صقع واقطار
ونظم لثال في نهور خرائد ارى ام نظاما جاز رتبة اشعار
تلتق من روض البلاغة نورها ورقت به الالفاظ رقة اسحار
اذا احتست الاذواق كاس رحيقه سكرنا حللا ما رزنا باوزار
يقلد جيدي من فرائد لفظه باطواق مدح منتقى ذات اخطار

(١) يعنى الامام محمد بن ادريس الشافعى

وإني ورب البيت لولا اعتقاده
لما روضة جاد العهاد وهادها
وإبدت ونور الشمس قابل نورها
وتصبح في برد فثيب منق
وينشق منها كلما هب ريحها
ياحسن من شعر يعز علي أن
فاقسم بالفضل الذي حزت خصله
وبالادب الغض الذي كان بعض ما
وبالود مني قد منحت صميمه
لقد فقت يا ابن الأكرمين فما أرى
أسأل إله العرش حفظ مقامك الـ
بجاه أجل الخلق صل وسلم الـ

وحسن الرجا ما كنت أهلا لا كبار
وغنت بها الأطياف في ملك أشجار
جداولها كالآيم (١) في حين ادبار
وشته يد الوسمي وشيا بازهار
شدى العنبر الشحري فاح بمعطار
أرى رقبه في غير صفحة أفكارى
وبالشرف العد الشيد بإيثار
منحت وما أعطيت من رفح القدار
فما شيب حتى شبت يوما بأكدار
لفضلك ندا عند نزع لأشعار
سسمى من الأسواء طرا وأغيار
سأله عليه والأجلة انصاري

وقال الأستاذ أيضا فيما كتبه لطلبة مدرسته مع أجلة انصاري طلب ممن وفقه الله منهم
أن يقرب أحبارا إلى بنائين عند الأستاذ ، على عادة الطلبة مع أساتذتهم في
بلادنا عند المهمات والبادون كلهم عملة طلبتهم وعوامهم ، فكل يعك جلدته
بظفره ، فلا يستهجن الحاضرون إحلاس البيوت ، وإبناء الكلل وربيبوا الحمامات
حتى غدوا كما قال الشاعر :

خطرات النسيم تجرح خديسه ولمس الحرير يدمى بنانه

هذا الاستخدام ، فإن طلبة البادية من عاداتهم أن يقوموا بكل ضروريات
أساتذتهم ، حصادا وبنه وسفارة وغسل ثياب ليتمكن له أن يوالى لهم الدراسة
وهذا ما كتب به الأستاذ :

أريد من خير أخواني وصفوتهم حمل حجار غدت تضر بالعملة
لازال في صالحات السعى سعيكم ولا برحتم هداة جلة كملة
بجاه خير الورى صل إله على مقامه وعلى أصحابه الفضلة

وكتب إليهم أيضا بعد ما تموا احصاد مزروعاته :

جزى الله أخوان الصفاء بكل ما
واعظاهم من فضله الغمر كل ما
كفوني مئونات الحصاد وظللوا
وعند امتحان المرء يظهر فضله
الأهكدا الأيثار ، لا كالآلى تقيـ
كذلك تقوم السوق والناس بين من

يجازى به أحبابه وسط القبر
يجبونه بل فوقه دونما حصر
بأوجههم وجهى كفوا أزمة الدهر
أو النقص والرجحان في كفة الصبر
بوا عن صنيع قائد المرء للخير
يراج له والدالعين إلى الخسر

(١) الآيم مخفف الآيم بالتحديد : الأيمى

ولو لم نلعب بالكتابة جنة السـ مخلود تساوي الذهب فيها مع البر
عليكم سلام الله ياخير من سموا لتحصيل ما يولى الهنا ساعة العشر

وبعد فقد «ان لنا ان نكتفى من اثار قلم الاستاذ بهذه النماذج التي
سلفناها منها من كل ناحية ، فأتينا بنماذج مختلفة حتى يستفيد المؤرخ الذي
يقبل كل شيء ، وهذا كله كما يراه القارىء لا يخرج عن الاخوانيات ، ومن اراد
التوسع في كل مقاله الاستاذ أوجه فانه سيجده ان شاء الله في (جوف
الفر) فاننا ماعدونا هنا ان اتينا بطاقة صغيرة جدا من تلك الروضة الاربضة
ولكن لانحسب ان القارىء يرى ما كتبناه هنا حتى يعرف مقدرة الاستاذ ومقدار
براعة يراعه ، فالحمد لله الذي يسرنا لهذا اليوم ، ونسأله تعالى ان يسرنا
لائمام الكتاب جميعه غدا فيجد القارىء بين التراجيم الامداح الكثيرة التي يخاطب
بها ادباء الغ وما اليهم هذا الاستاذ الاديب الكبير

الأخذون عن الاستاذ

مر بنا فيما تقدم العلامة على بن عبدالله في اطوار شتى ، فرأينا اجتماعيا
والاصميا ومفتيا ومدرسا ورئيسا وواعظا ، وقد رايتما يشهد لكل هذه الاطوار
كثرة اصحابه وثبات مركزه في الرئاسة ، وشغوفه في المكانة الاجتماعية ،
وفناويه واحكامه التي تعج بها سلات الرسوم من كل القبائل المتاخمة للغ
المصحة كل الافصاح عن مكانته في الافتاء والقضاء ، وهذه التموجات التي
لا تزال الى الآن بين علماء جزولة هي من اثر تلاميذه الذين يتتابعون طبقا عن
طبق كما ان الترحم على الاستاذ الذي يعليه كل منصف عندما يذكر
الكرم أو البخل في الغ ، تحمل الناس على ان يرددوا اسم الاستاذ ، وأن
يجعلوه اخر الكرماء السعيديين - كما يقول الاخ احمد رحمه الله - وهذه كافية
غاية الكفاية في مقامه بين المصادر والوارد ، فقد ادى للمروءة حقها الواجب :

فعادوا فائتوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائق

ولكن استاذيته التي وصفناه بها ، وكانت الاصل الاصيل الذي تفرعت
عنه كل هذه الاخلاق الاخرى ، من اين نجد ما يشهد لنا بها الا في اثارها التي
لا تخفى في الدين يردون الى المدرسة الالقية عطاشا ، «وقد كرت اعناقهم ان
تقطع» ثم يصدرن عن مناهلها العذبة الصافية من بعد ما ارتووا علا بعد نهل
حتى ضربوا بعطن ، فكم راحل عن الغ «اب اليه قريبا حين ظهر له راي العين
الفرق بين الدراستين :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا الى مغناك والعود احمد

كنا ذكرنا في ترجمة صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله ان غالب من خلفهم
في المدرسة قد اخذوا ايضا عن هذا الاستاذ ، فها نحن اولاء سنذكر كل من علم

انه اخذ عنه وندخل فيهم من كانوا اخذوا قبل عن صنوه ان اخذوا عنه ايضا ،
ثم لاندكر الامن اشتهر منهم بعلم او تدريس او استبصار ، ثم ظهرت مكانته
في الرئاسة او مركز آخر ، واما من لم يحصل اولم يعرف بعد ذلك بشيء يرفع
مكانته مع الاستبصار فيما اخذ ، فاننا نتكبد ذكره ، ثم اننا نذكر كل من مر
بالمدرسة الالفية في عهده وان كان اخذ في غيرها ، قبل ان يلتحق بها ، او بعد
ان فارقها لانه على كل حال ممن اخذوا عنه ، وهذا هو شرطنا ، وعلى الله التكاليف
فلنتبعهم بالقبائل ، فنبدا بئال الاستاذ ، ثم بقهرهم من الالفين كلهم
ثم بكل من كان من مرابطينا من غير الالفين ، ونمزج الايفشانيين والوفقاريين
والتاكنزيين والنيفشيتيين بالمرايطين ، لامتزاج المساكن ، ثم بالايبيين ثم
الامانوزيين والكرسيبيين ثم التمليين ومن اليهم كالكثيرين ، ثم الرسموكيين
ثم السمليين ثم البعيليين وما اليهم كالتازروالتيين ثم المجاطيين ، ثم
الافرايين ثم الاخصاصيين ، ثم البوعمرانيين ومن اليهم كالساحليين ، ثم
الازاغاريين ثم التاغاجيحيين ثم التامانارتيين ومن اليهم كالاموكاديريين
والاقاويين ، ثم الساموكيين ، وهكذا نرتب ذكرهم الآن كما سترتب ايضا
ان شاء الله تراجمهم في محلها على حسب ما تيسر ، ومن كان من غير هذه
القبائل فسنبيته نصا :

الالفيون ومن اليهم :

- ١ - الاستاذ عبد الله بن محمد الالفى
- ٢ - صنوه عبدالرحمان بن محمد الالفى
- ٣ - صنوهما احمد بن محمد
- ٤ - الاستاذ محمد بن علي
- ٥ - الاستاذ المدنى بن علي
- ٦ - الاستاذ الطاهر بن علي
- ٧ - الاستاذ الحسن بن علي
- ٨ - سيدى صالح بن احمد
- ٩ - صنوه عبد الله بن احمد المرحوم
- ١٠ - النجيب المرحوم الحسين بن ابراهيم
- ١١ - النجيب محمد بن عبد الله بن محمد
- ١٢ - النجيب سيدى احمد بن محمد التاهالى
- ١٣ - الشيخ محمد بن عبد التاهالى
- ١٤ - السيد محمد بن الحاج بلقاسم
- ١٥ - العم سيدى ابراهيم بن احمد
- ١٦ - سيدى موسى بن الطيب
- ١٧ - صنوه المرحوم سيدى البشير

- ١٨ - الأستاذ سيدي عبد الله بن إبراهيم
 ١٩ - الأستاذ سيدي محمد بن احمد بن الحاج صالح
 ٢٠ - الأستاذ علي بن صالح الاوفقيري
 ٢١ - سيدي علي بن الحاج احمد التيفشيتي
 ٢٢ - سيدي الحسين بن بو بكر الاغوديدي
 ٢٣ - الأستاذ سيدي البشير صنوه
 ٢٤ - الأستاذ عبد الله بن مسعود التيبوتوي
 ٢٥ - صنوه سيدي احمد بن مسعود
 ٢٦ - الحاج مسعود الوقاوي الأستاذ الكبير
 ٢٧ - النوازي سيدي محمد بن مبارك الوقاوي
 ٢٨ - سيدي المحفوظ بن الهاشمي
 ٢٩ - سيدي احمد بن بوهوش التاويبي الايفشاني
 ٣٠ - الأستاذ سيدي احمد بن الحسن البناء الايفشاني
 ٣١ - صنوه سيدي محمد بن الحسن
 ٣٢ - سيدي محمد بن مبارك التاويبي الايفشاني
 ٣٣ - سيدي الحسن اخوه
 ٣٤ - سيدي الحسين بن صالح التاكنزي

الايسيون

- ٣٥ - الأستاذ سيدي المكي اليزيدي
 ٣٦ - سيدي الطيب اليزيدي
 ٣٧ - الأستاذ سيدي احمد بن محمد اليزيدي
 ٣٨ - سيدي محمد بن عابد اليزيدي الصغير
 ٣٩ - الأستاذ محمد بن الحاج احمد الأستاذ اليزيدي
 ٤٠ - سيدي محمد بن عابد اليزيدي
 ٤١ - سيدي محمد بن الحسن اليزيدي
 ٤٢ - سيدي الحسن بن عبد الرحمان الاعرج الايسي
 ٤٣ - سيدي محمد بن الحنفي الفيلال الحضيكي
 ٤٤ - صنوه سيدي الحسن بن الحنفي الحضيكي
 ٤٥ - سيدي الحسن بن البشير الحضيكي
 ٤٦ - سيدي المحفوظ التارصواطي

الامانوزيون والكرسيفيون ومن اليهم

- ٤٧ - سيدي محمد بن بومليك

- ٤٨ - سيدى محمد - فتحا - بن عبد السلام الكرسيلى
٤٩ - سيدى محمد بن عابد نسخت : اى النسخة

التيمليون

- ٥٠ - سيدى الحسين النانصيلتى
٥١ - الاديب سيدى محمد بن بلقاسم الاعسرى
٥٢ - بلقاسم الانامرى التيملى
٥٣ - سيدى محمد بن بلا الانيل
٥٤ - سيدى محمد السناتى
٥٥ - سيدى احمد بن بلقاسم
٥٦ - سيدى احمد بن محمد الدونمالاتى
٥٧ - الاديب سيدى محمد الكثرى
٥٨ - صنوه احمد

الرسموكيون

- ٥٩ - العلامة على بن الطاهر
٦٠ - اخوه عبد الوهاب
٦١ - الفقيه سيدى صالح الزعنونى
٦٢ - سيدى احمد بن محمد الزعنونى
٦٣ - الاستاذ ابراهيم التازيلالتى

السملايون

- ٦٤ - سيدى احمد الاعضياوى
٦٥ - الاديب محمد بن سعيد الاعضياوى
٦٦ - سيدى احمد بن محمد الورحماتى
٦٧ - الصالح سيدى احمد التازيماتى
٦٨ - الفقيه عبد الله المافاماتى
٦٩ - الحسن بن عبد الله
٧٠ - الفقيه سيدى محمد التيقى
٧١ - العابد محمد بن محمد من ايت الحاج
٧٢ - الفرضى سيدى الطيب بن محمد الكوسالى
٧٣ - سيدى عبد الله بن محمد الورحماتى
٧٤ - سيدى الحسين بن ابراهيم الاخصاصى

الباعليين

- ٧٥ - الاستاذ سيدى ابراهيم القاسمى
٧٦ - سيدى على الباعقىل القاسمى
٧٧ - الاديب سيدى احمد بن سعيد الاكمارى
٧٨ - السيد الحاج الاحسن الباعقىلى ثم البيضاوى
٧٩ - احمد بن صالح الايفيرموسى
٨٠ - النجيب سيدى ابراهيم بن الطيب
٨١ - الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد الخياطى

المجاطيون

- ٨٢ - الاستاذ الكبير بلقاسم التاجارمونتى
٨٣ - الاديب سيدى احمد بن محمد الاهريسي
٨٤ - سيدى جامع بن همو الازونيفى المجاطى الشهيد

الافرانيون

- ٨٥ - العلامة الشاعر سيدى الطاهر بن محمد
٨٦ - الاستاذ محمد بن الحاج الاديب الشهر
٨٧ - صنوه سيدى الحسن بن الحاج
٨٨ - الاستاذ احمد بن صالح من بنى على
٨٩ - سيدى احمد بن صالح الشكوكى
٩٠ - الاديب سيدى الطاهر الناصرى
٩١ - الاديب سيدى البشير صنوه
٩٢ - النجيب ابنه المهدي
٩٣ - سيدى محمد السلامى التاغونيتى
٩٤ - مولاي صالح التانكرتى
٩٥ - الفقيه سيدى الحسين التيمولائى
٩٦ - صنوه احمد بن محمد

الاخصاصيون

- ٩٧ - الاديب الكبير مولاي عبد الرحمان البوزكارنى
٩٨ - الفقيه سيدى الحسين التاطاروستى
٩٩ - سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم
١٠٠ - سيدى محمد السلامى المقدم التاكانتى

- ١٠١ - صنوه سيدى على
 ١٠٢ - سيدى محمد بن على اوبالوش
 ١٠٣ - صنوه سيدى عمر
 ١٠٤ - محمد بن ابراهيم اليمانوزى الاخصاصى
 ١٠٥ - سيدى محمد بن مبارك الاكيسلى
 ١٠٦ - الاستاذ والده سيدى مبارك

الباغمرانيون والساحليون

- ١٠٧ - القاضى سيدى محمد بن عبد الله اوبالوش
 ١٠٨ - سيدى الحسن اخوه
 ١٠٩ - سيدى عبد الله بن الحسين الموساكناولى
 ١١٠ - سيدى محمد بن الحسن الموساكناولى
 ١١١ - الاديب محمد بن الحسين بوكرع
 ١١٢ - سيدى محمد بويشوارين الساحلى
 ١١٣ - النقيب صنوه سيدى احمد

الازغاريون وما وراءهم

- ١١٤ - سيدى محمد المرسى العندرى
 ١١٥ - سيدى محمد بن محمد بن الحسن الماسى

التاغجيجيون

- ١١٦ - سيدى ادريس بن الحسن
 ١١٧ - سيدى محمد بن مبارك الموش
 ١١٨ - سيدى ابراهيم بن محمد
 ١١٩ - صنوه سيدى احمد بن محمد
 ١٢٠ - القائد الحاج احمد اضارضور

التا مانارتيون

- ١٢١ - سيدى اليزيد الغلاسى
 ١٢٢ - الحاج عبد الله اليزيدى
 ١٢٣ - سيدى الطيب اويهاو
 ١٢٤ - سيدى الحسين بن بلقاسم الايموكوديرى
 ١٢٥ - سيدى ابراهيم بن محمد العنترى
 ١٢٦ - سيدى سعيد بن على العنترى

الساموكنيون

- ١٢٨ - الاستاذ سيدي العربي الساموكني الشهر
١٢٩ - الفقيه محمد بن محمد بووازي
١٣٠ - سيدي الحسين بن احمد
١٣١ - سيدي محمد بن احمد الحافظ
١٣٢ - سيدي محمد بن الحاج عبد الرحمان

هؤلاء من امكن لنا ان نعرفهم اليوم ، ولا بد ان يفلت من احصائنا هذا بعض نجباء آخرين ، ولكننا في الغالب قد استقصينا غاية الاستقصاء لم ننتقلنا النجباء من غيرهم على شرطنا الذي ذكرناه ، فبقي بعد الانتحال في ايدينا بعد ذلك من رايته امامك الآن ، ولا شك ان النجابه تتمطط الى حيث يشاء الانسان ولكننا توسعنا فيها ، وادرجنا في ضمنها ما يقصد اليوم بالثقافة العلية ، فكل من يقدر ان يكتب ما في ضميره باحسن عبارة ، ويتلو ما كتبه غيره اقوم تلاوة وان لم يكن ذلك المتفوق الزاخر ، فانه لاشك نجيب مثقف ، وهذا ما جعلناه محور هؤلاء الذين انتخبناهم من مئات سواهم ، فادناهم من يقدر ان يعبر عما في ضميره باللغة العربية كتابة ونطقا بغير لحن كثير ، وقد اشرف على الفنون التي اخذها وكانت له يد متمكنة في بعضها . واما المتفوقون فهم الفطاحل العلماء الاجلة وهم في هؤلاء نحو الثلث ، وسترى ان شاء الله وتمم مرادنا في ترجمة كل مقدار خطواته في الميدان ، فانتظر فانا معك منتظرون ومن اقلتوا من هذه القائمة ثم عرفناهم بعد اليوم ، فسنبصيفهم الى اخوانهم يوم نصل الباب الذي يترجم فيه لكل واحد واحد والله الموفق

الآن ايها القارىء ادركت بلاشك مقدار استاذية صاحب الترجمة فقد برهن لك ماتراه امامك من المتخرجين تحت يده عن تلك الكائنة السامية التي تنزلها استاذيته ، وتجول فيها تربيته ؛ على أنك لا تدرك ذلك غاية الادراك حتى تضع ان شاء الله بين عينيك حياة كل واحد من هؤلاء ، فتكون اذن على حق اليقين فيما كنت فيه اليوم على علم اليقين (واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تعني الموتى ، قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)

أيام الاستاذ الاخيرة

كان للاستاذ تلك الحضوة العظيمة في علمه وفي رئاسته وفي قضائه في كل ماتمسه يده ، فكان في مقام يغبط فيه ، وفي منزلة تتطادونها الهامات وقد انشر له من التلاميذ من نشروا من محاسنه ومن مفاخره ماترك ذكره كالكباه

الفائح في كل أرجاء سوس ، يشقه القريب والبعيد ، ويقر بمقامه العظيم
مكاسره ومكاشره خلفا وفضلا وعلما وأدبا ؛ وإشادة للحق وهذا للبطل ؛ وحكما
مسمطا في النوازل وغيره تنافح عن جزولة مع المكافحين منافحة الأساد دون
أخياسها ، وهو رحمه الله يتزايد في هذه الخصال التي كلها بمائدة ممدودة
وسماط مايفلق دونه الباب ولا يسأل دونه عن السواد المقبل ، فقد سمعت أبا
أحمد رحمه الله ، وكان ممن يعجب بصاحب الترجمة ، فكان هو على الحقيقة من
أراني عنه ماكنت أجهله في تلك الشهور التي قضيتها معه اثر نفسي من العجرا
قبل أن يلتحق بربه فلذكرني بعض ماكادت تنسينيه هذه السنوات العشر التي
قضيتها منذ غادرت الخ للاخذ منذ عام ١٣٢٦ هـ فكان يقول عنه رحمه الله
معا : ان الأستاذ هو آخر من يتقبل في الخ أي ضيف جاء ولايكاد يعيب بابه
دون أي احدهاء ثم انطوت هذه الخلة بعده حتى لم يبق لنا شيء في الخ كسرم
لاحقيقة ولا مجازا ، وهذه الشهادة من الاخ تتضمن زيادة على الإشادة بالحق
لاهله انصافا اعتاده انا من الاخ ، فقد عرف كل الناس ان غالب الاقارب الذين
لايعلمون في المعتاد ان يكونوا بينهم كالعقارب ، فلما يشهد بعضهم لبعض شهادة
مثل هذه ، ولكن نحائز الالفين التي حافظ فيها الابناء على ماعوده الآباء لا تزال
مسترسلة - كما ترى - بعد ماضى زمن كادت فيه الخ تاتي عليها فعلة سماوية
ادت باحد اولاد المترجم فجيلت وراءها جولة غير محمودة ، ثم وقى الله الغرهما
فالتامت القلوب وانطفأت الحزازات ، وتركت تلك الفظيعة وكل ما جرته ملاحس
البقر اولادها ؛ فبعد ان رزى الأستاذ بفضة كبده ؛ وبعد أن جودت العبال
فترة من الزمان مع اناس من بينهم الاخ احمد ومن اليه ، غلبت طباع التسامح
حتى رايته يشيد بالاستاذ ، وحتى رمى الاستاذ نفسه كل عقابيل تلك الجريرة
دبراذنه ، فعاد الالفيون ثانيا وقد نزع من قلوبهم الغل ، فيجلسون على سرد
متقابلين فهذا هو الاستاذ الكريم الذي لا تخلو داره من علماء يزيديين أو افرائيين
أو صحراويين أو سماليين أو اخصاصيين أو بعقلين أو تمليين أو صوابيين
أو تامانارتيين ، ولايكاد يودع وقد منهم حتى يتلقى وقداء اخر ومن اريحته
ان يتلقى الناقلين بقصيدة ، ثم يودعهم باخرى ، كما يربي على ذلك تلاميذه
ليتمرنوا على الانشاء ، وعلى الاخذ والرد في ميادين الادباء وخصوصا ان جاء
الوفد الافرائي الذي يتركب غالبا من الاستاذ شيخنا الطاهر بن محمد ، ومن
الاستاذ العربي قبل أن يتوفى عام ١٣٢٩ ومن الاستاذ البشير بن المدني الناصري
وصنوه الاديب الطاهر بن المدني ، قبل ان يتوفى عام ١٣٢٦ هـ ومن الاستاذ
الافرائي أحمد بن صالح زيادة على من يفعلون عنده غالبا كالفقيه المكي اليزيدي
والفقيه الحاج أحمد بن محمد اليزيدي وأخيه عبد الرحمن والفقيه أو الشلح الايسى
والنوازي الحاج أحمد من آل بريك الوفقوى ، وربما كان معهم الاستاذ شيخنا
محمد بن الطاهر النايفة الجديد في الادب اذذاك ، والعلامة أبو زيد البوزاكارني
شيخنا الكبير ، والاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدي ، والاديب محمد بابه

الصحراوي ، فيسابقون جميعا في القصائد ثم تأتي حلبة اخرى من الالفين
 كالاستاذ عبد الله بن محمد والاديبين ابني الاستاذ المترجم : محمد وصنوه
 الثابتة المدني ، والاستاذين عبدالله بن مسعود التيبوتي وعبد الله بن ابراهيم
 الالفى وادباء المدرسة الالفية ، فتتلاطم امواج القريض في دار الاستاذ وفي
 دار الالفين ، وفي دار الوالد حين كان لا يزال حيا الى مختتم عام ١٣٢٨ هـ
 فترى الاستاذ صاحب الترجمة بين ذلك المحفل هو الذي يسبق ويتقدم الى
 الصدارة ، بعد ان توفي الوالد لان الوالد كعاد يتصدر وحده ، لسنه
 ولكائه ولكون الجميع اخذوا عنه ، ومن بعد وفاته كان الاستاذ منفردا بتلك
 الصدارة بجدارة واستحقاق ، ويتصدر على الكل لان هؤلاء كلهم من تلاميذه
 وفي كتابنا (جوف الفرا) ترى غالب هذه القصائد التي
 تستغرق عشرات فعشرات من الصفحات مما لم يمكن لنا كتبه في هذا الكتاب
 هذه كلها خلال الاستاذ التي صاحبته الى اخر حياته ، التي ابتلى فيها
 بتلك الرئاسة التي صار يتململ منها اخيرا ، وقد عاين بعين البصيرة تلاعب
 الناس بالدين ، وخلو نفوسهم من الفيرة عليه ، وفساد النيات واختلال الاحوال
 ونكائر الاحوال والمرء لا يخرج من شديد منها الا الى ما هو اشد ، فعزم عزمنا
 الكيدا ان ينزوي في داره وأن يطلق هذه المجامع وكأنه شاهد الصخرة قد
 ندهرجت من فنة راس الجبل في منحدرها وقد شاهد كيف ذلك المنحدر فايقن
 ان الصخرة لايردها راد حتى تصل الى قعر الوادي ، هذا ما كان خطر له يوما
 رحمه الله ، ولكن الاعاصير لم تدره في انزوائه فهبت عليه مرة اخرى عاصفة من
 عواصف تلك الايام المقلقة بين اعاصير الكفاح ، كان ابتداءت من بني عمران
 فحرفت كل امامها فكان الاستاذ مما جرفته مرغما فلاقت الحملة ملاقت في
 قبيلة ايت عبلا وقد وقفها الزكريون ، وهم الذين كانوا سبب هذا الزحف لامور
 كثيرة ذكرناها في غير هذا المحل ثم لم تلبث هذه العاصفة ان تضالمت تضالولا
 مخجلا كساكل من كان فيها حياء فيما بينه وبين نفسه ، فضلا عن وسط الرامقين
 وقد ظهرت السرائر واقتضح المرايون وظهر ان لاغيرة ولايمان ، ولاقصد حسنا
 وان كل ذلك انما هو من اجل دراهم معدودة يتوصل بها بعض المفرضين كالقائد
 المدني وامثاله ، ثم لم يرزوا الزكريين قلامة ظفر ، ولا وطاومهم كما زعموا فقال
 الاستاذ : واأسفا على نقض عزيمتي وعلى ان راجعت هذا الهرج من جديد فرجع
 من ذلك الزحف الذي كان بعد عام ١٣٤٣ هـ ثم لم تلبث طلائع مسغبة - ١٣٤٥ هـ
 ١٣٤٦ هـ ان طلعت على اهل هذه الجهة ، فعركت الناس عركا ولاقوا منها عرق
 القرية ، وقد نال الاستاذ منها بعض جهد لكثرة عياله ، وكثرة اضيافه ولعظم
 نفقات مجده - ومعلوم ما للمجد من نفقات باهظة - وقد خلت الاهراميون نفدت
 الدخائر ، واعوز المعينون ، وقد اصيب الاستاذ عام ١٣٣٧ هـ بخروج املاك ايشت
 من يده وهي التي كانت تملده بثمر كثير ، وغلل اخرى غير قليلة ، فاضطر في
 هذه المسغبة ان يشتري من الحبوب مثل الناس ما يزيد الى مدخر عنده لا يزال

موجودا ، ولكنه قليل ، والاحتياط دائما كان من حزم أمثال الاستاذين الالفين
 اخبرني الاخ احمد قال : حرت الناس عام ١٣٤٦ هـ فكان الاستاذ نغير
 المزارع الجيدة فاقتصر عليها ولم يتجاوزها الى الارض الهشة فنزل مطر قليل
 فلم يقد الا الاراضي الهشة ، فصار الاستاذ في مقيم مقعد ، فاجتمعت معه في دار
 انسان فجالت اطراف كلامه حول هذه السنة الشهباء ، حتى ظهر لنا تأثيره
 فقال : ماذا يلاقى الالفيون من هذه السنة العجفاء ؟ ثم قال : ان يريدون ان نستهم
 لننظر من هو المنحوس فينا ؟ قال ذلك تواضعا وهضما للنفس - ثم قال : ولكن
 واحياءه ، ربما يقع السهم على جانبي وما يدريني ؟ افلا اخاف ان اكون مثل
 يونس ، حين ساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهم مليم ؟ فصارت
 عبراته تنتشر على لحيته البيضاء الطويلة ، وقد خنقته العبرة - وكان ذلكم
 يؤثر غاية التأثير - ثم صار يقول : ان الحوادث قد وعظتنا مرات فما اعطتنا
 وجاءتنا المثالات تترى فما ارعويها وزلزلتنا التدر ونحن في اعمالنا القبيحة
 سادرون ، قال الاخ : فحصلت لنا منه رحمة الله موعظة اثرت فينا غاية التأثير
 ثم خرجنا فامالنا الى داره ، فمد سماطا يزخر سمنا وعسلا وملتوت لوز ولحما
 مزعفرا ، ثم ما فارقتنا حتى اضحكنا بكرمه بعدما ابكنا بمواعظه قلل الاخ : كذلك
 كان الاستاذ اذا اطلق وعظه كثيرا ما يهضم نفسه ، ويتعظ بكلامه قبل ان يتعظ
 به الناس ، حتى انه في مثل ذلك الموقف ليصرح عن نفسه بما لا يقدر اي انسان
 اخر ان يصرح به عن نفسه انصافا منه وتواضعا

الاستاذ يلفظ نفسه الاخيرة

ذلك هو الاستاذ وهذه مجالسه وهذا هو كرمه الحق حتى في المسابغ
 وتلك همته التي تستحوذ على جليسه ، حتى يبقى دائما لهجا به في كل حين
 كذاكري مستطرفة بين المتسامرين

مر عام ١٣٤٦ هـ ودخل العام الذي بعده وقد ارتاش الناس ، وضمت المسغبة
 المشهورة اذذاك اذيائها ، ففي يوم عاشوراء من العام الجديد اجتمع الناس صباحا
 على العادة ؛ فقام فيهم الاستاذ خطيبا ، فبشر وانذر ووالى المواعظ المبكية ثم حمل
 على الحاضرين في سكوتهم على العادات المستهجنة التي ترتكب ليلة ذلك العيد
 من مناداة الذئب والثعلب ، ومن اجتماعات تكتظ بالرجال والنساء في الملاعب
 ثم قال : ماذا صنع لنا الذئب والثعلب ؟ وهل هما اللذان اخرجانا عن الصراط
 المستقيم وهل هما اللذان ساقا محارمنا وشبابنا حتى خلطوا بينهم في الملعب ؟
 فمالنا ايها الناس لانعتبر ؟ ومالنا لانقف فيما بيننا وبين انفسنا حتى نصرف
 من اين اتينا ؟ فياللمصائب ويا للرزية ، فقد صبت علينا الكوارث من كل
 جانب ، بسبب اجترحاتنا الكثيرة واغراقنا في الذنوب التي تسدر في غلوائها

غير مبالين ، فصار رحمه الله يعطى على هذا المنوال في كلام كهذا ، وعبراته تنهل
 إلى لحيته البيضاء وزفراته متوالية في وجوه الحاضرين ، حتى غلب على نفسه
 ولم يمكن له بعد أن يجلس بين الناس تأثرا وتدفق عبرات ، فانصرف من غير أن
 يدعو للناس على العادة فترك كل من حضرين ذى قلب ذائب وذى نفس متطابرة
 فبقى له ذلك الموقف يذكر كلما عن ذكر الاستاذ ومواقفه في الوعظ، فيفهم
 عليه المحدثون سجلا من الشناء :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثنا حسنا لمن وعى

طرقه مرضه في ربيع الاول ، فكان ربما يخف عنه وربما يجهده وقد
 كان ولده الاستاذ سيدى المدنى اذذاك فى المدرسة يتولى الدراسة فيها ، قال
 الاستاذ سيدى الطاهر : فقال لى ابى يوم السبت اليوم الاخير من ربيع الاول:
 الا تزالون فى موالاة الدروس ؟ اتركوا ما انتم فيه ، وافرغوا لى حتى تودعوني
 هكذا بهذا اللفظ يقول ذلك بكل تثبت ورباطة جاش وهمته هي هي فى كل شيء
 حتى ان وجد بعض قوة يوم الاربعاء الرابع من ربيع الثانى ، فزار ضيعته بتالات
 نيت عيس ثم جمع اليه اولاده كلهم قال الاستاذ الطاهر: فصار يوصينا ويقول:
 ان المدنى للمدرسة وان محمدا والحبيب لادارة شؤون الاسرة ، والآخرى
 يواظبون على دراستهم ، قال : ثم حثنا على ملاينة الناس والتخلق لهم بالخلق
 الحسن ، وقال : لاتطمعوا ان تكونوا والناس كما كنت انا واياهم فانا فى عصر
 وفى ناس وانتم فى عصر اخر وفى ناس اخرين ، قال : ثم حثنا على المتابعة
 وان لانزبل الستر عن دارنا ، فقال : ان قدر الله ان تقسموا ما بآيديكم فلا يطلعن
 احد على ما عندكم ، ولا تتجاوزوا سيدى الطاهر الافرانى وحده ، ثم تقاطرت
 الوفود من كل جهة حين سمعوا بمرض الاستاذ ، فحضر الاستاذ سيدى الطاهر
 الافرانى والرئيس أحمد بن ابراهيم الايفشانى وسيدى سعيد الاعضياوى
 والعلماء والرؤساء القرييون من البلد ، ثم فى عشية الخميس ازداد مرضه وفى
 يوم الجمعة دخل عليه الزائرون والطلبة فاستداروا به وقد اشتد عليه ما يجده
 ففتح سيدى الطاهر صورة يس ، فما ختموها حتى ختمت حياة الاستاذ ، فسكت
 غالب من حضر عن اتمام السجدة وقد خنقهم البكاء ، ولكن المتجلدين صابروا
 حتى اتموها

هكذا انقضت حياة هذا العالم الجليل ، وهكذا طويت صفحة هذا الاستاذ
 العلامة الاديب المفتى القاضى المدرس الرئيس الكريم طيا لانتشار له فى هذا العالم
 وذلك فى بهرة حلقة هؤلاء العلماء والطلبة الذين امضى معهم كل عمره ، ثم هيس
 لسفرته الاخيرة ، فصلى عليه شيخنا الافرانى فى نحو سبعمئة من جيران الخ
 فدفن الى جانب ابيه واخيه الاستاذ سيدى محمد فى وسط القبة التى تتداعى
 اركانها كان تداعيا من هبة هؤلاء الاساتذة العظام ، الذين لاتسع لعصراتهم
 اركانها

عظمت المصيبة بموت الاستاذ ، ورزى أهله وتلاميذه منه برز ، ولعل عليهم
بفجيعته الهائلة قال ابنه سيدى محمد بن على : فمرت شهور ولم تظهر مراثية
له كأن الغ الادبية غير الخ بل كأن الارض بدلت غير الارض او كأن الوفاء الذى
تدل عليه المراثى عاد بلقعايبا ينشق فيه اليوم ، فنبهت الاستاذ الاديب الطاهر
الافرانى بلبل الشعر الصداح ، وصدى الادب الذى لا يكاد يفرغ من قصيدة
الغية ، حتى تفتتح أخرى ، فقلت له ماهذا السكوت ؟ وهل يمضى الاستاذ الوالد
بلامرثية ؟ قال فاجابنى بأن مايقال له فى هذا الموضوع يقال لكل اديب الفسى
ثم كان ذلك سبب على أن القى الاستاذ الافرانى هذه القصيدة الرائية الآلية كما
قال ايضا فى الموضوع الاديب الكثيرى ، ثم بعد ذلك ففاهما قاضى القا سيدى محمد
الهاشمى الفاسى بقطعتين هذا كل ماكان حظ هذا الاستاذ من المراثى ، مع انه
كان يليق ان تتبعه عشرات من قصائد طنانة الغية ، ولكن تابتى حرفة الادب الا
أن تدرك صاحبها فى الحياة ان لم تجد منعة من همة فولاذية كهمة الاستاذ ، او
بعد الوفاة وقد انطوت تلك الهمة انجازة وقل الوافون وكثرت الاعتذارات
الواهية البازدة ، قال الاستاذ الافرانى :

امن حادث بكر جرى منه ما جرى جرى دمك القانى ففرح محجرا
فبت بليل نابغى مسامرا كواكب عاقتها الدجا ان تسيرا
وضافك هم طارق نحر الاسى له كيدا جرى وقلبا تظفرا
وجاشت نكايات الزمان فلم تجد لصبرى عزما ايذا فتكسرا
وخانك ماعدوت من جلد سوى مدامع تهى او زفيرا تسعرا
ولا مسعد الا فؤاد موله تحير لايدرى اماما ولا ورا
نعم تار ليث الدهر يفترس الالى هم زينة الدنيا وهم صفوة الورى
هم الفيت فى محل هم الاسد فى الوغى

هم القوث فى أزل هم الشهب فى السرى
فذكرنى بيتا لحسان حاج من
«رايت خيار المومنين تساردوا
شعوب وقد خلقت فيمن تاخرا»
الم تر ما غال العقول وارمض النـ
سفوس ، واقلدى كل عين واسهرا
مصاب ينسى كل صاب مرارة
ورزء اهان المرزيات وحقرا
وفاة امام الدين والعلم الذى
به يهتدى باغى الهدى حيثما سرى
ابى الحسن القرم الرضا خير من اذا
بانواره افق العلوم ونورا
خضم يامواج المعارف يرتقى
وروض بازهار المعارف نورا

(١) عدياه : قصاراه وهو بالتصغير

همام له في المجد همة سيد
 كريم له عند الكسارم هشة
 يفيض بانواع المعارف والندى
 على بابه في كل يوم تزاحم
 ومن علمه او كفه يقبس الغنى
 لكم من عم في مهمة الغنى حائر
 وكم طالب يبغي المعارف امة
 هو الشيخ كل العصر معترف له
 هو الشمس انى كنت شممت ضياءه
 هو البحر من اى النواحي اتيته
 هو البدر اشراقا هو الدهر همة
 هو الملجأ الاحمى هو الناقع الظما
 هو الصارم السلول ان حال اوسطا
 غدا ذكره اسرى من الشهب والصابا
 فكم طرقت اخباره سمع راغب
 لقد افعم الارحاء اضواء بره
 فمن ظن ان العصر ضم نظيره
 فقل لحسود ظل ينكر فضله
 وللمدعى هيات ويك افى الندى
 تجمع فيه كل فضل مفرق
 فكم مجتد اجدى وكم حائر هدى
 وكم موقف ضنك لدى حومة الوغى
 وحممت الجرد الجياد وضرجت
 وجالدت الابطال واشتجر القنا
 وضمنت بصوت المرعدات سامع
 وسيئت ظنون واصطككن فرائص

يصير اذا ما اورد الامر اصدرا (١)
 كما شممت برقا في الغمامة امطرا
 على كل عاف راتحا او مبكرا
 كما يمم الحجاج جمعا ومشعرا
 عن الزريين الجهل والفقر من عرا
 رأى سره البادى السنا فتبصرا
 فاصدره عن علمه متبعرا
 بمن سواء من تربى ومن قسرا
 بغير حجاب منجدا ام مقورا
 انالك دوا دون من وجوهرا
 هو البحر معروفاهوالليث مجترى
 هو العلم الاسمى لمن ضل فى عرا
 لدى الحرب ابصرت الهزبرالفضفرا
 ومن مثل والليل والظيف فى الكرى
 فجأ فرأى من لم يخله فكبرا (٢)
 وعطر ربا علمه المدن والقرى
 فقد ظن اخت الشمس خاب من افترى
 اذا كنت ذاعينين فانظر لكى ترى
 تجاربه ام فى العلم؟ فارعو واقصرا
 على غيره كالصيد ضمنه الفرا
 وكم جائر اردى وكم مفتر فرى
 وقد صار فيه اليوم ادكن اغبرا
 دماء الى ان تحسب الجون اشقرا
 وظن الجبان اليوم يوما مقورا
 وافحم بالدعر اللسان فبربرا
 ودارت عيون خيفة وتحيرا

(١) قال النابغة الجعدي :

ولاخير فى جهل اذا لم يكن له
 ولاخير فى حلم اذا لم تكن له
 حلیم اذا ما اورد الناس اصدرا
 بواذر تحمى صفوه ان يكدرها

(٢) هذا ينظر الى قول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت

منها الشمسوس وليس فيها المشرق

وقارعت البيض الذكور وعقدت
 فلا تبصر العينان الامضرجا
 جلا فيه كرب الدين لله دمه
 له وثبات ، او ثبات كأنما
 يرى الكفر ان العز بالله لا بما
 وان جموع الكافرين وان طفت
 فيبض وجه الدين بالجد ناصرا
 وقاتل اعداء الهدى بشهامة
 وجاهدهم في الله حق جهاده
 الى ان دعاه الله بالفوز والرضا
 فخلف صينا طائرا ومفاخرا
 على الجوا اطراف السنايك عشرا (١)
 جريحا والا مستميتا معسرا
 بصادق باس لا يعجل التأخرا
 يعاطى لدى الهيجا مدا ما معسرا
 يلقيه الجهال جندا وعسرا
 سترجع عند العزم جمعا مكسرا
 عصابة حزب الله نصرنا مؤزرا (٢)
 اذاقت مرارات الردى من تنصرا
 فاجب رضوان واجرا مؤفرا (٣)
 قلباه مسرورا بما كان احصرا
 مدى الدهر تستدعي الثناء المعصرا

(١) البيض بفتح ابناء : جمع بيضة وهي المغفر ، والذكور السيوف قال المهلهل
 فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تفرع بالذكور
 والشطر الثاني ينظر الى قول المتنبي :

عقدت سنايكها عليه عشيرا فلو ابتغت عنقا عليه لامكنا
 (٢) ينظر هذا الفصل من هذه القصيدة الى ما جاء في قصيدة لابراهيم السكتاني
 السوسي في الامير محمد العالم ابن الملك مولاي اسماعيل

واعظم مقدام اذا اشتجر القنا
 به يتقى في مععان الوطيس ان
 وقد قامت الهيجا حق قيامها
 وقد صابر الشجعان حتى لوى بهم
 وقد فلت الاسياف واندقت القنا
 وجف من اوساط الحلوق لعابها
 وقد قام ميزان الهزيمة فانشى
 هنالك مولانا يضى جبينه
 يقاوم فردا ثابت الجأش مقدا
 يشايعه العزم الوطيد وقائم
 الى ان يرد الجيش اديارهم وقد
 والجميع مستقى من قول المتنبي:

وقفت وما في الموت شك لواقف
 تمر بك الابطال كلمى هزيمة
 كأنك في جفن الردى وهو نائم
 ووجهك وضاح وتضرك باسم

(٣) حكى لي القائد الناجم ان ميتا من المسلمين سقط في نحر العدو في واقعة
 ولم يقدر احد أن يتقدم ليأتي بشلوه الا الفقيه سيدي علي بن عبد الله . فقد
 غامر بلا مبالاة حتى أتى به ورجع والرصاص يتطاير حواليه .

يعدونها شيزى وقعبا مقورا (١)
 تفيض ووجدا لايزال مسعرا
 وتسليم امر كان حتما مسطرا
 مبرا ما يخفى وما كان اظهرا
 وان كان يكيه بكاء مزورا
 جرى دمعا احوى ودمعى احمر
 شمائله الازهار طيبا ومخبرا
 ابوه الذى يحميه ان يتهورا
 وخابط ليل جائعا متحيرا
 ببرهان صدق بادها او مفكرا
 يقلده من فيه عقدا مجوهر
 اذا قام فيه مغريا ومحلدا
 من ادايه او مائه متخيرا
 عن الظلم كما يردع المتكبرا
 وللبشر والترحيب بالضيف ان ظرا
 اضيف له معنى فحاز التصدرا
 حووا منه بالقربى وبالقرب مفخرا
 بنوه فمعجز الحر ان يتفجرا
 يكن حظكم فى الصبر ادنى واقصرا
 اذا جل رؤه كان بالصبر اجدرا
 تقيه اذا ابدى الزمان التكبيرا
 ملئ كل حى ان يموت فيقبرا
 كريم وزار المصطفى المتخيرا ؟
 عليم ينجيه من الموت مادرى
 الم يستبح كسرى الملوك وقيصرا ؟
 تصدى ليحيا حين عفر جعفرا ؟
 يلازمه حتى يوافى محشرا
 وان عاش احقبا ولكن ليعبرا
 ولم يحل فيها العيش الا تمردا
 اذا هو بالزهد ارتدى وتازدا
 لزداد معاد فاتقى وتبردا
 تسر اذا لاقى تكبرا ومنكرا

الا انها تلك المكارم لا الالى
 واعقبنا حزنا يزيد وعسيرة
 ولكننا نلقى المقادير بالرضا
 مفي شيخنا الحامى الدمار مطهرا
 سابقه ما ناح الحمام هديله
 وتندبه عين اليراع موى وان
 وتبكيه عين المزن فى الروض اذحت
 وانى اعزى المجد فيه فانه
 واندبه للعلم والدين والندى
 واندبه للمشكلات يحلها
 واندبه للدرس فى الدست اذ غدا
 وللوعظ تهى العين من رقة به
 واندبه للطالب العلم يجتنى
 وللمعتدين الظالمين يكفهم
 للدين والدنيا وللفضل والاعلا
 وللسادة الابناء ابناؤه ومن
 وللجلة الاخوان والجيرة الالى
 فسمبرا جميلا يابنيه وكلنا
 فلارزء الا دون رزئكم فلا
 ولاتهنوا للحادث النكر انه
 فى الله للعبد المنيب كفاية
 لما جزعى ؟ والموت حتم وانما
 اما زار طيف الموت كل منبا
 فلا ملك تحميه عدته ولا
 فاين ذوو التيجان من كل امة
 واين الكرام الشم من برمك ؟ اما
 دعا الكل داع لايرد لمصرع
 فلم تخلق الدنيا ليعمرها الفتى
 فتبا لها لم تصف الا تكدرت
 وطوبى لمن لم ينخدع بفرورها
 وجد حبال السوف اذ جد جده
 وبادر قبل الفوت اعداد طاعة

(١) القعب بالفتح : اناء اللبن والشيزى : عود تصنع منه القصاع
 قال الشاعر : تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
 وقيل فى اصحاب قليب بدر : وكم ذاقى القليب قليب بدر من الشيزى تكليل بالسنام

فيارب ثبتنا وتب واهد واعف عن
 وجد بالرضا واغفر كما انت اهل
 وان الرجا في جنب علوك شافع
 ومنه لك اللهم للشيخ رحمة
 وان تتلقاه برضوانك الذي
 بجاه رسول الله من جنبه حمى
 عليه صلاة الله قدر كماله
 واصحابه والتابعين ومن تلا
 مساوى جلت ان تكت كثيرا (١)
 فانك اهل ان تجود وتغفرا
 كريم ، وحسن الظن من اولئك العرا
 تقده روحا وذاتا ومحضرا
 يبيح له مشوى كريما ومنظرا
 حصين يجير المتجى وان اجترى
 على عد ذوات الوجود واكثرا
 ومن نصر الدين الحنيف وعزرا

انتهت مرثية الشاعر الافراني ، وقد تتبع فيها شمائل الاستاذ باطناب
 ثم ضم الى ذلك ما يالف الشعراء ان يزجوه بين اوصاف محمد دائما من الحماسة
 التي تغاض بها المعامع ، وان لم يكن غالب علماء الخ الامثال علماء كل هذا
 العصر الذين لا يطيقون ان يسمعوا وصف معمعة كما هي ، فضلا عن ان يخوضوها
 لانهم لم يتربوا تربية الجند ، ورحم الله استاذنا سيدي سعيدا الثاني الذي
 يقول : اني وامثالي يحرم في حقنا ان نقرب المعامع ، لاننا لانجر على الناس الا
 الهزيمة لاننا سرعان مانكشف في المعامع ، ولبعض اساتذتنا وقد انهزم في
 معمعة حكاية تطويها الآن ، على ان للمترجم موافق جلي بين الرصاص تذكر
 عنه ، كموقعة يوم وجان حين ولج القرية المحاصرة ليلا مع سيدي الطاهر ،
 وكامثالها من الموافق التي اشتهرت عنه في آيت واد ريم وغيرها

وقال الاديب محمد بن محمد الكثيري :

الدهر بعد تعرف يتنكر فسلامة من يسه تتعدر
 ما فتر عن اسنانه الا بدا متجهما عن نابه يتكشر
 فاذا تدلل لامرى يوما غدا من بعد اي تدلل يتنمر
 واذا آتى عفوا واصفى موردا عما قليل صفوه يتكدر
 كم خانه من بعد ما قد صانه واذاله من بعد ما يتصدر
 ورزية تمرى ضروع مدامع كل الرزايا عندها لا تذكر
 عمت وخصت كل ذى ادب فما تلقاه الا حائرا يتفجر
 يا عاذلى ومؤبى في عبرتى ان الرزايا في الاكابر تكبر
 هل بعد فقدك يافقيه العصر من عيش يرجى او منى تتذكر ؟
 طم المصاب وعم ابنا الورى فتخبروا من وقعه وتعسروا
 من للمخابر والمنابر والاعلا والضيف في ذيل الطوى يتعثر
 من للمجالس والمجالس يتنى كشف الخفايا لبسها لايقبر
 كم من غوامض قد جلاها فكره لولا ثقب شعوره لا تشعر

(١) لا يكت : لا يعد

نشر العلوم الفادة واجادة من اللحمي يحميه من لعوارف من للعزائم والعزائم ازمئت ناداك داعي الله ياروح العلا وكذلك دأبك في امثال اوامر فاذا ترحمنا عليك فرحمة الـ

واشادة عن همة لا تفر ومعارف وصراخ من يستنصر؟ من للهدى من لدوغى اذ تسعر؟ فاجبت لا مستنكفا تستكبر فلقيت رحمة ربنا تستبشر سمولى تعالى جده تستغزرد

وأما مرثيتا الاستاذ الاقاوى فأولاهما :

موت العليم مصيبة لن تجبرا اعلى احزنت القلوب واعيننا الناس ما حيت سيادتكم على لو كان عهدا ان شخصا يفتدى قمر الزمان قبرتم ، ماكنت قـ غبتم فاشخصنا العيون الى السما

لاسيما من فاق فى العصر الورى ابكيتها ومنعتها ذوق الكرى خير ولما ان قبرت تفهقرا اشياخه من موتهم لن تقبرا حظ حسب ان البلد يقبر فى الثرى أشخاص من سلب القوى متجبرا

وثانيتها :

لنبتك فيما فى الارض من كان اغيرا لنبتك على موت الذى الدين زعزعت لنبتك على فقد المحلى بكل ما ابى الحسن الالفى شيخ زمانه همام يفيد المرء فى جلسة من الـ عليم كريمة لايميل جليسه ترى حاتما منه على خلق احنث فماذا عسى ابدية من وصفه وان ابا حسن ابكيت اعيننا كما اوجود بدمعى قائلا ومؤرخا :

على العلم والاسلام مثلك فى الورى يفقدانه اركانها فتقطرا يزين الفتى حلما وعلمنا منورا ومن فاق كل من غدا متجبرا سمعارف ما لا يستقيده اعصرا اذا جئته يفنيك بالعلم والقوى وعلم الغزالي فى لسان القبعثرى غدا لى وجه الارض اجمع اسطرا اذبت بنا كل القلوب تحسرا (مواتك يا خير الزمان معفرا)

هاتان هما مرثيتا الاستاذ الاقاوى ثبتهما كما وجدنا هما على اختلاف نسخهما فقد حاول حفظه الله ان يرثى الاستاذ بما هو أهله ، ولكنه رأى الرقعة فسيحة واوصاف الاستاذ المحمودة كثيرة فالقى هاتين القطعتين ثم اكتفى بهما وهو على كل حال افضل من ادبائنا الكثيرين الذين طوقوا بعدم رثاء استاذ الادب بما طوقوا به اخر الدهر ، حين أعرضوا عن الواجب ، ولم يتلفظوا ولو بقطعة اوقطعتين كالاستاذ الاقاوى جزاء الله خيرا ، وقد سمعت ان سيدى عبد الله السملى كان أيضا من الرائيين ، ولكن لم اعثر على مرثيته

ثم اننى وقفت على رسالة لشيخنا الاستاذ الافرانى ارسلها بعد سنة من وفاة الاستاذ يدل بها اولاد المرحوم على الصراط السوى ، فاحسبت ان الحقها بالمرائى

وهي :

«سادتنا الاجلة ، بدور المعارف ونجوم الملة؛ اولاد شيخنا المقدس بكرم
الله سيدى ومولاي ابي الحسن الالقى ، الاخ الفقيه المدرس النفاة الساسي
بحكم السعادة ان شاء الله فيما يزيد ارتفاعه ، سيدى المدنى ، والاخ اللطيف
الشمائل ؛ والكريم الذي هو لاكتساب المجد مائل، الاديب الاديب، سيدى محمد
والنجيب الحبيب ؛ سيدى الحبيب ؛ والفقيه المرشح للمكارم ، المهذب الطبع
تهذيب الصارم ، سيدى الطاهر ، وبقية السادة المرجو رشدهم ؛ المرموق سعدهم
سيدى الحسن وسيدى عبد الله ، حفظ الله جمعهم السالم من التكسير والعمل
مجدهم الذي يرجع عنه بصر الخاسد خاسئا وهو حسير ، وسلام عليهم وعلى
من بالحضرة من السادة الاعمام والاقارب والنجرة، ورحمة الله هذا وعليكم بتقوى
الله والعمل بما يرضيه تعالى ويقر عين السلف الصالح رحمهم الله ، لجدوا في
العمل على السنن المعهودة ، والزموا قدر الطاقة عادة الاكارم من الآباء والجدود
وجاروا الزمان على حسب مقتضى الحال من غير افراط ولا تفريط ، واصبروا
وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، وكونوا خير اخوة من غير انفة
البعض من البعض او نخوة فيد الله مع الجماعة ، ولاتنازعوا فتفشلوا الاية
واعدرونى والسلام ١٤ بذي الحجة ١٣٤٨ هـ»

هذا وقد حدثنى الاستاذ سيدى الطاهر على ان الشيخ الافرائى المذكور كان
كتب اليهم اثروفاة والدهم رسالة ضمنها الرسالة الصغرى التى كتب بها
القاضى الفاضل الى اولاد صلاح الدين يوم مات والدهم ، وهى معروفة فى
التاريخ

قوله الاستاذ الرفاكي فى صاحب الترجمة

الشيخ الهمام ، الحافظ الامام ؛ ذوالنائر العالية ، والمفاخر الصمدانية .
الكاتب المجيد البارح ، الواقف فى فن البلاغة بكل المشارح ، وقد نزعته اليه اللطائف
من عذيب المعانى والاجارح ، البليغ المصيب ، والفائز من الاجادة باى نصيب . ابو
الحسن سيدى على بن الحاج عبدالله ، بتحت الحصن ، من ذرية سيدى عبد الله
بن سعيد الساموكنى - كما فى الحضيكى - التجانى الطريقة المحمدى الحقيقة
قرأ فى بلده عن اخيه العلامة سيدى محمد صاحب القبة ثمة ، وهو الذى بنى
المدرسة ودرس فيها ، وأحيا فيها السنة ، وتلاميذهما رحمهما الله كثيرون
شئستهم كتب الادب واللفة فيها يتسامرون ، وعليها يتكلون ، وهو فى نفسه
قوى العارضة - لا يطمع الفتح ان يعارضه ، القت اليه الرئاسة يد الطوع ، وأمنت
بالقلامه من الروح ، له شعر يشهد له بالدراية ؛ واناله فى ميدان الراية ؛ وقد

أبنت له ما تبصره شعرا : وتجدده عند الاختبار صفرا ، وعند الانتشاق شعرا : (١)
فمن ذلك قوله يخاطبني :

عليك اما ما اعجز اللسن في اللسن واروى بفاة العلم عذبا بتلا اسن
ومن قل شكري عن عوائد برة ومن قاذفود الفضل نحوى بالرسن
ومن لم يزل دهرى يبين فضله ويتلى على اراقه : حسن بسن
سلام كورد فاح اذ رشه الندى واحلى بعيد الجهد والكند من وسن
وذلك جواب لقولى فيه :

سلام يخوت (٢) ملحضيض (٣) الى القسن

الى قدم الشيخ الهمام ابي الحسن سلام خديم لايريم مع النوى
على العهد والحنين شوقا الى الطمن قسى خصه المولى بعلم وحكمة
ويمن حيا بشر ثوى ذلك الوطن ابي المجد الا ان تكون سريه
نقيا وان يتلى عليك : حسن بسن الى غير ذاك من معال تجمعت
لديك وعدها لدى من المحن الى سيدى خود تفوح ليومها
غير مديح اشهى للصي من وسن (٤)
وذلك في جمادى الاولى عام ١٣٤٤ هـ

وكتبت اليه ايضا من جملة رسالة :

على السميع من زرت ماثره بروثق البدر بل بروثق الشجر
ابى على مرعف اليراع اذا ما ارتج القوم فهو السن البشر
عليه من خادم اذكى السلام على عد الرمال وعد الرمل والدر
فاجاب رحمه الله فقال :

مولاي من قد زرت بطلعة القمر طلعة ماخطه نحوى من السمر
وزان عقد كمالات له نظمت لبة مجد فاضحى خير ملتخر
ويا اما ما غدا من اقدر البشر على نظام حوى لطافة السمر
بعثلى من بنات الفكر ما لم اكن (٥) اهلا لهن وما العيان كالخبير
جزيت عن حسن عهد قد جبلت على احياء ميتة يا اكمل البشر
عليك منى سلام الله ما طلعت شمس وما زين عين العين بالخور

(١) المراد بالشجر شجر عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن ، وقد جرت عادة الادباء ان ينسبوا ما استحسوه من الروائع الى عنبر هذا المكان وهو المعروف عندهم بالعنبر الشجرى ، وذلك هو مراد مؤرخنا هذا

(٢) خات العقاب يخوت خواتا : كان لجناحه دوى

(٣) ملحضيض : من الحضيض ، على لغة بلحارث بن كعب

(٤) «اشهى» هكذا بخطه نفسه ، مع انها غير موزونة

(٥) كذا من خط المؤرخ ، وكثيرا ما يقع مثل هذا فى البسيط حتى لشيخنا الافرانى

توفي رحمه الله في ٦ ربيع الثاني عام ١٣٤٧ هـ

هذا ما ترجم به الاستاذ الرفاعي صاحب الترجمة ، وقد اتت الواله كلها على اختصارها اجمالا لما بيناه نحن واسهبنا فيه بعض اسهاب والحمد لله ، ولم يزد على ما قلنا الا انه تيجاني المشرب ، وقد كان صنوه الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله تلقنها من شيخها بسوس سيدي الحاج الحسين الافرائي ، ثم صار يلقنها للناس فتلقنها والده الحاج عبد الله ثم سائر اهله ، ثم جميع تلاميذهم فانشر الفرع التيجاني الالفي على يد هؤلاء الاساتذة انتشارا ، ولا يزال ينتشر ولكن هذا الفرع اقرب فروع التيجانية الى الاعتدال وما نعرف عن اصحابه التعصب الذي يشاهد في الفروع الاخرى وكفى في ذلك ان هذا الفرع جاور الطريقة الدرقاوية التي حمل الوالد رايتها ، كما ان الاستاذ صاحب الترجمة صاهر رئيس الطريقة الناصرية سيدي المدني الافرائي ، واستطاع الكل ان يتمشى جنبا لجنب مع مصافاة واخوة تامة وحسن ظن ، والمترجم تلقن التيجانية من مراكشي .

قول المأثورخ علي بن الحبيب فيما

ومنهم اللوذعي الكامل العارف بالله الواصل ، الفقيه البركة العلامة ذو القلب السليم ، والفضل العميم ، صاحب القلم السيال ابو الحسن سيدي علي بن عبد الله الالفي ، احد الخاصة من احباب والدنا المقدس بكرم الله ومن خاصة اصحاب الشيخ التيجاني رضي الله عنه وارضاه بالاذن المطلق ، قائما في ذلك احسن قيام ، الى ما انضاف الى شعر يشهد له بالدراية وهو فيه بين قبيل ، حامل راية ، وله يخاطب بعض علماء عصره :

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن واروى بغاة العلم عذبا بلا اسن
الى اخرها «وقد تقدمت في ترجمة الرفاعي له»

ومما كتب به الى والدي : «علم الاعلام وامام معتقلي الاقلام ، ومن له بكل فن ولاقول الاحقاد اي المام السيد السند والصدر الاوحد ، مقيم الاود الشريف الحبيب ، سيدي الحبيب السكراتي ، السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الزكية والاحوال المسكية ، وبعد فلا باس ولله الحمد ، نسأل الله لنا ولكم التوفيق لما يرضى ، واللطف الجميل فيما قضى ، وقد وصل الرسول ومعنا من الاشعار بسلامتكم والعلم نحو جلالتم ، ما تضمن كل سؤل ، فحمدنا الله على ذلك وشكرناه على حق المن هنالك ، ومعنا ايضا رسالتك الغراء المهدية لجنابنا كل سرا

حيث فاحيت هنالك ساكني القصبه واسترجعت اعظما بالشوق مفتصبة

(١) كذا من خطه

والله يبيك ويبيك ويربيك ، ومن بحر عناية نبيه يسقيك وبرويك ،
ويجزيك عن حسن العهد خيرا ، ويجعلنا ممن يديم لحضرتك سرا ، وهذه ابيات
جاءت بها القريظة القريظة ، وهي بهامن بعض الشوق واعبائه مستريحة ، وعلمت
في ذلك اننى والله كمن جلب التمر الى هجر ؛ او هدى فهجر ؛ لكن الحجر من
يد الحبيب تفاح :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام رباح
نصها :

مولاي انى وان شطت بى الدار وحكمت بالتثانى عنك اقدار
وجار بالصرف عن لقياك وهى منى قلبى صروف لها للثنت اقدار
وكسرت حنقا جمع سلامتنا واثارت فلها فى العيث اثار
وغيبت ذلك الوجه الصبيح فما لصبح وصلك منذ الدهر اسفار
باق على ذلك الود الصميم وهل يدك شم الجبال الشم اعصار ؟
انى وحقك ابقى ما بقيت على عهد يجعل له فى القلب اضمار
ينمى نموك فى الخيرات شوفى ما لغيل ودى فى السلوان مضمار
لازلت بدر كمال فى سماء مجا دة تتاح له بالعز انوار
لك السعادة والاعلون سادتنا الـ ابنا دارته والكل ابرار
خصوصا الندي مولانا الامام على يا من له لحضور الخير احضار
منى عليكم سلام الله ما طلعت شمس وما هاجت الاشواق اشعار

فهى من بنات افكارى احد عشر كوكبا ، وعندك الشمس والقمر ، ويسجد
الكل للسن لسانك ، وسلطان احسانك ، وسلم على الاحبة عموما والسلام»

وبالجملة فصاحب الترجمة موصوف بطهارة الازرار والذليل ، وبصفاء الجيب
وقلبه لا ينطوى على نكر ومكر :

له شرف قد جل عن ان يناله غوائل ايدى الحادثات قدام
يلوح سنا برق الهنا ببروجه كبرق بدا بين السحاب يشام
مطافا لارباب العلا وفضائل فمنهم جنوم حوله وقيام

اخذ العلم عن أخيه الشقيق الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله ، وهو
الذى بنى المدرسة ، وتسبب فيها للخير ، ونصب فيها نفسه للتدريس واحيا
السنة فى تلك الجبال القبلية وطلبته كثيرة ذابهم الادب واللغة ، فيهما يتمارسون
وقد شهد العصر بسمو تقدير صاحب الترجمة وتقديمه ، واجمعت الجماعة على
تقديره وتعظيمه ؛ اذ ذكر المجد فهو المرتدى بردائه ، او الكرم فهو العامر لفتائه ،
او العلم فهو الحامل للوائه ، او جميل الفعل فهو صاحب ارضه وسماؤه ، وله
لصائد خاطب بها اذباء الوقت لوجمعت لاستقر بها سفر ، (ثم ذكر وفاته وبعض

مراثية) الى ان قال : ولصاحب الترجمة يهجو «ال (فصك) : دشرة من مداسر
جزولة قوله :

أتيت لامر حافظ (فصك) وهي بك سدة قد خلت من كل حسن واحسان
فالفيتهم قوما برابر يدعو ن انهم في العرب من غير برهان
وليس مفيدا ان يروا عربا اذا صنائعهم ليست صنائع عربان
أما تواتر اندى فاقبروه واحيوا الـ مناكر فهي العرف من غير تكران
فلا الجود فيهم لا ولا في نسائهم حياء ، ولا فيهم غياث للهان
ولم از مثل حالهم في خشونة الـ معاش وفي اديانهم منذ ازمان

وقد خلف اولادا اجلة فقهاء المذكورين اتعبوا انفسهم في تحصيل العلم
عند والدهم الى ان حصلوا منه كفايتهم ، وفاقوا به رهطهم وعشيرتهم وجازوا
فخرهم ومكانتهم ، لا يطمع فيهم طامع ولا يقرع لهم العصا قارع كما قال الشاعر :

اعاذتني على اتعاب نفسي ورعيى في الدجا روض السهاد
اذا شام الفتى برق المعالي فاهون فانت طيب الرقاد

أولاد الاستاذ

كان صاحب الترجمة عقب صنوه العلامة سيدي محمد بن عبد الله عل
حليلته عمتنا مريم عام ١٣٠٤ هـ فولدت له من الذكور الذين ادركوا مباركة
الرجال :

الاديب سيدي محمد وستقرأ ترجمته ان شاء الله

واحمد ، شاب حفظ القرآن حفظا جيدا والم ببعض الروايات وكان والده
يقول له اننى اريد منك أنت بين اخوتك ان تستفرغ جهدك في تحصيل الروايات
وان تكون ممن حصل ذلك تحصيلا تاما ، وذلك لما يراه الاستاذ من عدم هذا النوع
من المعرفة عند الالفيين ، فيقنع الكثير منهم بورش الذى جرت العادة بالقراءة
به ، وقلما يتعدى الى حرف المكى او قالون الا عند البعض منهم ثم لا يلبث ان ينساه
فاراد من ولده هذا ان يحيى ذلك المجد الآخر على يديه ، الا ان الاقدار قد تعاكس
أمانى التمنين فقد كان أحمد هذا رجلا مغامرا باسلا ، برزت منه غريزة الشبيبة
وفطنتها باجل مظاهرها ، وقدر الله ان كان يختلف الى قرية دووكادير لقضاء
اغراض ، فكان يلتقى هناك بثلاثة رجال من كسيمة وهشتوكة كانوا عندنا في
الدار ، حين رجع الاخ سيدي محمد من قبيلة اداوزيكي اول عام ١٣٣١ هـ فكان
يعاذبهم الحبال ، يتحكك بهم ويتحككون به وفي ليلة - لسبب من الاسباب -
ثاور بعضهم بعضا اواسط الليالى في ازقة القرية ، فسقط برصاصة احدهم
فكانت فتنة مشتملة حفظ الله من نارها مرابطينا ، بعد ان اردت اليهم الدلال

اللهيب ال الهشيم ، فرسي حكم احمد الهيبة في القضية ، فحكم ان يقتل من ثبت عليه القتل قصاصا فاخذ الثان منهم مع ان الرصاصة التي اصابته انما هي واحدة ، فاعتقلا على يد الاعراب ، فدفعوا لاولياء الدم ثم تفلت احدهما وهو مبارك الكسيمي والمجيب انه انما ظلم لانه لم يحضر مع صاحبه تلك الليلة ففكه الله ولا يظلم ربك احدا ، واما الآخر محمد الهستوكي وهو القاتل حقا ، دون القاضي ابو عشاوي الذي كان اذذاك معه ، فقد قتل ازاء تافكاغت فانجلت العقدة بذلك وكفى المرابطون شرها والحمد لله ، وكان هذا - اخال - حوالي عام ١٣٣٣ هـ رحمه الله وهذا ما اخبرت به عن القضية من الذين يتحرون الصدق ، لانني لم احضر اذذاك فيها ، فهكذا ذهب احمد اثر تهوره سامحه الله وغفر له ، فقد العق والده علقما بهذا ، وكادت الخ ينهار بناؤها من اجله

ثم ان الاستاذ اقترن ايضا بالسيدة نفيسة بنت الشيخ سيدي المدني الناصري ، بعدما وقع بينهما وبين الاستاذ سيدي الحاج ياسين عليها نزاع وذلك ان الحاج ياسين كان خطبها لولده اولامن اخيها الاكبر سيدي احمد بن المدني فعقد له عليها بغير اذنها واما اخواه الاديبان سيدي البشير وسيدي الطاهر فقد اخطبا فيها صاحب الترجمة ، وبعد نزاع مستطير ، ذهب وفد من الخ فيه الحاج محمد اليزيدي والحاج ابراهيم الايشاني وآخرون - كما حدث بذلك العام ابراهيم (وانظر هل كان هذا اليزيدي اذذاك حيا) - فخابروا الحاج ياسين ، وقالوا له ان اولي من يتبع الحق لانت ، فهذا العقد انت اول من يحكم بفساده ، والذي تقتضيه مروءتك الابتعاد عن مثل هذا ، لانك عالم كبير ، ولا تؤد بهذه الاسرة الى التفاقم فيما بين افرادها - والمقصود بين اولاد سيدي المدني - فتبع رحمه الله رأيهم فسلم في الامر ، فتم تزويجها من الاستاذ ، وهي سيدة عالية المقام مهذبة من كل ناحية وبينها وبين والدتي مؤاخاة مع انهما لم تترايا لفظ ، وقد اخبرت ان عقدها كتبه الاستاذ شيخنا سيدي الطاهر ، فكان يطفح بالبلاغة ، وطالما حثت بعض اولادها ان ياتي به لتنسخه للتاريخ ، ولكن ذلك لم يتيسر ثم ولدت للاستاذ من الذكور : العلامة سيدي المدني والاستاذ سيدي الطاهر والنقيب سيدي الحسن ، وسترى تراجم الكل فيما سياتي ان شاء الله ، والخبيب والحسين وعبدالله وهذا اصغرهم ، وهو الآن ١٣٥٨ هـ ما زال يتلقى ، وقد برقت منه بارقة نجابة فلئن تابر ليكونن بين اخوته اولئك نجما ثاقبا ، فهؤلاء اولاد الاستاذ الذكور ، واما الاناث فصفيية وحببية من السيدة نفيسة ، ماتت عند ابني الغيبة سيدي سعيد الاكماري الاديب سيدي احمد واخيه سيدي محمد ، وخديجة عند ابن عمها سيدي عمر وقد ولدت له الآن ١٣٥٨ هـ اولادا ، وفاطمة وهي اكبر اولاد السيدة نفيسة عانس في الدار الى الآن (ثم ماتت خديجة فتزوج سيدي عمر فاطمة اختها العانس) واما اللاتي من السيدة مريم ، فتعزى ، ماتت عند شيخنا سيدي محمد بن الطاهر الاهراني ، ولدت خلفت ولدها النقيب سيدي

المدني وغيره ، ورقية عند سيدي احمد بن الحسين الاعضيوي ، ولا تزال ١٣٥٨ هـ
ولها اولاد من جملتهم بنت تزوجها ابراهيم بن الرئيس احمد الايفسائي ثم ماتت
فهذا ما علمه عن اولاد الاستاذ حفظهم الله وكلاهم وادام يثناويينهم ما
بيتنا والدينا قبل ، فرحم الله الاستاذ وجعل البركة في عقبه انه سميع مجيب

انتهى الجزء الاول من (المسول)
في منفاى بالغ في واسط عام ١٣٥٨ هـ
ثم زيدت فيه زيادات بعد ذلك

ويليه الجزء الثاني في بقية ابناء عبد الله بن سعيد
من اهل (الفصل الاول) ثم يليه (الفصل الثاني)



الفهارس خمسة :

[١] فهرس المترجمين في هذا الجزء

[٢] الفهرس العام

(٣) فهرس القوافي

(٤) « الرسائل

(٥) « الفاظ الشلحة المضبوطة

الفهرس الاول

في أسماء المترجمين في هذا الجزء

- ٨٠ سيدي عبد الله بن سعيد التاهالي
١١٧ سيدي احمد بن عبد الله بن سعيد الالفي
١٢١ سيدي محمد بن عبدالله بن سعيد
١٢٢ سيدي علي بن أحمد بن عبدالله
١٢٥ سيدي عبد الله بن أحمد بن عبدالله
١٢٧ سيدي حسين بن عبدالله بن احمد
١٢٨ سيدي أحمد بن علي بن احمد
١٣١ سيدي عبدالله بن موسى بن محمد الاوخطيري
١٣٢ سيدي ابراهيم بن بلقاسم بن محمد التاكانزي
١٣٤ سيدي بلقاسم بن علي بن احمد التيبوتي
١٣٦ سيدي احمد بن بلقاسم التيبوتي
١٣٨ سيدي سليمان بن محمد أول فقيه في المرابطين
١٤١ سيدي ابراهيم بن سليمان الفقيه
١٤٤ سيدي احمد بن صالح بن عبدالله الزاوي
١٤٥ سيدي صالح بن عبد الله الزاوي
١٤٧ سيدي محمد بن احمد السعيدي
١٤٨ سيدي محمد بن بلقاسم التيبوتي
١٥٤ الحاج علي التيبوتي
١٥٦ الحاج عبلا بن صالح الالفي
١٦٠ الاستاذ سيدي محمد بن عبدالله الالفي
١٨٤ الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي
٢٢٥ العلامة سيدي علي بن عبد الله الالفي

الفهرس الثاني الفهرس العام

- مقدمة بين الامس والغد
ح بيان (يتعلق بضبط الكلمات الشلحية)
١٢ خطبة الكتاب
١٥ تحية الغ بقصيدة بائية كبرى
٢٢ اسم الكتاب الثام
٢٥ وصف الغ الجغرافى
٢٨ قرى الغ كلها
٢٩ بعض العادات الالغية
٣٠ عاشوراء
٣١ ليلة المولد
٣٢ العرس
٣٣ العقيقة
٣٤ الحداقة - العواشر - الختان
٣٥ الحصاد - والدارس وما اليهما - الجنائز
٣٦ الحرف والصنائع - الحداقة
٣٧ التجارة - الدباغة والحداقة - الاكافة
٣٨ الحباله - الشباكة - نساكة الصوف
٣٩ الخياطة
٤٠ الرفاة - الخزافة - الحجامة
٤١ معدن النحاس - العلم والتدين والاخلاق العامة
٤٣ اطعمة الالفيين ووجبات اكلهم
٤٦ قصائد فى بعض اطعمتهم
٥٢ المشروبات الالغية
٥٣ رجز فى تشجير الاقاي
٥٤ المعتاد فى اول السنة الفلاحية - الالبسة
٥٥ الفرش - المعتاد فى المساجد
٥٧ المعتاد فى المدرسة الالغية
٥٨ دور المرأة الالغية
٥٩ الامثال الالغية
٦٠ الالاب الالغية - ذكر فيها ١٤ نوعا
٦٣ ما قيل فى وصف الغ من الاشعار
٧٦ تقسيم الكتاب
٧٨ (الفصل الاول) من (القسم الاول)

- ٧٨ اسماء المذكورين في (الفصل الاول)
- ٨٠ الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد التهامي
- ٨١ النطقيات التي اسسها في القفار وهي ١٢
- ٨٢ وثائق واقوال المؤرخين (حوته)
- ٩٠ استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك . وهو فصل طويل لا بد ان يقرأ
ليعرف الشيخ حق المعرفة
- ١١٢ بقية الوثائق المتعلقة بثال الشيخ بعده
- ١١٥ قصيدة للمؤلف يوم زار هذا الشيخ
- ١١٧ سيدي احمد بن عبد الله اول نزيل في الخ من ايمور احد اولاد الشيخ
- ١٢١ سيدي محمد بن عبد الله . الولد الثاني للشيخ
- ١٢٢ سيدي علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٢٥ سيدي عبد الله بن احمد . اخو من قبله
- ١٢٧ سيدي الحسين بن عبد الله بن احمد . ولد من قبله
- ١٢٨ سيدي احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣١ سيدي عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاوخييري
- ١٣٢ سيدي ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣٤ سيدي بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣٦ سيدي احمد بن بلقاسم ولد من قبله
- ١٣٨ سيدي سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد . اول فقيه في
الشيخ عبد الله بن سعيد
- ١٤١ سيدي ابراهيم بن سليمان . الفقيه ولد من قبله
- ١٤٤ سيدي احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد . الفقيه
- ١٤٥ سيدي صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن سعيد
- ١٤٧ سيدي محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله
بن سعيد
- ١٤٨ العلامة سيدي محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن
عبد الله بن سعيد
- ١٥٤ سيدي الحاج علي التيبوي ابن عمه لجا . الفقيه
- ١٥٦ سيدي الحاج عبلا بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد ابو الاعلام
- ١٥٩ قصيدة في رثائه
- ١٦٠ العلامة مؤسس المدرسة سيدي محمد بن عبد الله . ابن من قبله
- ١٦١ مبتداه
- ١٦٢ في مدرسة تانكرت
- ١٦٢ في مسجد قريته (مدرسا)

- ١٦٣ في المدرسة البومروانية
 ١٦٤ المدرسة الالفية تؤسس
 ١٦٥ قوام المدرسة
 ١٦٦ الاستاذ في مدرسته الجديدة
 ١٦٦ كيف دراسة الاستاذ
 ١٦٨ العشرة الاولى
 ١٦٩ الاستاذ وطلبته في وادي اقران
 ١٧٠ الاستاذ يعاود ادارة الدروس بنفسه
 ١٧٠ الاستاذ يتصل بالسلطان
 ١٧١ الاستاذ يلتحق بالرفيق الاعلى
 ١٧٢ قصيدة في التعزية . فيه
 ١٧٣ تجاليد الاستاذ تنقل الى الخ
 ١٧٣ اخلاق الاستاذ مع رجز حولها
 ١٧٥ اثاره . نظما ونثرا
 ١٨٠ الاخذون عنه
 ١٨٢ مرآيه
 ١٨٣ قولة على بن الحبيب فيه
 ١٨٤ الشيخ سيدي الحاج على الدرقاوي
 ١٨٥ موضع ولادته
 ١٨٦ في المكتب
 ١٨٧ في مدرسة تانالت
 ١٨٧ في مدرسة المولود
 ١٨٧ في مدرسة تازاروالت
 ١٨٨ في مدرسة تانكرت
 ١٨٩ ملاقاته للشيخ سيدي سعيد المعدري
 ١٩٠ مايدل على ذلك من رحلته ومن بعض رسائله
 ١٩١ في مصاحبة شيخه المعدري
 ١٩٣ محاوره لطيفة (بينه وبين ابيه وقد رده من عند الفقراء الى القراءة)
 ١٩٤ في مدرسة ادوز
 ١٩٦ في فض النوازل وقسم التركات
 ١٩٧ في التجارة
 ١٩٨ في مدرسة فوكوض معلما
 ١٩٩ في المدرسة البومروانية
 ١٩٩ العزم على المشاركة في المدرسة الوقفاوية
 ١٩٩ الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

- ٢٠٠ وقفة قصيرة بالقارىء (للقاء نظرة على احوال المترجم)
- ٢٠٢ فى التجريد وخرق العادة
- ٢٠٨ من رحلته يصف هذه الحالة
- ٢١٠ السياحات
- ٢١٠ بين قرى سوس مع شيخه المعدرى
- ٢١١ فى جباله
- ٢١٣ رسالة منه الى شيخه من جباله
- ٢١٥ فى فاس
- ٢١٨ فى محاوره الشيخ كنون
- ٢٢٠ فى سلا
- ٢٢٠ بين الفقراء فى سوس بعد موت شيخه
- ٢٢١ سيدى الحاج الحسن خليفة الشيخ
- ٢٢١ يزور اهله
- ٢٢٢ لطفة ترده الى اهله بالكلية
- ٢٢٣ يؤسس مركزه ببلدته
- ٢٢٤ قطعة نظمية يوم تاسست زاويته
- ٢٢٦ تصدره للمشيخة وتربية المريدين
- ٢٢٨ يتزوج بزوجه الاولى
- ٢٢٩ اثر الحياة الجديدة (فى المترجم)
- ٢٣٠ الشيخ يسيح الى آقا
- ٢٣١ يراجع التدريس
- ٢٣٣ ينهض بهمة عليا الى ماهو بصدده
- ٢٣٥ سياحات اخرى كبيرة
- ٢٣٧ يؤدى فريضة الحج
- ٢٣٨ قطع من رحلته الى الحج الى ٢٥٧
- ٢٥٧ انتهاء وصفه كل ما مر به وصفاشافيا
- ٢٥٨ محور حياته
- ٢٥٩ عمله فى سياحاته
- ٢٦٠ عمله فى زاويته
- ٢٦١ نتف من اخلاقه
- ٦٤ ٢ الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم
- ٢٦٨ بعض اقوال المثنيين عليه
- ٢٧٠ قول المؤرخ ابن الحبيب فيه
- ٢٧٣ قول المؤرخ الاكرارى فيه
- ٢٧٤ بعض الامداح فى الشيخ الى رقم ٢٩٩

- ٢٩٩ بعض منظومات لثبت بها الشيخ
 ٣٠١ غيرته الدينية امام الاحتلال
 ٣١٠ بعض دعواته واذكاره الخاصة
 ٣١١ مؤلفاته
 ٣١٢ وفاة الشيخ
 ٣١٤ مرائى الشيخ والتعزيات فيه
 ٣٢٤ اولاده
 ٣٢٤ الكتب المؤلفة فى الشيخ
 ٣٢٥ العلامة سيدى على بن عبد الله الالى
 ٣٢٦ خطوته الاولى
 ٣٢٦ فى دراسة العلم
 ٣٢٧ فى الاستعداد لقيادة المدرسة
 ٣٢٧ استاذ المدرسة
 ٣٢٨ قولة الشيخ الوالد فيه
 ٣٢٩ يولى القضاء من حضرة السلطان
 ٣٣٠ فى رياسة اخوانه المرابطين
 ٣٣١ مراسيم رسمية حوالية
 ٣٣٣ فى كلاة الله بين الزعازع
 ٣٣٨ فى شبه غربة بعد دفن رفيقه الشيخ الالى
 ٣٤٠ بين قضاة تزيت فى عهد الهيئة
 ٣٤١ بين رؤساء قبائل هذه الجبال فى الكفاح
 ٣٤٤ الاستاذ ومدرسته اخيرا
 ٣٤٥ نظرة عامة على اخلاقه
 ٣٤٩ اثار قلم الاستاذ من النشر
 ٣٥٠ نموذج من رسائله وبعض اشعار منه وواليه
 ٣٦١ نتف من قوالية
 ٣٦٦ الاخذون عن الاستاذ
 ٣٧٢ ايام الاستاذ الاخيرة
 ٣٧٥ الاستاذ يلفظ نفسه الاخير
 ٣٧٧ مرائيه
 ٣٨٣ قولة الرفاكي فيه
 ٣٨٥ قولة ابن الحبيب فيه
 ٣٨٧ اولاد الاستاذ

الفهرس الثالث

في القوافي

يذكر فيه القائل • مع الشطر الاول • ان دل اخره على قافية القصيدة • والا فتذكر الكلمة الاخيرة ايضا لتدل على القافية • وقد رتبت القوافي على حروف المعجم على عادة المشاركة

الهمزة

بانث قبان جميل الصبر اسماء	٦٣ الشاعر الاقراني
اهل بوفد الخصب وفد سماء	٦٦ الحسن بن علي الالغي
ماذا رأى من لم يكن بالرائي	٦٧ المؤلف
باكر بها لمربع الزهراء	٢٧٨ محمد بن مسعود
لاحت فاعشيت اعين البصراء	٢٧٩ محمد بن طاهر

الباء

اليكم بنى امي ائيب ركائبى	١٥ المؤلف
اسادتنا صحب الامام الرضا القطب	٢٨١ محمد بن مسعود
الانزه العينين فى خير ماقبة	٢٩٥ موسى بن الطيب الالغي
وما اسم ثلاثى الى العز ينسب	٢٩٨ الشيخ الالغي
وما اسم تراه كلما سار يركب	٢٩٩ الشاعر الاقراني
قلم البليغ يبين لغز منبثا - الاتقب	٢٩٩ الاستاذ علي الالغي
بعد سيوف الذكر فاقطع رقابها	٣٠٠ الشيخ الالغي
اكفكف من هدايراعة مرغما - واجبا	٣٤٨ بعض الالغيين

التاء

الخ المعارف والاداب بلدتهم - الامارات	٧١ المؤلف
الفجر بالنور وزهر الربا - الذكيات	١٥٥ المؤلف
تعزيك لانا جهلنا مقام من - الموتى	١٧٢ لبعض الالغيين
اذا اودع الله الانامل حكمة - جلت	١٧٩ الاستاذ محمد الالغي
متى كان حكم الروح فى الجسم لم يكن - البشرية	٢٧٦ محمد بن مسعود
وفيت بما تهوى جزيت جزاء من - قرته	٢٩٢ الشيخ الالغي
سعد الفقير وساعدت اوقاته	٢٩٩ الشيخ الالغي

الجاء

ابواب الخ لكل اات تفتح	٦٥ بعض الالغيين
اذا ماهب من اقران ربح	١٧٨ الاسماء محمد الالغي

٢٨١ محمد بن مسعود

٣٣٤ بعض الالغيين

المدال

٦٦ محمد بابة

٢٣٨ محمد بن مسعود

٢٩٠ الحسن الركني

٢٩٠ الحسن الركني

٢٩٦ الطاهر الناصري

٣٠٠ الشيخ الالفي

٣١٧ الاستاذ على الالفي

٣١٨ محمد بن الطاهر

٣٥٠ الاستاذ على الالفي

٣٥١ الاستاذ على الالفي

٣٥٢ الشاعر الافراني

الراء

٦٤ محمد بن الحاج

٦٦ المؤلف

٧٠ المؤلف

٧٤ المؤلف

١١٥ المؤلف

١٧٦ الاستاذ محمد الالفي

١٧٩ الاستاذ محمد الالفي

١٨٠ الاستاذ محمد الالفي

٢٩٣ الاستاذ على الالفي

٢٩٦ محمد بن مسعود

٣٢٠ موسى بن الطيب

٣٢٢ احمد بن محمد اليزيدي

٣٢٣ الحبيب البوسليمانى

٣٤٦ بعض الالغيين

٣٦٩ الاستاذ على الالفي

٣٦٢ الشاعر الافراني

٣٨٤ المؤرخ الاكراري

٣٨٤ الاستاذ على الالفي

٣٨٦ الاستاذ على الالفي

ياسيدا من لوره الوضاح
اذا انسد باب من اميرفان لى - مفتح

عرج بتحت الحصن يامن سادا
ليهنا الورى طرا بابلائك السعد
ابو حسن نجم به السار يهتدى
الايلخ الشيخ المربى بورده
الى بيت اهل الجود والفضل والرشد
ولى مذهب فى العشق منفردا به - ولافقد
هبنا ملكنا المال عفوا ما الذى - وتفقد
قالوا قضى العلم الامام السيد
لنحوك ما اخفى من الشوق او ابدى
بقيت سليما لا تقابل بالردى
ياعجبا كيف يخشى النحاس مسعود

اياساكنا ارضا هي الارض وحدها - والبصر
ما الخ غير شعوره فى شعره
نعمة الالفي فتح - داره
يقولون صبيرا انه بك احدر
لله رحلتنا الى ايمور
بدت لى احبتنا عبرة - يعتبر
ياسبعة من سعد سبعة جميعهم - الامر
سلام كما المسك والعنبر
عليك سلام يا كريم معنبر
لله سيدنا الشيخ الامام وما - البصرا
مضى الاخيار وانقضت الدهور
قد استوى الله على عرشه - امره
قضى امام الدين من لا يرى
اذا انت لم تكبح رفيقك مرة - لاتدرى
شنت باسماع من احيا اذا ذكروا
هذى نجوم الدجا ام هذه درر
على السמידع من زرت ماثره - الشجر
مولاي من قدزرت بطلعة القمر
مولاي انى وان شطت بى المدار

ياواردا عمت الدنيا مفاخره
وصالك هذا ام بداصبح اسفار
جزى الله اخوان الصفاء بكل ما - الحشر
امن جادت بكر جري منه ما جرى
واعظم مقدام اذا اشتحر القنا - المجر
الدهر بعد تعرف يتنكر
موت العليم مصيبة لن تجبرا
لتبك فما فى الارض من كل اغيرا

تاملت لغزا اتعب القلب حله - اللؤلؤ

بسيبك يا زهراء خير بسيس
الايتم شعري هل ايتن ليلة - سكسو
فكه مصاحبك الالغى ما الفت - قاس

على مثل هذا الحادث الفادح الوقع
اذارتمت نظما مقفى محبرا - الوسع
سلام كما ازدانت بصوب مراتب
امن حادث بكر الم فاجزعا
الدهر يفجع والصدور توجع
بشير وطاهر ونجل لطيب
انفج نسيم الروض والروض ناصع
يحقق على للمبشر انكم - خلق

نسيم الصباهى بنشر ربا الغ
اذا احتفلت اءاداب من كان فى الغ
نسمات الرضا وروح سلام - الغ
اقول لمن قد شفه الوجد ما تبقى
اياطالبا سر المعارف فى الغ

يا اهل تحت الحصن انتم فوقه - يشرف

٣٦٣ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
٣٦٥ الاستاذ على الالغى
٣٧٧ الشاعر الافرانى
٣٧٩ ابراهيم السكتانى
٣٨١ محمد الكثرى
٣٨٢ الاقاوى القاضى
٣٨٢ الاقاوى القاضى

الزاي

٢٩٩ الشاعر الافرانى

السين

٤٦ مساجلة
٧٥ المؤلف
٤٥ لبعض الالغيين

العين

١٥٩ الشاعر الافرانى
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى
٢٨٩ محمد بن مسعود
٣١٧ الشاعر الافرانى
٣٢١ احمد اليزيدى
٢٩٤ الشيخ الالغى
٢٩٤ الشاعر الافرانى
٣٦٣ الاستاذ على الالغى

الغين

٦٣ الشاعر الافرانى
٧١ المؤلف
٢٨٢ محمد بن مسعود
٢٨٣ محمد بن مسعود
٢٨٣ الشيخ الالغى

الفاء

٦٤ محمد يهيا اء لانى

٦٤ محمد بن الحاج

٦٥ البونعماني

١٨٢ الشيخ الالفي

٢٨٤ محمد بن مسعود

القاف

٨٤ المؤلف

٢٨٢ محمد بن مسعود

٧١ المؤلف

١٧٩ الاستاذ محمد الالفي

٢٩٢ الشيخ الالفي

٢٩٢ الاستاذ علي الالفي

٢٩٥ لبعضهم

٣٦١ الاستاذ علي الالفي

الكاف

٣٤٠ لبعض الالفيين

اللام

٣٦ لبعض الالفيين

٦٨ المؤلف

٧٣ المؤلف

١٦٩ الاستاذ محمد الالفي

٢١٣ بعض الالفيين

٢٢٤ الاستاذ علي الالفي

٢٩٣ الشاعر الافرائي

٢٩٨ الشيخ الالفي

٢٩٨ الشاعر الافرائي

٢٩٩ الشيخ الالفي

٣٠٠ الشيخ الالفي

٣١٨ سيدي عبد الله الالفي

٣٥٠ الاستاذ علي الالفي

٣٦٢ الاستاذ علي الالفي

٣٦٣ الاستاذ علي الالفي

٣٦٤ الاستاذ علي الالفي

٣٦٤ الاستاذ علي الالفي

٣٦٤ الاستاذ علي الالفي

بالفتى في الارشاد يامن ينصف

لله ماقد هاج ذاك الموقف

فمن للعلا والمعاسن والوفا

ذق من كؤوس ودآدم فتصانفي

لمن جفنة قد اقبلت تتألق

ليهنكم ياءال الخ مفاخر - شرق

الخ فرد وس لمن منيته - رائق

فتارة ذو سرقة

ابا حسن زرنا على عجل ومن - فرق

اجيب بجثمانى وقلبي لديكم - فرق

هذه (كيزة) الضيوف الرشيقه

لله يوم خميس جادلى بلقا

وان اخاك الحق من كان مشنيا - فوقكا

وكم عانس بكرتخطت زواجها - الاعزل

الفيت فى مارس بعد - الجميل

حنانيك الخ المكان الجميل

ايا ابن القطب احيا الدين جهرا - جهلا

وما مخبر عن الفتى مثل نفسه - الوصل

بيت اتيح الخير من وجهاته - القالى

هنيئا لقلبي والهناء على مثلى

فما اسم رباعى الحروف ترى الذى - اول

اتنى فحلت من عقال الردى عقلى

تاملت هذا اللفز يايها الخل

لله دركم يامن لهم دول

قدانقضى الخير وجاد الكمال

فتبا لهذا الدهر لايعرف البذلا

اهلا بسن رجل العنا بنزوله

ياقادما فضله فى العلم والعمل

ان لم تكن كابن مقله

تبدي فحلت البدر فى الافق ينجلي

لله درك من امام عادل

٢٦٤ الاستاذ علي الالفي اريد من خير اخواني وصفولهم ... العدة

الكيم

- ٦٥ ابن العتيق يا اهل تحت الحصن ان يقع النوى - زعيم
٦٩ المؤلف يا طيب الخ في الربيع فما - نسيم
١٨٠ الاستاذ محمد الالفي انشئوا يا خير قوم
٢٩٢ الاستاذ محمد الالفي اباحسن مني سلام عليكم - سلام
٢٩٧ الشاعر الافراني اتيتك حبوا للزيارة عندما
٣٠٠ الشيخ الالفي جزاك اله العرش خير جزائه - جزما
٣٥٤ المؤلف اعاطى اكؤس السلوى نديمي
٣٦٢ محمد بن الطاهر شعر زرى بالعقد حسن نظامه

التون

- ٤٧ الشاعر الافراني ان الموائد انت من شجعانها
٢٨٣ محمد بن مسعود حتى ربع الرباب من تحت حصن
٧٠ المؤلف الخ بسيط بلقع مقفر - عين
١٧٩ الاستاذ محمد الالفي سلام عليك يا علي الشقيق والبنى - الغصن
٢١٦ محمد بن مسعود وراهم شيخ بزاوية وقد - الاركان
٢٧٤ محمد بن مسعود مالي سواك وسيلة لله ثم - الصمداني
٢٨٠ محمد بن مسعود قفا بالمطى في اراكة نعمان
٢٨٢ محمد بن مسعود سقى الله احمى من تحت الحصن
٢٨٣ محمد بن مسعود ياسادتي الغر العظام الشان
٢٨٣ محمد بن مسعود ان فاتك القطب ذاك الشاذلي فلذ - ابي الحسن
٢٨٩ محمد بن مسعود وافت توصل الهائم الحيران
٢٩٠ الحاج عبد الحميد الا ابلغ الشيخ الامام ابا الحسن
٢٩١ محمد بن المحفوظ انت خير الشيوخ في الاقران
٢٩٢ الاستاذ علي الالفي ابا حسن تم مسرة عيدنا
٢٩٩ الشاعر الافراني خليلي دلاني على شاحذ الذهن
٣٠٠ الشيخ الالفي ادخل مبارك حضرة الرحمان
٣٦٤ الاستاذ علي الالفي عليك اماما اعجز اللسن في اللسن
٣٦٤ المؤرخ الاكراري سلام يخوت ملحضيض الى القنن
٣٨٧ الاستاذ علي الالفي اتيت لامرحافز (فصك) وهي بلدة - احسان

الهاء

- ١٥ المؤلف لي همة عالية فذة - منتهى
٢٨٢ محمد بن مسعود تلك شمس القلوب بانث فتاهوا
٢٨٣ محمد بن مسعود ياسيلا اطلعت بالسوس طلعتة - تيهها

الياء

٦٩ المؤلف لله الخ ومرءاها ومحيها
٣٠٠ الشيخ الالغى
٢٩٧ الشاعر الافرانى

الالف المقصورة

٢٩٣ الشاعر الافرانى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
ابا حسن هذا غداء جميعكم - الضحى
ان جسن الخط زين للقتى

الاراجيز

٤٦ لبعض الالغيين
٥٣ الشاعر الافرانى
٦٩ لبعض الالغيين
١٧٣ الشيخ الالغى من رحلته
١٩٠ منها
٢٠٨ منها

قطع منها فى رقم ٣٠١ كما فى رقم ٣٢٨ كما من ٢٣٨ الى ٢٥٧
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى
املوا علينا من حديث املو
هذا وانى قد رايت رجزا
اوصاف الخ متنافيات
متبعا شقيقه محمدا
قد كنت فى غياهب الغباوة
تركت ما سوى الاله جهرا

الفهرس الرابع

فى الرسائل والوثائق والظواهر والمراسيم الرسمية

سيدى عبدالله بن سعيد الالغوى
وثائق وظواهر من ٨٣ - الى ٩٠ ثم من ١١٢ - الى ١١٥
سيدى محمد بن عبد الله العلامة الالغى
رسائل فى هذه الارقام - ١٧٦ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٩
سيدى على بن عبد الله العلامة الالغى
رسائل فى هذه الارقام ٢١٦ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٤ - ٣٥٦
ظواهر ٢٩ - ٣٣٠
الشيخ الالغى

رسائل فى هذه الارقام ١٧٩ - ١٩٠ - ١٩٥ - ٢١٣ - ٢١٦ - ٢٢٥ - ٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣٠٩

غير الالغيين :

سيدى الحسين الزرهونى ٣١٥
سيدى محمد بن على التادلى ٣١٤
محمد بن عبد السلام الورزازى ٣١٤
سيدى النزير البصرانى ٣١٥
سيدى عبد العزيز الالغوى ٣٢٣
محمد بن المحفوظ التازيمامتى ٢٩١
سيدى الحبيب البوسليمانى ٣٢٣

الفهرس الخامس

في الالفاظ الشلمية التي وقع فيها حرف شدة

تَأْفِطُ كَانَتْ	إِيغْرَمُ	إِدْبِيرَانُ
تَاطَارُ وَهَتْ	إِيصَافُنْ	أَسَاكَ وَأَصِيَانُ
تِيَسَا	إِيئِشَادُنْ	أَسِيفُ مَقُورُنْ
تِيُوضَفُويُنْ يِيْشِيْنْ	إِيئِقَالُ	أَشِكَاوَرُ
تِيِيِيُوتُ	إِيخْفُ وَيَنْدُ كُونَا	أَضَارُ أَوْ كَلِيدُ
تِيَزْرَا إِيْفُولُوسُنْ	أَيْتُ أَوْمِرِي	أَفْلَا أَوْ كُنْسُ
حُوكَا	أُوبَا حُو	أَكْرَامُ
ذَرَا وُوغُ	أُوبَا لُوشُ	أَكْنِي إِيْعِدَانُ
دُوكَادِيرُ	تَارُ مَوْرَتُ	أَمَلْنُ
دُو تَمْرُوتُ	تَالَاتُ غَزِيْفُنْ	أَمْتَضِي
دُوئِمْلَانُ	تَارُ كَانْتَصِلْمَاطُ	أَثْبِدُ نْتُومَلِيْنُ
الرَّكَادَةُ	تَامُودِيْرَتُ	أُوْجُو
مَامَانُ	تَابُورِيْشْتُ	إِيغْدُ إِيْفِي
حَيْدَةُ بِنِ مَائِسُ	تَاغْنُونْتُ	إِيغْسَانُ

فهرس الخطأ والصواب

صفحة	السطر	خطأ	صواب
٢	٢	هكذا هذه الابيات الثلاثة لا كما فى الاصل	
		كان لم يكن الخ بلادى التى بها	سريت صغيرا بين شتى المسارب
		كان لم يكن أصلى ومنبت نبعى	ومجمع اخوانى ومغنى أصحابى
		كان لم تكن لى أرضها خير مرتقى	سموت بها فوق الدرى والمناكب
صفحة	السطر	خطأ	صواب
١٧	١١	وبعض ماسكو	وبعض ما سكو
٢١	٦	أنخت العيش	أنخت العيس
٢١	٧	فى العاشية - صوا	صوى
٣٤	١	حفنة عصيدة	حفنة
٤٥	٢٠	اغدايقى	اغدا ايقى
٥١	٣	فى جانبى الحوض	فى جانب
٥٢	٢	فى العاشية - البادين	البادين
٥٢	٥	فى العاشية - شطئه	شاطئه
٥٢	١٣	فى العاشية الضفاديع	الضفادع
٦٠	٧	يتساوون	يتتساوون فيه
٦٧	١٠	يشعشها	يشعشعها
٧٠	٢٣	رشف الكؤوس	رشف لكؤوس
٧٠	١	فى العاشية - الجرج	الجرز
٧٧	٢	وخزوته	وحزوته
٨١	١٣	التطفيات	التطقيات
٩٢	١٩	بعضها ولكن	بعضها لكن
٩٣	١٧	يرونها	يروونها
٩٦	٣٢	ولا يعرف	ولا يعترف
١٠٤	٢٤	فى واد ساموكن	فى وادى ساموكن
١٠٥	١٨	الاعلى	الاصلى
١١٧	٢٢	شاور	ثاور
١٤٥	١	سيدى	سيد
١٤٥	١١	فكان ممن يحرد	فكان يحرد
١٤٥	١٦	عن مجاط	عن مجاطى

صفحة	المستطير	خطا	صواب
١٤٧		نحو ١٢١٥ ٤ ١٢١٦ هـ	قبل ١٢١٠ هـ = ١٢٩٦ هـ
١٤٧	٩	أتقن - اشتهر	أنقنوا - اشتهروا
١٥٩	١٩	القادح	القادح
١٦١	٢٠	ممن سار	ممن ساروا
١٦٦	٤٤	دعائم مراسية	راسية
١٧٩	١٤	لقد كان لك	لقد كان لكم
١٧٩	٣٠	فتحو	فتحو
١٨٣	٧	عصاية	عصامية
١٩١	٢١	منهم الوقوف	منهم من الوقوف
١٩٢	١٧	ان يكون	أن يكونوا
٢٠٦	٢٢	وينفطر	وينفطر
٢١١	١٥	لم تمض	لم تمض
٢١٧	٥	احتجت	احتجتتم
٢٢٠	٢٩	كمن اخبره	عمن اخبره
٢٢٠	٢٨	وما رأى كمن سمع	وما رأى كمن سمع
٢٢١	١١	في كثر القال	في كثرة القال
٢٢٢	٢٩	في ناحية المترجم	في ناحية والتمرجم
٢٢٣	١١	لما ستراه	كما ستراه
٢٢٤	٢٧	اذاك	اذ ذاك
٢٢٦	٧	ولو بداهم	ولو بدراهم
٢٢٧	١	كبير	كثير
٢٢٧	٧	الشيخ	الشيخ
٢٢٧	٣٢	يتبجحوا	يتبجحوا
٢٢٧	٢٢	ظهر انهم	ظهر انهم
٢٣٢	٤	سيخلفه	يستخلفه
٢٣٦	٢٥	في فايبي او كادير	في ايبي او كادير
٢٤٠	١٣	الجارى	الجار
٢٤٣	١٠	فابتدروا	فابتدروا
٢٤٤	١٦	ووليت	ووليت
٢٤٨	٢٦	يدرى	يدر
٢٥٢	٤	ليس	ليست
٢٥٤	١	أن يزيره	أن يزيره
٢٦٤	١٤	... القواد	وكذلك القواد

التأريخيات	الادوية	٢٣	٢٥٠
يخف	يخفف	٥	٢٦٨
يحصون	يصون	٥	٢٧٢
من خير	من غير	٣	٢٨١
بلا مزج	بلا مزج	٢٣	٢٨١
لاه - طاب	له - طب	٢٨	٢٨٢
مزافا	غراما	١٦	٢٨٤
الساار	الساار	١٦	٢٩٠
السكراتى	الانراضى	٢	٢٩٤
الله كل	الله فى كل	٢٠	٢٩٥
حتى خربت	حتى خرجت	١٩	٣٠٣
ويجدون	ويجد	٥	٣١٤
ظلمنا	ضلنا	١٠	٣١٨
ذلك	ذلك	٤٢	٣٢٣
اخبارا	اخبار كثيرة	٢٠	٣٢٥
ومتى كان لامثالهم	ومتى لامثالهم	١٦	٣٤٠
أن يغمز	أن يغمز	٣	٣٤٥
أتسى	أوتى	١٢	٣٤٥
ينكر	ينكر	١٧	٣٤٥
الى الاخلاق	الى الاخلاق	١١	٣٤٧
تتجداد	فى الحاشية تتجدد	١	٣٤٧
فيما مضى	ففيما مضى	١٨	٣٥٣
مع اجلة انصار	والاجلة انصارى	١٢	٣٦٥
جوف الفرا	جوف القرا	٧	٣٦٦
سيدى اليزيدى، التامانارتيون	التامانارتيون، سيدى اليزيدى	٢٤	٣٧١
بفلة	بفلة	١٩	٣٧٣

هذه هي الاغلاط التي وقفنا عليها • وقد يكون هناك اخرى • فالتقارء الشبيهة لا تخفى عنه



